المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – ﷺ –.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[٣] .

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد – ﷺ –، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعةٍ، وكل بدعةٍ ضلالةٍ، وكل ضلالةٍ في النار.

أما بعد، فلقد قال الإمام أحمد[٤] –رحمه الله – في خطبة كتاب (الرد على الجهمية): "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه هدوه، فما

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٠٢) .

(٢) سورة النساء، آية (١) .

(٣) سورة الأحزاب، آية (٧٠ ، ٧١) .

(٤) هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله الشيباني المروزي، ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة ٢٤١ هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي (١١/ ١٧٧).

أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون الجهّال بما يشبهون عليهم فنعوذ بالله من فتن المضلين"[1] اهـ .

وإن من هؤلاء العلماء الربانيين شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي، الذي نذر وقته وحياته لله تعالى، يجاهد في سبيل الله بالقول والعمل.

يقول الإمام البزار[2] –رحمه الله– في معرض كلامه عن شيخ الإسلام: "اتفق كل ذي عقل على أنه ممن عنى نبينا ﷺ بقوله: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[3]، فلقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين، وجعله حجة على أهل عصره أجمعين، والحمد لله رب العالمين"[4].

وإن من فضل الله سبحانه وتعالى أن قيض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لبيان السنة وقمع البدعة، وتوضيح التوحيد وتجليته، وتعرية الباطل وكشف عواره، وبيان زيغه وزيفه وبطلانه، وذلك من خلال مناظراته ومصنفاته التي اهتم فيها ببيان الأصول والقواعد التي يستفيد منها من بعده في الرد على أهل البدع.

---

[1] – هذه الخطبة مقتبسة من الخطبة التي افتتح بها الإمام أحمد رحمه الله كتابه : "الرد على الزنادقة والجهمية".

[2] – عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي الازجي البزار، سراج الدين أبو حفص، سمع من جماعة وعني بالحديث ورحل إلى دمشق، جالس ابن تيمية، كان حسن القراءة له عبادة وبهجة وصنف في الحديث والفقه والرقائق وحج من بغداد فمات في الطريق في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ. الدرر الكامنة، ابن حجر (٤/ ٢١١، ٢١٢).

[3] – رواه أبو داود في: كتاب (الملاحم)، باب (ما يذكر في قرن المائة) برقم(٤٢٩٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظه.(١٧٨/٤).

[4] – الأعلام العلية، عمر بن علي البزّار ص (٢٠، ٢١) .

وكان من أهل البدع الذين قام شيخ الإسلام ببيان زيفهم وضلالهم " ابن عربي الطائي الأندلسي الصوفي"[1]، وذلك بكشف حقيقة مقالاته الباطنية، وما حوته مؤلفاته من باطل وضلال ككتاب (فصوص الحكم)، فقد صرح فيه بعقيدته التي طالما أخفاها أو لوح بها فقط في مؤلفاته الأخرى نحو القول بوحدة الوجود، الذي يعني أن الخالق سبحانه وتعالى هو هذا العالم الذي نراه، وأن جميع الناس في نظره على حق حتى عبدة الأصنام، وانتصاراً لهذه الفكرة الباطلة التي دعا إليها قام بتحريف نصوص الكتاب والسنة على غرار تحريف القرامطة الباطنية.

فتوكلت على الله سبحانه وتعالى، وأخذت بمشورة الناصحين، ثمّ اخترت أن يكون موضوع بحثي للماجستير:

(("موقف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من ابن عربي الطائي "ت ٦٣٨هـ"))

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لما يحبه ويرضاه ..

---

[1] - ستأتي ترجمته إن شاء الله في مطلب مستقل.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١–أهمية بيان العقيدة الصحيحة وتجلية مسائلها ؛ لأنها أهم وأخطر ما يجب على الإنسان أن يتعلمه .

٢–خطورة مؤلفات بن عربي لما تحويه من ضلالات وخرافات وتأويلات باطنية لنصوص الكتاب والسنة، وأهمية بيان ما في مقالاته من باطل .

٣–اعتماد المتصوفة في زماننا على كثير من مصنفات بن عربي، واطلاقهم عليه كثيراً من الألقاب التي توحي بتقديمهم إياه، نحو: الشيخ الأكبر، ورئيس المكاشفين، والبحر الزاخر، وبحر الحقائق، وإمام المحققين، والكبريت الأحمر، ومحي الدين، وسلطان العارفين .

٤–أنه يوجد من يعتني بمصنفات ابن عربي شرحاً وتعليقاً وتحقيقاً ونشراً، وخاصة من جانب المستشرقين أعداء الإسلام، ومن تتلمذ على أيديهم من أبناء المسلمين، وتكمن خطورة ذلك في توظيف مؤلفات ابن عربي في محاربة الإسلام، وإظهاره أنه دين وحدة وجود يقبل بالأديان كلها.

٥–خطورة انتشار كتب ومؤلفات ابن عربي في ترسيخ مذهب وحدة الوجود بين عوام المسلمين.

٦–كذلك مما يبرز أهمية هذا الموضوع أن كتاب (فصوص الحكم) يعتبر قرآن الصوفية وكتابهم المقدس، فإثبات تهافته وبيان ما فيه من ضلال وكفر، وهو ما قام به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولا شك أن هذا أمر في غاية الأهمية.

٧–كذلك مما يبرز أهميته ما يطلق عليه في هذا العصر البعث الصوفي؛ فقد انتشرت مؤلفات الصوفية، واستعرت الحرب على السنة وأهلها، فضلاً عن الدعم الذي يجدونه من دول إسلامية وغير إسلامية.

٨–أن الصوفية في زماننا يعادون شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بل ويعتبرونه زعيم الكفرة؛ لذا كان من الضروري جداً بيان موقف شيخ الإسلام رحمه الله تعالى من مقالات ابن عربي.

٩-أهمية إبراز موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من ابن عربي، ويتبين ذلك من عدة أمور :

- ما يتميز به شيخ الإسلام من الإحاطة بأقوال الفرق وأئمة مذاهبها، والرد عليهم وتفنيد أقوالهم، مع الاعتماد على الكتاب والسنة في كل ذلك، كما قال رحمه الله في معرض رده على المبتدعة : "وقلت في ضمن كلامي: أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام، وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها"[1] ا.هـ .

- تميّز شيخ الإسلام في كتاباته بالعدل والإنصاف، وتحري الحق، والدقة في النقل.
- أن شيخ الإسلام لا يكتفي في كتاباته بمجرد عرض أقوال الفرق المخالفة لعقيدة السلف وأئمة مذاهب تلك الفرق، بل يعرض أقوالهم، ثم يرد على باطلهم، ويفند أقوالهم[2].
- أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يعد من المتأخرين زماناً بالنسبة إلى من سبقه من مؤلفي المقالات، مما يعد سبباً في إلمامه بأقوالهم، واطلاعه على ما انتهت إليه أرائهم.

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٨٤/٣).

[2] - كما سيأتي تفصيله -إن شاء الله- في ثنايا هذا البحث عند الكلام على منهج شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على المخالفين وعرض أقوالهم.

الدراسات السابقة

يوجد العديد من الكتب والرسائل التي تحدثت عن ابن عربي ، وما تحويه كتبه ومؤلفاته من مخالفات، كما يوجد بعض الرسائل العلمية التي تناولت ابن عربي بالبحث والدراسة ، ومن هذه الرسائل :

١– بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله.

١–"نظرية وحدة الوجود بين ابن عربي والجيلي" : دراسة تحليلية مقارنة ، البحث/سهيله عبد الباعث الترجمان ، ماجستير .

٢–"نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي" : الباحث / أحمد عبد المهيمن عبد الله دقينش ، ماجستير .

٣–"وحدة الأديان عند ابن عربي" : الباحث / أسمهان إبراهيم عبد الله شلبي ، رسالة دكتوراة .

٤–"المعاني الصوفية للعبادات في مذهب ابن عربي" : الباحث /كرم أمين سليم أبوكرم ، رسالة ماجستير .

٥–"الصلة بين الفلسفة والتصوف عند ابن عربي" : الباحث /مُحَّد عبد التواب السيد يوسف ، رسالة ماجستير .

٦–"ابن عربي، وموقف علماء المسلمين منه"[1]: الباحث / دغش بن شبيب العجمي.

---

[1] – تناول المؤلف الدراسة في بابين، الباب الأول تضمن أحد عشر فصلاً؛ فعرَّف بابن عربي في التمهيد تعريفاً موجزاً، ثم تحدث في الفصل الأول عن عقيدة ابن عربي في الله ﷻ، وفي الفصل الثاني في عقيدته في علو الله عز وجل، وذكر في الفصل الثالث عقيدته في المشركين وعبَّاد الأوثان واليهود والنصارى، وخصص الفصل الرابع في عقيدة ابن عربي في ألوهية فرعون، والفصل الخامس جعله في عقيدته في إيمان فرعون، والفصل السادس بيَّن فيه عقيدة ابن عربي في النبوة والأنبياء

٧-"موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية"[١] : الباحث / أحمد بن مُحَّد بناني ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى .

والولاية، بيَّن فيه طعنه في الأنبياء منهم نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإلياس عليهم السلام، وذكر في الفصل السابع عقيدة ابن عربي في حقيقة النار وزعمه بأن النار تنقلب لذةً ونعيماً للكفار، ثم بيَّن في الفصل الثامن عقيدته في الجهاد، وأنه لا يرى الجهاد وقتال الكفار مطلقاً، وفي الفصل التاسع تناول التأويل الباطني عند ابن عربي، وأما الفصل العاشر فخصصه في إيراد أقوال العلماء في بيان كذب ابن عربي، والفصل الحادي عشر أثبت فيه أن ابن عربي كان يأكل الحشيش، وتناول في الباب الثاني، في الفصل الأول منه أقوال العلماء في تكفير أو تضليل أو التحذير من ابن عربي، وفي الفصل الثاني تحدث عن الكتب التي أُلِّفت في التحذير من ابن عربي، وذكر في الفصل الثالث كلام العلماء في إحراق أو إتلاف كتب ابن عربي، وأنكر في الفصل الرابع على من زعم أنَّ ثمة تأويلاً لكلام ابن عربي، وأورد فيه الردَّ على هذه المزاعم، ثم في الفصل الخامس أثبت أنَّ كتابه (الفتوحات المكية) و (الفصوص) لم يُدس فيهما شيء وأنه من كلامه، وفي الفصل السابع تحدث عن سبب اهتمام النصارى بالصوفية وبكتب ابن عربي، وخصص الفصل الثامن في من يتولى ابن عربي، ويدافع عنه، ثم ختم الكتاب برسالة وجهها إلى العلماء وطلاب العلم في بيان الحق وكشف حقيقة الباطل، وذيَّل الكتاب بفهارس علمية.

فتبيّن من هذا العرض السريع لما يتضمنه هذا الكتاب أن المؤلف لم يخصص بحثه لبيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-من هذه العقائد الكفرية في كل مسألة.

فظهر بذلك أن فكرة البحث التي بين أيدينا تتناول الكلام عن "ابن عربي الطائي" من زاوية مختلفة، ألا وهي موقف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- تحديداً من كل مسألة من المسائل الاعتقادية المذكورة في كتب ابن عربي، والتي تناولها شيخ الإسلام بالرد والتفنيد، وذلك من خلال كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فقط .

وبهذا فأوجه الاختلاف بين هذا الكتاب المذكور وموضوع هذا البحث كثيرة، والفائدة الزائدة عليه -إن شاء الله- مرجوّة.

[١] - وهذا الكتاب قد وقفت عليه ، وملخص ما جاء فيه حسب ما ذكر مؤلفه في أوله، قال:

"ملخص الرسالة :هذه الرسالة (موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية" تتناول كما هو واضح من عنوانها بعضاً مما كتبه الصوفية من موضوعات وما جرى بينهم من أبحاث ومناقشات ،

فتعرض ذلك من وجهة نظرهم وما استدلوا به على أرائهم، ثم تبين موقف الإمام ابن تيمية في ذلك الموضوع من نقد أو تأييد وإجمال أو تفصيل.

وفي أثناء ذلك يتضح الرأي الصحيح المستحق للتأييد من الرأي الفاسد المستحق للإنكار، ومن مجموع كل ذلك يتضح موقف الإمام ابن تيمية الإجمالي من التصوف والصوفية.

وقد ظهر لي أن الإمام ابن تيمية لم يكن يعادي التصوف على إطلاقه بل أنكر منه ما لا يوافق الكتاب والسنة وما ليس بمأثور عن أحد من الصحابة والتابعين، وقد تبين لنا في موضوعات البحث المسماة عند الصوفية بالمقامات والأحوال أن الإمام ابن تيمية أكثر علماً وأدق تعبيراً وأكثر تفصيلاً في بعضها عن غيره ممن كتب في هذه الموضوعات من الصوفية وغيرهم، ولم يفته التنبيه إلى المعاني الدقيقة واللطائف النادرة التي تظهر له أثناء معالجته لتلك الموضوعات، كما لم يفته الرد على ما لا يوافق الكتاب والسنة منها بطريقته العلمية النزيهة التي لا تعصب فيها ولا محاباة، بل لقد بين في كثير من الأحيان أسباب الاشتباه في بعض الموضوعات التي دفعت بعض الصوفية إلى التصورات الخاطئة فيها، ثم تبين لي في موضوعات السلوك أن الإمام ابن تيمية اختار في السلوك الطريق الصحيح المؤيد بالكتاب والسنة موافقاً في ذلك فريقاً من المعتدلين من الصوفية ومعارضاً الفريق الأخر الذين اتخذوا طريقاً لا يعتمد عليهما.

ثم بين الإمام أن علم السلوك موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أوضح مما هو في كتب الصوفية وغيرهم، وأن تعلمه من القرآن والسنة أسهل من تعلمه من غيرهما؛ فإن تصوير الحاجة إلى الشيخ بالدرجة المبالغ فيها عند الصوفية غير مقبول أصلاً عند الشيخ ابن تيمية، كما أن درجة الطاعة التي يطلبون من المريد لشيخه قد بالغ فيها بعضهم إلى حد غير مقبول.

وأخيراً أثبت الإمام ابن تيمية الكرامات لأولياء الله الصالحين ونفي الالتباس بينها وبين المعجزات من جهة، وبينها وبين السحر والشعوذة من جهة أخرى، ولكنه نبه إلى عدم الاغترار بظهور الكرامات على يد شخص وادعاء العصمة له، فإن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ثم بين الإمام سوء ما وقع فيه بعض المسلمين من اعتقاد في أناس من المرضى بالأمراض النفسية والعصبية ونحو ذلك وعدهم في جملة الأولياء الصالحين الذين يجب الإقتداء بهم وطاعتهم وعدم الاعتراض عليهم ونحو ذلك، فأظهر حقيقة أمر هؤلاء وما يجب أن يعتقد في شأنهم).

فتبين من هذا العرض السريع لهذا الكتاب –حسب ما ذكره مؤلفه– أن موضوع بحثي يختلف عنه اختلافاً كبيراً؛ حيث أن موضوع بحثي يختص بدراسة موقف شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– من ابن عربي الطائي كأحد رموز التصوف الفلسفي الغالي.

٨-"ابن عربي وموقفه من النبوة والأنبياء" : الباحث / عادل عبد الرحمن العليان ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود .

٩-"الوجود والعدم في فلسفة ابن عربي الصوفية" : الباحث /جمال احمد سعيد المرزوقي ، رسالة ماجستير .

١٠-"وحدة الوجود ، أصولها وأثرها في فلسفة ابن عربي الصوفية والأخلاقية" : الباحث /طلعت مراد بدر ، رسالة ماجستير .

ولكني لم أقف على بحث علمي تناول موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من ابن عربي الطائي، فتوكلت على الله تعالى، وأخذت بمشورة الناصحين في اختيار هذا الموضوع:

" موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من ابن عربي الطائي ت(٦٣٨هـ) "

فأسأل الله تعالى أن يوفقني لما يحب ويرضى ..

وأن يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده .

خطة البحث

- وهي تتكون من : تمهيد ، وبابين ، وخاتمة .

التمهيد

وفيه أربعة مطالب :–

... المطلب الأول : ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

... المطلب الثاني : مصادر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عرض آراء المخالفين ومنهجه في الرد عليها .

... المطلب الثالث : ابن عربي والتصوف الفلسفي .

... المطلب الرابع : ترجمة ابن عربي الأندلسي ، وفيه :

- اسمه وألقابه .
- نشأته .
- شيوخه وتلامذته.
- رحلاته إلى البلاد .
- مذهبه الفقهي .
- مؤلفاته ، وطريقته فيها.
- وفاته .

الباب الأول

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء ابن عربي الإعتقادية

وفيه عشرة فصول :

- الفصل الأول : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مصادر التلقي عند ابن عربي ، وفيه ثلاثة مباحث :

– المبحث الأول : موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن الله تعالى بلا واسطة ، وادعاء العلم الإلهي .

– المبحث الثاني : موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظةً ومناماً.

– المبحث الثالث : موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن طريق الكشف ، وفيه مطلبان :

... المطلب الأول : الإلهام .

... المطلب الثاني : الرؤى المنامية .

- الفصل الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في توحيد الربوبية ، وفيه مبحثان :–

– المبحث الأول : موقفه من قول ابن عربي بأن وجود الله هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات .

– المبحث الثاني : موقفه من ابن عربي في قوله بوحدة الوجود ، وفيه ثلاثة مطالب:

.. المطلب الأول : معنى القول بوحدة الوجود عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : لازم القول بوحدة الوجود .

.. المطلب الثالث : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بوحدة الوجود.

- الفصل الثالث : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في أسماء الله جل وعلا ، وفيه خمسة مباحث :–

– المبحث الأول : موقفه من زعم ابن عربي أن حقيقة الرب وجود مجرد لا اسم له ولا صفة .

– المبحث الثاني : موقفه من قول ابن عربي بعدم مباينته سبحانه وتعالى للعالم ، وأن الخالق يحتاج في وجوده إلى المخلوق .

– المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي بأن حقيقة الأسماء أمور عدمية .

– المبحث الرابع : موقفه من زعم ابن عربي أن الله تعالى لا ينزه عن شيء ، وأن تنزيه الله تعالى هو عين التحديد والتقييد .

– المبحث الخامس : تسمية الله سبحانه بما لم يسم به نفسه من أسماء، وموقف شيخ الإسلام من ذلك .

- الفصل الرابع : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في صفات الله جل وعلا ، وفيه أربعة مباحث :–

– المبحث الأول : موقفه من وصف ابن عربي لله تعالى بكل صفات الذم التي يوصف بها المخلوق تصريحاً لا تلميحاً .

– المبحث الثاني : موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في القرآن ، وكلام الله جل وعلا عموماً ، وفيه ستة مطالب :

.. المطلب الأول : موقفه من قول ابن عربي أنه إذا خلق كلاماً في غيره صار هو المتكلم به .

.. المطلب الثاني : موقفه من قول ابن عربي أن كلام المخلوقين غير مخلوق .

.. المطلب الثالث : موقفه من قول ابن عربي أن كلام الله فيض يفيض على القلوب .

.. المطلب الرابع : موقفه من قول ابن عربي بإمكان سماع كلام الله لآحاد الناس .

.. المطلب الخامس : موقفه من قول ابن عربي بأن الله عزوجل يكلّم أهل التصفية بأعظم مما كلّم به موسى عليه السلام .

.. المطلب السادس : موقفه من زعم ابن عربي أن القرآن كله شرك ، وأن التوحيد في كلام أهل الوحدة.

– المبحث الثالث : موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في رؤية الله جل وعلا ، وفيه مطلبان :

.. المطلب الأول : موقفه من تنفرد ابن عربي بقول (أن الله يرى في الدنيا والآخرة) .

.. المطلب الثاني : موقفه من جمع ابن عربي بين النفي والإثبات في هذه المسألة.

– المبحث الرابع : موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في صفة المحبة لله جل وعلا ، وفيه ثلاثة مطالب :

.. المطلب الأول : حقيقة المحبة عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقفه من قول ابن عربي في المحبة .

.. المطلب الثالث : موقفه من لازم قول ابن عربي في المحبة لله تعالى ، وإسقاط التكاليف .

- الفصل الخامس : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في توحيد الألوهية، وفيه أربعة مباحث :–

– المبحث الأول : موقفه من زعم ابن عربي صحة دين عبدة الأصنام والأوثان .

– المبحث الثاني : موقفه من زعم ابن عربي أن فرعون كان محقاً حينما قال (أنا ربكم الأعلى) .

– المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي بصحة جميع العقائد .

– المبحث الرابع : موقفه من زعم ابن عربي أن النصارى أخطئوا لما خصوا الحلول بشخص واحد .

- الفصل السادس : موقف شيخ الإسلام من عقيدة ابن عربي في النبوة والرسالة ، وفيه خمسة مباحث :–

– المبحث الأول : موقفه من قول ابن عربي بأن النبوة مكتسبة .

– المبحث الثاني : موقفه من قول ابن عربي أن الوحي هو عبارة عن فيض يفيض على القلوب من العقل الفعال .

– المبحث الثالث : موقفه من تكذيب ابن عربي للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما أخبروا به من الغيبيات.

– المبحث الرابع : موقفه من زعم ابن عربي أن كلام الرسل له ظاهر وباطن ، وبإمكان الاستغناء عن الأنبياء في تلقي الدين .

– المبحث الخامس : موقفه من قول ابن عربي بتفضيل أهل الصفوة والأولياء على الأنبياء والمرسلين و أن الأنبياء يخضعون للأولياء .

- الفصل السابع : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في الولاية ، وفيه ستة مباحث :–

– المبحث الأول : تعريف الولاية عند ابن عربي .

– المبحث الثاني : موقفه من تقسيم المشايخ والأولياء إلى درجات وطبقات عند ابن عربي .

– المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي بتفضيل الولي على النبي .

– المبحث الرابع : موقفه من قول ابن عربي أن الولي يتلقى عن الله تعالى مباشرة.

– المبحث الخامس : موقفه من زعم ابن عربي أن الولي معصوم ، ويقول للشيء (كن) فيكون .

– المبحث السادس : موقفه من قول ابن عربي أنه هو خاتم الأولياء كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء .

- الفصل الثامن : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في كرامات الأولياء ، وفيه مبحثان :–

– المبحث الأول : الكرامة وأقسامها عند ابن عربي .

– المبحث الثاني : موقفه من قول ابن عربي في الكرامة .

- الفصل التاسع : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في القدر ، وفيه ثمانية مباحث :-

– المبحث الأول : موقفه من قول ابن عربي أن العبد ليس له فعل ، بل الفعل في الحقيقة لله .

– المبحث الثاني : موقفه من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والكفر .

– المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي أن الله يأمر العبد ظاهراً بطاعته ، فإن وقعت من العبد معصية عرفنا أن الله أمره بها في الباطن .

– المبحث الرابع : موقفه من قول ابن عربي بطاعة الإرادة وأنه ليس ثمة طاعة ولا معصية .

– المبحث الخامس : موقفه من قول ابن عربي في مسألة الاستطاعة .

– المبحث السادس : موقفه من قول ابن عربي في الفناء ، وغياب الشهود .

– المبحث السابع : موقفه من قول ابن عربي بسقوط التكاليف بالفناء .

– المبحث الثامن : موقفه من قول ابن عربي في العصاة .

- الفصل العاشر : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظريات ابن عربي، وفيه سبعة مباحث :-

– المبحث الأول : نظرية الإنسان الكامل ، وفيه مطالب :-

.. المطلب الأول : المراد بنظرية الإنسان الكامل عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية الإنسان الكامل.

– المبحث الثاني : نظرية ختم الولاية ، وفيه مطلبان :-

.. المطلب الأول : المراد بنظرية ختم الولاية عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية ختم الولاية.

- المبحث الثالث : نظرية نقطة الدائرة ، وفيه مطلبان :–

.. المطلب الأول : المراد بنظرية نقطة الدائرة عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية نقطة الدائرة.

- المبحث الرابع : نظرية نقطة القطب ، وفيه مطلبان :–

.. المطلب الأول : المراد بنظرية نقطة القطب عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية نقطة القطب.

- المبحث الخامس : نظرية الأعيان الثابتة ، وفيه مطلبان :–

.. المطلب الأول : المراد بنظرية الأعيان الثابتة عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية الأعيان الثابتة.

- المبحث السادس : نظرية التنزّلات الستة ، وفيه مطلبان :–

.. المطلب الأول : المراد بنظرية التنزّلات الستة عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية التنزّلات الستة .

- المبحث السابع : نظرية المراتب السبعة ، وفيه مطلبان :–

.. المطلب الأول : المراد بنظرية المراتب السبعة عند ابن عربي .

.. المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية المراتب السبعة.

الباب الثاني

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من منهج ابن عربي في السلوك

وفيه تمهيد ، وأربعة فصول :–

- التمهيد ، وفيه أربعة مطالب :

.. المطلب الأول : معنى رياضة النفس ، وأدلتها ، ومجالاتها .

.. المطلب الثاني : معنى المجاهدة ، وثمرتها ، وتطبيقاتها .

.. المطلب الثالث : المراد بآداب السلوك ، وأنواعه .

.. المطلب الرابع : المقامات والأحوال ، وصلتها برياضة النفس .

- الفصل الأول : رياضة النفس عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها، وفيه مبحثان:–
  - المبحث الأول : مفهوم رياضة النفس عند ابن عربي .
  - المبحث الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من رياضة النفس عند ابن عربي.
- الفصل الثاني : مجاهدة النفس عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها ، وفيه مبحثان:–
  - المبحث الأول : مفهوم مجاهدة النفس عند ابن عربي .
  - المبحث الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مجاهدة النفس عند ابن عربي.
- الفصل الثالث : آداب السلوك عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها ، وفيه مبحثان :–
  - المبحث الأول : المراد بآداب السلوك عند ابن عربي .
  - المبحث الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آداب السلوك عند ابن عربي.
- الفصل الرابع : المقامات والأحوال عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها ، وفيه مبحثان :–
  - المبحث الأول : مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي .
  - المبحث الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي .

ثم الخاتمة :–

وفيها أهم نتائج البحث .

ثم فهارس البحث .

منهج البحث

سوف أسير في هذا البحث -إن شاء الله تعالى- على وفق منهج أرجو أن أوفق في تطبيقه والالتزام به ، ويتلخص هذا المنهج فيما يلي :

١-الاقتصار على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن ابن عربي، وذلك من خلال استقراء ما كتبه شيخ الإسلام في فتاويه ومؤلفاته.

٢-عرض المسائل العقدية المتعددة التي تعرض ابن عربي لذكرها في مؤلفاته، ثم ذكر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية منها على ضوء عقيدة السلف -رحمهم الله-، وقد اعتمدت على (الفتوحات المكية)، و(فصوص الحكم)، اعتمدت عليهما في النقل عن ابن عربي، وسرد آرائه وأقواله، وذلك في جلّ بحثي.

٣-تخريج الآيات وإيراد تفسيرها في الحاشية إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وعزو الأحاديث والآثار الواردة في البحث إلى مصادرها.

٤-ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في ثنايا البحث، والتعريف بالفرق، والأماكن والبلدان، وشرح المصطلحات، وتوضيح الألفاظ الغريبة.

٥-عمل فهارس عامة للآيات والأحاديث، والآثار، والمصطلحات، والألفاظ الغريبة، والفرق والطوائف، والأماكن والبلدان، والأشعار، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

وأخيرًا أسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يوفقني لإتمام هذا العمل وان يجعله خالصاً لوجهه، نافعًا لعباده.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التمهيد

وفيه أربعة مطالب :

... **المطلب الأول** : ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

... **المطلب الثاني** : مصادر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عرض آراء المخالفين ومنهجه في الرد عليها .

... **المطلب الثالث** : ابن عربي والتصوف الفلسفي .

... **المطلب الرابع** : ترجمة ابن عربي الطائي ، وفيه :

- اسمه وألقابه .
- نشأته .
- شيوخه وتلامذته.
- رحلاته إلى البلاد .
- مذهبه الفقهي .
- مؤلفاته ، وطريقته فيها.
- وفاته .

- المطلب الأول: ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

اسمه ونسبه:

هو شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس (أحمد) بن شهاب الدين أبي المحاسن (عبد الحليم) بن مجد الدين أبي البركات (عبد السلام) بن أبي مُحَّد (عبد الله) بن أبي القاسم (الخضر) بن (مُحَّد) بن (الخضر) بن (علي) بن (عبد الله) بن (تيمية) الحرّاني النميري.

فهو ينتسب إلى قبيلة عربية نِمْرِيّة؛ من بني نُمَيْر الذين يرجع نسبهم إلى قيس عيلان من مضر[١]، وقد سمي بـ(ابن تيمية)؛ لأن أمّ جدّه مُحَّد كانت تسمى (تيمية)؛ وكانت واعظة فنسب إليها وعُرف بها[٢].

ولادته ونشأته:

وُلد شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول، وقيل: ثاني عشر من شهر ربيع الأول بحرّان[٣] سنة ٦٦١هـ[٤].

وقد نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية في أسرة علمية: فقد كان جده أبو البركات مجد الدين عبد السلام فقيهاً محدثاً أصولياً نحوياً، من العلماء الأعلام[٥].

وأما والده شهاب الدين عبد الحليم كان عالماً فاضلاً من علماء عصره[٦].

---

[١] - انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، أبو المحاسن الظاهري (١/٢٧١).

[٢] - العقود الدريّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن عبد الهادي ص(٢).

[٣] - وهي بلدة في الجزيرة بين العراق والشام، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢/٢٣٥).

[٤] - العقود الدريّة، ابن عبد الهادي ص(٢).

[٥] - ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي (٤/٢٤٩).

[٦] - المصدر السابق (٤/٣١٠).

وكذلك كان إخوته من أهل العلم والفضل؛ فقد كان أخوه شرف الدين عبد الله من العلماء، وكان ممن دافع عن شيخ الإسلام رحمهما الله وامتحن بسببه[١]، وكان أخوه زين الدين عبد الرحمن زاهداً عابداً، كما أنه كان تاجراً، وكان يخدم شيخ الإسلام رحمه الله وسجن معه في سجن القلعة[٢].

وأما أخوه لأمه بدر الدين أبو القاسم مُحَّد بن خالد الحرّاني فقد كان عالماً فقيهاً إماماً؛ تولى التدريس عن شيخ الإسلام رحمهما الله[٣].

وقد عاش شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مسقط رأسه حرّان، ثم هاجر منها بعد هجوم التتار عليها هو أسرته إلى دمشق، حيث دخل دمشق عام ٦٦٧هـ[٤].

لذا فإننا نجد أن هذا الجو العلمي له أثر بالغ في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، إلى جانب ما وهبه الله إياه من صفات شخصية جبلية، من الفطنة وسرعة البديهة وحسن التصور للمسائل والأمور.

أما عن الشجاعة والإقدام فقد كان مشهوراً بهما رحمه الله، ومن كلماته المشهورة في التاريخ عبارة: "إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً"، والتي قالها رحمه الله في مجمع الناس، وهو يحلف لهم أنهم منصورون على التتار، فقالوا له: قل إن شاء الله، فقال رحمه الله: " إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً"[٥].

---

[١] – انظر: العقود الدرية، ابن عبد الهادي ص (٣٦١)، وانظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٣٨٢/٢).

[٢] – انظر: العقود الدرية، ابن عبد الهادي ص (٣٦٨).

[٣] – انظر: ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٣٧٠/٢).

[٤] – انظر: العقود الدريّة، ابن عبد الهادي ص (٣).

[٥] – المصدر السابق ص (١٧٧).

يقول الحافظ الذهبي[1] رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية:

"كان إماماً متبحراً في علوم الديانة، صحيح الذهن سريع الإدراك، سيّال الفهم كثير المحاسن، موصوفاً بفرط الشجاعة والكرم، فارغاً عن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه"[2].

وقد كان رحمه الله كريم الأخلاق ذا عفو وصفح، فقد قال القاضي زين الدين ابن مخلوف[3] قاضي المالكية:

"ما رأينا مثل ابن تيمية؛ حرضنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا"[4].

شيوخه وتلاميذه:

كان شيخ الإسلام رحمه الله مهتماً بالعلم وتحصيله، لذا كثر شيوخه الذين تلقى عنهم جداً، حتى ذكر تلميذه (مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي) أنهم تجاوزوا مائتي شيخ[1].

---

[1] - مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، حافظ مؤرخ علامة محقق، تركمانيّ الأصل، مولده ووفاته في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، قال البدر النابلسي: كان علامة زمانه في الرجال وأحوالهم، حديد الفهم ثاقب الذهن، وشهرته تغني عن الإطناب فيه، توفي سنة ٧٤٨هـ . انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (٢/ ١١٦)، انظر: الدرر الكامنة (٥/ ٦٦).

[2] - ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٢/٣٩٠).

[3] - علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري، قاضي القضاة أبو الحسن المالكي، حاكم الديار المصرية نيفاً وثلاثين سنة، حدث عن الشرف المرسي وابن عبد السلام، وكان فيه مروءة واحتمال ورفق بالفقهاء، وله دربة بالقضايا والأحكام، حكم بعد ابن شاس وولي بعده القاضي تقي الدين الإخنائي، وتوفي سنة الوافي بالوفيات ثمان عشرة وسبع مائة وله خمس وثمانون سنة. انظر: الوافي بالوفيات (٢٢/ ١١٨-١١٩).

[4] - البداية والنهاية، ابن كثير (٦١/١٤).

وأما تلاميذه فقد كانوا عدداً كبيراً جداً؛ نظراً لما جعل الله له من القبول، حتى تخرّج عليه رحمه الله أكابر من أهل العلم والجهاد والدعوة.

ومن أشهر تلاميذه والذين صاروا بعد ذلك أعلاماً للسنة[٢]:

١–الإمام مُحَّد بن أحمد بن عبد الهادي[٣] رحمه الله ت (٧٤٤هـ) .

٢–الإمام ابن أبي العز الحنفي[٤] رحمه الله ت(٧٩٢ هـ).

٣– الإمام شمس الدين مُحَّد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية[٥] رحمه الله ت(٧٥١هـ).

---

[١] – انظر: العقود الدريّة، ابن عبد الهادي ص (١٩)، وقال: سمع من الشيخ زين الدين احمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي جزء ابن عرفة كله، ثم سمع من ابن أبي اليسر، والكمال ابن عبد، والمجد ابن عساكر، وأصحاب الخشوعي، ومن الجمال يحيى بن الصيرفى، وأحمد ابن أبي الخير، والقاسم الأربلي، والشيخ فخر الدين بن البخاري، والكمال عبد الرحيم، وأبي القاسم بن علان، وأحمد بن شيبان، وخلق كثير، وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء، ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير، وقرأ العربية على ابن عبد القوى.

[٢] – انظر في ذلك: النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويّان، ص (٦٥).

[٣] – مُحَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف ابن مُحَّد بن قدامة المقدسى الحنبلى، شمي الدين أحد الأذكياء، تردد إلى ابن تيمية ومهر في الحديث والأصول والعربية وغيرها، قال الصفدي: لو عاش كان آية، كنت إذ لقيته سألته عن مسائل أدبية وفوائد عربية فينحدر كالسيل، وقال ابن كثير: كان حافظاً علامة ناقداً حصل من العلوم ما لا يبلغه الشيوخ الكبار، وبرع في الفنون وكان جبلاً في العلل والطرق والرجال، حسن الفهم جداً صحيح الذهن، توفي ٧٤٤ هـ. الدرر الكامنة، ابن حجر (٥/ ٦١، ٦٢).

[٤] – صدر الدين مُحَّد بن علاء الدين علي بن مُحَّد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ: فقيه. كان قاضي القضاة بدمشق، ثم ولي قضاء الديار المصرية فترة ثم استعفي، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقيّ وبيان ما فيه من الشرك، توفي ٧٩٢ هـ. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر (٣/ ٨٧).

[٥] – مُحَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله شمس الدين، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في

٤- الإمام مُحَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي[١] رحمه الله ت(٧٤٨هـ) .

٥-الإمام الحافظ المفسّر أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير[٢] رحمه الله ت(٧٧٤هـ).

مؤلفاته رحمه الله:

لقد فتح الله بمنه وكرمه على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فتحاً عظيماً، وأجرى سبحانه قلمه بالحق ونصرة السنة، حتى إن الناظر في كتبه رحمه الله يجد كل أبواب الدين تقريباً مبثوثة في كتبه؛ من فقه وأصول فقه وقواعد فقهية وبيان لعقيدة السلف ورد على المبتدعة وكلام عن أحوال القلوب وأعمالها، إلى غير ذلك.

ومن أشهر كتب الشيخ رحمه الله:

١- (منهاج السنة النبوية). ٢- (الرد على المنطقيين).

٣- (درء تعارض العقل والنقل).

٤- (التدمريّة: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين الشرع والقدر).

٥- (الحمويّة). ٦- (الإيمان الكبير).

٧- (الإيمان الأوسط). ٨- (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم).

قلعة دمشق، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً، وألّف تصانيف كثيرة، توفي رحمه الله ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر (٥/ ١٣٧).

[١] – سبق ترجمته قريباً.

[٢] – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، واشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله فجمع التفسير وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سماه البداية والنهاية، وعمل طبقات الشافعية، وشرع في شرح البخاري، ولازم المزي وقرأ عليه تهذيب الكمال وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية ففتن بحبه وامتحن بسببه، تناقل الناس تصانيفه في حياته، وتوفي بدمشق ٧٧٤ هـ. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر (١/ ٤٤٥).

٩ - (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح)، وهو من أعظم الكتب في الرد على النصارى.

١٠- (رسالة العبودية).

١١- (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

١٢- (الرسالة المدنية).

١٣- (شرح حديث النزول).

١٤- (التحفة العراقية في الأعمال القلبية)، وهو من أعظم وأنفع الكتب في بابه.

وغيرها كثير نفع الله بها وكتب لها القبول؛ حتى قال الإمام الذهبي رحمه الله: "جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه فوجدته ألف مصنّف، ثم رأيت له أيضاً مصنفات أخر"[١]!!..

وبهذا يظهر سعة باع شيخ الإسلام رحمه الله في الكتابة والتأليف، ومعظم ما كتب هو في باب: العقيدة والرد على المخالفين لأهل السنة، رحمه الله رحمة واسعة.

ويقول الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله عن شيخ الإسلام في معرض كلامه عن منهج شيخ الإسلام رحمه الله في الرد على المخالفين: "عرف أقوال المتكلمين وردّ عليهم، ونبّه على خطئهم وحذّر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين"[٢].

ومما يبيّن براعته رحمه الله في هذا الباب؛ مقولته المشهورة رحمه الله: "وقلت في ضمن كلامي: أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام، وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها"[٣].

---

[١] - الرد الوافر، ابن ناصر الدمشقي ص(٣٥).

[٢] - ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب (٣٨٩/٢).

[٣] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٨٤/٣).

فقد كان رحمه الله يعلم من مقالات ومذاهب أهل البدع ما لا يعلمه كبراؤهم؛ لموفور علمه وسعة اطلاعه، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه أعلى جناته.

تصديه لأهل البدع والمحدثات، ومنهم ابن عربي الطائي:

لقد تصدى شيخ الإسلام رحمه الله في حياته العامرة لأهل البدع على اختلاف توجهاتهم؛ ومما يبرز ذلك مؤلفاته المليئة بالردود على المبتدعة وتفنيد شبههم والجواب عنها، وتوضيح عقيدة أهل السنة والجماعة.

وكان ممن تصدى لهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله المدعو ابن عربي الطائي الأندلسي فبيّن ضلاله وزيغه.

ومما يدل على ذلك ما هو مبثوث في كتب شيخ الإسلام رحمه الله من الرد على شبهات ابن عربي بحجج باهرة قاطعة.

ويذكر الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في أحداث سنة تسع وسبعمائة، عن دخول شيخ الإسلام رحمه الله إلى ثغر الإسكندرية، وجهوده في مواجهة أتباع ابن عربي، فيقول رحمه الله تعالى:

"فأرادوا أن يسيروه إلى الإسكندرية كهيئة المنفي؛ لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة، فما زاد ذلك الناس إلّا محبة فيه وقرباً منه وانتفاعاً به واشتغالاً عليه، وحنواً وكرامةً له.

وجاء كتاب من أخيه (يعني: أخو شيخ الإسلام) يقول فيه: إن الأخ الكريم قد نزل بالثغر المحروس على نيّة الرباط، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدونه بها ويكيدون الإسلام وأهله، وكانت تلك كرامة في حقنا، وظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة، وانعكست من كل الوجوه، وأصبحوا وأمسوا وما زالوا عند الله وعند الناس العارفين سود الوجوه يتقطعون حسرات وندماً على ما فعلوا، وانقلب أهل الثغر أجمعين إلى الأخ مقبلين عليه

مكرمين له، وفي كل وقت ينشر من كتاب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين، وذلك شجي في حلوق الأعداء.

واتفق أنه وجد بالإسكندرية إبليس قد باض فيها وأفرخ، وأضل بها فرق السبعينية[١] والعربية[٢]، فمزق الله بقدومه عليهم شملهم، وشتت جموعهم شذر مذر، وهتك أستارهم وفضحهم، واستتاب جماعة كثيرة منهم، وتوّب رئيساً من رؤسائهم.

واستقر عند عامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفقيه، ومفت وشيخ وجماعة المجتهدين، -إلّا من شذ من الأغمار الجهّال، مع الذلة والصغار- محبة الشيخ وتعظيمه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه، فعلت كلمة الله به على أعداء الله ورسوله، ولعنوا سراً وجهراً وباطناً وظاهراً، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم، وصار ذلك عند نصر المنبجي[٣] المقيم المقعد، ونزل به من الخوف والذل ما لا يعبر عنه، وذكر كلاماً كثيراً"[٤].

وفاته رحمه الله:

وفي ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة من سنة (٧٢٨هـ) توفي شيخ الإسلام بقلعة دمشق التي كان محبوساً فيها، وأُذن للناس بالدخول، ثم غُسل فيها وقد اجتمع الناس

---

[١] - فرقة السبعينية اتباع ابن سبعين.

[٢] - المراد بهم: أتباع ابن عربي.

[٣] - نصر بن سلمان بن عمر المنبجي، نزيل القاهرة وشيخها، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة بمنبج، وتوفي سنة تسع عشرة وسبعمائة، وسمع بحلب من إبراهيم بن خليل، وبمصر من الكمال الضرير وتلا عليه عدة كتب وعلى الكمال بن فارس، وتصدر في أيام مشايخه وشارك في العلوم وتفنن، ثم إنه تعبد وانقطع وتردد إليه الكبار وكان يهرب منهم، وارتفع ذكره جداً في دولة تلميذه الجاشنكير، وكان يؤذي الشيخ تقي الدين بن تيمة، قال ابن أخته الحافظ عبد الكريم: ما دخلت عليه قط إلّا وجدته مشغولاً بما ينفعه في آخرته، وكان يتغالى في ابن عربي ولا يخوض في مذماته. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (٢٧/ ٤٤)

[٤] - البداية والنهاية، ابن كثير (٥٦/١٤).

بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق، وصُلي عليه بالقلعة، ثم وضعت جنازته في الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام، ثم صُلي عليه بعد صلاة الظهر، ثم حملت الجنازة، واشتد الزحام، فقد أغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلّا القليل من الناس، أو من أعجزه الزحام، وصار النعش على الرؤوس تارة يتقدم، وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى يمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام"[١].

فرحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات الخلد، آمين.

---

[١] - انظر: العقود الدريّة، ابن عبد الهادي ص (٣٨٥)، وانظر: دعوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية، عبد الله الغصن ص (١٩).

المطلب الثاني: مصادر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عرض آراء المخالفين، ومنهجه في الرد عليها

يتميّز شيخ الإسلام ابن تيمية بالدقة والدراية التامة في نقل أراء المخالفين والرد عليها، وهذه سمة عامة في جميع كتب شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، يلمسها من طالع كتبه ونهل من معينها.

فهو يستقي معلوماته عن مقالات الفرق من أصحابها مباشرة بلا واسطة ومن كتبهم أيضاً؛ ويظهر ذلك في خلال مناظراته ومناقشاته معهم رحمه الله؛ فقد قال في أثناء مناقشة بعض المسائل[1]:

"وقد سمعت هذا التناقض من مشايخهم، فإنهم في ضلال مبين"[2].

كما كان يقول رحمه الله أيضاً في معرض كلامه عن الاتحادية في "مجموع الفتاوى":

"وقد رأيت منهم ومن كتبهم، وسمعت منهم وممن يخبر عنهم من ذلك ما شاء الله"[3].

أما بالنسبة لموضوع بحثنا هذا:

فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد نقل في معرض الرد على ابن عربي من كتبه مباشرة؛ فإني وجدت أنه ينقل في معرض الرد عليه من كتبه التالية:

كتاب (الفتوحات المكية) ، وكتاب: (فصوص الحكم)، وكتاب: (الإسرا إلى المقام الأسرى)، وكتاب: (عنقاء مغرب)، وكتاب: (التجليات).

فيقول رحمه الله تعالى في (مجموع الفتاوى) بعد أن ذكر كلام ابن عربي من (فصوص الحكم)، وكلام أهل وحدة الوجود في تصحيح وتصويب جميع العقائد والعبادات، قال رحمه الله:

---

[1] – وقد قال رحمه الله ذلك في أثناء مناقشته لمن ينكرون على أهل السنة إذا أثبتوا الصفات.

[2] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٧/٢).

[3] – المصدر نفسه (٦٠/٤).

"وكما في كلام الاتحادية كصاحب (الفصوص) وأمثاله؛ فضلاله ومخالفته للكتاب والسنة والإجماع، بل وصريح المعقول من أبين الأمور"[١].

وينقل أيضاً رحمه الله عن ابن عربي قوله في وحدة الوجود من كتابه: (الفتوحات المكية) مباشرة؛ فيقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"وقد يدخل بعضهم في الاتحاد المطلق والقول بوحدة الوجود، فيعتقد أن الله هو الوجود المطلق كما يقول صاحب "الفتوحات المكية" في أولها:

الرب حق والعبد حق .. يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف"[٢].

وبهذا وغيره يظهر أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يحرص على النقل من كتب أهل البدع مباشرة عند الرد عليهم، وذلك أمر مطرد في جميع كتبه وردوده رحمه الله.

وكذلك من السمات البارزة في منهجه في الرد على المخالفين رحمه الله:

أنه شديد التمسك بما جاء في الكتاب والسنة في العقيدة، وتقديمهما على غيرهما، وهذه سمة بارزة في منهجه يجد الإنسان شاهدها في جميع كتبه[٣]؛ يقول رحمه الله:

"فالقرآن قد دل على جميع المعاني التي تنازع الناس فيها دقيقها وجليلها"[٤].

ويقول أيضاً:

"والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين لأصول الدين وفروعه"[٥].

---

[١] – المصدر السابق (١٢/٤٠٢).

[٢] – المصدر السابق (١٤/١١-١٢).

[٣] – انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن المحمود (١/٣٥٤).

[٤] – درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٥/٥٦).

[٥] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/٥)

وقد دافع رحمه الله عن السنة في مواضع كثيرة من كتبه عن السنة وأخبار الآحاد، وبيّن أنه لا تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح؛ وله في ذلك كتاب: (درء تعارض العقل والنقل)، كما سبق ذكره والكلام عليه.

ومن منهجه أيضاً رحمه الله[1]:

أنه دائماً ما يركز على أن السلف أعلم وأحكم من غيرهم؛ ولذلك يجب الرجوع إلى فهمهم في العقيدة وكلامهم حولها، لأنهم أعلم الناس بالكتاب والسنة ومعانيهما.

كما أنه يخاطب أهل كل اصطلاح باصطلاحاتهم التي يفهمونها ويقرون بها؛ وذلك من براعته في المناظرة وإقامة الحجة، وفيه إفحام للخصم على ضوء ما يقر به ويعتقده.

مع كونه رحمه الله أيضاً ذا منهج واضح من استخدام الألفاظ الحادثة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، كما سيأتي بيانه إن شاء الله عند الكلام على الحلول والإتحاد ومناقشته لهذه المصطلحات؛ فهو يستخدمها بحسب الحاجة عند المناظرة والمحاجة؛ فيقول رحمه الله:

"ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات؛ كالسلاح في المحاربات"[2].

ومن منهجه الواضح البيّن أيضاً: أنه صاحب عدل وإنصاف ولو مع أشد الناس مخالفة؛ يقول رحمه الله في بيان هذا المنهج العام عنده في المناظرة والمحاجّة، والذي يلتزمه ويطالب خصومه بالتزامه:

"والمناظرة والمحاجّة لا تنفع إلّا مع العدل والإنصاف، وإلّا فالظالم يجحد الحق الذي يعلمه وهو (المسفسط) و(المقرمط)، أو يمتنع عن الاستماع والنظر في طريق العلم وهو (المعرض عن النظر والاستدلال).

---

[1] – انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣٥٦/١).

[2] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠٧/٤).

فكما أن الإحساس الظاهر لا يحصل للمعرض ولا يقوم للجاحد، فكذلك الشهود الباطن لا يحصل للمعرض عن النظر والبحث، بل طالب العلم يجتهد في طلبه من طرقه"[1].

ولما تكلم عن عشق المردان والصور عند الصوفية، والكلام على الحلول عندهم قال:

"الصوفية المشهورون عند الأمة، الذين لهم لسان صدق في الأمة، لم يكونوا يستحسنون مثل هذا، بل ينهون عنه، ولهم في الكلام في ذم صحبة الأحداث وفي الرد على أهل الحلول وبيان مباينة الخالق ما لا يتسع هذا الموضع لذكره.

وإنما استحسنه من تشبه بهم ممن هو عاص أو فاسق أو كافر؛ فيتظاهر بدعوى الولاية لله وتحقيق الإيمان والعرفان وهو من شر أهل العداوة لله وأهل النفاق والبهتان.

والله تعالى يجمع لأوليائه المتقين خير الدنيا والآخرة ويجعل لأعدائه الصفقة الخاسرة، والله سبحانه أعلم"[2].

---

[1] - المصدر السابق (٤/١٠٩).

[2] - المصدر السابق (١٥/٤٢٧).

المطلب الثالث: ابن عربي والتصوف الفلسفي

إن أفكار ابن عربي وفلسفته هي وليدة البيئة التي نشأ فيها وتكوّن فيها وعيه الأول، وهذا ليس معناه أن البيئة التي نشأ فيها هي العامل الأوحد في تكوين شخصيته، ولكنها من العوامل الفعالة في تكوين شخصية ابن عربي وفلسفته.

وقد عاش ابن عربي في الفترة من (٥٦٠هـ وحتى ٦٣٨هـ) وهذه المرحلة تعتبر من أكثر المراحل التي تأثر فيها المسلمون -بشكل عام- بالثقافات والفلسفات الأخرى، والديانات المختلفة، هذا بجانب حياة الترف والمجون التي بلغت ذروتها في المجتمع الأندلسي -بشكل خاص- في هذا العصر.

وقد تأثر ابن عربي بكل هذه التيارات والأجواء التي كانت موجودة في عصره، لذلك تعتبر آراء وأفكار ابن عربي وفلسفته الفكرية مزيجاً من عدة ثقافات قديمة وديانات وثنية، على ما سيأتي بيانه.

- ومن هذه الأفكار والثقافات التي تأثر بها ابن عربي (التراث الفارسي والهندي):

فيذكر "الفيومي" في كتابه (الشيخ الأكبر) أن القول بالرجعة والتناسخ ودعوى الألوهية والإمام المعصوم، ونحو هذه القضايا التي تتخلل تراث ابن عربي، نقلت إلى ابن عربي من التراث الفارسي والهندي، من خلال انتشارها في ذلك الوقت، فضلاً عن تأثر ابن عربي بكل من: الحلّاج[1]،

---

[1] - الحسين بن منصور بن محمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو مغيث الحلاج، الفارسي الصوفي، جده محمي مجوسياً، نشأ الحسين بتستر، وتبرأ منه الكثيرون لسوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، والشعبذة (هي الشعوذة وهي لعب يرى الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر، أو خفة في اليد، انظر: لسان العرب، ابن منظور ٣/ ٤٩٥)، والزوكرة (لفظة مغربية معناها النفاق، انظر: نفح الطيب، شهاب الدين المقري التلمساني ٣/ ٣٢٨)، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال، نسأل الله العصمة في الدين. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٤/ ٣١٣).

والسهروردي[1] أبناء هذه الثقافة، باعتبارهما من الأعاجم وأئمة الرمزية، كل هذا دفع ابن عربي أن يهضم هذه الفلسفات ويتمثلها تمثيلاً.

كما يذكر أن المستشرق (جولد تسهير)[2] يرى أن عدداً من الأفكار التي تتعلق بقواعد التصفية والأفكار الحلولية والاتحادية الموروثة عن الهند كان لها أثرها في ابن عربي[3].

- وكذلك تظهر آثار (الفلسفة اليونانية) بشكل كبير في تراث ابن عربي؛ فيقول المؤرخ الأجنبي (بلاثيوس)[4] في معرض حديثه عن خصائص أفكار ابن عربي:

"وأول خاصية تبرز للعيان هي الأثر الأفلاطوني العميق المتغلغل في كل مذهبه، وبخاصة في تصوفه"[5].

بل يضيف (بلاثيوس) قائلاً:"ورغبة ابن عربي الشديدة في تكييف تحليل الظواهر الصوفية مع المصطلح الأفلاطوني، رغبة تجعل المرء يشك أحياناً في صدق تجاربه الذوقية"[1].

---

[1] - الفيلسوف السيماوي المنطقي شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي المقتول، وكان يتوقد ذكاءاً، إلّا أنه قليل الدين.
انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢١/ ٢٠٧).

[2] - هو المستشرق اليهودي المجري إجناتس جولد تسيهر (١٨٥٠- ١٩٢١م)، تعلم في بودابست وبرلين وليبسيك، ورحل إلى سورية سنة ١٨٧٣ م، فتعرف بالشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة، وانتقل إلى فلسطين، فمصر، حيث لازم بعض علماء الأزهر، وعين أستاذاً في جامعة بودابست عاصمة المجر وتوفي بها، له تصانيف باللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية عن الإسلام والأدب العربيّ، ترجم بعضها إلى العربية، وهو أول مستشرق حاول التشكيك في السنة النبوية بشكل واسع. انظر: الأعلام، الزركلي (١/ ٨٤).

[3] - انظر: الشيخ الأكبر ابن عربي صاحب الفتوحات المكية، مُحَمَّد إبراهيم الفيومي ص (٢٦).

[4] - هو المستشرق والقس الكاثوليكي الأسباني ميغيل آسين بلاثيوس (١٨٧١- ١٩٤٤م)، ولد سرقسطة، كتب الكثير من المؤلفات حول الإسلام، وعني عناية كبيرة بابن عربي وأبي حامد الغزالي والتصوف الإسلامي، ونشر حول ذلك دراسات متنوعة، ترجم كثير منها عبد الرحمن بدوي. انظر: ترجمة آسين بلاثيوس في:موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي.

[5] - ابن عربي حياته ومذهبه، كتاب مترجم، آسين بلاثيوس ص (٢٦٠).

ومما يؤيد هذا ما ذكره الشيخ إحسان إلهي ظهير[٢] رحمه الله من أن عقيدة وحدة الوجود التي اشتهر بها ابن عربي هي في الأساس منقولة عن الأفلاطونية الحديثة؛ حيث يقول: "ذكر جمعٌ من الكتَّاب والباحثين في التصوف، ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغير المسلمين، -وقلَّ من شذَّ عنهم- أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءاً منأبي اليزيد البسطامي[٣]، وسهل التستري[٤]، والترمذي الملقب بالحكيم[٥]، وابن عطاء الله السكندري[٦]،

---

[١] - المصدر السابق ص (٢٦٠)، ويعني بذلك: أن القاريء لكلام ابن عربي يشك في أن هذه التجارب الذوقية المدّعاة، ما هي إلّا تكييف للظواهر والأحوال الصوفية بما يتفق مع المصطلح الأفلاطوني.

[٢] - إحسان إلهي ظهير بن ظهور إلهي شيخ، كاتب إسلامي مبرز، ولد في سيالكوت، درس في الجامعة السلفية بفيصل آباد، ثم الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أتقن عدّة لغات، كان أميناً عاماً لجمعية أهل الحديث بباكستان، له مؤلفات كلها في الفرق الإسلامية، توفي ١٤٠٧هـ إثر إلقاء قنبلة عليه وهو يخطب. انظر: تكملة معجم المؤلفين، مُحَمَّد خير رمضان ص (٢٥).

[٣] - طيفور بن عيسى علي البسطامي، أبو يزيد الزاهد المشهور، كان مجوسياً ثم أسلم، وكان له أخوان زاهدان عابدان أيضاً آدم وعلي وكان أبو يزيد أجلهم، توفي في حدود الثلاثمائة، وقيل توفي سنة إحدى وستين ومائتين. الوافي بالوفيات، الصفدي (١٦/ ٢٩٥).

[٤] - سهل بن عبد الله بن يونس أبو مُحَمَّد التستري الصوفي الزاهد، ولقي في الحج ذا النون المصري وصحبه، قيل: توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين، والصواب موته في المحرم سنة ثلاث وثمانين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٣٣٠-٣٣٣).

[٥] - أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي، قال أبو عبد الرحمن السلمي: (أخرجوا الحكيم من ترمذ، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب: ختم الولاية، وكتاب: علل الشريعة، فقدم بلخ فقبلوه؛ لموافقته لهم في المذهب)، قيل مات سنة ٢٥٥ وقيل سنة ٢٨٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٤٤١).

[٦] - تاج الدين أبو الفضل، أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى، الجذامى نسباً، المالكى مذهباً، الشاذلى طريقة، أصله عربي، ولد بالإسكندرية، وكان بينه وبين شيخ الإسلام

وابن سبعين[1]، وابن الفارض[2]، والحلاج[3]، ولسان الدين ابن الخطيب[4]، وابن عربي، والرومي، والجيلي[5]،والعراقي، والجامي[6]،

خصومة، وتوفي بالمدرسة المنصورية التي كان يدرس فيها سنة ٧٠٩ هـ. انظر: مرشد الزوار إلي قبور الأبرار، أبو مُحَمَّد الشارعي (٢/ ١٢).

[1] – عبد الحق بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن نصر بن مُحَمَّد بن سبعين الشيخ قطب الدين أبو مُحَمَّد المرسي الرقوطي الصوفي، كان صوفياً على قواعد الفلاسفة، وله كلام كثير في العرفان وتصانيف، وله أتباع ومريدون يعرفون بالسبعينية، قال الشيخ شمس الدين: ذكر شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد قال: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته، واشتهر عنه أنه قال: (لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله لا نبي بعدي)، قال الذهبي: فإن كان ابن سبعين قال هذا فقد خرج به من الإسلام، مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في رب العالمين إنه حقيقة الموجودات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وفصد بمكة، فترك الدم يجري حتى مات نزفاً سنة ٦٦٩ هـ. انظر: الوافي بالوفيات (١٨/ ٣٧).

[2] – شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري ابن الفارض، شاعر الوقت، صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية، توفي سنة اثنتين وثلاثين وله ست وخمسون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٢/ ٣٦٨).

[3] – سبق ترجمته.

[4] – مُحَمَّد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، وزير ومؤرخ، كان أسلافه يعرفون ببني الوزير، ولد ونشأ بغرناطة واستوزره سلطانها، ووجهت إليه تهمة الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة، وأفتى بعض الفقهاء بقتله، وتوفي سنة ٧٧٦ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٦/ ٢٣٥).

[5] – عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، من علماء المتصوفين، له كتب كثيرة، منها: الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، توفي سنة ٨٣٢ هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٥٠).

[6] – عبد الرحمن بن أحمد بن مُحَمَّد الجامي نور الدين، مفسر ولد في جام من بلاد ما وراء النهر، وانتقل إلى هراة، وتفقه وصحب مشايخ الصوفية، وشرح فصوص الحكم لابن عربي،طاف البلاد، وعاد إلى هراة توفي سنة ٨٩٨ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ٢٩٦).

والسهروردي[1] المقتول وغيرهم"[2].

- تأثره بـ(النصرانية):

وأما عن تأثره بالنصرانية، فإننا نجد أن تأثر ابن عربي بالنصرانية يبرز من وجهين:

الوجه الأول:

أن القول بالإتحاد العام[3] ما هو إلّا نظير القول بالتجسيد والإتحاد الأقنومي عند النصارى، بل قد قارن المستشرق (بلاثيوس) بين قول بولس: (المسيح يحيا فيّا)، وبين قول أهل الوحدة: (أنا الحق)، فقال في تلك المقارنة: "وموقف العطف والتقارب مع العقيدة المسيحية هذا هو في نظري نتيجة للتأثير الشديد الواسع الذي أحدثته الرهبانية المسيحية في التصوف"[4].

الوجه الثاني من تأثر ابن عربي بالنصرانية: يظهر بغير خفاء في أثناء كلام ابن عربي عن العقيدة النصرانية؛ فهو يرى أن عقيدة التثليث عند النصارى هي عين التوحيد، وأن معنى الفرد هو الثلاثة؛ حيث يقول ابن عربي:

"إن الأصل الساري في بروز أعيان الممكنات هو التثليث، واعلم أن الأحد لا يكون عنه شيء البتة، وأن أول الأعداد الإثنان، ولا يكون عن الإثنين شيء أصلًا ما لم يكن ثالث يربط بعضها ببعض، فحينئذ يتكون عنها ما يتكون بحسب ما يكون هذان الاثنان عليه.

---

[1] - شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب شهاب الدين، السهروردي الحكيم المقتول بحلب، وقيل اسمه أحمد، وقيل كنيته اسمه وهو أبو الفتوح، وقيل اسمه عمر، والصحيح الذي ذكرت، فيلسوف سيماوي. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان (٦/ ٢٦٨).

[2] - التصوف المنشأ والمصدر، إحسان إلهي ظهير ص(٧٤).

[3] - وسيأتي إن شاء الله في هذا البحث بيان معنى الإتحاد العام، والفرق بينه وبين الإتحاد الخاص.

[4] - انظر: ابن عربي حياته ومذهبه، بلاثيوس ص (٢٥٧).

وهذا هو حكم الاسم الفرد؛ فالثلاثة أول الأفراد، وعن هذا الاسم ظهر ما ظهر من أعيان الممكنات، فما وجد ممكن من واحد، وإنما وجد من الجمع وأقل الجمع ثلاثة وهو الفرد"[1]!.

بل قد بلغ به التأثر بالنصرانية أن قال عن أهل التثليث[2]: "وأما أهل التثليث فيرجى لهم التخلص لما في التثليث من الفردية؛ لأن الفرد من نعوت الواحد، فهم موحدون توحيد تركيب، فيرجى أن تعمهم الرحمة المركبة"[3]!.

بل قد جاء عنه أيضاً في الفتوحات أنه قال:

"ما كفر القائل بالثلاثة؛ وإنما كفر بقوله إن الله ثالث ثلاثة، فلو قال ثالث اثنين لأصاب الحق"[4].

وبذلك يتضح لنا أن أوضح هذه المؤثرات جاءت من الفكر النصراني؛ الذي يعكس درجة التقارب الشديد، الذي كان سائداً بين أتباع الأديان في الأندلس؛ فالمتأمل لكلام ابن عربي ولطريقته العجيبة في فلسفة الأمور بحيث يخرجها عن فهمها المتداول أو المألوف بين الناس، يجد أنه يحاول أن يستعير فكرة التثليث المسيحي، ثم إعادة فلسفة هذا المفهوم لجعله مقبولاً ومسوغاً في إطار القول بوحدة الوجود.

---

[1] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/١٦٦).

[2] – وهذا القول عن أهل التثليث وغيرهم، وتصويب مللهم واعتقاداتهم، هو فرع عن القول بوحدة الوجود ولازم له، كما سيأتي بيانه في أثناء هذا البحث إن شاء الله.

[3] – المصدر نفسه (٣/٢٢٨).

[4] – المصدر نفسه (٤/٣٧٠).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن المهتمين بتراث وأدبيات ابن عربي شرحاً وتحقيقاً وتحليلاً، قد اختلفوا في كون الرافد النصراني أحد أهم المؤثرات على ابن عربي في عقيدته وقوله بوحدة الوجود، ما بين منكِرٍ ومثبِت؛ فنجد أن بعضهم يرى أن فكرة التثليث هنا يجب أن تفهم في إطار نظرية وحدة الوجود لا العكس، وقد اعتبر من قال بهذا أن نسبة فكرة التثليث عنده لمؤثرات الفكر المسيحي، إنما يعكس نظرة سطحية لفهم مؤلفاته[1]!.

ولكننا في المقابل نرى أن بعض المهتمين بتراث ابن عربي يرى أن نسبة فكرة التثليث لمؤثرات مسيحية أكثر منطقية وموضوعية[2].

بل لقد قال الأستاذ أبو العلا عفيفي:

"تلعب فكرة التثليث دوراً هاماً جداً في فلسفة ابن عربي، وغريب حقاً أن يكون لها هذا الشأن في تفكير صوفي مسلم!، ولكن صاحبنا خرج عن كل مألوف ومقرر عند المسلمين، فلِمَ لا يقتبس من المسيحية كما اقتبس من غيرها مادام في استطاعته أن يصبغ كل ما يقتبسه بصبغة نظريته في وحدة الوجود؟"[3].

- أما عن تأثره بـ(الشيعة):

فيرى ابن خلدون[4] رحمه الله في مقدمته أن المتصوفة المتأخرين من أمثال ابن عربي وابن الفارض قد تأثروا بالشيعة الغلاة والفكر الباطني المنحرف، فيقول رحمه الله عن

---

[1] - وهو ما قررته الباحثة سعاد الحكيم في كتابها "المعجم الصوفي" في إطار محاولة منها لفهم نظرية وحدة الوجود عند ابن عربي بعيداً عن المؤثرات الخارجية.

[2] - وهو رأي الأستاذ أبو العلا عفيفي، وهو من أكثر الباحثين اهتماماً بإخراج تراث ابن عربي ونشره وتحليليه.

[3] - انظر: المعجم الصوفي، سعاد الحكيم ص(٢٤٨-٢٤٩).

[4] - عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرخ العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتوفي سنة ٨٠٨ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ٣٣٠).

ذلك: "ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، وملؤوا الصحف منه مثل الهروي[1] في كتابه (المقامات) وله غيره، وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم"[2].

والعلاقة بين الشيعة والصوفية -بشكل عام- علاقة واضحة بذل الباحثون في بيان أوجه التقارب والشبه بينهما أدلة كثيرة، والواقع أيضاً يشهد بذلك؛ فكلاهما يمهّد الطريق للأخر عقدياً وشعائرياً وسياسياً[3].

- وثمة مصدر آخر يظهر أثره على كتابات ابن عربي، أشار إليه بعض الباحثين، ألا وهو (الهرمسية)[4]:

---

[1] - عبد الله بن مُحَمَّد بن علي الأنصاري الهروي أبو إسماعيل، شيخ خراسان في عصره من كبار الحنابلة، صاحب كتاب: ذم الكلام، من ذرية أبي أيوب الأنصاري ﷺ، كان بارعاً في اللغة، حافظاً للحديث، عارفاً بالتأريخ والأنساب، توفي سنة ٤٨١ هـ. الأعلام، الزركلي (٤/ ١٢٢).

[2] - المقدمة، ابن خلدون ص (٥٨٤).

[3] - وستأتي في هذا البحث إن شاء الله نقولات من كلام ابن عربي تدل على تأثره الواضح بعقائد الشيعة؛ كما سيأتي معنا عند ذكر ترجمته أن إطلاق اسم الشيخ الأكبر عليه؛ نظراً لمكانته الفريدة عند كل من السنة والشيعة كما زعم بعض المستشرقين !.

[4] - ظهرت هذه الفلسفة في القرن الثاني الميلادي في الإسكندرية، وتنسب إلى هرمس الإسكندري، وآراء هذه الفلسفة مبسوطة في كتب مصرية ويونانية، لا يعرف تاريخها ولا أصلها على وجه اليقين والدقة، يقول الدكتور نجيب بلدي: (فكتابات هذه الفلسفة مزيج من الأفلاطونية، والحكمة المصرية، وبعض الأساطير اليونانية وبعض أجزائها في الفلك والتنجيم)؛ ولذلك يُعتقد (أن كتَّاب هذه الفلسفة كانوا إما كهنة مصريين أتقنوا اليونانية أو يونانيين متمصرين تعلموا صياغة آرائهم في قالب مصري شرقي).

فيقول الدكتور إبراهيم هلال عن تأثر ابن عربي بهذا المصدر:

"كما أن بعض العقائد الهرمسية الخاصة بالكون، مثل العقيدة الأساسية التي تتناول التوافق بين الكون الصغير (أي: الإنسان)، والكون الكبير (أي: العالم)، يمكن أن نراها كثيراً في الكتابات الصوفية عن الكون وخاصة تلك التي كتبها ابن عربي؛ مثل (فصوص الحكم)، وبعض فصول كتاب (الفتوحات المكية)".

ويتابع الدكتور إبراهيم هلال قائلاً: "وعموماً فقد تجمعت العقائد الهرمسية الكونية في المعتقدات الصوفية بواسطة ابن عربي، وهذه ظاهرة في كتباته ومعظم كتابات ممثلي هذه المدرسة البارزين مثل:(صدر الدين القونوي)، و(عبد الكريم الجيلي)[1]، و(ابن توركاه الأصفهاني)، و(ابن أبي جهور)"[2].

ويقول الدكتور إبراهيم هلال: (فالإتجاه الذي تسير فيه الهرمسية هو اتجاه القرن الميلادي الثاني كله، وهو العودة إلى القديم، والإستعانة بالسحر والتنجيم والكيمياء في الوصول إلى المعرفة أو الكشف).انظر: "نظرية المعرفة الإشراقية وأثرها في النظرة إلى النبوة"، إبراهيم هلال ص(١٦)، "خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء"، الصادق مُحَمَّد إبراهيم ص (١٠٠-١٠١).

[1] – عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، من علماء المتصوفين، له كتب كثيرة منها: (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل)، توفي سنة ٨٣٢ هـ. الأعلام، الزركلي(٤/ ٥٠).

[2] – انظر: نظرية المعرفة الإشراقية، إبراهيم هلال ص (٢٨)، وانظر: خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء، الصادق مُحَمَّد إبراهيم ص (١٠٣).

ويُمثِّل د. إبراهيم هلال لهذه العقائد المشتركة بين الهرامسة والمتصوفة بقوله:

"ووحدة الوجود التي ظهرت عند متفلسفي الصوفية، لها أصولها في هذه الفلسفة الهرمسية كذلك"[١].

إذن فقد تعددت مشارب ابن عربي الفكرية؛ فقد جاء عنه أنه قال عن نفسه: "ما من مذهب إلّا وقد رؤيت قائلًا به"[٢]!.

إن التصوف الفلسفي لم يظهر له أتباع في العالم الإسلامي إلّا في القرون المتأخرة؛ بسبب اختلاط مجموعة من الشعوب والأجناس من الفرس والهنود والروم مع العرب المسلمين، ولاشك أن لحركة الترجمة بتأسيس (بيت الحكمة) في عهد الخليفة المأمون[٣] -لنقل وترجمة الفكر اليوناني، وانتشار المدارس الدينية والفلسفية في معظم أرجاء الدولة الإسلامية-، أثر في ذلك، فساعد كل هذا في تلقيح التصوف بملامح خارجية أبعدته عن الصواب، وجعلته فكراً منحرفاً متأثراً بالأفكار الأجنبية الضالّة كالغنوصية والهرمسية وأفكار الشيعة والرافضة المبتدعين.

وفي هذا يقول أحمد أمين: "ولكن لما فتحت الفتوح الإسلامية واختلطت الثقافات المختلفة، وكانت تموج في المملكة الإسلامية الفلسفة اليونانية، وخاصة الأفلاطونية الحديثة والنصرانية والبوذية والزرادشتية، وجدنا أن هذا الزهد وهذا الحب الإلهي يتفلسفان، وتتسرب إلى التصوف بعض تعليمات من كل هذا.

---

[١] - انظر: نظرية المعرفة الإشراقية، إبراهيم هلال ص (٣٠)، وانظر: خصائص المصطفى صلى الله عليه وسلم بين الغلو والجفاء، الصادق مُحَمَّد إبراهيم ص (١٠٣-١٠٤).

[٢] - انظر: الشيخ الأكبر ابن عربي، الفيومي ص (٢٣).

[٣] - الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن مُحَمَّد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة سبعين ومائة، وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، ودعا إلى القول بخلق القرآن، مات في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة، توفي بالبذندون فنقله ابنه العباس ودفنه بطرسوس في دار خاقان خادم أبيه. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٨/ ٣٧٦-٣٨٤).

فالفلسفة كانت منتشرة في الشرق منذ فتوح الإسكندر، وكانت لها مدرسة في حرّان وهي التي تسمت بالصابئة، وقد ترجموا كتباً يونانية كثيرة إلى السريانية ثم إلى العربية.

كما كانت هناك فلسفة هندية وفارسية، وإن كانت فلسفتهم أقل انتشاراً من الفلسفة اليونانية، وكانت للهند مدرسة في جند نيسابور كانت تدرس فيها علوم اليونان والهند على السواء، كل هذه كانت تتسرب منها تعاليم إلى التصوف بعد عصره الأول"[1]، حتى أننا نجد أن نظرية الفناء في الله ووحدة الوجود معروفة في الديانة البوذية باسم (النرفانا)[2].

إذن فابن عربي كان صاحب اتجاه صوفي مختلف، اعتمد فيه على الفلسفة الباطنية، فقد كان ابن عربي: (ظاهري المذهب في العبادات[3]، باطني النظر في الإعتقادات)[4].

وقد أقر كل من كتب عن ابن عربي سواء من المستشرقين أو غيرهم أنه كان باطني بل من كبار الباطنية في كل الأزمنة، كما ذكر بعض المستشرقين أنه ظاهري فيما يختص بالشرع[5].

ولعل ما ذكر عن كون ابن عربي ظاهري المذهب في العبادات، محل نظر؛ فإنه سوف يأتي معنا في هذا البحث ما يدل على وقوعه في التأويل -بل التحريف- لظواهر النصوص، بما يفرغها عن محتواها، لتصبح إشارات لأمور بعيدة كل البعد عن الشرع الشريف.

وهذا النوع الباطني الفلسفي من التصوف والذي انتهجه ابن عربي، يصعب ضبط ماهيته؛ إذ قوامه على الفلسفة الباطنية، وهي في العادة لا تنضبط من صوفي إلى أخر

---

[1] - ظهر الإسلام، أحمد أمين (٢/١٥٠-١٥١).

[2] - انظر: ظهر الإسلام، أحمد أمين (٢/١٥٥).

[3] - هذا يشير أنه كان لا يتقيد بالمذاهب الفقهية، وليس معناه أنه على مذهب ابن حزم.

[4] - انظر: فوات الوفيات، الكتبي (٣/٤٣٦).

[5] - تاريخ الفلسفة الإسلامية، كتاب مترجم للمستشرق كوربان (١/٣٤١). هذا يشير والله أعلم أنه كان لا يتقيد بالمذاهب الفقهية، وليس معناه أنه على مذهب ابن حزم الظاهري.

فيما يظهر لي، فكل واحد منهم يعبر عن تجارب ذاتية شيطانية على طريقته الخاصة؛ فأصحاب هذا النوع من التصوف يُغربون ويلجئون إلى أسلوب الرمز والذوق.

ومما يدلل على صحة ما ذكرت -من هلامية هذا التوجه- عند ابن عربي، ما جاء عنه أن تلميذاً له جاءه يوماً فقال له:

(إن الناس ينكرون علينا علومنا ويطالبوننا بالدليل عليها)، فقال له ابن عربي:

"إذا طالبك أحد بالدليل والبرهان على علوم الأسرار الإلهية فقل له: ما الدليل على حلاوة العسل؟، فلا بد أن يقول لك: هذا علم لا يحصل إلّا بالذوق، فقل له: هذا مثل ذاك"[١]!!.

ويرى بعض المستشرقين أن منهج التصوف يقوم على النظرية الأفلاطونية المحدثة في التطهير، وأن ابن عربي يتخذ هذه الفكرة التقليدية مع الرموز التقليدية أيضاً للمرآة والنور والنفس والقلب والروح الرئيسة للعنصر النفسي في الإنسان، وأن النفس هي الأصل في الإنفعالات الشهوانية والعصبية التي بإختلالها تحدث الخطيئة؛ ولهذا التطهير ثلاث مراتب عند ابن عربي ، تزكية النفس وتصفية القلب وتجلية الروح والتوبة قبل كل شيء، وأن ابن عربي يفهمها كما يفهمها المسيحيون بأنها اقتراب من الله وتباعد عن المخلوقات، إنها توجه إلى الله بالندم وفرار من التعلق بما سوى الله[٢].

وقد وصف بعض المستشرقين ابن عربي وتصوفه بقوله:

"نعرف ما يدعى بميتافيزيقا الصوفية، التي يمثلها الفتى محي الدين بن عربي"[٣].

---

[١] - التدبيرات الإلهية، لابن عربي ص(١١٤-١١٥).

[٢] - ابن عربي حياته ومذهبه، كتاب مترجم، ص(١٤٩) .

[٣] - تاريخ الفلسفة الإسلامية (٣٠٢/١).

فتصوف ابن عربي ليس زهداً ولا تقشفاً، ولكنه اتجاه عقلي فلسفي خاص يرمي به إلى إثبات شخصية الإنسان في الوجود الإلهي، كما سيأتي بيانه عند الكلام على نظريات ابن عربي في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

فقد قال:

"إذا اشتدت حالة الغيبة ففقد العبد الشعور بكل ما هو محسوس، ثم ورد عليه وهو في هذه الحالة إشراق وتجلّ، فإن هذه الحالة الصوفية صحيحة وإلهية؛ ومن آثارها انفعال بالسرور الروحاني مصحوب أحياناً بإحساس الإنتعاش"[1]!!..

فالتصوف عنده أصلاً يدور على فكرة وحدة الوجدة الفلسفية؛ كما كان ابن عربي يقول في وصف التصوف أنه: خلق يتشبه به الإنسان بخالقه؛ ومن ذلك قوله:

"إن التصوف تشبيه بخالقنا ... لأنه خلقُ فانظر ترى عجباً"[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عندما جاء ليقارن بين ابن عربي الطائي ، وأبي حفص السهروردي[3]:

"لكن ابن عربي في فلسفته، أشهر من هذا[4] في سنته"[5].

ويقول أيضاً رحمه الله عن ابن عربي وأمثاله:

"ومن هنا دخل أهل الإلحاد من أهل الحلول والوحدة والاتحاد حتى آل الأمر بهم إلى أن جعلوا وجود المخلوقات عين وجود الخالق سبحانه وتعالى، كما فعل صاحب

---

[1] - التدبيرات الإلهية، ابن عربي ص(٢١٣).

[2] - الفتوحات المكية، ابن عربي (٣٥٢/٢).

[3] - سبق ترجمته قريباً ص٣٨.

[4] - يعني: أبا حفص السهروردي.

[5] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥٩٤/٧).

الفصوص ابن عربي، وابن سبعين[1] وأمثالهما من الملاحدة المنتسبين إلى التصوف والتحقيق.

وهم من جنس الملاحدة المنتسبين إلى التشيع، لكن تظاهر هؤلاء من أقوال شيوخ الصوفية وأهل المعرفة بما التبس به حالهم على كثير من أهل العلم المنتسبين إلى العلم والدين، بخلاف أولئك الذين تظاهروا بمذهب التشيع فإن نفور الجمهور عن مذهب الرافضة مما نفّر الجمهور عن مثل هؤلاء، بخلاف جنس أهل الفقر والزهد، ومن يدخل في ذلك من متكلم ومتصوف وفقير وناسك وغير هؤلاء، فإنهم لمشاركتهم الجمهور في الانتساب إلى السنة والجماعة يخفى من إلحاد الملحد الداخل فيهم ما لا يخفي من إلحاد ملاحدة الشيعة، وإن كان إلحاد الملحد منهم أحياناً قد يكون أعظم، كما حدثني نقيب الأشراف أنه قال لعفيف التلمساني: أنت نصيري؟، فقال: نصير جزء مني، والكلام على بسط هذا له موضع آخر غير هذا"[2].

وقال في موضع آخر رحمه الله:

"وهذا الإلحاد الذي وقع في كلام ابن عربي صاحب الفتوحات وأمثاله في أصول الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، لم يكن في كلام العلماء والشيوخ المشهورين عند الأمة الذين لهم لسان صدق، ولكن هؤلاء أخذوا مذهب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كابن سينا وأمثاله، فأخرجوها في قالب الإسلام بلسان التصوف والتحقيق، كما فعل ابن عربي مع أنه يقدح في توحيد الشيوخ الأكابر كالجنيد[3] وسهل بن

---

[1] – سبق ترجمته.

[2] – درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (١/٣١٨–٣١٩).

[3] – الجنيد أبو القاسم بن مُحَّد بن الجنيد النهاوندي الأصل البغدادي القواريري الخزاز، قيل أن أباه كان قواريرياً، يعني: زجاجاً، وكان هو خزازاً، وكان شيخ العارفين وقدوة السالكين وعلم الأولياء في زمانه، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومئتين ودفن عند قبر خاله سري السقطي، وكان الجنيد يفتي وله عشرون سنة، وقيل كان على مذهب سفيان الثوري، وقيل على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي رضي الله عنه. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (١١/ ١٥٥–١٥٧).

عبدالله[1] وأمثالهما، ويطعن في قول الجنيد لما سئل عن التوحيد فقال: (التوحيد إفراد الحدوث عن القدم)، ويقول: لا يميز بين المحدث والقديم إلّا من كان ليس واحداً منهما، ذكر هذا وأشباهه في كتابه (التجليات)، وله كتاب الإسراء الذي سماه: (الإسراء إلى المقام الأسرى)، وجعل له إسراء كإسراء النبي صلى الله عليه و سلم.

وحاصل إسرائه من جنس الإسراء الذي فسر به ابن سينا ومن اتبعه كالرازي[2] والهمداني ونحوهم إسراء النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلوه من نوع الكشف العلمي، كما فعلوا مثل ذلك في تكليم موسى، وجعلوا ما خوطب به كله في نفسه؛ فلهذا ادعى ابن عربي إسراء وهو كله في نفسه، وخياله منه المتكلم ومنه المجيب، وباب الخيال باب لا يحيط به إلّا الله.

وابن عربي يدعي أن الخيال هو عالم الحقيقة، ويعظمه تعظيماً بليغاً، فجعل في خياله يتكلم على المشايخ وتوحيدهم بكلام يقدح في توحيدهم، ويدعي أنه علّمهم التوحيد في ذلك الإسراء، وهذا كله من جنس قرآن مسيلمة، بل شر منه وهو كلام مخلوق اختلقه في نفسه"[3].

وفي معرض حديثه رحمه الله عن قول ابن عربي في حقيقة كلام الله تعالى، وأن كل كلام في الوجود هو كلام الله، وضّح شيخ الإسلام رحمه الله أن أمثال هذه البدع والضلالات والأقوال المنكرة هي سبب تسلط الأعداء على المسلمين ؛فقال رحمه الله:

---

[1] - سبق ترجمته.

[2] - مُحَمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٦/ ٣١٣).

[3] - الصفدية، ابن تيمية (١/٢٦٥-٢٦٦)، بتصرف يسير.

"وبسبب هذه البدع وأمثالها من المنكرات المخالفة لدين الإسلام سلط الله أعداء الدين فإن الله يقول: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[١]، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[٢].

وأي معروف أعظم من الإيمان بالله وأسمائه وآياته؟، وأي منكر أعظم من الإلحاد في أسماء الله وآياته؟"[٣].

ويبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن المتكلمين والقرامطة والباطنية، أنهم جميعاً من أجهل الناس بما يزعمون أنهم اختصوا بفهمه دون غيرهم؛ فيقول رحمه الله: "ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونهما، هم أبعد عن معرفة الحديث وأبعد عن اتباعه من هؤلاء[٤]، هذا أمر محسوس بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله صلى الله عليه وسلم وأحواله وبواطن أموره وظواهرها حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث مكذوب

---

[١] – سورة الحج، آية (٤٠).

[٢] – سورة الحج، آية (٤١).

[٣] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥١١/١٢).

[٤] – يعني بهم رحمه الله من كان ينتسب للصوفية من أهل الحديث؛ دل على ذلك قوله:

"ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم : كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً واتباعه باطناً وظاهراً وكذلك أهل القرآن.

وأدنى خصلة في هؤلاء : محبة القرآن والحديث والبحث عنهما وعن معانيهما والعمل بما علموه من موجبهما . ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم". مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٩٥/٤).

موضوع عليه، وإنما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعاً أو غير موضوع، فيعدلون إلى أحاديث يعلم خاصة الرسول بالضرورة اليقينية أنها مكذوبة عليه عن أحاديث يعلم خاصته بالضرورة اليقينية أنها قوله، وهم لا يعلمون مراده بل غالب هؤلاء لا يعلمون معاني القرآن فضلاً عن الحديث، بل كثير منهم لا يحفظون القرآن أصلاً، فمن لا يحفظ القرآن ولا يعرف معانيه ولا يعرف الحديث ولا معانيه من أين يكون عارفاً بالحقائق المأخوذة عن الرسول"[١].

ثم قال رحمه الله مبيناً حال تلك الطوائف وأئمتها:

"وإذا تدبر العاقل وجد الطوائف كلها كلما كانت الطائفة إلى الله ورسوله أقرب كانت بالقرآن والحديث أعرف وأعظم عناية، وإذا كانت عن الله وعن رسوله أبعد كانت عنهما أنأى، حتى تجد في أئمة علماء هؤلاء من لا يميز بين القرآن وغيره بل ربما ذكرت عنده آية فقال: (لا نسلم صحة الحديث)، وربما قال: (لقوله عليه السلام كذا)، وتكون آية من كتاب الله!!، وقد بلغنا من ذلك عجائب، وما لم يبلغنا أكثر"[٢].

"ليتبين أن المخالف لعلماء الحديث علماً وعملاً إما جاهل وإما منافق، والمنافق جاهل وزيادة"[٣].

فرحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة..

---

[١] - المصدر نفسه (٤/٩٥-٩٦).

[٢] - المصدر نفسه (٤/٩٦).

[٣] - المصدر نفسه (٤/١٠١).

المطلب الرابع: ترجمة ابن عربي الطائي (٥٦٠–٦٣٨هـ)

اسمه ونسبه:

هو أبو بكر مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله الطائي الأندلسي[١] ، عرف بألقاب منها:

(ابن عربي)[٢]، و(محي الدين)، و(الإمام الأكبر)، و(الشيخ الأكبر)، و(ابن أفلاطون)، و(الكبريت الأحمر)، و(سلطان العارفين)، و(قطب الزمان)، و(بحر الحقائق) وغيرها[٣].

ولقب (الشيخ الأكبر) يزعم المستشرق الأسباني آسين بلاثيوس أنه أطلق عليه؛ لأنه كان في مكانة كبيرة عند السنة والشيعة[٤] –ولا يُسلَّم–.

ولقد وقفت في كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربي على نص قد يكون هو ما حمل هذا المستشرق على هذا القول؛ ففي الفصل الرابع والثلاثين[٥] منه يتناول ابن عربي (سر سلمان الفارسي)!!، ويذكر فيه كلاماً حمل بعض الباحثين على القول بأن ابن عربي ذو خلفية شيعية، كما سبق معنا عند الحديث عن الروافد التي أثرت في فكر ابن عربي.

فهذا الرجل كما هو واضح خليط عجيب من ضلالات عدة!.

---

[١] – فوات الوفيات، الكتبي (٣/٤٣٥)، وانظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي العكري الحنبلي (٥/١٨٩).

[٢] – وقد اصطلح أهل المشرق على ذكره بـ(ابن عربي) –بغير الألف واللام– تمييزاً له عن القاضي أبي بكر بن العربي المالكي رحمه الله.

[٣] – انظر في ألقاب ابن عربي: فوات الوفيات، الكتبي (٣/٢٦٧).

[٤] – انظر: ابن عربي حياته ومذهبه –مترجم–، آسين بلاثيوس ص (١٠٩) .

[٥] – الفتوحات المكية، ابن عربي (١/١٩٥).

مولده ونشأته:

ولد في مدينة مرسية[١] في السابع عشر من رمضان سنة ٥٦٠هـ[٢].

وكانت أسرته فيما يذكر عنها كثيرة التدين، فقد عاش ابن عربي في جو ديني بين أفراد أسرته، ولما بلغ الثامنة من عمره سنة ٥٦٨هـ انتقلت أسرته إلى إشبيلية[٣]؛ بعد أن اضطربت أحوال مرسية السياسية، وهناك استقر بها وبدأ دراسته في الحديث والفقه وسائر العلوم الدينية[٤].

ثم سافر من إشبيلية إلى سبتية[٥]، ثم إلى قرطبة[٦] وفيها لقي ابن رشد، وكان يومذاك قاضي قرطبة[٧].

---

[١] – (مرسية): (مدينة بالأندلس، من أعمال تدمير، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، وصارت قاعدة الأندلس) ،انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١٠٧/٥).

[٢] – فوات الوفيات، الكتبي (٤٣٥/٣).

[٣] – (إشبيلية) : (مدينة كبيرة عظيمة، وليس بالأندلس أعظم منها، وفيها قاعدة ملك الأندلس وسريره، بينها وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١٩٥/١).

[٤] – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن مُحَمَّد العكري الشهير بابن العماد الحنبلي (١٨٩/٥).

[٥] – هي:"سبتة": (بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها، أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس)، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (١٨٢/٣-١٨٣).

[٦] – "قرطبة": (مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً لملكها وقصبتها، بينها وبين البحر خمسة أيام)، معجم البلدان، لياقوت الحموي (٣٢٤/٤).

[٧] – التصوف في الإسلام، عمر فرّوخ ص (١٦٩).

رحلاته وأسفاره:

ولما بلغ الثلاثين من عمره كثر تطوافه في العالم الإسلامي خارج الأندلس.

ففي سنة ٥٩٠هـ ذهب ليجتمع بالصوفي أبي مدين شعيب بن الحسين[١] في أفريقيا[٢].

وفي سنة ٥٩٣هـ ذهب إلى فاس[٣] وعكف على الدراسات والمجاهدة هناك، وكان بستان بستان ابن حيّون المكان المختار لتجمع تلاميذه الذين بدأوا يتكاثرون عليه لسماع المحاضرات الصوفية.

وقد زعم أنه جاءه التجلي في هذه الفترة وهو في فاس؛ حيث قال:

"وهذا مقام –أي التجلي– نلته سنة ثلاث وتسعين وخمسماية، بمدينة فاس في صلاة العصر، وأنا أصلي بجماعة في المسجد الأزهر بجانب عيني الجبل، فرأيته نوراً"[٤].

وكثر تردده بين الأندلس وأفريقيا، وعزم منذ سنة ٥٩٧هـ على الرحلة إلي المشرق، ولكن يظهر من كتابه (الفتوحات المكية) أنه كان لا يزال في تونس حتى سنة ٥٩٨هـ[٥].

وفي أواخر سنة ٥٩٨هـ غادر تونس إلى المشرق، ووصل مكة حيث مكث من سنة ٥٩٨ إلى سنة ٦٠٠هـ، ولم يعد بعدها إلى وطنه حيث نزل بمكة، وبدأ نشاطه في التأليف في هذه الفترة[٦].

---

[١] – شعيب بن الحسين أبو مدين الأندلسي، من حصن من أعمال إشبيلية، سكن بجاية مدة ثم سكن تلمسان وكان كبير الصوفية في عصره. انظر: الوافي بالوفيات (١٦/ ٩٥).

[٢] – كما ذكر ذلك ابن عربي عن نفسه، انظر: الفتوحات المكيّة (١/٧٢٤).

[٣] – "فاس" : (مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجل مدنه قبل أن تختط مراكش)، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٤/٢٣٠).

[٤] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٦٤٠).

[٥] – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن مُحَمَّد المقري (٢/١٦٢).

[٦] – التصوف في الإسلام، عمر فرّوخ ص(١٦٩)، بتصرف.

وفي سنة ٦٠١هـ غادر ابن عربي مكة، فذهب إلى بغداد دون أن يقيم فيها غير اثني عشر يوماً استأنف بعدها السفر إلى الموصل، والذي أغرى ابن عربي للتوجه إلى الموصل هو الرغبة في زيارة علي بن عبد الله[١] وكان صوفياً شديد التعلق بالخضر فقصده ابن عربي ابتغاء الانتفاع منه[٢]، ثم ذهب في سنة ٦٠٣هـ إلى مصر حيث مدينة القاهرة، ثم ارتحل إلى الإسكندرية ليركب البحر منها إلى مكة ثانيةً سنة ٦٠٤هـ[٣].

استمر ابن عربي في تنقله بين المدن، ففي سنة ٦٠٧هـ انتقل إلى مدينة "قونية"[٤] في آسيا الصغرى، فقضى فيها بعض الوقت، وعند قدومه إلى مدينة "قونية" تلقاه أميرها السلجوقي الذي خرج لاستقباله بحفاوة، وأعطاه داراً فخمة يسكن فيها، وفي أثناء إقامته في "قونية" تزوج أم صدر الدين القونوي[٥] المتصوف المعروف، وكانت أرملة[٦].وبعد أرملة[٦].وبعد أن غادر ابن عربي "قونية" ذهب إلى "بغداد" مرة ثانية سنة ٦٠٨هـ[٧]، وهناك تعرف على (شهاب الدين السهروردي)[٨] الصوفي المعروف، صاحب كتاب (عوارف

---

[١] – هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار، أبو الحسن الشاذلي، الضرير نزيل الإسكندرية، شيخ الطريقة الشاذلية، توفي ٦٥٦هـ، وذكر الشعراني: أنه كان يدعى من الأقطاب، وكان له شطحات نقلها عنه الشعراني متمدحاً إياه بها. انظر: الطبقات الكبرى، الشعراني (٢/ ٤).

[٢] – ابن عربي حياته ومذهبه، مترجم من الأسبانية، آسين بلاثيوس ص(٦٢) بتصرف.

[٣] – وقد ذكر هو ذلك عن نفسه، انظر: الفتوحات المكيّة (٢/٤٩٥).

[٤] – "قونية": (من أعظم مدن الإسلام بالروم، وبها وبأقصرى سكنى ملوكها) انظر: المطالع البدرية البدرية في المنازل الرومية، مُحَمَّد الغزي ص(١٠٢)، ويقول الحميري: (وبينها وبين أنطاكية يوم) انظر: الروض المعطار في أخبار الأقطار، مُحَمَّد الحميري ص(٤٨٤).

[٥] – مُحَمَّد بن إسحاق صدر الدين القونوي، صاحب التصانيف في التصوف، تزوج أمه ابن عربي وله تفسير، توفي ٦٧٣هـ، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، التاج السبكي (٨/٤٦).

[٦] – انظر: فوات الوفيات، الكتبي (٣/٤٣٥).

[٧] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٦٩٨).

[٨] – سبق ترجمته.

المعارف)، وكان له مدرسة في بغداد، وكان شيخ مشايخ الصوفية في بغداد آنذاك، وقد نظر كل منهما إلى الآخر وقتاً طويلاً في صمت وانفصلا دون أن ينطقا بكلمة!!.

وبعد هذه المقابلة بمدة قال السهروردي لتلاميذه رأيه الشهير في ابن عربي:

" إن ابن عربي بحر الحقائق"[١].

وفي سنة ٦١١هـ دخل ابن عربي إلى مكة مرة أخرى، وفي السنة نفسها دخل أيضاً إلى حلب[٢].

مرضه ووفاته:

ولما دخل في سن الشيخوخة واشتدت به الآلام حمله ذلك على تلمس أجواء أكثر اعتدالاً فنزل سوريا، التي كان يراها أطيب بلاد الدنيا مقاماً، ومن ناحية أخرى أن سلطان دمشق رغب في أن يكون إلى جواره.

واستقر به المقام في دمشق سنة ٦٢٠هـ وهو في سن الستين من عمره ولم يغادرها حتى هلاكه[٣].

حيث هلك ابن عربي في دمشق في ٢٨ربيع الثاني سنة ٦٣٨هـ، ودفن في سفح جبل قاسيون في الحي الذي يعرف اليوم باسم (الصالحية)، وله مقام هنالك يزار[٤]، يُشرَك عنده بالله تعالى.

وكان هلاكه في دار القاضي محي الدين بن الزكي، وقام بغسله الجمال بن عبد الخالق والقاضي الذي حصلت في بيته الوفاة.

---

[١] - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي (١٩٣/٥).

[٢] - التصوف في الإسلام، عمر فرّوخ ص(١٧٠).

[٣] - انظر: ابن عربي حياته ومذهبه، مترجم من الأسبانية، آسين بلاثيوس ص(٨٥)، وانظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن مُحَمَّد المقري التلمساني (١٦٢/٢).

[٤] - انظر: فوات الوفيات، الكتبي (٤٣٦/٣)، وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير (١٥٦/١٣).

وكان عماد الدين بن النحاس يصب عليه الماء وغسلوه وفقاً لشعائر الإسلام، ثم حملوه إلى قاسيون حيث دفن بمدفن بني الزكي[1].

الكذب من أبرز صفات ابن عربي الطائي:

لا يبعد أن يكون ابن عربي متصفاً بهذه الصفة، بل لا شك في اتصافه بها، فما كان ليصدق الناس وهو يكذب على الله ورسوله ﷺ.

فقد جاء في (ميزان الاعتدال) أن العز بن عبد السلام[2] قال عن ابن عربي الطائي: "هو شيخ سوء كذاب"، فقال له ابن دقيق العيد: "وكذاب أيضًا؟!"، قال: "نعم؛ تذاكرنا بدمشق التزويج بالجن، فقال: هذا محال؛ لأن الإنس جسم كثيف والجن روح لطيف، ولن يعلق الجسم الكثيف الروح اللطيف، ثم بعد قليل رأيته وبه شجة، فقال: تزوجتُ جنية فرزقت منها ثلاثة أولاد، فاتفق يومًا أني أغضبتها فضربتني بعظم حصلت منه هذه الشجة وانصرفت، فلم أرها بعد هذا"[3]!!..

---

[1] - انظر: البداية والنهاية، ابن كثير (١٥٦/١٣)، وانظر: تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، مُحَمَّد لطفي جمعة ص (٢٩٢).

[2] - عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي الحسن بن مُحَمَّد بن المهذب، توفي سنة ٦٦٠ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٢٢٨/٤).

[3] - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي (١٠٥/٥).

ذكر بعض كلام العلماء في الحكم على ابن عربي الطائي:

قال العز بن عبد السلام رحمه الله: "هو شيخ سوء كذاب، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجًا"[1].

ويقول القاضي بدر الدين ابن جماعة[2] رحمه الله في حكم مجمل اعتقاد ابن عربي في مصادر التلقي، وبعض مسائل العقيدة:

"حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن في المنام بما يخالف ويعاند الإسلام[3]، بل ذلك من وسواس الشيطان ومحنته وتلاعبه برأيه وفتنته.

وقوله في آدم: (إنه إنسان العين)، تشبيه لله تعالى بخلقه، وكذلك قوله: (الحق المنزه هو الخلق المشبّه)، إن أراد بالحق رب العالمين، فقد صرّح بالتشبيه وتغالى فيه.

وأما إنكاره ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد: فهو كافر به عند علماء أهل التوحيد..

وكذلك قوله في قوم نوح وهود: قول لغوٍ باطل مردود"[4].

---

[1] – سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (٢٣/٤٩).

[2] – مُحَمَّد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر، قاضي القضاة الأمام العالم بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي، ولد بحماة سنة تسع وثلاثين، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كان من خيار القضاة، وتوفي بمصر سنة ٧٣٣ هـ. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (١٥/٢)، الأعلام، الزركلي (٢٩٧/٥).

[3] – يشير إلى زعم ابن عربي أنه تلقى كتاب الفصوص من الرسول ﷺ مكتوباً مناولةً، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

[4] – عقيدة ابن عربي وحياته، تقي الدين الفاسي ص (٣٠،٢٩)، بتصرف يسير، وسوف يأتي معنا إن شاء الله تعالى في الفصل الخامس والفصل السادس من الباب الأول من هذا البحث بيان قول ابن عربي الباطل المشار إليه في قوم نوح وقوم هود، وذلك عند ذكر موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من قول ابن عربي في تصحيح دين عبدة الأوثان وقوله في النبوة والرسالة.

ويقول فيه ابن هشام النحوي[1]:

"هذا الذي بضلاله ... ضلت أوائل معْ أواخر
من ظن فيه غير ذا ... فلينأ عني فهو كافر"[2].

منهجه وطريقته في التأليف:

اتضح لي من خلال النظر في مقالات ابن عربي الطائي أنه انفرد في أسلوب تأليفه من بين جميع المؤلفين بظاهرة غريبة وعجيبة، ألا وهي: عدم التصريح بكل ما يريد لعامة القراء من مريديه، وأما الخاصة من مريديه فقد قصد قصدًا مباشراً إلى إيقاعهم في الحيرة والتردد حول هدفه الذي كان يسعى إليه من كلامه؛ فإنه -وكما سيأتي في ثنايا هذا البحث من كلام ابن عربي نفسه- كان يخاطب كل شريحة من قراء كتبه بأسلوب يختلف عن الأخرى، بل كان يقرر في أبواب الإعتقاد لكل شريحة من مريديه كلاماً مختلفاً عن الأخرى-كما سيأتي مفصلاً في هذا البحث إن شاء الله-.

وقد كان ابن عربي يعتمد في كتابة مؤلفاته على هذه اللغة المبهمة؛ حيث كان يكثر من استعمال لغة الرمز والإشارات -كما سبق ذكره-؛ نظراً لأن الأمة لم تكن لتقبل إلحاده وانحرافه إن صرح به، وهذا الأسلوب الذي اعتمده ابن عربي تأثر فيه بالفرق الباطنية الضالة كالإسماعيلية وكتابات إخوان الصفا وغيرهم.

يقول أبو العلا عفيفي[3]: "يغلب على ظني أنه يعتمد تعقيد وإخفاء الظاهر لأغراض في نفسه، فعباراته تحتمل في أغلب الأحيان معنيين على الأقل، أحدهما ظاهر: (وهو ما

---

[1] – أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، شهاب الدين الأنصاري، المعروف بابن هشام، نحوي من أهل القاهرة، سكن دمشق وتوفي بها سنة ٨٣٥ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (١٤٧/١).

[2] – انظر: مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل ص (٤٧)، انظر:توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم العيسى ص(١٦٧/١).

[3] – وهو أحد أكثر المهتمين بتراث ابن عربي الطائي.

يشير به إلى ظاهر الشرع)، والثاني باطن: (وهو ما يشير به إلى مذهبه)، ولو أن من يعمق النظر في معانيه ويدرك مراميه، لا يسعه -إلّا[1]- القول بأن الناحية الثانية هي الهدف الذي يرمي إليه، أما ما يذكره مما له صلة بظاهر الشرع فإنما يقدمه إرضاءاً لأهل الظاهر من الفقهاء الذين يخشى أن يتهموه بالخروج والمروق.

وقد كان ابن عربي يُشعِر دائماً بهذه الثنائية في أسلوبه، كما كان دائماً على استعداد لأن ينتقل بقارئه من لسان الظاهر إلى لسان الباطن أو العكس؛ وسئل مرة عما يعنيه بقوله:

"يا من يراني ولا أراه ... كم ذا أراه ولا يراني"

-مشيراً بذلك إلى مذهبه في وحدة الوجود، وأنه يرى الحق في صور أعيان الممكنات ولا يراه الحق؛ لأنه هو المتجلي في صورته-، فأجاب على فوره:

"يا من يراني مجرماً ... ولا أراه آخذاً
كم ذا أراه منعماً ... ولا يراني لائذاً"[2].

فهو أراد من هذا الإغراب -فيما يظهر لي- أن يترك كلامه مرسلاً على عواهله، محتملاً لعدة معانٍ -كما ذكرت-؛ إمعاناً في الإغراب والغموض[3]، فيمكن للقارئ لكتبه أن يقول وبشكل واضح أنه أمام كاتب زئبقي متهرب!! ؛ يحاول أن يصرح بالشيء ويجعل عبارته محتملة لبعض المخارج -التي لا تنفي أصل كلامه قطعاً-؛ فما إن يبث سمه في الكلام حتى يسرع بإلقاء كلمة محتملة تجعل لكلامه مخرجاً لدى البسطاء ممن يحسن الظن بمن لا يستحق إحسان الظن.

---

[1] - أضفتها على كلام المصدر المذكور ليتسق المعنى.

[2] - مقدمة كتاب: فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٧-١٨)، تحقيق: أبو العلا عفيفي.

[3] - كما سيظهر من خلال ما سأتناوله بالدراسة والتحليل من كلامه في ثنايا هذا البحث إن شاء الله.

بل إن هذا الأسلوب قد جعل أتباعه من الصوفية يطلقون عليه ألقاباً نحو: (الشيخ الأكبر)، و(الكبريت الأحمر)؛ وذلك بسبب إغرابه في الحديث، والذي يراه عامة الصوفية بدورهم كلام أهل الحقيقة!!.

فالشاهد أنه كان يفعل ذلك تلبيساً على القارئ ومكراً به؛ ليتمكن من بث سمومه الفكرية لدى القارئ.

ومن الغريب أيضاً أنه لم يفعل ذلك في رسالة صغيرة أو كتاب مختصر؛ وإنما قام بذلك على مدار مؤلفاته التي بلغت المئات، ومنها كتاب: (الفتوحات المكية) الذي يتجاوز وحده ثمانية آلاف صفحة.

وقد ذكر أبو العلا عفيفي أنه وبعد عدة قراءات لكتاب (فصوص الحكم) –والذي قام بتحقيقه– ولشرح القاشاني[1] عليه، لم يُفتح عليه بشيء، وقد كتب في مقدمة تحقيقه يقول: "فالكتاب عربيٌ مبينٌ، وكلُّ لفظ فيه إذا أخذته بمفرده مفهوم المعنى، ولكن المعنى الإجمالي لكلِّ جملة أو لكثير من الجمل ألغاز وأحاجٍ لا تزداد مع الشرح إلّا تعقيداً وإمعاناً في الغموض، ذهبت إلى الأستاذ نيكلسون –وهو المستشرق المعروف، ويعتبر أستاذ لأبي العلا عفيفي– أشكوه حالي، وأذكِّره بأن هذه أول مرة استعصى فيها عليَّ فهمُ كتاب باللغة العربية إلى هذا الحد"[2]!.

وحول طريقته الغريبة في التأليف ومنهجه في كتبه، وجنوحه للتأويلات البعيدة الباطلة يقول نور الدين البكري الشافعي[3]:

---

[1] – عبد الرزاق جمال الدين بن أحمد كمال الدين ابن أبي الغنائم مُحَمَّد الكاشي أو الكاشاني أو القاشاني، صوفي مفسر، له كتب، منها (كشف الوجوه الغر) في شرح تائية ابن الفارض، و(شرح فصوص الحكم لابن عربي)، توفي سنة ٧٣٠ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ٣٥٠).

[2] – انظر: مقدمة كتاب فصوص الحكم، ابن عربي ص (٢١).

[3] – علي بن يعقوب بن جبريل البكري الشافعيّ المصري، أبو الحسن نور الدين فقيه من أهل القاهرة، وتوفي بدهروط بالصعيد الأدنى ودفن بالقاهرة، ولابن تيمية كتاب يعرف بالرد على البكري في مسألة الاستغاثة بالمخلوقين، قال ابن كثير: "كان البكري في جملة من ينكر على شيخ

"وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ويكون المراد بها ظاهرها فصاحبها ألعن وأقبح من أن يتأول له ذلك، بل هو كاذب فاجر كافر في القول والاعتقاد ظاهراً وباطناً، وإن كان قائلها لم يرد ظاهرها فهو كافر بقوله ضال بجهله، ولا يعذر بتأويله لتلك الألفاظ، إلّا أن يكون جاهلاً للأحكام جهلاً تاماً عاماً، ولا يعذر بجهله لمعصيته لعدم مراجعة العلماء والتصانيف على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض في أمر الرسل ومتبعيهم، أعني معرفة الأدب في التعبيرات، على أن في هذه الألفاظ ما يتعذر أو يتعسر تأويله، بل كلها كذلك، وبتقدير التأويل على وجه يصح في المراد فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه"[1].

ويذكر بعض المستشرقين أن ابن عربي يرى أن العارفين لا يستطيعون أن ينقلوا مشاعرهم جملة إلى غيرهم من الناس، وكل الذي يستطيعونه أن يرمزوا بها إلى الذين بدأوا بدأهم، ويتوقف نوع الرمزية التي يفضلها الصوفي على خُلُقه وجبلته[2].

وهذا الذي ذكره هذا المستشرق يوضح وبجلاء سر الإغراب والإبهام الذي يكتنف كلام ابن عربي الطائي في مؤلفاته.

ولعل أسلوبه هذا هو الذي حماه من مصير الحلاج والسهروردي[3] الذين قتلا بسبب إلحادهما؛ فيبدو أن تسلل الخوف إلى ابن عربي من سفك دمه -وخاصة بعد الحلاج والسهروردي- جعله يكتم كثيراً من الأسرار؛ وينقل عن ابن عربي قوله: "ولولا قطع البلعوم لأظهرت هنا سرًّا يهتز له العرش وما حوله، ولكن في هذا تنبيه وغنية"[4]!.

الإسلام ابن تيمية، وما مثاله إلّا مثال ساقية ضعيفة كدرة لاطمت بحراً عظيماً صافياً". انظر: الأعلام، الزركلي (٥/٣٢).

[1] – مصرع التصوف، البقاعي ص(١٤٤).

[2] – انظر: الصوفية في الإسلام، كتاب مترجم، نيكلسون ص (١٠١).

[3] – سبق ترجمة الحلاج والسهروردي ص(٣٨).

[4] – مشاهد الأسرار، ابن عربي، نقلاً عن كتاب: الشيخ الأكبر ابن عربي صاحب الفتوحات المكيّة، مُحَمَّد إبراهيم الفيومي ص (٥٧).

كتبه ومؤلفاته:

له كتب ومؤلفات عديدة منها:

١-الفتوحات المكية.
٢-فصوص الحكم.
٣-تفسير ابن عربي.
٤-محاضرة الأبرار.
٥-ترجمان الأشواق.
٦-الأحاديث القدسية.
٧-كتاب الأرواح.
٨-كتاب التجليات الإلهية.
٩-كتاب الروح القدسية.
١٠- الحكمة الإلهامية.
١١- عنقاء مغرب.
١٢- ديوان الشيخ الأكبر.
١٣- ماهية القلب.
١٤- الأحديّة.

وكلها مطبوعة، وغيرها كتب كثيرة، وسيأتي التعريف بأهمها.

كما يوجد له كتب كثيرة مخطوطة، وله كتب في السحر موجودة في مخطوطات الجامعة الإسلامية.

ولعلنا أن نستعرض نظرة سريعة حول أهم كتب ابن عربي:

أولاً: حول كتاب (الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية)[1]:

بدأ ابن عربي في تأليف كتاب الفتوحات لأول مرة بمكة سنة ٥٩٨هـ إلى أن أكمله بدمشق سنة ٦٢٩هـ –أي: فيما يقارب الثلاثين سنة– ثم أعاد كتابته مرة أخرى في الفترة بين سنة ٦٣٢هـ إلى ٦٣٦هـ حيث أضاف وحذف وعدّل على النسخة الأولى.

وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه بدأ في تأليفه في مكة المكرّمة، إثر حديث روحاني بينه وبين ما سماه "الفتى الفائت"!، وهو روح رآه الشيخ أثناء طوافه حول الكعبة سنة ٥٩٨هـ، فأخذ منه كلّ ما سطّره في الفتوحات المكية؛ حيث يذكر ابن عربي في الباب الأول من هذا الكتاب تحت عنوان (في معرفة الروح الذي أخذت من تفصيل نشأته ما سطرته في هذا الكتاب، وما كان بيني وبينه من الأسرار) أنه بينما كان يطوف حول الكعبة، إذ لقي وهو عند الحجر الأسود "الفتى الفائت، المتكلم الصامت، الذي ليس بحيّ ولا مائت، المركب البسيط، المحاط المحيط"، فيقول إنه عندما أبصره يطوف بالبيت عرف حقيقته، وأطلعه الله على منزلته، وأنه منزّه عن الزمان والمكان.

ثم يقول ابن عربي:

"فلما عرفت منزلته وإنزاله، وعاينت مكانته من الوجود وأحواله، قبّلت يمينه، ومسحت من عرق الوحي جبينه، وقلت له: أنظر من طلب مجالستك، ورغب في مؤانستك، فأشار إليّ إيماءً ولغزاً، أنه فُطر على أن لا يكلّم أحداً إلّا رمزاً، وأن رمزي إذا علمته وتحققته وفهمته علمت أنه لا تدركه فصاحة الفصحاء، ونطقه لا تبلغه بلاغة البلغاء".

---

[1] – وقد اعتمدت على هذا الكتاب (الفتوحات المكية)، والذي بعده (فصوص الحكم)، اعتمدت عليهما في النقل عن ابن عربي، وسرد آرائه وأقواله، وذلك في جلّ بحثي كما سبق ذكره في منهج البحث.

ثم يزعم أنه قال له:

"عرّفني باصطلاحك، وأوقفني على كيفيّة حركات مفتاحك، فإني أريد مسامرتك، وأحب مصاهرتك".

وبعد أن كشف له هذا الروح عن رمزه قال له ابن عربي:

"أطلعني على بعض أسرارك، حتى أكون من جملة أحبارك".

فقال له: "انظر في تفاصيل نشأتي، وفي ترتيب هيأتي، تجد ما سألتني عنه فيّ مرقوماً، فإني لا أكون مكلِّماً ولا كليماً، فليس علمي بسواي، وليست ذاتي مغايرة لأسمائي، فأنا العلم والمعلوم والعليم، وأنا الحكمة والمحكم والحكيم".

ثم قال له:

"طُف على أثري، وانظر إليّ بنور قمري، حتى تأخذ من نشأتي ما تسطره في كتابك، وتمليه على كُتّابك، وعرفني ما أشهدك الحق في طوافك من اللطائف، مما لا يشهده كل طائف، حتى أعرف همّتك ومعناك، فأذكرك على ما علمت منك هناك".

ثم ذكر ابن عربي تكملة حديثه مع هذه الروح المزعومة، وما استفاد منه وأفاده من العلم في الباب الأول من الفتوحات المكية.

لذا فهو يقول في فتوحاته:

"فشتّان بين مؤلف يقول: (حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله)، وبين من يقول: (حدثني قلبي عن ربي)، وإن كان هذا رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول: (حدثني ربي عن ربي)، أي: حدثني ربي عن نفسه".

وتجدر الإشارة إلى أن لابن عربي كتب أخرى بأسماء مشابهة، منها (الفتح الفاسي)، و(الفتوحات المدنية)، و(الفتوحات المصرية)، وهي ليست بمثل حجم وأهمية كتاب الفتوحات المكية، والذي يسمى أيضاً (الفتح المكي)، والاسم الكامل له هو: (الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية).

وقد قسم ابن عربي كتابه (الفتوحات المكية) إلى خمسمائة وستين باباً، وتسبق هذه الأبواب مقدمة ضخمة، وقد جعل ابن عربي هذه الأبواب في ستة فصول عامة؛ وهي كما يلي:

أولاً: الفصل الأول في (المعارف)، ويشمل الأبواب من (١) إلى (٧٣).

ثانياً: الفصل الثاني في (المعاملات)، ويشمل الأبواب من (٧٤) إلى (١٨٨).

ثالثاً: الفصل الثالث في (الأحوال)، ويشمل الأبواب من (١٨٩) إلى (٢٦٩).

رابعاً: الفصل الرابع في (المنازل)، ويشمل الأبواب من (٢٧٠) إلى (٣٨٣).

خامساً: الفصل الخامس في (المغازلات)، ويشمل الأبواب من (٣٨٤) إلى (٤٦١).

سادساً: الفصل السادس في (المقامات)، ويشمل الأبواب من (٤٦٢) إلى (٥٦٠).

وقد طبع الباب الستون بعد الخمسمائة مستقلاً، وتوجد منه عشرات الطبعات؛ فقد جعله ابن عربي عبارة عن مجموعة كبيرة من الوصايا في السلوك الصوفي والتهذيب والأخلاق ورفع الهمم، وقد تجنّب ابن عربي فيه أن يذكر العبارات المعقدة التي ذكرها في داخل الكتاب.

ثانياً: حول كتاب (فصوص الحكم):

ويعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفاته بعد (الفتوحات المكية)، ويقع في مجلد واحد طبع عدة مرات آخرها باعتناء أبي العلا عفيفي مع بعض الشروح والتعليقات على الفصوص.

ويعتبره النقاد أعمق كتبه وأكثرها تركيزاً وتلخيصاً لآرائه الصوفية، وهو عرض مكثف لرأي ابن عربي في وحدة الوجود وخلاصة ما ذكره في القرآن والحديث وعلم الكلام والفلسفة بمذاهبها المتعددة.

فهذا الكتاب يعتبر أفضل موجز يوضح للباحثين المذهب الباطني لابن عربي من بين مؤلفاته.

وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب أن النبي ﷺ هو الذي أعطاه هذا الكتاب وأمره أن يخرج به إلى الناس؛ فقال:

"فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة[١] أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب.

فقال لي: (هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به)، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أُمرنا، فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان"[٢]!!.

رأي شيخ الإسلام ابن تيمية والأئمة رحمهم الله في كتب ابن عربي ومؤلفاته:

يقول ابن تيمية رحمه الله عن هذا الكتاب -(فصوص الحكم)- وما جاء فيه:

"والمقصود أن حقيقة ما تضمنه كتاب الفصوص، المضاف إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه جاء به، وهو ما إذا فهمه المسلم علم بالاضطرار أن جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الأولياء والصالحين، بل جميع عوام أهل الملل، من اليهود والنصارى والصابئين، يبرؤون إلى الله تعالى من بعض هذا القول فكيف منه كله؟"[٣].

قال الإمام الذهبي[٤] رحمه الله عن كتاب (فصوص الحكم):

ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر"[٥]!!..

---

[١] - المبشرات: سيأتي بيانها إن شاء الله تعالى في المبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث.

[٢] - فصوص الحكم، ابن عربي ص(٤٧)، ط بيروت.

[٣] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٦٩/٢).

[٤] - سبق ترجمته.

[٥] - سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤٩/٢٣).

وقد ذكر ابن خلدون[١] رحمه الله أن كتب ابن عربي مشحونة بصريح الكفر ومستهجن البدع، وتأويل الظواهر لذلك على أبعد الوجوه وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملّة أو عدّها في الشريعة.

ثم قال رحمه الله:

" وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها في أيدي الناس مثل (الفصوص) و(الفتوحات المكية) لابن عربي.

فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها إذا وجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب"[٢].

ويقول القاضي بدر الدين ابن جماعة[٣] أيضاً في حكم كتبه التي حوت تلك المقالات الباطلة:

"وإعدام ذلك وما شابه هذه الأبواب من نسخ هذا الكتاب، من أوضح طرق الصواب، فإنها ألفاظ مزوّقة، وعبارات عن معان غير محققة، وإحداث في الدين ما ليس منه، فحُكمه: رده، والإعراض عنه"[٤].

ولا شك في اشتمال (الفصوص) على الكفر الصريح الذي لا شك فيه -كما سيأتي بيانه مفصلاً-، وكذلك (فتوحاته المكية)، فإنه إن مات على ذلك فهو كافر مخلد في النار بلا شك عياذاً بالله.

---

[١] - سبق ترجمته.

[٢] - انظر: تنبيه الغبي، البقاعي ص(١٥٠- ١٥٢)، وانظر: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه، دغش العجمي ص(٤٤٨).

[٣] - مُحَّد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعيّ، بدر الدين أبو عبد الله، قاض من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد في حماة، وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي، كان من خيار القضاة، له تصانيف، وتوفي بمصر سنة ٧٣٣ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٥/ ٢٩٧).

[٤] - تنبيه الغبي، البقاعي ص (١٣٩- ١٤٠) بتصرف يسير، وانظر: ابن عربي عقيدته وموقف علماء المسلمين منه، دغش العجمي ص(٣١٥).

بل لقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلامه عن الفلاسفة والاتحادية[١]، أنهم سبب تسلط الأعداء على الأمة؛ بما ينطقون به من ضلالات؛ يقول رحمه الله:

"وكان كثير ممن ينتسب إلى الإسلام فيه من النفاق والردة ما أوجب تسليط المشركين وأهل الكتاب على بلاد المسلمين"[٢].

---

[١] - سيأتي إن شاء الله في ثنايا هذا البحث ما يوضح مراد شيخ الإسلام عند إطلاق لفظة الاتحادية أو الحلولية في هذا السياق، وذلك من خلال بيان أقسام الحلول وأقسام الإتحاد عنده رحمه الله.

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠٤/٤).

الباب الأول

الفصل الأول

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مصادر التلقي عند ابن عربي

وفيه ثلاثة مباحث :

– **المبحث الأول** : موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن الله تعالى بلا واسطة ، وادعاء العلم الإلهي .

– **المبحث الثاني** : موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم يقظةً ومناماً .

– **المبحث الثالث** : موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن طريق الكشف.

المبحث الأول:

موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن الله تعالى بلا واسطة، وادعاء العلم الإلهي

من المعروف أن مصادر التلقي عند أهل السنة في باب الإعتقاد هي: الكتاب والسنة والإجماع، وأما بالنسبة للعقل والفطرة فإنه لابد من بيان منزلتهما عند أهل السنة، حتى يتضح الفرق بين أهل السنة وبين غيرهم في هذا الباب[1].

فأما بالنسبة للعقل عند أهل السنة:

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن العقل في "الصفديّة" في أثناء ردّه على أهل التأويل:

"العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك تفصيله، وإنما عقله مجملاً..

على أن الأساطين من هؤلاء والفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى اليقين في عامة المطالب الإلهية.

وإذا كان هكذا؛ فالواجب تلقّي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه"[2].

ويوضح رحمه الله تعالى الفرق في (منزلة العقل) عند كلٍ من أرباب الكلام والحروف وأرباب العمل والصوت من جهة، وبين أهل السنة من جهة أخرى، فيقول رحمه الله: "ولما أعرض كثير من أرباب الكلام والحروف، وأرباب العمل والصوت عن القرآن والإيمان، تجدهم في العقل على طريق كثير من المتكلمة يجعلون العقل وحده أصل علمهم ويفردونه ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له.

والمعقولات عندهم هي الأصول الكليّة الأوليّة المستغنية بنفسها عن الإيمان والقرآن.

---

[1] - انظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، عرضاً ونقداً، صادق مُحَمَّد صادق، ط٢ سنة ١٤٢٧ .ص٥٢

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٠/٥) بتصرف يسير، وانظر: الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيمية ص (٢٧٥).

وكثير من المتصوفة يذمّون العقل ويعيبونه؛ ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلّا مع عدمه، ويقرّون من الأمور بما يكذب به صريح العقل، ويمدحون السكر والجنون والوله، وأموراً من المعارف والأحوال التي لا تكون إلّا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يُعلم بالعقل الصريح بطلانها ممن لم يعلم صدقه[1] "[2].

ثم بيّن رحمه الله تعالى أن المسالك التي سلكها كلٌ من المتصوفة، والمتكلمة، وأشباه المتكلمة مع العقل باطلة، وأثبت رحمه الله تعالى أن الأحوال الحاصلة مع عدم العقل من المتصوفة أحوالاً ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل من المتكلمة أقوالاً باطلة.

فقال رحمه الله تعالى:

"وكلا الطرفين مذموم؛ بل العقل شرطٌ في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال، وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلاً بذلك؛ بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين،

-فأولاً- إن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

-ثانياً- وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها.

---

[1] - ورغم غلو ابن عربي وضلاله في مسألة مصادر التلقي -كما سيأتي بيانه تفصيلاً في هذا الفصل إن شاء الله- إلّا إننا نجد أنه يضع العقل في منزلة دنيّة جداً؛ فيقول عن العقل في كتابه (الفتوحات المكية) (٤/١١٢):

"العقل أفقر خلق الله فاعتبروا .. فإنه خلف باب الفكر مطروح
إن العقول قيود إن وثقت بها .. خسرت فافهم فقولي فيه تلويح"

ولعل التلويح الذي يقصده هنا سببه هو تجريد المتبع له من العقل حتى لا يستخدمه لإنكار شطحاته وضلاله.

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/٣٣٩).

-ثالثاً- وإن عُزل بالكلية: كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أموراً حيوانية قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة.

فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة"[1].

ثمّ بيّن رحمه الله أن الرسل جاءت بما تحار فيه العقول، لا بما تحيله العقول، أو كما يقال أن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءت بمحارات العقول ولم تأت بمحالات العقول، فقال رحمه الله :

"والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن:

أ- المسرفون فيه: قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقاً وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به.

ب- والمعرضون عنه: صدقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم "[2].

وأما الفطرة عند أهل السنة:

فلابد أيضاً من بيان منزلتها عند أهل السنة كالشأن في العقل[3]؛ فالفطرة السليمة المستقيمة توافق ما جاءت به النصوص وتدل عليه، وإن كان في النصوص من التفصيل ما لا يمكن الإستدلال عليه إلّا بالوحي؛ فالفطرة مكمَّلة بالوحي المنزّل.

فقد روى البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة: هل ترى فيها جدعاء[4] "[1]، وفي رواية لمسلم، قال أبو هريرة ﷺ، في آخر الحديث:

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/٣٣٩) بتصرف يسير جداً.

[2] - المصدر السابق (٣/٣٣٨-٣٣٩) .

[3] - انظر: المصادر العامة للتلقي ص ٦٧.

[4] - جدعاء: مقطوعة الأطراف.

(اقرءوا إن شئتم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا [٢] ﴾)[٣].

ويتكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الفطرة، وكونها دليلاً يدل على علو الله عزوجل على مخلوقاته:

" وأما كونه عالياً على مخلوقاته بائناً منهم: فهذا أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم، وكل من كان بالله أعرف وله أعبد ودعاؤه له أكثر وقلبه له أذكر كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل؛ فالفطرة مكمَّلة بالفطرة المنزلّة؛ فإن الفطرة تعلم الأمر مجملاً، والشريعة تفصّله وتبيّنه وتشهد بما لا تستقل الفطرة به"[٤].

فهذه هي المصادر المعتبرة والمعروفة عند أهل الإسلام، وأما أهل البدع والضلال فقد اخترعوا من عند أنفسهم مصادر أخرى للتلقي ما أنزل الله بها من سلطان؛ ما يريدون بها إلّا التوصل إلى إثبات أقوالهم وعقائدهم الباطلة بأي طريق، بل ونسبتها إلى دين الله تبارك وتعالى وإلى الشرع الشريف.

ومن الضلالات والافتراءات التي ادعاها ابن عربي في هذا الباب: ادعاؤه أن الولي يتلقى عن الله تعالى مباشرة بلا واسطة.

فقد ذكر في كتابه (فصوص الحكم) ما يوضح أن من مصادر التلقي عنده الأخذ عن الله تعالى مباشرة بغير واسطة؛ فيقول في "فص حكمة علوية في كلمة موسوية":

---

[١] - صحيح البخاري، كتاب: (الجنائز)، باب: (ما قيل في أولاد المشركين)، برقم (١٠٧)، (٣٦٨/٣).

[٢] - سورة الروم، آية (٣٠).

[٣] - صحيح مسلم، باب: (معنى: كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين)، برقم (٦٩٢٦).

[٤] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٥/٤) .

"وأنا إن شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري، فكان هذا أول ما شوفهت به من هذا الباب"[1].

فالرجل في هذا النقل وغيره يدّعي أنه ينقل عن الله تعالى مباشرة بلا واسطة، بل يدّعي أنه تلقى عن الله تعالى مشافهة، وعن اللوح المحفوظ رأساً.

ويقول في كتابه (الفتوحات المكيّة)، ما نصه:

" فوالله ما كتبت منه[2] حرفاً إلّا عن إملاء رحماني، وإلقاء ربّاني، أو نفث في روع كياني، هذا جملة الأمر، مع كوننا لسنا برسل مشرعين، ولا أنبياء مكلفين"[3].

ثم أنشد قائلاً:

" الله أنشأ من طيّ وخولان ... جسمي فعدّلني خلقاً وسوّاني
وأنشأ الحق لي روحاً مطهرة ... فليس بنيان غيري مثل بنياني
إني لأعرف روحاً كان ينزل بي ... من فوق سبع سماوات بفرقان"[4].

ويقول أيضاً:

"فنحن ما نعتمد في كل ما نذكره إلا على ما يُلقي الله عندنا من ذلك لا على ما تحتمله الألفاظ من الوجوه"[5].

---

[1] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٥٨).

[2] - يعني به كتابه الفتوحات المكيّة، وسوف تأتي إن شاء الله في أثناء هذا البحث نصوص أخرى عنه في هذا المعنى، نقلتها من كتابه "فصوص الحكم".

[3] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٣٦/١).

[4] - المصدر السابق (١٣٦/١).

[5] - المصدر السابق (١٣٦/١).

فهو -كما زعم- ليس كالفقهاء والعلماء فيما يأتي به من العلوم؛ فليس هو ممن يتلقى العلم من أفواه العلماء وينقله عنهم مسنداً، بل إنه -كما زعم- ينقل عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ مباشرة وبلا واسطة.

وقد جاء عنه أيضاً أنه قال:

"نسبوني إلى ابن حزم[1] وإني ... لست ممن يقول: (قال ابن حزمٍ)
لا ولا غيره، فإن مقالي ... قال نص الكتاب ذلك علمي
أو يقول الرسول، لو أجمع الخلق ... على ما أقول ذلك حكمي"[2].

بل يتمادي في الدعاوى الباطلة حتى يدّعي زوراً وبهتاناً أن الله عزوجل يكلمه كتكليم موسى[3] عليه السلام، بل يزعم أن خطاب الله تعالى له أعظم من خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام.

كما بيّن ذلك شيخ الإسلام رحمه الله فيما نقله عن ابن عربي وغيره، فقال رحمه الله:

"فهؤلاء الملاحدة يدّعون أن خطابه لموسى بن عمران ليس هو إلّا ما حصل في نفس موسى من الإلهام والإيحاء، والواحد من أهل الرياضة والصفاء قد يخاطب كما خوطب موسى بن عمران.

---

[1] - أبو مُحَمَّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم الحزْمية، ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيداً عن المصانعة، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، توفي في بادية ليلة -من بلاد الأندلس- فتوفي فيها سنة ٤٥٦ هـ، وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. الأعلام، الزركلي (٤/ ٢٥٤).

[2] - الديوان، ابن عربي ص(٤٧).

[3] - وسيأتي الكلام في هذا البحث إن شاء الله عن: قول ابن عربي في صفة الكلام لله عزوجل، وتكليم الله تعالى لعباده، وبيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في هذه المسألة.

وأعظم من ذلك، وأنه قد يسمع نفس الخطاب الذي سمعه موسى ،كما زعم ذلك صاحب "الإحياء"[1] في بعض المواضع، وإن قيل أنه رجع عن ذلك.

ومن هؤلاء من يقول: إن الخطاب الذي يحصل لهم أفضل مما حصل لموسى وغيره، وهذا مذهب ابن عربي صاحب (الفتوحات المكية) وأمثاله، ممن يدعي أن ما حصل لموسى ومُحَمَّد إنما كان بواسطة الخيال النفساني الذي هو عنده جبريل[2]، وأن ما يحصل لابن عربي هو فوق ذلك؛ فإنه يأخذ من المعدن العقلي المحض الذي يأخذ منه الملك"[3].

وليس ثمة دافع لهذه الدعوى الباطلة عند هؤلاء الملاحدة -كما سماهم شيخ الإسلام رحمه الله- إلّا الانسلاخ عن الدين الذي جاء به نبينا مُحَمَّد ﷺ؛ بدعوى وجود طريق آخر غيره ﷺ لتلقي الدين؛ وهذا ظاهر من مسالك القوم في مسألة مصادر التلقي، وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن هذا الإدعاء كفر وإلحاد؛ إذ ليس ثمة طريق إلى الله تعالى وشرعه إلّا ويُحتاج فيه إلى الوحي المنزّل من الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ.

فيقول رحمه الله: "ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة مُحَمَّد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى مُحَمَّد فهذا كافر ملحد"[4].

---

[1] - يعني رحمه الله: كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي، وهو زين الدين أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، لازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، وكانت خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين، ولو عاش، لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام ت ٥٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٩/ ٣٢٢، ٣٢٦).

[2] - وهذا بسبب قوله الباطل في مسألة الوحي، كما سيأتي بيانه في هذا البحث بإذن الله.

[3] - الصفدية، ابن تيمية ص (٢٣٠-٢٣١) ، وسيأتي بيان لهذه المسألة بالتحديد عند الحديث على تفضيل ابن عربي للأولياء على الأنبياء.

[4] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٢٥/١١).

بل بيّن رحمه الله أيضاً أن حقيقة قول هؤلاء هو مضمون قول اليهود والنصارى في مُحَمَّد ﷺ، حيث قال رحمه الله تعالى:

"وإذا قال: (أنا محتاج إلى مُحَمَّد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة)؛ فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: (إن محمدًا رسول إلى الأميّين دون أهل الكتاب)؛ فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفارًا بذلك.

وكذلك هذا الذي يقول: (إن محمدًا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن)، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادعى المدعي أن محمدًا ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر، وهذا شر ممن يقول: أؤمن ببعض، وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين."[1]

بل إن هذه الدعوى باطلةٌ بنص القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾[2]؛ وليس ثمة ما يدل على أن اصطفاء الله عزوجل للأولياء والصالحين يكون بتشريع خاص!، أو بعلم إلهي خاص!، أو بإطلاعهم على حقائق الإيمان الباطنة التي لم يطّلع عليها الأنبياء –بزعمهم–!.

---

[1] – المصدر السابق (١١/٢٢٥–٢٢٦).

[2] – سورة الحج، آية (٧٥).

فتبين بذلك أن الدليل على خلاف ذلك؛ فكل طريق إلى الله تعالى غير طريق النبي ﷺ ما هو إلّا غيّ وهوى؛ فيكون بذلك هذا الإدعاء كفر وضلال كما مرّ من كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى[1].

وقال أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2].[3]

وفي ضوء قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴿٩٣﴾ ﴾[4]، يبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أحوالاً لا يخلو منها من يضاهي الرسول الصادق فيما اختص الله تعالى به الرسل.

فيقول رحمه الله تعالى:

"فإن الذي يضاهي الرسول الصادق لا يخلو:

-أولاً- إما أن يدعي مثل دعوته، فيقول: إن الله أرسلني وأنزل علي، وكذب على الله.

-ثانياً- أو يدعي أنه يوحي إليه ولا يسمي موحيه، كما يقول: قيل لي، ونوديت، وخوطبت، ونحو ذلك، ويكون كاذباً، فيكون هذا قد حذف الفاعل.

-ثالثاً- أو لا يدعي واحداً من الأمرين، لكنه يدعي أنه يمكنه أن يأتي بما أتي به الرسول.

---

[1] - المصدر السابق (١١/٢٢٥).

[2] - سورة الأنعام، آية (١٢٤).

[3] - وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في مبحث "دعوى ابن عربي أن النبوة مكتسبة" من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

[4] - سورة الأنعام، آية (٩٣).

ووجه القسمة أن ما يدعيه في مضاهاة الرسول:

إما أن يضيفه إلي الله، أو إلي نفسه أو لا يضيفه إلي أحد، فهؤلاء هم أكفر من اليهود والنصارى"[١].

ومن ينظر إلى حال ابن عربي الطائي في هذه المسألة وما يضيفه إلى الله تعالى، يجده في أسوأ تلك الأحوال والمراتب التي ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله؛ فهو يضيف ما يدعيه من مضاهاة الرسول ﷺ إلى الله عزوجل مباشرة كذباً وبهتاناً؛ إذ يدّعي التلقي عن الله عزوجل بلا واسطة[٢].

وقد أسهب ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكيّة) في الحديث عن تلبيسات الشياطين على أهل الإلقاء، وذكر من هذه التلبيسات أنواعاً كثيرة[٣]، ثم انتهى إلى أن الولي إذا كان على بيّنة من ربه فقد سعد، وارتفع عنه الإشكال، فله أن يحكم بصحة ما ألقي عليه؛ وأن هذه البيّنة التي هي من عند الله هي التي يقطع بها النبيون والأولياء بصحة ما يرد عليهم من الله سبحانه وتعالى[٤].

ولاشك أن مثل هذه البيّنة المزعومة -التي يسعد بها الولي ويجزم معها بصحة ما ألقي عليه من الله تعالى- هي من تلبيس الشيطان وإلقائه، وليس من المثبّتات؛ وإلّا فإن أهل الحق والاتباع يجزمون بانقطاع الوحي بعد وفاة النبي ﷺ؛ فإن البيّنة الحقيقية هي في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾﴾[٥].

---

[١] - المصدر السابق (١٤٣/٣٥) بتصرف يسير جداً.

[٢] - سبق بيانه، وانظر: فصوص الحكم ص (٤٨).

[٣] - انظر الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٦٢٢/٢-٦٢٣).

[٤] - انظر: المصدر السابق (٦٢٣/٢-٦٢٤).

[٥] - سورة المائدة، آية(٣).

ثم زعم ابن عربي أيضاً في موضع آخر من (الفتوحات المكية) أن:

"الآخذ عن الله تعالى لا يسلم من غائلة التلبيس، لكن لو غلب الحال على الآخذ فليقل: (لا خِلابة)؛ فإنه بقوله: لا خلابة يثبت إن كان من عند الله، فله في هذه الحالة أخذه؛ لأنه لو كان من مكر الله بالعبد واستدراجه له فإنه لا يثبت بقوله ذلك"[١]!.

فقرّر ابن عربي أن هذه المقالة الغريبة -(لا خِلابة)- إذا قالها الآخذ عن الله عندما يغلب عليه الحال وثبت على ذلك، فإنها أحد علامات صحة ما يأخذه عن الله تعالى، فقول الآخذ لهذه الكلمة وثباته عليها -كما يزعم ابن عربي- دليل صحة ما يتلقاه عن الله تعالى، وأنه ليس تلبيساً !!.

وكذلك من أوجه مضاهاته للأنبياء في هذا الباب:

أن من ثبت له أخذ عن الله تعالى مباشرة بإيحاء أو تكليم -ومعلوم أن هذا لا يثبت إلّا للأنبياء- فإنه تجب طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلّا بما شرع، وهو يريد أن يجعل ذلك لنفسه كما هو للأنبياء؛ بواسطة ما ادعاه لنفسه من مصادر التلقي الباطلة، وما خلعه على نفسه من مصادر التلقي التي لا تكون إلّا للأنبياء.

وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن الأنبياء فقط هم من يخبرون عن الله عزوجل؛ لذا هم فقط من تجب طاعتهم في كل ما يخبرون به، بخلاف الأولياء؛ فإن أقوالهم لابد وأن تُعرض على الكتاب والسنة؛ فقال رحمه الله:

" وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم: فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به، بخلاف الأولياء؛ فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به؛ بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة: فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله،

---

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٨٦/٤).

وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً، وإن كان صاحبه من أولياء الله، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله له أجر على اجتهاده.

لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[١] "[٢].

وقد ذكر أيضاً رحمه الله في موضع أخر من كلامه أن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة، وأن من زعم أنه رأى ربه بعيني رأسه فقد كذب على الله تعالى؛ فيقول رحمه الله:

" ولكن الذي يقع لأهل حقائق الإيمان من المعرفة بالله ويقين القلوب ومشاهدتها وتجلياتها هو على مراتب كثيرة؛ قال النبي ﷺ لما سأله جبريل -عليه السلام- عن الإحسان قال: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[٣].

---

[١] - سورة التغابن، آية (١٦).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٨/١١)، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص (٧١-٧٢).

[٣] - رواه البخاري في (كتاب: التفسير)، (باب: قوله"إن الله عنده علم الساعة")، برقم(٤٤٠٤) من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟، قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر)، قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟، قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان)، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟، قال: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، قال: يا رسول الله، متى الساعة؟، قال: (ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت المرأة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلّا الله: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام"، ثم انصرف الرجل، فقال: (ردّوا علي)، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: (هذا جبريل؛ جاء ليعلم الناس دينهم).

وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحًا لم يره إلّا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه.

ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق.

وقد يحصل لبعض الناس في اليقظة أيضاً من الرؤيا نظير ما يحصل للنائم في المنام، فيرى بقلبه مثل ما يرى النائم، وقد يتجلى له من الحقائق ما يشهده بقلبه، فهذا كله يقع في الدنيا، وربما غلب أحدهم ما يشهده قلبه وتجمعه حواسه، فيظن أنه رأى ذلك بعيني رأسه، حتى يستيقظ فيعلم أنه منام، وربما علم في المنام أنه منام.

فهكذا من العباد من يحصل له مشاهدة قلبية تغلب عليه حتى تفنيه عن الشهود بحواسه، فيظنها رؤية بعينه وهو غالط في ذلك.

وكل من قال من العباد المتقدمين أو المتأخرين: أنه رأى ربه بعيني رأسه، فهو غالط في ذلك بإجماع أهل العلم والإيمان "[1].

والأحوال التي يراها هؤلاء ما هي –في الحقيقة– إلّا نتائج الأعمال؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"والأحوال نتائج الأعمال[2]، فيكون ما يحصل لهم بحسب ذلك العمل، وكثيراً ما تتخيل له أمور يظنها موجودة في الخارج، ولا تكون إلّا في نفسه، فيسمع خطاباً

---

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣/٣٩٠).

[2] – وهذا في الحقيقة أصل شرعي، الدليل عليه من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة المطففين آية (١٤).

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا، إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرَّيْن الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا؛ ولهذا قال تعالى:

يكون من الشيطان، أو من نفسه يظنه من الله تعالى، حتى أن أحدهم يظن أنه يرى الله بعينه وأنه يسمع كلامه بأذنه من خارج كما سمعه موسى بن عمران، ومنهم من يكون ما يراه شياطين وما يسمعه كلامهم وهو يظنه من كرامات الأولياء"[1].

ولا ريب أن ما زعمه ابن عربي من مشافهة الله تعالى ورؤيته بعيني رأسه، أو الأخذ عن اللوح المحفوظ أو غير ذلك، لا ريب أنه من هذا القبيل كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله؛ فما يحصل لابن عربي وأمثاله في هذا:

- إما خطاب له من الشياطين.
- وإما رؤية لتلك الشياطين، عياذاً بالله.

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾، والرين يعتري قلوبَ الكافرين، والغيم للأبرار، والغين للمقربين.

وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق، عن مُحَمَّد بن عَجْلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب منها صقل قلبه، وإن زاد زادت، فذلك قول الله: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ .

وقال الترمذي: حسن صحيح. ولفظ النسائي: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِت في قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب صُقِل قلبه، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، فهو الران الذي قال الله: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ .

وقال أحمد:حدثنا صفوان بن عيسى، أخبرنا ابن عَجْلان، عن القعقاع بن حكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقِل قلبه، فإن زاد زادت حتى تعلو قلبه، وذاك الران الذي ذكر الله في القرآن: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ "، وقال الحسن البصري :هو الذنب على الذنب، حتى يعمى القلب، فيموت، وكذا قال مجاهد ابن جبر وقتادة، وابن زيد، وغيرهم .

[1] – درء تعارض العقل والنقل (٣/٨٠).

المبحث الثاني

موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن النبي ﷺ يقظةً ومناماً

"يعتبر التلقي عن الرسول ﷺ بعد موته من أوثق المصادر التي يستقي منها الصوفية علومهم ومعارفهم.

وقد أُفعمت وأُترعت كتب تراجم الصوفية بحكاية ما تمّ بين أوليائهم وبين النبي ﷺ -بعد وفاته-، من السؤالات والمباحثات، والمصافحات والمبايعات، وغيرها"[1].

والاجتماع بالنبي ﷺ يقظة عند الصوفية ذو منزلة عظيمة، والأقوال في هذا عنهم كثيرة لا يمكن حصرها؛ فيقول مثلاً أبو العباس المرسي: "طريقنا هذا هداية، وقد يجذب الله تعالى العبد إليه فلا يجعل عليه منة لأستاذ، وقد يجمع شمله برسول الله ﷺ، فيكون آخذاً عنه، وكفى بهذا منة"[2]!.

والتلقي عن النبي ﷺ هي واحدة من الضلالات الكثيرة التي جاء بها ابن عربي الطائي.

بل قد زعم أنه جرى بينه وبين الرسول ﷺ ما يعرف عند أهل الحديث بـ"المناولة"[3] !.

---

[1] - المصادر العامة للتلقي عند الصوفية، صادق مُحَّد صادق، ص(١٤٠).

[2] - طبقات الشعراني (١٣/٢) .

[3] - المناولة: "أحد طرق تحمل الحديث"، انظر: "مقدمة أنواع علوم الحديث"، المعروف بـ(مقدمة ابن الصلاح)، ابن الصلاح ص(١٥١).

"والمناولة نوعان: أولاهما: مقرونة بالإجازة: وهي أعلي أنواع الإجازة مطلقاً، ومن صورها أن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه ويقول له: (هذا روايتي عن فلان فاروه عني)، ثم يبقيه معه تمليكاً أو إعارة لينسخه، والثانية: مجردة عن الإجازة: وصورتها أن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه مقتصراً على قوله: (هذا سماعي)". انظر: "تيسير مصطلح الحديث"، الطحان ص (٨٧).

حيث زعم أن النبي ﷺ ناوله كتاب (فصوص الحكم) –الذي فصل فيه عقيدته بوحدة الوجود–، بل ادعى في هذا الكتاب أن النبي ﷺ قد كتبه له بنصّه، وسلمه إياه يداً بيد، وقال: (اخرج به على الناس).

فقد قال في مقدمة كتابه "فصوص الحكم" :

"فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة[١] أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب.

فقال لي: (هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به)،

فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أُمرنا.

فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان"[٢]!!.

يقول القاضي بدر الدين بن جماعة[٣] عن ذلك:

"حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن في المنام بما يخالف ويعاند الإسلام[٤]، بل ذلك من وسواس الشيطان ومحنته وتلاعبه برأيه وفتنته"[٥].

---

[١] – والمبشرات كما ذكرها ابن عربي في "فصوص الحكم" هي: "جزء من أجزاء النبوة؛ فإما أن تكون من الله إليه، أو من الله على يدي بعض عباده إليه؛ وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو ترى له. فإن جاءته من الله في رؤياه على يدي رسوله ﷺ؛ فإن كان حكماً: تعبد نفسه به ولابد". انظر: الفتوحات المكية، ابن عربي (٤/٢٧).

[٢] – فصوص الحكم، ابن عربي ص(٤٧).

[٣] – سبق ترجمته.

[٤] – يشير رحمه الله إلى زعم ابن عربي أنه تلقى كتاب الفصوص عن الرسول ﷺ مكتوبًا.

[٥] – عقيدة ابن عربي وحياته، تقي الدين الفاسي ص (٢٩).

والحال عند ابن عربي أنه لا يعوّل على علم مصطلح الحديث ولا على قواعده، للتمييز بين الصحيح والضعيف من الأخبار عن النبي ﷺ؛ هذا لأنه يصرّح أنه يأخذ الأحاديث مشافهة عن النبي ﷺ؛ كما صرح بذلك في كتابه: "الفتوحات المكيّة"، حيث قال:

" ومن كان من الصالحين ممن كان له حديث مع النبي ﷺ في كشفه، وصحبه في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه: حُشر معه يوم القيامة، وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف المواطن، ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم ولا يسمى صاحباً حتى يراه وهو مستيقظ، ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها"[١]!!.

فيظهر من هذا النقل أن ابن عربي أثبت أموراً عجيبةً، ليس عليها دليل من كتاب الله، ولا من سنة رسول الله ﷺ، ولا من فعل صحابة النبي ﷺ، الذين هم أتقى الأتقياء، وأولى الأولياء رضي الله تعالى عنهم، وهي:

أولاً: إثبات أن من أولياء الله الصالحين من يكون له شهود ومكاشفة للنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة والمنام[٢].

ثانياً: جعل لقيا هؤلاء للنبي ﷺ باباً من أبواب العلم بالصحيح والضعيف من أحاديثه ﷺ.

ثالثاً: أنه أثبت أعلى درجات الصحبة لمن لحق بهذه الدرجة من المكاشفة له صلى الله عليه وسلم في اليقظة، حيث قال: (وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف المواطن).

---

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/ ٥٠).

[٢] - وسيأتي الكلام على الرؤى المنامية في مطلب مستقل في المبحث الثالث من الفصل الأول في الباب الأول من هذا البحث إن شاء الله.

وحول مسألة رؤية النبي ﷺ في اليقظة، يزعم ابن عربي في (الفتوحات المكيّة) أن الله عزوجل يُلقي على الأولياء أمور الشريعة، فيأخذها عن طريق إقامة الله لهم صورةً مُحَمَّديّةً، أو ملكاً في صورته ﷺ[1]، فيقول عن نفسه:

"ونحن قد أخذنا عن مثل هذه الصورة أموراً كثيرة من الأحكام الشرعية، لم نكن نعرفها من جهة العلماء ولا الكتب"[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا الباب يحصل فيه تخييل من الشيطان، وقد يقع هذا لكثير من المنتسبين للإسلام.

يقول رحمه الله:

"والشيطان كما قد يتمثل في المنام بصورة شخص فقد يتمثل أيضاً في اليقظة بصورة شخص يراه كثير من الناس، يضل بذلك من لم يكن من أهل العلم والإيمان، كما يجري لكثير من مشركي الهند وغيرهم، إذا مات ميّتهم يرونه قد جاء بعد ذلك وقضى ديوناً وردّ ودائع، وأخبرهم بأمور عن موتاهم؛ وإنما هو شيطان تصور في صورته، وقد يأتيهم في صورة من يعظمونه من الصالحين ،ويقول: أنا فلان وإنما هو شيطان، وقد يقوم شيخ من الشيوخ ويخلف موضعه شخصاً في صورته يسمونه روحانية الشيخ ورفيقه، وهو جنيّ تصور في صورته، وهذا يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبان من المنتسبين إلى الإسلام.

وقد يرى أحدهم في اليقظة من يقول له: أنا الخليل، أو أنا موسى، أو أنا المسيح، أو مُحَمَّد، أو أنا فلان لبعض الصحابة أو الحواريين، ويراه طائراً في الهواء وإنما يكون ذلك من الشياطين، ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص.

---

[1] – المصادر العامة للتلقي عن الصوفية، صادق مُحَمَّد صادق ص (١٧٨).

[2] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٧٠).

وقد قال النبي (من رآني في المنام فقد رآني حقاً؛ فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي)[1]؛ فرؤيته في المنام حقٌ.

وأما في اليقظة:

فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى، مع أن كثيراً من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبياً من الأنبياء إما عند قبره وإما عند غير قبره، وقد يرى القبر انشق وخرج منه صورة إنسان، فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره، أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر؛ وإنما ذلك جني تصور في صورته ليضل ذلك الرائي؛ فإن الروح ليست مما تكون تحت التراب وينشق عنها التراب ؛فإنها وإن كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك إلى شق التراب، والبدن لم ينشق عنه التراب، وإنما ذلك تخييل من الشيطان، وقد جرى مثل هذا لكثير من المنتسبين إلى المسلمين وأهل الكتاب والمشركين، ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين، ويكون من إضلال الشياطين"[2]، إذن: فما يدّعيه ابن عربي من كونه يتلقى عن النبي ﷺ، ما هو إلّا من تخييل الشيطان ووسوسته؛ فالنبي ﷺ لا يُرى في اليقظة، هو ولا أحد من الموتى؛ فضلاً عن أن يأتيه هذا الشيطان ويوحي إليه بما يخالف ما جاء به النبي ﷺ، من بدع في العقائد أو في الأعمال، فهذه ظلمات بعضها فوق بعض.

---

[1] - متفق عليه : رواه البخاري في: "كتاب: التعبير"، "باب: من رأى النبي ﷺ في المنام" برقم(٦٩٩٤) من حديث أنس رضي الله عنه ولفظه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتخيل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) (٩ / ٤٢).

- ورواه مسلم: "كتاب: الرؤيا"، "باب: قول النبي ﷺ (من رآني في المنام فقد رآني)" برقم(٦٠٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثل بي) (٧ / ٥٤).

[2] - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية (٣/٣٤٧-٣٤٩).

فهو يذكر في فتوحاته المكيّة أنه كانت تظهر له بعض التخيلات، فيقول:

"ولقد بلغت بي قوة الخيال أن كان حبي يجسد لي محبوباً من الخارج، كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ﷺ، فلا أقدر أنظر إليه ويخاطبني وأصغي إليه وأفهم عنه.

ولقد تركني أياماً لا أسيغ طعاماً، كلما قدمت لي مائدة يقف على حرفها وينظر إلي ويقول بلسان أسمعه بأذني: (تأكل وأنت تشاهدني)؛ فأمتنع عن الطعام ولا أجد جوعاً، وأمتلئ منه حتى سمنت وعبلت[١] من نظري إليه، فقام لي مقام الغذاء.

وكان أصحابي وأهل بيتي يعجبون من سمني مع عدم الغذاء؛ لأني كنت أبقى الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقاً ولا أجد جوعاً ولا عطشاً، لكنه كان لا يبرح نصب عيني في قيامي وقعودي وحركتي وسكوني"[٢]!.

ولا شك أن هذا الذي يراه ما هو إلّا من تلاعب الشياطين؛ كما مرّ قريباً من كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

وما يُلقى في نفس الإنسان في حال يقظته ثلاثة أقسام كالرؤيا، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

"وإذا كانت الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من الله، ورؤيا من حديث النفس، ورؤيا من الشيطان، فكذلك ما يُلقى في نفس الإنسان في حال يقظته ثلاثة أقسام؛ ولهذا كانت الأحوال ثلاثة: رحماني، ونفساني، وشيطاني.

وما يحصل من نوع المكاشفة والتصرف، ثلاثة أصناف: ملكي، ونفسي، وشيطاني.

فإن الملك له قوة، والنفس لها قوة، والشيطان له قوة، وقلب المؤمن له قوة:

فما كان من الملك ومن قلب المؤمن فهو حق.

---

[١] - عبل: العَبْلُ: الضخم من كل شيء. لسان العرب، ابن منظور (١١/ ٤٢٠).

[٢] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢/٣٢٥).

وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل.

وقد اشتبه هذا بهذا على طوائف كثيرة فلم يفرقوا بين أولياء الله وأعداء الله، بل صاروا يظنون في من هو من جنس المشركين والكفار وأهل الكتاب من وجوه كثيرة أنه من أولياء الله المتقين"[١].

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله من أسباب ما وقع فيه ابن عربي من تصحيح عبادة الكفار والمشركين، وتصويب مللهم؛ ألّا وهو: الاشتباه الحاصل عنده، وعند غيره من الطوائف بين أولياء الله وأعداء الله؛ وهو نتيجة طبيعية للخلط بين أنواع المكاشفة الثلاثة: الملكيّة والنفسيّة والشيطانيّة.

فقول ابن عربي: "وكشف الله عن بصري وبصيرتي، فرأيت بعين البصر ما لا يدرك إلا به، ورأيت بعين البصيرة ما لا يدرك إلا بها، فواخيت بين الإيمان والعيان"[٢].

أي: يقصد أنه جمع بين الإيمان والعيان، لا يبعد أن يكون هذا الذي يراه بعين بصره وعين بصيرته -كما يزعم- من إلقاء الشيطان له ولأمثاله، كما كان يحصل للمشركين عبّاد الأوثان في حضرة أوثانهم، أو كما حصل لقوم موسى عليه السلام حين نكثوا عن أمر الله تعالى لهم وعبدوا العجل[٣].

كما بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين قال:

" والمقصود هنا:

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/٦١٢-٦١٤).

[٢] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٣٢٣).

[٣] - قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴿١٤٨﴾ ﴾، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "وقد اختلف المفسرون في هذا العجل: هل صار لحما ودما له خوار؟ أو استمر على كونه من ذهب، إلّا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر؟ على قولين، والله أعلم، ويقال: إنهم لما صَوّت لهم العجل رَقَصُوا حوله وافتتنوا به". انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/٤٧٥).

أن من أعظم أسباب ضلال المشركين ما يرونه أو يسمعونه عند الأوثان؛ كإخبار عن غائب أو أمر يتضمن قضاء حاجة ونحو ذلك، فإذا شاهد أحدهم القبر انشق وخرج منه شيخ بهيّ عانقه أو كلمه ظنّ أن ذلك هو النبي المقبور أو الشيخ المقبور، والقبر لم ينشق وإنما الشيطان مثّل له ذلك، كما يمثل لأحدهم أن الحائط انشق وأنه خرج منه صورة إنسان؛ ويكون هو الشيطان تمثل له في صورة إنسان وأراه أنه خرج من الحائط "[١].

فالأحوال التي يراها هؤلاء –كما سبق بيانه– ما هي في الحقيقة إلّا نتائج الأعمال؛ فيكون ما يحصل لهم بحسب ذلك العمل، فالقائم بما أمر الله تعالى، المتّبع لما جاء به النبي ﷺ، تكون أحواله ومكاشفاته مختلفة تماماً عن الواقع في البدع والمنكرات، المتلبس بالشرك والنجاسات، فهؤلاء كثيراً ما تتخيل لهم أمور يظنون أنها موجودة في الخارج، ولا تكون إلّا في أنفسهم[٢].

ومن هذا ما يدعيه ابن عربي وأمثاله من رؤية النبي ﷺ يقظة، وسماعه والأخذ عنه.

فقد جاء عنه في (الفتوحات المكية) أن الله تعالى يُلقي على الأولياء أمور الشريعة، فيأخذونها عن طريق إقامة الله لهم صورة مُحَمَّدية، أو ملكاً في صورته ﷺ، حتى قال:

"ونحن قد أخذنا عن مثل هذه الصورة أموراً كثيرة من الأحكام الشرعية، لم نكن نعرفها من جهة العلماء، ولا من الكتب"[٣].

ويقول عن العلوم المأخوذة بواسطة هذه الصور أيضاً:

---

[١] – قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية ص (٦٠–٦١).

[٢] – انظر : درء التعارض (١٧/٤).

[٣] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٧٠/٣).

"وكل ما أتى به من العلوم والأسرار مما عدا التحليل والتحريم، فلا تحجر عليه فيما يأخذه منه لا في العقائد ولا في غيرها"[١].

لذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله عن مثل هذا:

"وكثيراً ما يرى الإنسان صورة اعتقاده؛ فيكون ما يحصل له بمكاشفته ومشاهدته هو ما اعتقده من الضلال، حتى أن النصراني يرى في كشفه التثليث الذي اعتقده.

وليس أحدٌ من الخلق معصوماً أن يقرّ على خطأ إلّا الأنبياء..

فمن أين يحصل لغير الأنبياء نور إلهي تدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه، بحيث يصير بنفسه مدركاً لصفات الرب وملائكته وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه ؟"[٢].

---

[١] – المصدر السابق (٣/٧١).

[٢] – درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٥/٣٥٣).

المبحث الثالث

موقفه من دعوى ابن عربي التلقي عن طريق الكشف

يزعم كثير من الصوفية أن التلقي عن طريق الكشف من أهم مصادر التلقي عندهم، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في هذا المبحث، بل قد يثبت عندهم بالكشف ما يناقض صريح العقل، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" لكن هؤلاء يقولون لمن تبعهم: إن لم تترك العقل والنقل لم يحصل لك التحقيق والتجلي الذي حصل لنا، ويقولون: ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل.

فقلت لبعضهم: إن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أكمل الناس كشفاً، وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما يعرف في عقولهم أنه باطل؛ فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول، فمن دونهم إذا أخبر عن شهود وكشف يعلم بصريح العقل بطلانه، علم أن كشفه باطل.

وأما إن كان لم يعلم بطلانه: فهذا قد يمكن فيه إصابته، وقد يمكن خطؤه؛ لأن غير الأنبياء ليس بمعصوم"[1].

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما:

- المطلب الأول : الإلهام.
- المطلب الثاني : الرؤى المنامية.

---

[1] - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية (٣٠٩/٤-٣١٠).

المطلب الأول: الإلهام

الإلهام من جملة العلوم الكشفية التي يعتمد عليها ابن عربي اعتماداً كبيراً في إثبات الأحكام والعقائد، وكذلك هي من المصادر القطعية عنده، فهي مقدمَةٌ عنده على الكتاب والسنة، كما سيظهر ذلك من خلال ما سننقله عنه في هذا المطلب.

ولكن قبل التعرض لكلام ابن عربي عن الإلهام، وبيان مراده من إيراد هذه اللفظة في كتبه، لابد من معرفة أصل هذه اللفظة في لغة العرب، ولابد أيضاً من معرفة معنى هذه الكلمة في اصطلاح العلماء.

الإلهام في اللغة: يقول ابن منظور[1] في (لسان العرب): "الإلهام: ما يلقى في الروع، يقال: (ألهم الله فلاناً)، وفي الحديث : (أسألك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي)[2].

والإلهام: أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده"[3].

ويقول الجرجاني[4] في (التعريفات): "الإلهام: ما يلقى في الروع بطريق الفيض، وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة.

---

[1] - مُحَّد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب)، الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر - وقيل: في طرابلس الغرب- وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٧١١ هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. الأعلام، الزركلي (٧/ ١٠٨).

[2] - رواه الترمذي برقم (٣٤١٩) في (أبواب الدعوات)، (باب: ما جاء ما يقول إذا قام من الليل) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظه، وضعه الألباني (٥/ ٤٨٢).

[3] - لسان العرب، مادة (لهم) (٥٤٧/١٢) بتصرف يسير.

[4] - علي بن مُحَّد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب استراباد ودرس شيراز، وتوفي بها ٨١٦ هـ. الأعلام، الزركلي (٥/ ٧).

وهو ليس بحجة عند العلماء إلّا عند الصوفيين، والفرق بينه وبين الإعلام أن الإلهام أخص من الإعلام لأنه قد يكون بطريق الكسب وقد يكون بطريق التنبيه"[1].

ويقول ابن فارس[2] في (معجم مقاييس اللغة): " اللام والهاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ابتلاعِ شيء، ثم يقاس عليه؛ تقول العرب: (التَهَم الشَّيء): التَقَمه، ومن هذا الباب الإلهام؛ كأنَّه شيءٌ أُلقِيَ في الرُّوع فالتَهَمَه.

قال الله تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾[3]. و(التَهَم الفصيلُ ما في ضَرع أمِّه): استوفاه، (وفرسٌ لهم): سَبَّاق، كأنَّه يلتهم الأرض"[4].

وأما معناه في اصطلاح العلماء:

فقد ذكر الإمام العلامة ابن القيم[5] رحمه الله الإلهام في "مدارج السالكين"، وأطلق عليه: العلم اللّدُنيّ، فقال رحمه الله:

" والعلم اللّدُنيّ: هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاماً بلا سبب من العبد ولا استدلال؛ ولهذا سمّيّ لدنيّاً، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ ﴾[6]،

---

[1] - انظر: التعريفات للجرجاني ص (٥١).

[2] - الإمام العلامة اللغوي المحدث، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن مُحَمَّد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي اللغوي، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها سنة ٣٩٥ هـ وإليها نسبته. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٢/ ٥٣٨).

[3] - سورة الشمس، آية (٨).

[4] - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ، مادة (لهم) (٥/٢١٧).

[5] - سبق ترجمته.

[6] - سورة الكهف ، آية (٦٥)، ومما تجدر الإشارة إليه أن ما فعله الخضر كان وحياً وليس إلهاماً، وهو الظاهر من سياق الآية، ويوضحه قول ابن القيم الآتي في الصحيفة التالية: "العلم اللدنيّ: ما قام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند الله على لسان رسله".

والله تعالى هو الذي علّم العباد مالا يعلمون؛ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1]، ولكن هذا العلم أخصّ من غيره، ولذلك أضافه إليه سبحانه، كبيته وناقته وبلده وعبده ونحو ذلك"[2].

ثم يفصّل ابن القيم رحمه الله في الكلام عن الإلهام، فيقول رحمه الله: "ونحن نقول: إن العلم الحاصل بالشواهد والأدلة هو العلم الحقيقي، وأما ما يدعى حصوله بغير شاهد ولا دليل فلا وثوق به وليس بعلم، وأما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال فليس بصحيح؛ فإن الله سبحانه ربط التعريفات بأسبابها كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلّا بدليل يدله عليه، وقد أيّد الله سبحانه رسله بأنواع الأدلة والبراهين التي دلتهم على أن ما جاءهم هو من عند الله، ودلّت أممهم على ذلك، وكان معهم أعظم الأدلة والبراهين على أن ما جاءهم هو من عند الله، وكانت براهينهم أدلة وشواهد لهم وللأمم، فالأدلة والشواهد التي كانت لهم ومعهم أعظم الشواهد والأدلة، والله تعالى شهد بتصديقهم بما أقام عليه من الشواهد.

فكل علم لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها، وحكم لا برهان عند قائله، وما كان كذلك لم يكن علماً فضلاً عن أن يكون لدنيّاً.

فالعلم اللّدنيّ (ما قام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند الله على لسان رسله)، وما عداه فلدنيّ من لدن نفس الإنسان منه بدأ وإليه يعود.

وقد راج سد العلم اللّدنيّ ورخص سعره حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدنيّ، وصار من تكلم في حقائق الإيمان والسلوك وباب الأسماء والصفات بما يسنح له

---

[1] - سورة العلق ، آية (٥).

[2] - مدارج السالكين، ابن القيم (٤٣١/٣).

ويلقيه شيطانه في قلبه يزعم أن علمه لدني، فملاحدة الاتحادية وزنادقة المنتسبين إلى السلوك يقولون إن علمهم لدني، وقد صنف في العلم اللّدنيّ متهوكو المتكلمين وزنادقة المتصوفين وجهلة المتفلسفين، وكل يزعم أن علمه لدنيّ، وصدقوا وكذبوا؛ فإن اللّدنيّ منسوب إلى "لدن" بمعنى: عند، فكأنهم قالوا العلم العندي، ولكن الشأن فيمن هذا العلم من عنده ومن لدنه.

وقد ذم الله تعالى بأبلغ الذم من ينسب إليه ما ليس من عنده؛ وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٧٨ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٧٩ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ٩٣ ﴾[٣].

فكل من قال هذا العلم من عند الله وهو كاذب في هذه النسبة فله نصيب وافر من هذا الذم، وهذا في القرآن كثير يذم الله سبحانه من أضاف إليه ما لا علم له به، ومن قال عليه ما لا يعلم؛ ولهذا رتّب سبحانه المحرمات أربع مراتب:

وجعل أشدها القول عليه بلا علم فجعله آخر مراتب المحرمات التي لا تباح بحال، بل هي محرمة في كل ملّة وعلى لسان كل رسول، فالقائل إن هذا علم لدنيّ لما لا يعلم أنه من عند الله ولا قام عليه برهان من الله أنه من عنده كاذب مفتر على الله، وهو من أظلم الظالمين وأكذب الكاذبين"[٤].

---

[١] – سورة آل عمران ، آية (٧٨).

[٢] – سورة البقرة ، آية (٧٩).

[٣] – سورة الأنعام ، آية (٩٣).

[٤] – مدارج السالكين (٣/٤٣١–٤٣٣) بتصرف.

وأما المراد بالإلهام عند ابن عربي

فإن ابن عربي يعتبر الإلهام أحد المصادر التي يضيف بها الولي أموراً إلى الشرع، وتكون مشروعة بمجرد إلقائها إليه من الله تعالى -بزعمه-، فالإلهام عنده أحد العلوم الكشفية التي يُعتمد عليها.

فيقول: " فالولي لا يأمر أبداً بعلم فيه تشريع ناسخ لشرعه، ولكن قد يلهم لترتيب صورة لا عين لها في الشرع من حيث مجموعها، ولكن من حيث تفصيل كل جزء منها وجدته أمراً مشروعاً، فهو تركيب أمور مشروعة أضاف بعضها إلى بعض هذا الولي، أو أُضيفت له بطريق الإلقاء، فظهر بصورة في الشرع بجمعيتها، فهذا القدر له من التشريع، وما خرج بهذا الفعل من الشرع المكلف به؛ فإن الشارع قد شرع له أن يشرّع مثل هذا؛ فما شرع إلّا عن أمر الشارع فما خرج عن أمره، فمثل هذا يؤمر به الولي من هناك، وأما خلاف هذا فلا"[1].

فالولي عند ابن عربي يمكنه أن يشرّع في الدين ما لم يأذن به الله، وفي كلامه في هذا الموضع من الفتوحات تناقض واضح مع مواضع أخرى من نفس الكتاب؛ من جهة أنه ذكر هنا أن الإلهام لا يكون ناسخاً لحكم قد ثبت بالشرع، وإنما يكون طريقاً لتركيب أموراً مشروعة بعضها إلى بعض، فيتحصّل به صور من العبادات لا عين -يعني: لا مثيل- لها في الشرع كما ذكر.

ولكنه ذكر في موضع أخر من نفس الكتاب أن الرؤى المنامية تنسخ بعض الأحكام، فمن جاءه النبي ﷺ في المنام بنسخ حكم من أحكام الشرع الثابتة بالخبر المنقول الصحيح المعمول به، لزمه الأخذ بهذا الذي رآه، ولا يسعه غير ذلك؛ فيقول في "الفتوحات المكيّة": "فإذا جاءه بحكم في هذه الصورة فلا يأخذ به إن اقتضى ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به، بخلاف حكمه لو رآه على صورته؛ فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غيره ذلك"[2]!.

---

[1] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٥٦/٣).

[2] - المصدر السابق (٢٧/٤).

وليس هذا التناقض إلّا مثالاً للتناقضات العجيبة عند ابن عربي، وقد وقفت على تناقضات صارخة في كتابه (الفتوحات المكيّة)، توحي بأن الرجل كان غير مبال بما يلقي في هذا الكتاب من ضلالات، فما ثمّ اتساق في مؤلفاته إلّا من جهة واحدة؛ ألا وهي: أن جميع أقواله يجمعها الكفر والزندقة ،والخيالات ،والتأويلات الباطنية الإبليسية الباطلة، التي تزكم الأنوف، وتنطق بالكذب، وحسب هذه المقالات أنها يكفي فيها لبيان بطلانها: مجرد التصور، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول:

"واعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً؛ فإن هذا لا يكون إلّا للحق.

فأما القول الباطل فإذا بين فبيانه يظهر فساده"[1].

ثم يدّعي ابن عربي أيضاً أن الإلهام طريقٌ من طرق الولي المتعددة لمعرفة الصحيح من السقيم من أحاديث النبي ﷺ[2]، بل يدعي أن هذا الإلهام يكون عن طريق تنزّل الملك على الولي، فيقول في (الفتوحات المكيّة):

" فإن الملك قد ينزل على الولي التابع بالإتباع وبإفهام ما جاء به النبي ممّا لم يتحقق هذا الولي بالعلم به وإن كان متأخراً عنه بالزمان، أعني متأخراً عن زمان وجوده، فقد ينزل عليه بتعريف صحة ما جاء به النبي وسقمه مما قد وُضع عليه، أو تُوهم أنه صحيح عنه، أو تُرك لضعف الراوي وهو صحيح في نفس الأمر، وقد ينزل عليه الملك بالبشرى من الله بأنه من أهل السعادة والفوز وبالأمان"[3].

---

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/١٤٥).

[2] – الإلهام ليس وحده الطريق للتمييز بين الأحاديث عند ابن عربي، بل كذلك الرؤى المنامية عنده –وسيأتي الكلام عنها في المطلب التالي إن شاء الله– من أهم مصادر التمييز بين الأحاديث.

[3] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٣١٦).

فلم يرفع ابن عربي من الإلهامات إلى هذه المنزلة العالية، وإلى هذه المكانة الفريدة، إلّا ليتوصّل بذلك إلى نتيجة في غاية الخطورة؛ ألا وهي: وجوب الأخذ بكل ما جاء عن الولي من إلهامات؛ فهي بمنزلة الوحي المنزّل -كما ظهر ذلك جلياً من كلامه-؛ يقول في "الفتوحات"وقد سمّى رد شيء من ذلك كفراً وحرماناً:

"وإياك والكفران فإنه غاية الحرمان، فتكون من الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله، أولئك هم الخاسرون"[١].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيظهر موقفه من هذه الضلالات التي جاء بها ابن عربي؛ من خلال ما ذكره في رسالة: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)؛ فقد ذكر رحمه الله تعالى كلاماً طويلاً عن الإلهام، وموقف الناس منه، وبيّن رحمه الله ضوابط هذا الأمر، وبيّن أيضاً متى يقبل ومتى لا يقبل.

يقول رحمه الله تعالى: "وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: (إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُونَ، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم، فإنه عمر بن الخطاب)[٢].

---

[١] - المصدر السابق (٣١١/٣).

[٢] - متفق عليه، رواه البخاري: "كتاب: أحاديث الأنبياء"، "بابٌ" برقم (٣٤٦٩)، من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعاً ولفظه: (إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب)، (٢١١/٤)، ورواه مسلم في: "كتاب: فضائل الصحابة"، "باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه" برقم (٦٣٥٧)، من حديث عائشة ﵂ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: (قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم).

قال ابن وهب: تفسير محدثون ملهمون، (١١٥/٧).

وروى الترمذي عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)[٢].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر إلّا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر[٣].

---

[١] - رواه الترمذي في: "كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ"، "باب: في مناقب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه" برقم (٣٦٨٦) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه بلفظه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلّا من حديث مشرح بن هاعان، (٥ / ٦١٩).

[٢] - رواه أحمد في مسنده، برقم (٥١٤٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بلفظه(٢/٥٣).

وقال الألباني: صحيح، حديث رقم (٢٦١٦)، انظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الألباني (١/٢٦٢).

[٣] - رواه الترمذي في: "كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ"، "باب: في مناقب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه" برقم (٣٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)، وقال ابن عمر: (ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال فيه عمر أو قال ابن الخطاب فيه -شك خارجة- إلّا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر).

قال أبو عيسى وفي الباب عن الفضل ابن العباس و أبي ذر و أبي هريرة رضي الله عنهم.

قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وخارجة بن عبد الله الأنصاري هو ابن سليمان بن زيد بن ثابت وهو ثقة (٥ / ٦١٧)، وقال الألباني: صحيح، انظر: "صحيح سنن ابن ماجة"، الألباني، حديث رقم (١٠٨).

وكان علي بن أبي طالب ﷺ يقول: مَا كُنَّا نُبْعِدُ أن السكينة تنطق على لسان عمر، ثبت هذا عنه من رواية الشعبي[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظنه كذا، إلّا كان كما يظن[2].

وعن قيس بن طارق قال: كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك.

وكان عمر ﷺ يقول: اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة.

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنها تتجلى للمطيعين هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم .

فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات ؛ فأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر"[3].

فنخلُص من هذا النقل عن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، أنه أثبت بالدليل وجود مكاشفات ومخاطبات لأولياء الله تعالى، ولكنّه ذكر رحمه الله تعالى بعد ذلك أن

---

[1] – رواه أحمد في مسنده، برقم (٨٣٤) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ من طريق الشعبي عن وهب السوائي أنه قال: خطبنا على رضي الله عنه فقال: (من خير هذه الأمة بعد نبيها؟)، فقلت: أنت يا أمير المؤمنين، قال: (لا؛ خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنه، وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي (١ / ١٠٦).

[2] – رواه البخاري في: "كتاب: المبعث النبوي"، "باب: إسلام عمر ابن الخطاب ﷺ" برقم (٣٨٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (ما سمعت عمر لشيء قط يقول إني لأظنه كذا إلا كان كما يظن، ..) الحديث (٥/٦١).

[3] – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص (٦٦–٦٨) بتصرف، وانظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (٨/٥٠–٥٢).

الملهم من الأولياء لابد وأن يكون على حال معينة، حتى نحكم على هذا الإلهام والتحديث، وعلى هذه المكاشفات، أنها من الكرامات وليست من وساوس الشياطين[1]، يقول رحمه الله تعالى:

"وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بأنه محدث في هذه الأمة، فأي محدث ومخاطب فرض في أمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم فعمر أفضل منه، ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم"[2].

إذن فلابد من عرض ما يقع في قلب أي محدّث أو ملهم فُرض في الأمة على ما جاء به الرسول ﷺ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله واصفاً حال عمر رضي الله عنه مع ما يقع في قلبه من الإلهام والتحديث، قال:

"فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته غير مرة.

وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك؛ كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين، والحديث معروف في البخاري وغيره[3]"[1].

---

[1] - وسيأتي إن شاء الله تعالى في ثنايا هذا البحث مبحث مستقل عن الكرامات والخوارق، والفرق بينها وبين وساوس الشياطين والأحوال الشيطانية.

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٥/١١)، وانظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص(٦٨).

[3] - وقصة الحديبية مشهورة وهي في البخاري ومسلم، وقد رواها مسلم في: "كتاب: الجهاد والسير"، "باب: صلح الحديبية في الحديبية" برقم (٤٧٣٣) من حديث أبي وائل قال: قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال: (أيها الناس: اتهموا أنفسكم؛ لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟)، قال: (بلى)، قال: (أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟)، قال: (بلى)، قال: (ففيم نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟)، فقال: (يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً)، قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً،

ثم أخذ يعدّد رحمه الله المسائل التي رجع عنها عمر ﷺ لما تبيّن له مخالفتها للحق، ليدلل بذلك على أن إلهام الولي لا يكون مقبولاً إلّا بعد عرضه على ما جاء في الشرع[٢].

وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله في أثناء ردّه على الضلالات التي ترد في هذا الباب، أنه لا يلزم من كون الولي يحصل له شيء من الإلهام أن يُلزم أتباعه به بدعوى أنه ملهم ومحدّث؛ ثم استدل على صحة ذلك بما جاء عن عمر ﷺ، وقد كان من سادات الأولياء، ومحدّث هذه الأمة، فقال رحمه الله تعالى:

"ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم، ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ويقررهم على منازعته ولا يقول لهم : أنا محدث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني، فأي أحد ادعى أو ادعى له أصحابه أنه ولي لله وأنه مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه وهو أمير المؤمنين وكان المسلمون ينازعونه فيما

فأتى أبا بكر، فقال: (يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟)، قال: (بلى)، قال: (أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار)، قال: (بلى)، قال: (فعلام نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟)، فقال: (يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً)، قال: فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه، فقال: (يا رسول الله أوفتح هو؟)، قال: (نعم)، فطابت نفسه ورجع) (٥ / ١٧٥).

[١] – الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص (٦٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٠٥/١١).

[٢] – انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص(٦٨-٧١).

يقوله، وهو وهم على الكتاب والسنة وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[١].

ثم بيّن رحمه الله تعالى أن الأنبياء فقط هم من يخبرون عن الله عزوجل؛ لذا هم فقط من تجب طاعتهم في كل ما يخبرون به، بخلاف الأولياء؛ فإن أقوالهم لابد وأن تُعرض على الكتاب والسنة، قال رحمه الله:

" وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم؛ فإن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به.

بخلاف الأولياء فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به؛ بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً وإن كان صاحبه من أولياء الله، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله له أجر على اجتهاده.

لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع ؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] "[٣].

ويقول رحمه الله تعالى :

"وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع فيظن في شخص أنه ولي لله، ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يقوله ويسلم إليه كل ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنة، فيوافق ذلك الشخص له ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه وبين أهل الجنة وأهل النار وبين السعداء والأشقياء.

---

[١] - المرجع السابق ص(٧١)، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٧/١١-٢٠٨).

[٢] - سورة التغابن، آية (١٦).

[٣] - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص(٧١-٧٢)، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٨/١١).

فمن اتبعه كان من أولياء الله المتقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين، ومن لم يتبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين.

فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال، وآخراً إلى الكفر والنفاق، ويكون له نصيب من قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا (٢٧) يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا (٢٨) لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا (٢٩) ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ (٦٧) رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا (٦٨) ﴾[2].

وفي المسند وصححه الترمذي عن عدي بن حاتم قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفى عنقي صليب من ذهب، فقال: (يا عدي اطرح عنك هذا الوثن)، وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ (٣١) ﴾[3]، قال: (أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه)"[4][5].

---

[1] – سورة الفرقان، الآيات(٢٧ : ٢٩).

[2] – سورة الأحزاب، الآيات(٦٧ :٦٨).

[3] – سورة التوبة، آية(٣١).

[4] – رواه الترمذي في: "كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ"، "باب: ومن سورة التوبة" برقم (٣٠٩٥) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه بلفظه، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلّا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. (٥ / ٢٧٨)، قال الألباني: حسن. انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، حديث رقم (٣٠٩٥).

[5] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٢١٠).

قال رحمه الله: "وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي الله؛ فإنه بنى أمره على أنه ولي لله وأن ولي الله لا يخالف في شيء، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة ؛ فكيف إذا لم يكن كذلك ؟؟

وتجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة .

وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله؛ بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لأمره ونهيه"[١] .

---

[١] - المصدر السابق (١١/٢١٣-٢١٤).

المطلب الثاني: الرؤى المناميّة

قبل التعرض لبيان قول ابن عربي في الرؤى المنامية ومنزلتها عنده كمصدر من مصادر التلقي والتشريع، وبيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من ذلك، لابد من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للرؤيا.

أما تعريف الرؤيا في اللغة:

فالرؤيا: "على وزن فعلى، وهو ما يرى في المنام"[1].

يقول ابن منظور في "لسان العرب":

"والرؤيا: ما رأيته في منامك، وهي الرؤى، و(رأيت عنك رؤى حسنة): حلمتها، و (أرأى الرجل) إذا كثرت رؤاه بوزن رعاه، وهي: أحلامه، جمع الرؤيا، (ورأى في منامه رؤيا)، على فعلى بلا تنوين، وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين مثل رُعىً "[2].

وأما تعريف الرؤيا اصطلاحاً:

فهي في الاصطلاح قريبة جداً من المعنى الذي ذكر لغة؛ فإن ما يراه الإنسان في منامه، هو: الرؤيا.

"وهي ثلاثة أقسام: رؤيا بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام.

وقد ثبت هذا التقسيم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم[3] "[1].

---

[1] – انظر: المفردات في غريب القرآن، ص: (١٩٠).

[2] – لسان العرب: (٢٩٧/١٤)، وانظر: الصحاح: (٢٣٤٩/٦).

[3] – ففي صحيح مسلم "كتاب: الرؤيا"، "بابٌ" برقم (٦٠٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاثة: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره:

ومن الواضح أن الصوفية جميعهم مولعون بالرؤى المنامية؛ كمصدر من مصادر التلقي عندهم؛ يقول الإمام الشاطبي[2] رحمه الله في (الإعتصام):

" فصل: وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: (رأينا فلاناً الرجل الصالح فقال لنا اتركوا كذا واعملوا كذا)، ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي كذا، وأمرني بكذا)، فيعمل بها ويترك بها، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة.

وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال، إلّا أن تُعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلّا وجب تركها والإعراض عنها.

وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا "[3].

فالصوفية يعتمدون الرؤى المنامية كمصدر مهم من مصادر التلقي عندهم، بل الرؤى المنامية ترقى عندهم لإثبات عبادات وأحكام جديدة في دين الله تبارك وتعالى ما أنزل الله بها من سلطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما ابن عربي فإن الأمر عنده لا يقتصر على إثبات أحكام جديدة في دين الله تبارك وتعالى رغم مخالفتها للثابت عن طريق الشرع، بل بلغ به الأمر أنه أثبت إمكانية أن

فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس)، قال: (وأحب القيد وأكره الغلّ، والقيد ثبات في الدين) (٧ / ٥٢).

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٧٨/١٢).

[2] – أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللّخمي الغرناطي المالكي، الشهير بالشاطبي، صاحب الموافقات توفي سنة٧٩٠هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (١٥٢/٣).

[3] – الاعتصام، الشاطبي(٢٦٠/١).

تكون هذه الرؤى المنامية نافية لما ثبت بطريق النقل؛ أي: ولو نصّ أهل الحديث على صحة النقل وتلقوه بالقبول، بل حتى ولو اشتهر عندهم.

فكما ادعى ابن عربي أولاً معرفة الصحيح من الضعيف من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق الإلهام وتنزّل الملك[1]، فهاهو ثانياً يدعي معرفة مراتب الأحاديث عن طريق الرؤى المناميّة!.

فيقول في (الفتوحات المكيّة): "هذا هو الفرقان عند أهل الله بين الأمرين؛ فإنهم قد يرونه ﷺ في كشفهم؛ فيصحح لهم من الأخبار ما ضعف عندهم بالنقل، وقد ينفون من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل "[2].!

ومن المعلوم أن هذا الكشف الذي عناه ابن عربي في عبارته السابقة هو: رؤية النبي ﷺ ومشافهته سواء يقظةً أو مناماً، كما سبق بيانه.

فهذا هو طريق التمييز بين الصحيح والضعيف عنده، فلا عجب إذن عندما يجد الباحث في كتب ابن عربي كثيراً من الأحاديث الباطلة الموضوعة المصنوعة، المكذوبة على رسول الله ﷺ، فالأمر عنده -كما يظهر من كلامه- لا يقتصر على مجرد الاحتجاج بالأحاديث الباطلة والموضوعة والأخذ بها، بل يزيد الأمر عنده حتى يصل إلى حدّ نفي الأخبار الصحاح، واختلاق الأحاديث بنفسه وارتجالها؛ بزعم تلقيها عن النبي ﷺ، سواء يقظةً أو مناماً.

ويذهب ابن عربي أيضاً إلى الأخذ بالمنام ولو تضمن نسخ حكم ثابت بالنص، فيقول:"المبشرات، وهي جزء من أجزاء النبوة؛ فإما أن تكون من الله إليه[3]، أو من الله على يدي بعض عباده إليه[4]؛ وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو ترى له.

---

[1] -كما سبق بيانه في المطلب السابق -الإلهام-.

[2] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢٨/٤).

[3] - أي: من الله تعالى إلى الولي مباشرة كالوحي -بزعمه-.

[4] - أي: من الله تعالى إلى شيخه، ثم يخبره شيخه بهذه المبشرات -بزعمه-.

فإن جاءته من الله في رؤياه على يدي رسوله ﷺ:

فإن كان حكماً تعبد نفسه به ولابد، بشرط أن يرى الرسول ﷺ على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا، كما نقل إليه من الوجه الذي صحّ عنده.

حتى إنه إن رأى رسول الله ﷺ يراه مكسور الثنية العليا، فإن لم يره بهذا الأثر فما هو ذاك، وإن تحقق أنه رسول الله ﷺ ورآه شيخاً أو شاباً مغايراً للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها، فذلك كله الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، ما هو رسول الله، فيكون ما رآه هذا الرائي عين الشرع، فإذا جاءه بحكم في هذه الصورة فلا يأخذ به إن اقتضى ذلك نسخ حكم ثابت بالخبر المنقول الصحيح المعمول به.

بخلاف حكمه لو رآه على صورته؛ فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غيره ذلك"[1].

ففي هذا النقل عن ابن عربي من الفساد والبطلان ما يبطل به الشرع الشريف، بل يعود هذا القول على القرآن الكريم بالإبطال؛ فأين هذا القول من قول الله عزوجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾[2] ؟!، وهل ما نسخ من الشرع عن طريق الرؤى المنامية يكون لازماً لمن رآه في المنام فقط، أم يكون لازماً لعموم الأمة بحيث يكون شرعاً وديناً ؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فأما المنامات فكثير منها بل أكثرها كذب، وقد عرفنا في زماننا بمصر والشام والعراق من يدعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع: أنه قبر نبي، أو أن فيه أثر نبي ونحو ذلك، ويكون كاذباً، وهذا الشيء منتشر.

---

[1] - المصدر السابق (٤/٢٧-٢٨).

[2] - سورة المائدة، آية (٣).

فرائي المنام[١] غالباً ما يكون كاذباً.

وبتقدير صدقه: فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان.

والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها، لا يجوز أن يثبت بها شيء بالإتفاق؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه ورؤيا من الشيطان)[٢].

فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة فلابد من تمييز كل نوع منها.

ومن الناس حتى من الشيوخ الذين لهم ظاهر علم وزهد من يجعل مستنده في مثل ذلك حكاية يحكيها عن مجهول، حتى أن منهم من يقول حدثني أخي الخضر أن قبر الخضر بمكان كذا.

ومن المعلوم الذي بيناه في غير هذا الموضع: أن كل من ادعى أنه رأى الخضر، أو رأى من رأى الخضر، أو سمع شخصاً رأى الخضر، أو ظن الرائي أنه الخضر، أن كل ذلك لا يجوز إلّا على الجهلة المخرفين، الذين لا حظ لهم من علم ولا عقل ولا دين بل هم من الذين لا يفقهون ولا يعقلون"[٣].

فتبين من هذا وغيره أن حقيقة هذا القول ومؤداه:

هو إقرارٌ وتصحيحٌ لجميع الديانات والعقائد؛ إذ كل عامل أياً كان عمله، أو حتى اعتقاده، يستند إلى دليل -يظنه كذلك- من المنامات والرؤى التي يزعمون أنّها ربّانية، وما هي إلّا شيطانيّة والعياذ بالله[٤].

---

[١] - يعني -رحمه الله- الرائي الذي يذهب بما رأى لإثبات شيء في الدين أو نفيه، كحال ابن عربي وأمثاله.

[٢] - سبق تخريجه.

[٣] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٧/٤٥٧-٤٥٨).

[٤] - وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لمسألة تصحيح ابن عربي لجميع الديانات والعقائد في ثنايا هذا البحث.

الفصل الثاني

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في توحيد الربوبية

وفيه مبحثان :

- **المبحث الأول** : موقفه من قول ابن عربي بأن وجود الله هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات .

- **المبحث الثاني** : موقفه من ابن عربي في قوله بوحدة الوجود .

المبحث الأول

موقفه من قول ابن عربي بأن وجود الله هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات

يرى ابن عربي أن وجود الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات، ومما يدلل على ذلك ما ذكره في "فصوصه" ؛ فيقول عن وجود الله تعالى:

"فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود؛ فهو عين الوجود، فهو على كل شيء حفيظ بذاته، فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظٌ لصورته أن يكون الشيء غير صورته[1]، ولا يصح إلّا هذا، فهو الشاهد من المشهود، والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له فهو (الإنسان الكبير):

فهو الكون كله ... وهو الواحد الذي
قام كوني بكونه ... ولذا قلت يغتذي"[2].

فإن ابن عربي بزعمه أن الله هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات، لم يفرق بين وجود الخالق ووجود المخلوق، بل جعل الوجود كله واحداً في الحقيقة؛، فهو كما قال شيخ الإسلام رحمه الله ليس عنده وجودان أحدهما واجب، والآخر ممكن، ولا أحدهما خالق والآخر مخلوق؛ بل عين الوجود الواجب هو عين الوجود الممكن، مع تعدد المراتب؛ والمراتب عنده هي الأعيان الثابتة في العدم، على زعم من يقول: إن المعدوم شيء، ولا ريب أن من جعل المعدوم شيئاً ثابتاً في الخارج عن الذهن فقوله باطل. وابن عربي يقول: بل نفس وجوده فاض عليها؛ فهي مفتقرة إليه في وجوده، وهو مفتقر إلى ثبوتها؛ ولهذا قال:

فيعبدني وأعبده ... ويحمدني وأحمده

---

[1] - وهذا تحريف لمعاني الصفات بما يتمشى مع عقيدة وحدة الوجود .

[2] - فصوص الحكم، ابن عربي (١/١١١).

ولهذا امتنع التكليف عنده؛ فإن التكليف يكون من مكلِّف لمكلَّف، أحدهما آمراً والآخر مأموراً؛ وحيث لا ثمة آمر ولا مأمور عنده امتنع التكليف[1].

وقول ابن عربي بأن وجود كل موجود هو عين وجود واجب الوجود، هو في حقيقته قول الدهرية الطبيعية؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" والعلم بالله هو عندهم بأنه الوجود المطلق الساري في الكائنات، فوجود كل موجود هو عين وجود واجب الوجود؛ وحقيقة هذا القول: قول الدهرية الطبيعية الذين ينكرون أن يكون للعالم مبدع أبدعه هو واجب الوجود بنفسه؛ بل يقولون: العالم نفسه واجب الوجود بنفسه.

فحقيقة قول هؤلاء شر من قول الدهريّة الإلهيين، وهو يعود عند التحقق إلى قول الدهرية الطبيعيين"[2].

وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن هذا الكلام بناه ابن عربي على أصله الفاسد في الإلحاد في ذات الله تعالى؛ فهو يجمع بين تعطيل الخالق سبحانه عن الأسماء والصفات، وبين الإتحاد العام؛ ويبيّن رحمه الله الأصل الذي بنى عليه ابن عربي كلامه قائلاً:

"وكان كثير من أهل التصوف والسلوك والطالبين لطريق التحقيق والعرفان -مع أنهم يظنون أنهم متابعون للرسل وأنهم متقون للبدع المخالفة له- يقولون هذا الكلام[3] ويعظمونه، ويعظمون ابن عربي لقوله مثل هذا؛ ولا يعلمون أن هذا الكلام بناه على أصله الفاسد في الإلحاد الذي يجمع بين التعطيل والإتحاد؛ فإن حقيقة الرب عنده وجود مجرد لا اسم له ولا صفة، ولا يمكن أن يرى في الدنيا ولا في الآخرة، ولا له

---

[1] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١٤/٢).

[2] - المصدر السابق، ابن تيمية (٥٨٩/٧-٥٩٠) ، وانظر: الإيمان الأوسط، ابن تيمية ص (١٣٥).

[3] - يعني: القول بأن وجود الله هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات.

كلام قائم به ولا علم ولا غير ذلك، ولكن يرى ظاهراً في المخلوقات متجلياً في المصنوعات.."[1].

لذلك فقد ذكر شيخ الإسلام أن مذهب ابن عربي الذي في الفصوص مركب من أصلين:

الأصل الأول :

" أن الأشياء كلها ثابتة في العدم مستغنية بنفسها، نظير قول من يقول المعدوم شيء، ولكن هذا لا يفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق؛ إذ ليس عنده ذات واجبة متميزة بوجودها عن الذوات الممكنة، وإن كان قد يتناقض في ذلك قولهم؛ فإنهم كلهم يتناقضون، وكل من خالف الرسول فلا بد أنه يتناقض؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ ﴾[2] ،وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[3] "[4].

فكون المعدوم شيئاً ثابتاً في العدم، يقوله كثير من المعتزلة والرافضة وهو مذهب باطل بالعقل الموافق للكتاب والسنة والإجماع، وكثير من متكلمة أهل الإثبات كالقاضي أبي بكر كفّر من يقول بهذا[5].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فأما أصل ابن عربي فهو أن الوجود واحد، وأن الوجود الواجب هو عين الوجود الممكن، والقول بأن المعدوم شيء وأعيان

---

[1] - مجموع الفتاوى (٥٩٠/٧) ، الإيمان الأوسط ص (١٣٥).

[2] - سورة الذاريات ، آية (٨-٩).

[3] - سورة النساء ، آية (٨٢).

[4] - بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية ص (٣٩٥).

[5] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٦٩/٢).

المعدومات ثابتة في العدم، ووجود الحق فاض عليها، فوجود كل شيء عين وجود الحق عنده"[١].

وقد بيّن ابن تيمية رحمه الله أن غلط هؤلاء جاء من جهة عدم تفريقهم بين أمرين:

أولهما: علم الله بالأشياء وكتابتها في اللوح المحفوظ، والثاني: ثبوت هذا الأشياء في الخارج، فقال رحمه الله:

"وإنما غلط هؤلاء من حيث: لم يفرقوا بين علم الله بالأشياء قبل كونها وأنها مثبتة عنده في أمّ الكتاب في اللوح المحفوظ، وبين ثبوتها في الخارج عن علم الله تعالى، فإن مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأشياء بعلمه القديم الأزلي، وأنه سبحانه وتعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق قبل أن يخلقها، فيفرقون بين الوجود العلمي الكتابي وبين الوجود العيني الخارجي؛ ولهذا كان أول ما نزل على رسوله الله صلى الله عليه وسلم سورة: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (٢) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (٣) ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (٤) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (٥) ﴾[٢]، فذكر المراتب الأربع:

وهي الوجود (العيني) الذي خلقه، والوجود (الرسمي) المطابق لـ(الفظي) الدال على (العلمي)، وبيّن أن الله تعالى علمه؛ ولهذا ذكر أن التعليم بالقلم فإنه مستلزم للمراتب الثلاثة، وهذا القول أعني: قول من يقول أن المعدوم شيء ثابت في نفسه خارج عن علم الله تعالى، وإن كان باطلاً ودلالته واضحة، لكنه قد ابتُدع في الإسلام من نحو أربعمائة سنة، وابن عربي وافق أصحابه[٣]"[٤].

---

[١] - المرجع السابق (٢/١١٢).

[٢] - سورة العلق ، آية (١-٥).

[٣] - يعني: أصحاب هذا القول بأن المعدوم شيء .

[٤] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٧٠)، مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية (١/١٧٦).

"وإنما حقيقة الأمر أن المعدوم يراد إيجاده ويتصور ويخبر به ويكتب قبل وجوده، فله وجود في العلم والقول والخط، وأما في الخارج فلا وجود له، والوجود هو الثبوت، فلا ثبوت له في الوجود العيني الخارجي؛ وإنما ثبوته في العلم، أي: يعلمه العالم قبل وجوده"[١].

الأصل الثاني : "أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية"[٢].

"ويرى أن وجود الحق فاض عليهم[٣]، فيرى أن وجود الكائنات عين وجود الحق، وأن الناكح هو المنكوح، والشاتم هو المشتوم.."[٤].

ويقول في "فصوصه": "تحققنا بالمفهوم والإخبار الصحيح أنه عين الأشياء"[٥].

وهؤلاء[٦] سمعوا باسم الله وقصدوا عبادته ومعرفته، فوقفوا على أثره في مصنوعاته، فظنوا أنه هو؛ كمن سمع بالشمس فلما أن رأى الشعاع المنبسط في الهواء والأرض ظن أن ذلك هو الشمس، ولم يصعد بصره وبصيرته إلى الشمس التي في السماء، وكذلك هؤلاء لم تصمد بصائر قلوبهم إلى رب العالمين الذي فوق كل شيء المباين لمخلوقاته[٧].

---

[١] – الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية (٤/٣٠٠).

[٢] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٧٠) ، انظر: مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية (١/١٧٦).

[٣] – يعني: فاض على الكائنات.

[٤] – المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/٣٦).

[٥] – فصوص الحكم، ابن عربي (١/١١١).

[٦] – يعني: أهل الإلحاد والاتحاد العام.

[٧] – انظر: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية (٤/٣١٠).

فهؤلاء هم أهل الإلحاد والاتحاد العام؛ الذين يرون أن وجود الكائنات هو عين وجود الحق، بينما أهل الاتحاد الخاص: هم من يقولون بالاتحاد الخاص المقيد سواء في نبي أو غير نبي؛ كالنصارى، وغالية الرافضة، وغالية جهّال المتعبدة من الحلاجيّة واليونسيّة، وبعض العدويّة والحاكميّة وغيرهم[١].

"ثم مع كل فريق من أهل الاتحاد المطلق والمعين فريقاً ثانياً يقولون بالحلول: إما الحلول المطلق، وهو قول من يقول: إن الحق حال في الأماكن كلها، فهذا كفر قديم في الأمة من كفر الجهمية الذي كان السلف ينكرون قولهم، وهم الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، فإن هؤلاء الحلولية إخوان هؤلاء الاتحادية؛ أولئك قالوا: هو في جميع المصنوعات، وهؤلاء قالوا: هو المصنوعات.

وهؤلاء الاتحادية المطلقة والحلولية إنما أوقعهم في ذلك عدم إثباتهم لما جاءت به الرسل من رب العالمين الذي فوق الخلق، الذي استوى على العرش، فإنهم تجهموا في أنه ليس فوق العالم ولا داخله ولا خارجه ونحو ذلك من الصفات السلبية التي رأوها منطبقة على الوجود المطلق، وهم عباد لابد لقلوبهم من شيء تعبده، فلم يجدوا ما يطابق هذه السلوب إلّا وجود المخلوقات.

وأما المتكلمة الجهمية فإنهم في العلم والكلام، والعلم يتناول الموجود والمعدوم فإذا وصفوه بالسلوب، وكانت إنما تطابق المعدوم؛لم يضرهم إذا كان الذي أثبتوه معدوماً؛ فإنهم لا يعبدون شيئاً كما أخبر السلف بذلك عنهم.

فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتعبدتهم يعبدون كل شيء"[٢].

ويذكر شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى" أن السبب في وقوع هؤلاء القوم فيما وقعوا فيه من القول الباطل –يعني: في وجود الرب سبحانه وتعالى؛ وأنه الوجود المطلق الساري في المخلوقات– هو:

---

[١] – انظر: المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم (٣٦/١-٣٧).

[٢] – المصدر السابق (٣٧/١).

خلط هؤلاء بين ما يشهدونه في أنفسهم من كليات مطلقة، وبين ما هو في الخارج.

كما أدى أيضاً نفس هذا الخلط بين ما يشهدونه في أنفسهم من كليات، وبين ما هو في الخارج، إلى تكذيب الغيب الذي جاءت به الأنبياء؛ حيث جعلوا ما أخبرت به الأنبياء في أنفسهم، وإنما هو في الخارج في حقيقة الأمر.

فيقول -رحمه الله- في بيان ذلك:

" وهؤلاء الملاحدة شهدوا في أنفسهم أموراً كلية مطلقة، فظنوا أنها في الخارج وليست إلّا في أنفسهم، فجعلوا ما في أنفسهم في الخارج وليس فيه، وجعلوا ما أخبرت به الأنبياء في أنفسهم وإنما هو في الخارج؛ فلهذا كانوا مكذبين بالغيب التي أخبرت به الأنبياء.

ثم جعلوا وجود الرب الخالق للعالمين البائن عن مخلوقاته أجمعين هو من جنس وجود الإنسانية في الأناسي، والحيوانية في الحيوان، أو ما أشبه ذلك كوجود الوجود في الثبوت -عند من يقول المعدوم شيء-؛ فإنهم أرادوا أن يجعلوه شيئاً موجوداً في المخلوقات -مع مغايرته لها- فضربوا له مثلاً: تارة بالكليات، وتارة بالمادة والصورة، وتارة بالوجود المغاير للثبوت، وإذا مثّلوه بالمحسوسات مثّلوه بالشعاع في الزجاج، أو بالهواء في الصوفة؛ فضربوا لرب العالمين الأمثال، فضلوا فلا يستطيعون سبيلا"[1].

والدلائل العقلية تدل على شطط هؤلاء القوم وخطئهم، حيث أن: المطلق بشرط الإطلاق لا يتصور؛ إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها، ولا يكون هذا -يعني: المطلق بشرط الإطلاق من المعاني- إلّا في العدم؛ فيكون حقيقة هذا القول هو تعطيل ذات الرب سبحانه وتعالى؛ يقول ابن تيمية -رحمه الله-:

" فقد تبين أن المطلق بشرط الإطلاق من المعاني ليس له وجود في الخارج؛ فليس في الخارج إنسان مطلق، بل لا بد أن يتعين بهذا أو ذاك، وليس فيه حيوان مطلق، وليس فيه مطر مطلق بشرط الإطلاق.

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/٥٩١-٥٩٢).

والمسمى المطلق بشرط الإطلاق لا يتصور؛ إذ لكل موجود حقيقة يتميز بها، وما لا حقيقة له يتميز بها ليس بشيء، وإذا كان له حقيقة يتميز بها فتمييزه يمنع أن يكون مطلقاً من كل وجه؛ فإن المطلق من كل وجه لا تمييز له ...

ولكن العدم المحض قد يقال: هو مطلق بشرط الإطلاق إذ ليس هناك حقيقة تتميز ولا ذات تتحقق"[1].

إذن فحقيقة هذا القول في ذات الله تعالى هو العدم المحض والعياذ بالله.

---

[1] – المصدر السابق (١٦٦/٢) بتصرف يسير.

المبحث الثاني

موقفه من ابن عربي في قوله بوحدة الوجود

وقد جعلت هذا المبحث في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : معنى القول بوحدة الوجود عند ابن عربي

لابد قبل الشروع في بيان المراد بـ(وحدة الوجود) عند ابن عربي، من توضيح الفرق بين عدة مصطلحات يكثر استعمالها في هذا الباب من كتب العقائد، وكتب الفرق والطوائف، وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء، ألا وهي مصطلحات:

(الحلول)، و(الاتحاد)، و(وحدة الوجود).

فإن هذه المصطلحات يوجد فيما بينها قدر من الاشتراك والتقارب؛ لعدة أوجه سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى، إلّا أنه يوجد بينها أيضاً قدر من التمايز والافتراق، لابد من تجليته وتوضيحه؛ حتى يظهر المعنى الحقيقي لـ"وحدة الوجود"، والفرق بينه وبين الحلول والإتحاد.

أولاً: بيان معنى (الحلول) في اللغة والاصطلاح

فالحلول في اللغة: "مصدر رباعي من حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولاً،

وله في اللغة ثلاثة معان:

الأول: حلّ بمعنى نَزَلَ، ومضارعه مضموم(يَحُلُّ)، يتعدَّى بنفسه أو بالباء، فيقال:حَلَّ المكانَ، أو حَلَّ بالمكانِ، بمعنى: نزل به، قال تعالى:﴿ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ ﴾[1] أي: تنزل، وأصل الحلول من: حلَّ عُقد الحبال عند إنزال الأحمال: أي فتحها ونقضها. واسم المكان منه يجوز فيه الكسر أو الفتح، فيقال (مَحِلٌّ) أو (مَحَلٌّ).

---

[1] - سورة الرعد، آية (٣١).

والثاني: حلَّ، بمعنى : وجب، ومضارعه مكسور(يَحِلُّ)، ومنه قوله تعالى ﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ﴿٨١﴾ ﴾[1] .

الثالث: حلَّ، بمعنى(بَلَغَ)، مضارعه مكسور (تحِلُّ)، وكذا اسم المكان منه(مَحِلٌّ)"[2].

ومما سبق يتضح أن المعنى الأول هو المقصود في هذا السياق.

وأما معنى الحلول في الاصطلاح: فهو نوعان:

أولهما: الحلول الجواري: وهو عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر ؛كحلول الماء في الكوز، والثاني: الحلول السرياني: وهو عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر؛ كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً، والمسري فيه محلاً[3].

ثانياً: بيان معنى الاتحاد في اللغة والاصطلاح:

فالاتحاد في اللغة : مصدرٌ من اتَّحد يَتَّحد اتِّحاداً، يقال: اتحد الشيئان أو الأشياء، أي: صارت شيئاً واحداً، وأصل مادة الاتحاد من (وَحَد)، وهي تدور على معنى الانفراد، والواحد: المنفرد بذاته في عدم المثل والنظير[4].

---

[1] – سورة طه، آية (٨١).

وقد قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره: " يقول تعالى ذكره: ومن يجب عليه غضبي، فينزل به، فقد هوى". انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري (٣٤٧/١٨).

[2] – انظر في معاني الحلول: الصحاح، الجوهري مادة(ح ل ل) (١٦٧٢/٤)، وانظر: لسان العرب مادة(حلل) (١٦٣/١١-١٧٣)، وانظر: تاج العروس، المرتضى الزبيدي مادة(ح ل ل) (٣٢٣/٢٨-٣٤٠).

[3] – انظر: التعريفات، الجرجاني ص (١٢٥).

[4] – انظر: لسان العرب، ابن منظور مادة (وحد) (٤٤٦/٣)، القاموس المحيط (٤٧٧/١)، التعريفات، الجرجاني ص(٨)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس مادة (و ح د) (٩٠/٦)، تهذيب اللغة، الأزهري (مادة و ح د) (١٩٢/٥).

وأما معنى الاتحاد في الاصطلاح

فهو على قسمين كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فأولهما: الاتحاد الخاص، وهو: " القول باتحاد الله تعالى ببعض خلقه"[١].

وثانيهما: الاتحاد العام، وهو: " القول بأن الله تعالى هو عين وجود الكائنات"[٢].

ثالثاً: معنى وحدة الوجود في اللغة والاصطلاح

فأما وحدة الوجود في اللغة: فهي بمعنى: الإنفراد، وهي ضد الكثرة.

ف (الواو والحاء والدال): أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد، ومن ذلك (الوَحْدَة).

ويقال: (رأَيته وحده)، و(جلس وحده) أَي: منفرداً، و(تَوَحَّدَ برأْيه): تفرّد به.

و(وَحَّدَ الشيء تَوحيداً) : جعَلَه واحداً، وكذا: أَحَّدَهُ[٣].

وأما الوجود: فهو واضح المعنى، وهو ضدّ العدم.

وأما وحدة الوجود في الاصطلاح:

فإن القائلين بوحدة الوجود يستوي عندهم العابد والمعبود فلا يفرّقون بين العبد والرب؛ ويقولون الرب عين الخلق والخلق عين الرب، ويقول قائلهم -كما ذكر عنهم ابن تيمية رحمه الله- "لو رأى الناس الحق لما رأوا عابدًا ولا معبودًا"[٤].

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٧١/٢)، انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام، مُحَّد رشيد رضا (٢٤/٤).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١٧١/٢).

[٣] - انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس مادة(و ح د) (٩٠/٦-٩١)، وانظر: تهذيب اللغة، الأزهري (مادة و ح د) (١٩٢/٥) ، وانظر: لسان العرب، ابن منظور مادة (وحد) (٤٤٦/٣)، وانظر: القاموس المحيط (٤٧٧/١).

[٤] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٧/٢).

العلاقة بين (وحدة الوجود)، وبين (الحلول والاتحاد):

يجد الناظر في المعاني اللغوية لتلك المصطلحات الثلاثة تقارباً بينها من حيث المعنى، ولكن مما لا شك فيه أنه يوجد بينها قدر من التمايز والاختلاف، ولعلنا إذا طالعنا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المصطلحات، نجد أنه قسم رحمه الله الحلول والاتحاد إلى أربعة أقسام:

١- حلول عام.

٢- حلول خاص.

٣- اتحاد عام.

٤- اتحاد خاص.

والتفريق بين هذه الأقسام الأربعة في غاية الأهمية؛ إذ به نفهم تعبيرات شيخ الإسلام وإطلاقاته المتعددة لكلمة الحلول والاتحاد؛ فيقول رحمه الله :

"وذلك أن القسمة رباعية؛ لأن من جعل الرب هو العبد حقيقة: فإما أن يقول بحلوله فيه، أو اتحاده به، وعلى التقديرين: فإما أن يجعل ذلك مختصاً ببعض الخلق كالمسيح، أو يجعله عاما لجميع الخلق، فهذه أربعة أقسام :

الأول: هو الحلول الخاص، وهو قول النسطورية من النصارى ونحوهم ممن يقول: إن اللّاهوت حلّ في الناسوت وتدرّع به، كحلول الماء في الإناء، وهؤلاء حققوا كفر النصارى؛ بسبب مخالطتهم للمسلمين وكان أولهم في زمن المأمون، وهذا قول من وافق هؤلاء النصارى من غالية هذه الأمة، كغالية الرافضة الذين يقولون: إنه حلَّ بعلي بن أبي طالب وأئمة أهل بيته، وغالية النسّاك الذين يقولون بالحلول في الأولياء، ومن يعتقدون فيه الولاية أو في بعضهم كالحلاج ويونس والحاكم ونحو هؤلاء.

والثاني: هو الاتحاد الخاص، وهو قول يعقوبيّة النصارى، وهم أخبث قولاً وهم السودان والقبط يقولون: إن اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء، وهو قول من وافق هؤلاء من غالية المنتسبين إلى الإسلام.

والثالث: هو الحلول العام، وهو القول الذي ذكره أئمة أهل السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، وهو قول غالب متعبدة الجهمية؛ الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان؛ ويتمسكون بمتشابه من القرآن كقوله:﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴿٣﴾ ﴾[1]، وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴿٤﴾ ﴾[2]، والرد على هؤلاء كثير مشهور في كلام أئمة السنة وأهل المعرفة وعلماء الحديث.

الرابع : الاتحاد العام، وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى"[3].

إذن: فمذاهب القائلين بالحلول والاتحاد هي في الأصل مذاهب تقرّ بتعدّد الوجود، ولكن حصل بين هذا التعدد نوع امتزاج، بينما مذهب وحدة الوجود ينفي التعدّد من الأصل، فالوجود عندهم واحد ولا يتعدّد.

لذلك فإن أهل وحدة الوجود لا يرتضون وصفهم بـ"الحلوليّة"؛ بل يرون هذا من خلاف التوحيد؛ لإثبات حال ومحل.

لذلك فإننا نجد أن ابن عربي الطائي -إمام أهل وحدة الوجود- يقول:

"والقائلون بالحلول غير موحّدين[4]؛ لأنهم أثبتوا أمرين: حالٌ، ومحلٌ"[1].

---

[1] - سورة الأنعام، آية (٣).

[2] - سورة الحديد، آية (٤).

[3] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢/١٧١).

[4] - ولعل هذا ما يفسر لنا بعض العبارات المشهورة، والتي يحتج بها من يدافع عن ابن عربي في هذا الزمان ويدّعي نفي نسبة وحدة الوجود إليه؛ مثل عبارة" (من قال بالحلول: فدينه معلول، ومن قال بالاتحاد: فهو من أهل الإلحاد)، فيتضح -مما سبق ذكره- أن هذه العبارة وغيرها:

أولاً: إما مدسوسة في كتب ابن عربي من قِبل بعض أنصاره الذين يريدون تحسين الوجه القبيح لعقيدته الفاسدة؛ من خلال دسّ بعض العبارات التي يلبسون بها على الناس بعد ذلك.

فأهل وحدة الوجود ينكرون التعدد في الذوات، فما ثمّ ذات للخالق وذات للمخلوق؛ بل الوجود عندهم واحد، وفي ذلك أيضاً يقول ابن عربي:

"والعابد من كل عابد إنما هو الواحد فما ثمّ إلّا الواحد، والإثنان إنما هو واحد، وكذلك الثلاثة والأربعة والعشرة والمائة والألف إلى ما لا يتناهى، ما تجد سوى الواحد ليس أمراً زائداً"[٢].

وقال في قوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿١﴾ ﴾[٣] :" فما نكح سوى نفسه، فمنه الصاحبة والولد، والأمر واحد في العدد".[٤]

ويقول أيضاً في بيان أن العين واحدة، وما ثمّ خالق ولا مخلوق:

"فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا ... وليس خلقاً بذاك الوجه فادكروا
جمع وفرق فإن العين واحدة ... وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر".[٥]

- ومما يؤيد هذا التبرير مخالفة هذه العبارة لعموم كلامه الذي قرره في كتبه المعتمدة المشهورة، مثل: (فصوص الحكم) و(الفتوحات المكيّة).

ثانياً: أو يقال أن هذا من أسلوب المكر والدهاء الذي كان يتبعه ابن عربي في مؤلفاته -كما سبق بيانه في مقدمة هذا البحث-؛ حيث أنه يلجأ إلى هذا الأسلوب للتعمية على عقيدته الفاسدة.

ثالثاً: أو يكون هذا من باب نفي المرتبة الدنيا -حسب اعتقاده-، والتي هي القول بالحلول والإتحاد؛ ليطلب لنفسه القول بما هو أعلى من ذلك -عنده- وهو القول بوحدة الوجود، وهو الراجح.

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣٦٦/١٢).

[٢] - الأحديّة، ابن عربي (ص٤٦).

[٣] - سورة النساء، آية (١).

[٤] - فصوص الحكم، ابن عربي (٧٨/١).

[٥] - المصدر السابق (٧٩/١).

ومنه قوله أيضاً:

"فالحق عين العبد ليس سواه ... والحق غير العبد لست تراه
فانظر إليه به على مجموعه ... لا تفردنه فتستبيح حماه".[1]

فوحدة الوجود مذهب فلسفي، مفاده: أن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبره ابن عربي -تعالى الله عما يقول علوّاً كبيراً- صورة هذا العالم المخلوق.

وقد تبنى ابن عربي هذه النظرية الفلسفية الباطلة -التي سبق وأن بيّنا أن لها روافد فارسية وهندية قديمة[2]- فإليه تنسب هذه الفكرة الباطلة؛ فهو المنظّر والداعم الحقيقي لها؛ كما يقول د. أبو العلا عفيفي في مقدمته لكتاب "فصوص الحكم":

"ولم يكن لمذهب وحدة الوجود وجود في الإسلام في صورته الكاملة قبل ابن عربي، فهو الواضع الحقيقي لدعائمه والمؤسس لمدرسته، والمفصل لمعانيه والمصوّر له بتلك الصورة النهائية التي أخذ بها كل من تكلم في هذا المذهب من المسلمين من بعده"[3].

ويتلخص مذهب ابن عربي في وحدة الوجود في إنكاره لعالم الظاهر، ولا يعترف بالوجود الحقيقي إلّا لله، فالخلق هم ظل للوجود الحق، فلا موجود إلّا الله؛ فهو الوجود الحق عنده.

فابن عربي يقرر أن كل هذه الموجودات القائمة من السماء والأرض والجن والإنس والملائكة والحيوان والنبات ما هي إلّا الله، وأن هذه الموجودات هي عين وجوده، وأنه لا يوجد خالق ومخلوق ولا رب ولا عبد، بل الخالق هو عين المخلوق، والعبد هو عين الرب، والرب هو عين العبد، وأن الملك والشيطان، والجنة والنار، والطهر

---

[1] - الفتوحات المكية، ابن عربي (١٤١/٤).

[2] - انظر: المطلب الثالث من تمهيد هذا البحث.

[3] - انظر: مقدمة كتاب فصوص الحكم، ابن عربي ص (٢٥)، تحقيق: د.أبو العلا عفيفي.

والنجاسة وكل المتناقضات والمتضادات ما هي إلّا عين واحدة تتصف بكل صفات الموجودات، وهي عين الله الواحد الذي ليس معه غيره.

ويلخّص ابن عربي تلك العقيدة الفاسدة فيقول:

"فما نظرت عيني إلى غير وجهه ... وما سمعت أذني خلاف كلامه"[١].

ويقول أيضاً:

"سبحان من لا أرى سواه ... في كل شيء تراه عيني
وذلك فرق يراه عقلي ... ما بين معبوده وبيني"[٢].

ويقول أيضاً:

عجبت لموجود حوى: كل صورة ... من الملأ العلوي، والجن والبشر
ومن عالم أدنى، ومن عالم علا، ... ومن حيوان كان، أو ثبت[٣]، أو حجر
وليست سواه ، ولا هي عينه ... وفي كل شيء شاء من صورة ظهر
هو الحي، لكن: لا حياة بذاته ... تقوم كما قامت بها سائر الصور
ويبدو إلى الأبصار من حيث ذاته ... ويخفى على الألباب ذاك، ويستتر"[٤].

وقد ذكر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أيضاً ما يبيّن وقوعه في نفي التعدد، وعدم التمييز بين الحق والخلق؛ فقد ذكر شيخ الإسلام عنه قوله: "ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه،

---

[١] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢/٤٥٩).

[٢] – ديوان ابن عربي ص(٤٣٢)، انظر: حقيقة العبادة عند ابن عربي، كرم أمين أبو كرم ص (٥٠).

[٣] – لعلها: "أو نبت"، ولكني نقلتها كما هي من المصدر المذكور.

[٤] – ديوان ابن عربي ص(٤٣٢)، وانظر: حقيقة العبادة عند ابن عربي ص (٥٠).

فالآمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة"[1].

ومع كوننا نلحظ الفارق الجوهري بين (وحدة الوجود) من جهة وبين (الحلول والاتحاد) من جهة أخرى، إلّا أن كثيراً من العلماء يطلق على مذهب وحدة الوجود: مذهب الإتحاد، ويسمون أهله بالاتحادية، وهذا يقع كثيراً عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مع أن لفظ الإتحاد يوهم معنى التثنية المخالفة لمفهوم الوحدة؛ فنجد مثلاً أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول:

"إن لفظة الاتحاد عندهم ليست مطابقة لمذهبهم؛ فإن عندهم ما زال واحداً ولا يزال، لم يكن شيئان فصارا واحداً، ولكن كانت الكثرة والتفرق في قلب الإنسان لما كان محجوباً عن شهود هذه الحقيقة، فلما انكشف الحجاب عن قلبه شهد الأمر، فالمراتب في اعتقاده وخياله، وأما الكثرة والتفرق فهو عندهم بمنزلة أجزاء الكل، و جزئيات الكليات"[2].

وأيضاً يمكن أن نستنبط من الأمثلة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الفرق بين: (الحلول) و(الاتحاد): فالحلول هو دعوى أن يحل الخالق سبحانه وتعالى بالمخلوق من غير امتزاج، بل يكون المخلوق ظرفاً للخالق؛ كما يؤيد ذلك التعريف اللّغويّ للحلول، فتبقى للخالق خاصيَّته وربوبيته، وتبقى للمخلوق خاصيَّته.

وأما الاتحاد فهو دعوى الامتزاج والاختلاط بين الخالق والمخلوق، فتمتزج الذاتان، وينعدم الفرق بينهما في الخواص، فتصيران ذاتاً واحدةً.

وبهذا يكون الاتحاد في درجةٍ أبعد وأشد غلوّاً وكفراً من الحلول.

---

[1] - انظر: مجموع الفتاوى (٢/١١٣).

[2] - المستدرك على مجموع الفتاوى، ابن قاسم (١/٣٨)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٦/١٥٢).

وعموماً: فإن حاصل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن (الحلول)، و(الاتحاد) على قسمين:

أولاً: القول بوجود ذاتٍ لله، وذاتٍ للمخلوق، ثم حصل بينهما امتزاج، إما بالحلول أو بالاتحاد.

ثانياً: عدم القول بوجود ذاتين مفترقتين، بل ما ثَمَّ إلا ذاتٌ واحدة، وهو القول بوحدة الوجود.

لذا فإننا نجد في عبارات شيخ الإسلام إطلاق لفظة: (الاتحاد) –كما سبق–، وعند التحقيق يتبيّن أنه يريد به وحدة الوجود؛ فيكون المراد هو (الاتحاد العام)، وقد يطلق أيضاً لفظة: (الحلول) ويراد به وحدة الوجود؛ فيكون المراد (الحلول العام).

وهذا ما يفسر اختلاف إطلاقاته رحمه الله، حيث يشعر كلامه في بعض المواضع بالتفريق بين معنى الاتحاد ومعنى وحدة الوجود، بينما يظهر من كلام آخر له أنه جعل الاتحاد بمعنى وحدة الوجود، وسمَّى من عُرفوا بوحدة الوجود: اتحادية.

فقد ذكر أن " الحلولية يقولون: هو في جميع المصنوعات، والاتحادية يقولون: هو جميع المصنوعات"[١].

والجمع بين المقامين: أن الاتحاد الذي جعله بمعنى وحدة الوجود هو الاتحاد العام لا الاتحاد الخاص، كذلك فإن الحلول الذي يكون بمعنى وحدة الوجود هو الحلول العام لا الحلول الخاص.

ومما يُبيّن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وهؤلاء الملاحدة قالوا: هذا هو هذا، أي: وجود المخلوق هو وجود الخالق؛ ولهذا صاروا يقولون بالحلول من وجه؛ لكون الوجود في كل الذوات وبالعكس، وبالاتحاد من وجه؛ لاتحادهما، وحقيقة قولهم هي وحدة الوجود"[٢].

---

[١] – المستدرك على مجموع الفتاوى(١/ ٣٧) وانظر:الاستقامة، ابن تيمية(١/ ١٨٨).

[٢] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية(٢/٣٧٢)، وانظر: بغية المرتاد ص(٤١٨).

ويزيد الأمر بياناً ما بيّنه أيضاً -رحمه الله- في تقسيمه السابق للحلول والاتحاد.

وعموماً ففي إطلاق أحد هذه المصطلحات على الآخر توسع وتسامح عند بعض المتقدمين؛ لتقارب مفاهيمها، ووجود قاسم مشترك بينها؛ كما سبق بيانه عند ذكر القسمة الرباعيّة التي ذكرها شيخ الإسلام.

مع الإقرار بالفرق بينهما عند التحقيق كما سبق بيانه قريباً، والله أعلم.

إذن فالقول بوحدة الوجود يعني أنه لا تمييز بين الخالق والمخلوق، وأن الخالق هو هذا العالم الذي نراه.

وبناء على هذه الفلسفة التي آمن بها ابن عربي الطائي فإن جميع الناس في نظره على حق حتى عبدة الأصنام، وانتصاراً منه لهذه الفكرة المبتدعة قام بتحريف نصوص الكتاب والسنة على غرار تحريف القرامطة الباطنية.

وهذا أمر واضح يدركه كل مطلع على مصنفاته، وقد وجدت هذه المصنفات من يعتني بها، شرحاً وتعليقاً وتحقيقاً ونشراً، وخاصة من جانب المستشرقين أعداء الدين[١].

---

[١] - انظر: رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، الدويّش ص٥.

المطلب الثاني : لازم القول بوحدة الوجود

إن القول بوحدة الوجود أفسد قول قيل عن رب العالمين سبحانه وتعالى، لذا كان لازم هذا القول أفسد اللوازم على الإطلاق؛ لأن الأصل إن كان فاسداً فإن ما تفرّع عليه ولزم منه يكون فاسداً ولا شك.

فإن القائلين بوحدة الوجود يستوي عندهم العابد والمعبود فلا يفرّقون بين العبد والرب؛ فيدعون أن الرب عين الخلق، والخلق عين الرب، ويقول قائلهم –كما ذكر عنهم ابن تيمية رحمه الله–: "لو رأى الناس الحق لما رأوا عابدًا ولا معبودًا"[1].

فلازم هذا القول أن الإنسان إذا توجّه لأي معبود كان بأي نوع من أنواع العبادة فإنه إنما يعبد الله عز وجل في الحقيقة –تعالى الله عن قولهم الباطل علواً كبيراً–.

يقول ابن عربي في ذلك:

"عقد الخلائق في الإله عقائدا ... وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه"[2].

فتفرّع على هذا عندهم صحّة دين النصارى في عبادتهم لعيسى عليه السلام ، بل صحّة دين عبدة الأوثان والأصنام ، بل ذهب بهم الضلال إلى تصحيح كل دين وتصويب عبادة كل معبود ؛ لأنه ما ثمّ إلّا الله –عندهم–، فإن العبد إذا توجه لله بالعبادة فإنه في الحقيقة إنما يتوجه بها إلى نفسه؛ لأنه ما ثمّ إلّا الله، يقول ابن عربي:

"فيحمدني وأحمده ... ويعبدني وأعبده

ففي حال أقر به ... وفي الأعيان أجحده

فيعرفني وأنكره ... وأعرفه فأشهده

لذاك الحق أوجدني ... وحقق في مقصده"[3].

---

[1] – انظر : مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٧/٢).

[2] – فصوص الحكم، شرح عبد الرزاق الكاشاني ، ص١٥٤ .

[3] – فصوص الحكم، ابن عربي (٨٣/١).

ومن تأمل هذه اللوازم الباطلة تبيّن له صحة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم، فإنهم جمعوا بين الغيّ في شهوات بطونهم وفروجهم وبين مضلّات الفتن، فاستحلّوا الفروج والحرمات ، واستباحوا المحرمات ، وصححوا جميع الديانات؛ فقال:

"وهؤلاء يجمعون بين الضلال والغيّ، بين شهوات الغيّ في بطونهم وفروجهم، وبين مضلّات الفتن ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغَيِّ في بطونكم وفروجكم)[1]، حتى يبلغ الأمر بأحدهم إلى أن يهوى المردان، ويزعم أن الرب تعالى تجلى في أحدهم، ويقولون: هو الراهب في الصومعة، وهذه مظاهر الجمال، ويُقبّل أحدهم الأمرد، ويقول: أنت الله.

ويذكر عن بعضهم أنه كان يأتي ابنه، ويدعي أنه الله رب العالمين، أو أنه خلق السموات والأرض، ويقول أحدهم لجليسه: أنت خلقت هذا، وأنت هو، وأمثال ذلك. فقبح الله طائفة يكون إلهها الذي تعبده هو موطوؤها الذي تفترشه، وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منهم صَرْفا ولا عَدْلا"[2].

فحقيقة قول هؤلاء هو قول فرعون؛ لأن حقيقة قولهم صريح النفاق؛ ولكنهم لم يستطيعوا جحد الخالق سبحانه وتعالى، فنطقوا بهذه المقالات الضالّة، تلبيساً منهم على أهل الإسلام، وتمسُّحاً في دين الإسلام، ولكن الفرق بينهم وبين فرعون: أن فرعون كان مظهراً للجحود والإنكار، أما هم فلم تكن عندهم الجرأة على الجهر بذلك؛ كما بيّن شيخ الإسلام أن:

"حقيقة قولهم هو قول فرعون، لكن فرعون ما كان يخاف أحدًا فينافقه فلم يُثبت الخالق، وإن كان في الباطن مقرًا به، وكان يعرف أنه ليس هو إلّا مخلوق، لكن حب

---

[1] - رواه أحمد في مسنده من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ برقم (١٩٧٧٢) ، قال شعيب الأرنؤوط : "رجاله ثقات رجال الشيخين غير علي بن الحكم البناني فمن رجال البخاري وهو لم يسمع من أبي برزة ويحتمل أنه لم يدركه" (٤ / ٤٢٠).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٧٧-٣٧٨)

العلو في الأرض والظلم دعاه إلى الجحود والإنكار، كما قال: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وأما هؤلاء: فهم من وجه ينافقون المسلمين، فلا يمكنهم إظهار جحود الصانع، ومن وجه هم ضلّال يحسبون أنّهم على حق، وأن الخالق هو المخلوق، فكان قولهم هو قول فرعون، لكن فرعون كان معاندًا مظهرًا للجحود والعناد، وهؤلاء إما جُهَّال ضلال، وإما منافقون مبطنون الإلحاد والجحود، يوافقون المسلمين في الظاهر"[2].

ويحكي أيضاً حالهم فيقول رحمه الله: "وكنت أخاطب بكشف أمرهم لبعض الفضلاء الضالين[3]، وأقول إن حقيقة أمرهم هو حقيقة قول فرعون المنكر لوجود الخالق الصانع، حتى حدثني بعض عن كثير من كبرائهم أنهم يعترفون ويقولون: نحن على قول فرعون.

وهذه المعاني كلها هي قول صاحب الفصوص والله تعالى أعلم بما مات الرجل عليه، والله يغفر لجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[4]"[5]. "ولهذا حدثني الثقة أن ابن سبعين كان يريد الذهاب إلى الهند، وقال: إن أرض الإسلام لا تسعه؛ لأن الهند مشركون يعبدون كل شيء حتى النبات والحيوان. وهذا حقيقة قول الاتحادية"[6].

---

[1] – سورة النمل، آية (١٤).

[2] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/١٨٦–١٨٧).

[3] – هكذا في الأصل، ولعله يقصد رحمه الله المنخدعين بحال هؤلاء ممن أحسنوا بهم الظن.

[4] – سورة الحشر، آية (١٠).

[5] – المصدر السابق (٢/٤٦٨).

[6] – المصدر السابق (٢/٤٧٨).

والاتحادية في هذا السياق يعني بهم شيخ الإسلام -رحمه الله-: أصحاب القول بالإتحاد العام الذي هو القول بوحدة الوجود، وليس أصحاب القول بالإتحاد الخاص، كما سبق بيانه قريباً[١] .

وأمثلهم طريقة يفرّقون بين الوجود والثبوت؛ فيقولون أن الذوات بأسرها أزليّة أبديّة وأن وجودها هو وجود الحق، بينما الذوات ليست ذوات الحق؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ويقولون: إن الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم ذاتها أبديّة أزليّة، حتى ذوات الحيوان، والنبات والمعادن، والحركات والسكنات، وأن وجود الحق فاض على تلك الذوات، فوجودها وجود الحق، وذواتها ليست ذوات الحق، ويفرقون بين الوجود والثبوت، فما كنت به فى ثبوتك ظهرت به في وجودك"[٢].

وعلى كلٍ فإن أصحاب هذا المسلك -الذين يفرّقون بين الوجود والثبوت-، أو من سبق ذكرهم -ممن يقولون الرب عين الخلق والخلق عين الرب- كلهم على غيّ وضلال، وأقوالهم هذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض كما ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- أن قائل هذه المقالات يُستتاب وإلّا قتل[٣].

---

[١] - كما مر بيانه في المبحث الأول من هذا الفصل من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ما يُبيّن أن القسمة في الحلول والإتحاد رباعية، وأن ابن عربي في شر الأقسام منها. انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٧١/٢).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٦٦/٢).

[٣] - حيث قال رحمه الله بعد أن ذكر المعاني التي يقصدها أهل الوحدة في كلامهم: "ونحو ذلك من المعاني التي توجد في كلام ابن عربي الطائي وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني ونحوهم من الاتحادية، وكذلك من يقول بالحلول كما يقوله الجهمية الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان ويجعلونه مختلطاً بالمخلوقات، حتى إن هؤلاء يجعلونه في الكلاب والخنازير والنجاسات، أو يجعلون وجود ذلك وجوده فمن أراد هذه المعاني فهو ملحدٌ ضالٌ يجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلّا قُتل، والله سبحانه وتعالى أعلم". انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٩٠/٢).

المطلب الثالث: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بوحدة الوجود:

لما كانت هذه العقيدة باطلة بدلالة الكتاب والسنة والعقل والفطرة، كان موقف شيخ الإسلام –رحمه الله– من هذه العقيدة المنحرفة واضحاً صريحاً: أن وسمها بالإلحاد والضلال، بل إن قائلها يُستتاب من هذا الكفر البيّن فإن تاب وإلّا قُتل[١].

وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في جوابه لما سُئل عن مقولة: (ما ثمّ إلّا الله)، وبيّن أن هذه العبارة تحتمل معنى صحيحاً ومعنى باطلاً ، فقال رحمه الله:

" قول القائل: ما ثمّ إلّا الله: لفظٌ مجمل، يحتمل معنى صحيحًا ومعنى باطلاً "[٢].

وهذا من كمال إنصافه رحمه الله وتوضيحه للمجملات والمشكلات من الألفاظ، فقد ذكر –رحمه الله تعالى– أن المعنى الصحيح من هذه العبارة قد يكون مقبولاً، وهو إن أراد به القائل صريح التوحيد، فإن صريح التوحيد قد جاء به القرآن الكريم.

قال –رحمه الله–: "فإن أراد ما ثمّ خالق إلّا الله، ولا ربّ إلّا الله، ولا يجيب المضطرين ويرزق العباد إلّا الله فهو الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويعزّ ويذل، وهو الذي يستحق أن يستعان به ويتوكل عليه، ويستعاذ به، ويلتجئ العباد إليه، فإنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد؛ كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۝١٢٣﴾[٤]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾[٥].

---

[١] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٩٠).

[٢] – المصدر السابق (٢/٤٨٨).

[٣] – سورة الفاتحة، آية (٥).

[٤] – سورة هود، آية (١٢٣).

[٥] – سورة الرعد، آية (٣٠).

فهذه المعاني كلها صحيحة، وهي من صريح التوحيد، وبها جاء القرآن، فالعباد لا ينبغي لهم أن يخافوا إلّا الله، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ٤٤ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ ﴾[٢]، إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥ ﴾[٣].

وكذلك لا ينبغي أن يرجى إلّا الله؛ قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٣٨ ﴾[٥]، ولا ينبغي لهم أن يتوكلوا إلّا على الله؛ كما قال قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢ ﴾[٦]، ولا ينبغي لهم أن يعبدوا إلّا الله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾[٧]، ولا يدعوا إلّا الله، كما قال

---

[١] - سورة المائدة، آية (٤٠).

[٢] - سورة آل عمران، آية (١٧٣).

[٣] - سورة آل عمران، آية (١٧٥).

[٤] - سورة فاطر، آية (٢).

[٥] - سورة الزمر، آية (٣٨).

[٦] - سورة إبراهيم، آية (١٢).

[٧] - سورة البيّنة، آية (٥).

تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾[٢]، سواء كان دعاء عبادة أو دعاء مسألة"[٣].

ثم بيّن -رحمه الله- المعنى الباطل الذي يريده غالب من يطلق هذه العبارة من غلاة الصوفية؛ وهو المعنى الذي أراده ابن عربي في كلامه، ومعناه القول بوحدة الوجود، وأنه ما ثمّ خالق ومخلوق، وأن الرب عين الخلق والخلق عين الرب، فهذا هو الذي يريده ابن عربي من إطلاقه لعبارة " ما ثمّ إلّا الله ".

فيقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإن كلام الرجل يفسر بعضه بعضاً، وهذا الأصل -وهو القول بوحدة الوجود- قوله وقول ابن سبعين، وصاحبه الشَشتري[٤]،

والتلمساني[٥]، (والصدر القونوي، وسعيد الفرغاني، وعبد الله البلياني، وابن الفارض صاحب نظم السلوك)[٦]، وغير هؤلاء من أهل الإلحاد، القائلين بالوحدة والحلول والاتحاد"[٧].

---

[١] - سورة الجنّ، آية (١٨).

[٢] - سورة الشعراء، آية (٢١٣).

[٣] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٨٨-٤٨٩).

[٤] - علي بن عبد الله النميري الششتري أبو الحسن، متصوف أندلسي، من أهل ششتر -من عمل عمل وادي آش-، تنقل في البلاد، وتوفي بقرب دمياط ودفن فيها سنة ٦٦٨ هـ، من كتبه: المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية، وله ديوان شعر. انظر: الأعلام، الزركلي (٤/ ٣٠٥).

[٥] - سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكُومي التلمساني، شاعر تنقل في بلاد الروم، يتبع طريقة ابن عربي، واتهم برقّة الدين والميل إلى مذهب النصيرية، وله: شرح الفصوص لابن عربي، شرح منازل السائرين للهروي، ومات بدمشق ٦٩٠ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٣/١٣٠).

[٦] - سبق ترجمتهم ص(٣٨).

[٧] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/١١٥).

وكما جاء عن ابن عربي في كتبه ما يدل على أنه لم يقصد بمقالاته هذه صريح التوحيد الذي جاء به القرآن الكريم؛ وإنما أراد المعنى الباطل الذي هو وحدة الوجود؛ كقوله مثلاً: "سبحان من أوجد الأشياء وهو عينها"[١]، وقوله أيضاً في الفصوص: "فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء"[٢].

وقال أيضاً:

"الربُّ حقٌّ والعبدُ حقٌّ ... يا ليتَ شعري من المكلَّف
إنْ قُلتُ عبدٌ فذاك ميْتٌ ... أو قلتُ ربٌّ أنى يُكلَّف".[٣]

وقال:

"لا تراقب فليس في الكون إلّا ... واحد العين وهو عين الوجود
فيسمى في حالة بمليك ... ويكنى في حالة بالعبيد"[٤].

وفي حكم تلك المقالة الفاسدة يقول الإمام الحافظ العراقي[٥] رحمه الله:

"وأما قوله: (فهو عين ما ظهر وعين ما بطن)، فهو كلام مسموم ظاهره القول بالوحدة المطلقة، وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء"[٦].

---

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢/٤٥٩).

[٢] - فصوص الحكم، ابن عربي (١/١٩٢).

[٣] - المصدر السابق (١/٩٤).

[٤] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٤/٢٥٣).

[٥] - عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل زين الدين المعروف بالحافظ العراقي، بحاثة بحاثة من كبار حفاظ الحديث، أصله من الكرد، ومولده في رازنان -من أعمال إربل- تحوّل صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة ٨٠٦ هـ، من كتبه (المغني عن حمل الأسفار في الإسفار) في تخريج أحاديث الإحياء. الأعلام، الزركلي (٣/ ٣٤٤).

[٦] - مصرع التصوف، البقاعي ص(٦٤).

ويتابع شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– تفصيله لهذه العبارة قائلاً:

"وأما إن أراد القائل: (ما ثمّ إلّا الله)، ما يقوله أهل الاتحاد، من أنه ما ثمّ موجود إلّا الله، ويقولون: ليس إلّا الله، أي ليس موجود إلّا الله، ويقولون: إن وجود المخلوقات هو وجود الخالق، والخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، والعبد هو الرب، والرب هو العبد، ونحو ذلك من معاني الاتحادية، الذين لا يفرّقون بين الخالق والمخلوق، ولا يثبتون المباينة بين الرب والعبد، ونحو ذلك من المعاني التي توجد في كلام ابن عربي الطائي وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني ونحوهم من الاتحادية.
وكذلك من يقول بالحلول كما يقوله الجهميّة، الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، ويجعلونه مختلطاً بالمخلوقات، حتى إن هؤلاء يجعلونه في الكلاب والخنازير والنجاسات، أو يجعلون وجود ذلك وجوده، فمن أراد هذه المعاني فهو مُلْحِدٌ ضالٌّ، يجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل، والله –سبحانه وتعالى– أعلم"[1].

"والمقصود: أن هذا حقيقة ما تضمنه كتاب الفصوص المضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه جاء به، وهو ما إذا فهمه المسلم علم بالاضطرار أن جميع الأنبياء والمرسلين، وجميع الأولياء والصالحين، بل وجميع عوام أهل الملل من اليهود والنصارى والصابئين، يبرؤون إلى الله تعالى من بعض هذا القول فكيف منه كله، ويعلم أن المشركين عباد الأوثان والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخالق البارئ المصور، الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ربهم ورب آبائهم الأولين، رب المشرق والمغرب، ولا يقول أحد منهم إنه عين المخلوقات ولا نفس المصنوعات، كما يقوله هؤلاء حتى إنهم يقولون لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله"[2].

---

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٩٠).

[2] – المصدر السابق (٢/٤٦٩).

مسألة:

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مجموعة فصول متعاقبة في (مجموع الفتاوى) يوضح بها: "ما عليه أهل العلم والإيمان من الأولين والآخرين، مما يشبه الاتحاد والحلول الباطل وهو حق –وإن سمي حلولاً أو اتحاداً–، وهو ما عليه أهل الإسلام وأهل السنة والجماعة، وأهل المعرفة واليقين من جميع الطوائف بدلالة الكتاب والسنة"[١].

فيقول مبيناً المعنى الصحيح لـ"الحلول" الذي دلّ عليه الكتاب والسنة:

"هو أن المؤمن لابد أن يقوم بقلبه من معرفة الله والمحبة له، ما يوجب أن يكون للمعروف المحبوب في قلبه من الآثار ما يشبه الحلول من بعض الوجوه، لا أنه حلول ذات المعروف المحبوب، لكن هو الإيمان به ومعرفة أسمائه وصفاته. قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢]، قال أُبَيّ بن كعب: مثل نوره في قلب المؤمن فهذه هي الأنوار التي تحصل في قلوب المؤمنين[٣]"[٤].

وبيّن رحمه الله أن هذا الذي يكون في القلب من الإيمان واليقين، هو المعيار الحقيقي الذي تتفاوت على أساسه القلوب والأعمال، وهو الذي رجح بأبي بكر –رضي الله عنه– عن سائر الأمة؛ ففي الحديث: (ما سبقكم أبو بكر بفضل صلاة ولا صيام، ولكن بشيء وَقَرَ في قلبه)[٥].

---

[١] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٨١/٢).

[٢] – سورة النور ، آية (٣٥).

[٣] – انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري (١٩/ ١٧٩).

[٤] – المصدر السابق (٣٨٣/٢).

[٥] – لم أجده إلا في: بحر الفوائد، أبو بكر مُحَمَّد بن أبي إسحاق البخاري الحنفي ص(٢٧٦).

"وفي كتاب الزهد للإمام أحمد عن سيار، حدثنا جعفر عن عمران القصير قال: قال موسى: (يا رب، أين أجدك؟ قال: يا موسى، عند المنْكَسِرةِ قلوبُهُم من أجلي، أقترب إليها كل يوم شبرًا، ولولا ذلك لاحترقت قلوبهم)[1].

وقد يتوسع في العبارة عن هذا المعنى، حتى يقال: ما في قلبي إلّا الله، ما عندي إلّا الله، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله عز وجل: (أما علمت أن عبدي فلاناً مرض؟ فلو عُدْتَه لوجدتني عنده)[2]، ويقال:

(ساكن في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكره)[3]

ويقال:

(مثالك في عيني وذكراك في فمي ... ومثواك في قلبي؛ فأين تغيب؟)[4]

---

[1] - أخرجه الإمام أحمد في "الزهد" في: (ذكر زهد موسى عليه السلام)، ولفظه: عن عمران القصير قال: "قال موسى بن عمران: أي رب، أين أبغيك؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم؛ إني أدنو منهم كل يوم باعاً، ولولا ذلك لانهدموا" ص(٦٤).

[2] - رواه مسلم ، "كتاب: البر والصلة والأدب"، "باب فضل عيادة المريض"، برقم (٦٧٢١)، عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين، قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين، قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي" (١٣/٨).

[3] - قائل البيت هو: أبو العلاء مُحَّد بن مُحَّد بن سماك العاملي. انظر: الكتيبة الكامنة، لسان الدين ابن الخطيب ص(١٩٨).

[4] - قائل البيت هو:أبو الحكم ابن غلندو الاشبيلي، ولد بأشبيلية وبها نشأ، وكان أديباً شاعراً، جيد الشعر متفنناً متميزاً بصناعة الطب.انظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (٣/ ١١٩٤).

وهذا القدر يقوى قوة عظيمة، حتى يعبر عنه بالتجلي والكشف ونحو ذلك باتفاق العقلاء، ويحصل معه القرب منه، كما قال النبي ﷺ: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[١]، وقال الله تعالى في الحديث القدسي: (من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً)[٢]"[٣] .

ويتابع أيضاً رحمه الله الحديث عن هذه الألفاظ المشكلة؛ فيقول في بيان المعنى الصحيح لـ"الاتحاد" الذي دلّ عليه الكتاب والسنة فيقول رحمه الله تعالى: "فالعبد المؤمن إذا أناب إلى ربه، وعبده ووافقه، حتى صار يحب ما يحب ربه، ويكره ما يكره ربه، ويأمر بما يأمر به ربه، وينهى عما ينهى عنه ربه، ويرضي بما يرضي ربه، ويغضب لما يغضب له ربه، ويعطي من أعطاه ربه، ويمنع من منع ربه، فهو العبد الذي قال فيه النبي ﷺ فيما رواه أبو داود من حديث القاسم عن

---

[١] – رواه مسلم ، "كتاب: الصلاة"، "باب: ما يقال في الركوع والسجود"، برقم (١١١١)، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء" (٢/٤٩).

[٢] – متفق عليه، رواه البخاري، "كتاب: بدء الوحي"، "باب: قول الله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ (٢٨) ﴾ "،برقم (٧٤٠٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) (٩/١٤٧-١٤٨) . – ورواه مسلم ، "كتاب: باب الذكر والدعاء والتوبة" ،"باب: الحث على ذكر الله تعالى"، برقم (٦٩٨١)، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتاني يمشى أتيته هرولة) (٨ / ٦٢).

[٣] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٨٥-٣٨٦) .

أبي أمامة: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان)[1]، وصار هذا العبد دينه كله لله، وأتى بما خلق له من العبادة، فقد اتحدت أحكام هذه الصفات التي له وأسبابها بأحكام صفات الرب وأسبابها.

وهم في ذلك على درجات، فإن كان نبياً كان له من الموافقة لله ما ليس لغيره، والمرسلون فوق ذلك، وأولوا العزم أعظم، ونبينا مُحَمَّد ﷺ له الوسيلة العظمى في كل مقام، فهذه الموافقة هي الإتحاد السائغ، سواء كان واجباً أو مستحباً، وفي مثل هذا جاءت نصوص الكتاب والسنة"[2].

"فهذان المعنيان صحيحان ثابتان، بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان: أما الأول: وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة، فهذا فرض على كل أحد ولابد لكل مؤمن منه، فإن أدى واجبه فهو مقتصد، وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه،وإن تركه كله فهو كافر بربه.

وأما الثاني: وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه، ويرضاه ويسخطه، فهذا على الإطلاق إنّما هو للسابقين المقربين، الذين تقربوا إلى الله بالنوافل، التي يحبها ولم يفرضها، بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها"[3].

والقول بوحدة الوجود كما أنه فاسد ومعارض لجميع الشرائع، فإنه أيضاً مصادم للعقل والفطرة السليمة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في معرض ردّه واستدلاله بالأدلة العقلية على أهل الوحدة: "فإذا كان هو هو: فنحن نضربك ونقتلك والشيء قتل نفسه وأهلك نفسه!!.

---

[1] - رواه أبو داود في سننه ، "كتاب: الطب" ، "باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه"، برقم (٤٦٨٣) ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بلفظه (٣٥٤/٤).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٨٨/٢-٣٨٩).

[3] - المصدر السابق (٣٩٤/٢).

والإنسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴿٢٣﴾ ﴾[١]؛ لكون نفسه أمرته بالسوء، والنفس أمارة بالسوء، لكن جهة أمرها ليست جهة فعلها، بل لابد من نوع تعدد، إما في الذات وإما في الصفات.

وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار أن هذا الرجل الذي ظلم ذاك ليس هو إياه، وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه.

وإذا كان هذا في المخلوقين: فالخالق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً"[٢].

فهذا المذهب الباطل يكفي في بيان بطلانه مجرد تصوره، فهذا كافٍ في ردّ الفطرة والعقل له؛ يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

"واعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه، لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً، فإن هذا لا يكون إلّا للحق.

فأما القول الباطل فإذا بُيّن فبيانه يظهر فساده، حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم إياه!!.

ولا ينبغي للإنسان أن يعجب، فما من شيء يتخيل من أنواع الباطل إلّا وقد ذهب إليه فريق من الناس؛ ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم (أموات)[٣]،

---

[١] – سورة الأعراف، آية (٢٣).

[٢] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٥٧).

[٣] – قال الله تعالى في سورة النحل، آية(٢١): ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

وأنهم (صم بكم عمي)[1]، وأنهم (لا يفقهون)[2]، (ولا يعقلون)[3]، وأنهم (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك)[4]، وأنهم (في ريبهم يترددون)[5]، وأنهم (يعمهون)[6]"[7].

"ولولا أن أصحاب هذا القول كثروا وظهروا وانتشروا، وهم عند كثير من الناس سادات الأنام، ومشايخ الإسلام، وأهل التوحيد والتحقيق، وأفضل أهل الطريق، حتى فضلوهم على الأنبياء والمرسلين وأكابر مشايخ الدين، لم يكن بنا حاجة إلى بيان فساد هذه الأقوال وإيضاح هذا الضلال.

---

[1] – قال الله تعالى في سورة البقرة، آية (١٨): ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ ﴾، وقال أيضاً في سورة البقرة، آية (١٧١): ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١ ﴾ .

[2] – قال الله تعالى في سورة الأعراف، آية (١٧٩): ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ ﴾ .

[3] – وقال الله تعالى في سورة الأنفال، آية (٢٢): ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ ﴾ .

[4] – قال الله تعالى في سورة الذاريات، آية (٨-٩): ﴿ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ٩ ﴾ .

[5] – قال الله تعالى في سورة التوبة، آية (٤٥): ﴿ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥ ﴾ .

[6] – قال الله تعالى في سورة الأنعام، آية (١١٠): ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠ ﴾ .

[7] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/١٤٥).

ولكن يعلم أن الضلال لا حد له، وأن العقول إذا فسدت لم يبق لضلالها حد معقول، فسبحان من فرق بين نوع الإنسان، فجعل منه من هو أفضل العالمين، وجعل منه من هو شر من الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالأنبياء كتشبيه مسيلمة الكذاب بسيد أولي الألباب، هو الذي يوجب جهاد هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدنيا والدين.

والمقصود هنا: رد هذه الأقوال، وبيان الهدى من الضلال"[١].

فرحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة ..

---

[١] - المصدر السابق (٢/٢٥٧-٢٥٨).

الفصل الثالث

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في أسماء الله جل وعلا

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : موقفه من زعم ابن عربي أن حقيقة الرب وجود مجرد لا اسم له ولا صفة .

المبحث الثاني : موقفه من قول ابن عربي بعدم مباينته سبحانه وتعالى للعالم ، وأن الخالق يحتاج في وجوده إلى المخلوق .

المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي بأن حقيقة الأسماء أمور عدمية .

المبحث الرابع : موقفه من زعم ابن عربي أن الله تعالى لا ينزه عن شيء ، وأن تنزيه الله تعالى هو عين التحديد والتقييد .

المبحث الخامس : زعم ابن عربي تسمية الله سبحانه بما لم يسم به نفسه من أسماء، وموقف شيخ الإسلام من ذلك .

المبحث الأول

موقفه من زعم ابن عربي أن حقيقة الرب وجود مجرد لا اسم له ولا صفة[1]

يثبت أهل السنة لله تعالى الأسماء والصفات على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ فقد قال نعيم بن حماد الخزاعي[2] شيخ البخاري[3] رحمهما الله:

"من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه"[4].

وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن ابن عربي ما يفيد إنكاره لأسماء الله تعالى، ومثال ذلك: إنكاره لاسم الله "العلي"، فيقول: "قال: ومن أسمائه الحسنى العلي؛ على من: وما ثم إلّا هو؟ وعن ماذا؛ وما هو إلّا هو؟.

---

[1] – من المناسب هنا استصحاب ما مرّ ذكره عند الكلام على قول ابن عربي بأن الله تعالى هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، في المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا الباب الأول.

[2] – نعيم بن حماد بن معاوية الخزاعي، ابن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام، العلامة، الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي، المروزي، الفرضي، الأعور، صاحب التصانيف، روى له البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجة، قال عنه الإمام أحمد: لقد كان من الثقات، ت٢٢٨هـ.انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ٥٩٥).

[3] – مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله: حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلم، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، توفي سنة ٢٥٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/٧٩).

[4] – انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم اللالكائي (٢/٥٨٧–٥٨٨).

إلى قوله: ومن عرف ما قرّرناه في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، فالآمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق هو الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة"[1].

فإنكار ابن عربي لأسماء الله تعالى وصفاته؛ وأنه لا اسم له سبحانه ولا صفة؛ لإثبات أن وجود الله تعالى هو الوجود المجرد عن أي اسم أو وصف، وأنه سبحانه هو عين الوجود، كما سبق عند الكلام على عقيدة وحدة الوجود الباطلة.

ولهذا القول الشنيع –أعني: نفي أن يتسمى الله سبحانه باسم، أو يتصف بصفة، وأنه عين الوجود– عدد من اللوازم العظيمة الباطلة.

ومنها: ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله أنه يلزم منه أن تزول حقيقة الله سبحانه إذا زالت السماوات والأرض؛ فيقول رحمه الله:

"ونعلم أن المشركين عباد الأوثان والكفار أهل الكتاب يعترفون بوجود الصانع الخالق البارئ المصور، الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ربّهم وربّ آبائهم الأولين، رب المشرق والمغرب، ولا يقول أحد منهم: إنه عين المخلوقات، ولا نفس المصنوعات، كما يقوله هؤلاء، حتى إنهم يقولون: لو زالت السموات والأرض زالت حقيقة الله"[2].

وقال بعضهم:

"ما الأمر إلّا نسق واحد ... ما فيه من مدح ولا ذم
وإنّما العادة قد خصصت ... والطبع والشارع بالحكم"[3].

ثم بيّن رحمه الله أن منشأ القول بالوجود المطلق المجرد عن الأسماء والصفات عند أهل الوحدة إنّما جاء عن الصابئة، فقال رحمه الله:

---

[1] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (٧٨)، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١٣/٢).

[2] – المصدر نفسه (٤٦٩/٢).

[3] – المصدر السابق (٨٢/٢).

"ومنشأ هذا عن الصابئة كما يبين ذلك عند التأمل؛ فإن الصابئة الخارجين عن التوحيد لله وحده لا شريك له كالمشركين والمجوس، مثل فرعون موسى ونمرود إبراهيم، وغيرهم من البشر: معترفون بالوجود المطلق"[١].

فإن هؤلاء عندهم كل شيء هو الله، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم. وأما على رأي صاحب الفصوص، فإن بعض المظاهر والمستجليات يكون أعظم لعظم ذاته الثابتة في العدم[٢].

فالضلال عند ابن عربي في باب أسماء الله تعالى وصفاته عموماً جاء بسبب قوله الباطل بوحدة الوجود؛ فيقول في فتوحاته:

"تجسدتُ أسمائي فكنتُ كثيراً ... ولم يرني غيري فكنت بصيراً
فيا قائلاً بالغير أين وجوده ... وأين يكون الغير، كنتَ غيوراً"[٣]

"فابن عربي بزعمه: إنما تجلي الذات عنده شهود مطلق هو وجود الموجودات مجرداً مطلقاً لا اسم له ولا نعت، ومعلوم أن من تصور هذا لم يمكن أن يحصل له عنه خطاب، فلهذا زعم أن عند تجلي الذات لا يحصل خطاب.

وأما أبو حفص السهروردي[٤] فكان أعلم بالسنة وأتبع للسنة من هذا وخيراً منه؛ وقد رأى أن ما جاءت به الأحاديث من أن الله يتجلى لعباده ويخاطبهم حين تجليه لهم فآمن بذلك، لكن ابن عربي في فلسفته أشهر من هذا في سنته.

ولهذا كان أتباعهما يعظمون ابن عربي عليه مع إقرارهم بأن السهروردي أتبع للسنة"[٥].

---

[١] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٨٢-٨٣).

[٢] - انظر: المصدر نفسه (٢/٤٧٥).

[٣] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٣٦١).

[٤] - سبق ترجمته.

[٥] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/٥٩٤).

ويتكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قول ابن عربي وقول أهل الوحدة في وجود الله سبحانه،

وقولهم أن: وجوده سبحانه وجود مجرد لا اسم له ولا صفة، فبيّن رحمه الله أنهم قد ورثوا هذا القول من المنطقيين اليونانيين، ويتناول رحمه الله هذا القول بالمناقشة؛ فيقول:

"فإن حقيقة الرب عنده وجود مجرد لا اسم له ولا صفة، ولا يمكن أن يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، ولا له كلام قائم به ولا علم ولا غير ذلك، ولكن يرى ظاهراً في المخلوقات متجلياً في المصنوعات، وهو عنده غير وجود الموجودات وشبهه، وتارة بظهور الكلي في جزئياته كظهور الجنس في أنواعه والنوع في الخاصة كما تظهر الحيوانية في كل حيوان والإنسانية في كل إنسان.

وهذا بناه على غلط أسلافه المنطقيين اليونانيين حيث ظنوا أن الموجودات العينية يقارنها جواهر عقلية بحسب ما تحمل لها من الكليات فيظنون أن في الإنسان المعين إنساناً عقلياً وحيواناً عقلياً وناطقاً عقلياً وحساساً عقلياً وجسماً عقلياً وذاك هو الماهية التي يعرض لها الوجود وتلك الماهية مشتركة بين جميع المعينات، وهذا الكلام له وقع عند من لم يفهمه ويتدبره.

فإذا فهم حقيقته تبين له أنه بكلام المجانين أشبه منه بكلام العقلاء؛ وإنما ذلك لمخالفته للحسّ والعقل، وإنما أتى فيه هؤلاء من حيث إنهم تصوروا في أنفسهم معاني (كلية مطلقة) فظنوا أنها موجودة في الخارج"[١].

ثمّ ذكر رحمه الله تعالى ما يُبين أن ضلال أهل الوحدة في باب الأسماء والصفات، عكس ضلالهم في أمر الأنبياء فقال:

"فضلالهم في هذا عكس ضلالهم في أمر الأنبياء؛ شاهدت أموراً خارجة عن أنفسهم فزعم هؤلاء الملاحدة أن تلك كانت في أنفسهم.

---

[١] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/٥٩٠-٥٩١).

وهؤلاء الملاحدة شهدوا في أنفسهم أموراً (كلية مطلقة) فظنوا أنّها في الخارج وليست إلّا في أنفسهم.

فجعلوا ما في أنفسهم في الخارج وليس فيه، وجعلوا ما أخبرت به الأنبياء في أنفسهم وإنما هو في الخارج، فلهذا كانوا مكذبين بالغيب التي أخبرت به الأنبياء.

ثم جعلوا وجود الرب الخالق للعالمين البائن عن مخلوقاته أجمعين هو من جنس وجود الإنسانية في الأناسي والحيوانية في الحيوان أو ما أشبه ذلك، كوجود الوجود في الثبوت عند من يقول المعدوم شيء.

فإنهم أرادوا أن يجعلوه شيئاً موجوداً في المخلوقات مع مغايرته لها، فضربوا له مثلاً:

تارة بالكليات، وتارة بالمادة والصورة، وتارة بالوجود المغاير للثبوت، وإذا مثّلوه بالمحسوسات مثلوه بالشعاع في الزجاج، أو بالهواء في الصوفة فضربوا لرب العالمين الأمثال، فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً.

وهم في هذه الأمثال ضالون من وجوه:

أحدها: أن ما مثلوا به من المادة مع الصورة والكليات مع الجزئيات والوجود مع الثبوت، كل ذلك يرجع عند التحقيق إلى شيء واحد لا شيئين، فجعلوا الواحد اثنين، كما جعلوا الاثنين واحداً في مثل صفات الله يجعلون العلم هو العالم، والعلم هو المعلوم، والعلم هو القدرة، والعلم هو الإرادة، وأنواع هذه الأمور التي إذا تدبرها العاقل تبيّن له أن هؤلاء من أجهل الناس بالأمور الإلهية، وأعظم الناس قولاً للباطل، مع ما في نفوسهم ونفوس أتباعهم من الدعاوى الهائلة الطويلة العريضة كما يدعي إخوانهم القرامطة الباطنية أنهم أئمة معصومون مثل الأنبياء وهم من أجهل الناس وأضلهم وأكفرهم.

الثاني: أنهم على كل تقدير من هذه التقديرات يجعلون وجوده مشروطاً بوجود غيره الذي ليس هو مبدعاً له؛ فإن وجود الكليات في الخارج مشروط بالجزئيات، ووجود المادة مشروط بالصورة، وكذلك بالعكس، ووجود الأعيان مشروط بثبوتها المستقر في العدم، فيلزمهم على كل تقدير أن يكون واجب الوجود مشروطاً بما ليس

هو من مبدعاته، وما كان وجوده موقوفاً على غيره الذي ليس هو مصنوعاً له لم يكن واجب الوجود بنفسه وهذا بيّن.

الثالث: أن هذا الكلام يعود عند التحقيق إلى أن يكون وجود الخالق عين وجود المخلوقات وهم يصرحون بذلك، لكن يدعون المغايرة بين الوجود والثبوت، أو بين الوجود والماهية، وبين الكل والجزء، وهو المغايرة بين المطلق والمعين؛ فلهذا كانوا يقولون بالحلول، تارة يجعلون الخالق حالاً في المخلوقات ، وتارة محلاً لها وإذا حقق الأمر عليهم بعدم المغايرة كان حقيقة قولهم أن الخالق هو نفس المخلوقات، فلا خالق ولا مخلوق وإنّما العالم واجب الوجود بنفسه.

الرابع: أنّهم يقرون بما يزعمونه من التوحيد عن التعدد في صفاته الواجبة وأسمائه، وقيام الحوادث به وعن كونه جسماً أو جوهراً، ثم هم عند التحقيق يجعلونه عين الأجسام الكائنة الفاسدة المستقذرة، ويصفونه بكل نقص كما صرحوا بذلك قالوا: ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات؟ وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم، وقالوا العلي لذاته هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلّا لمسمى الله خاصة فهو متصف عندهم بكل صفة مذمومة، كما هو متصف بكل صفة محمودة.

-قال- وقد بسط الكلام على هؤلاء في غير هذا الموضع فإن أمرهم أعظم من أن يبسط هنا. ولكن المقصود التنبيه على تشابه رؤوس الضلال حتى إذا فهم المؤمن قول أحدهم أعانه على فهم قول الآخر واحترز منهم، وبين ضلالهم لكثرة ما أوقعوا في الوجود من الضلالات"[١].

---

[١] - المصدر السابق (٥٩١/٧-٥٩٤).

المبحث الثاني

موقفه من قول ابن عربي بعدم مباينته سبحانه وتعالى للعالم ، وأن الخالق يحتاج في وجوده إلى المخلوق:

من المتقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه، غير متحد ولا ممتزج بشيء من مخلوقاته، وعلى هذا أئمة أهل السنة من لدن القرون المفضلة إلى عصرنا هذا، بينما يزعم ابن عربي أن الخالق عين المخلوق.

يقول الإمام الزاهد أبو عبد الله بن بطة العكبري[1] شيخ الحنابلة في كتاب الإبانة من جمعه وهو ثلاث مجلدات في: "باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه":

(أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه)[2].

وقد قال الإمام أبو القاسم اللالكائي[3] رحمه الله: "والصواب نعتقد ونزعم أن الله على عرشه بائن من خلقه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[4].

---

[1] - عبيد الله بن مُحَّد بن مُحَّد بن حمدان، ابن بطة العكبري، الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق، الحنبلي، مصنف كتاب (الإبانة الكبرى) في ثلاث مجلدات، توفي سنة ٣٨٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٦/ ٥٢٩).

[2] - انظر: العلو للعلي الغفار، الذهبي (٢٣٣/١).

[3] - أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الإمام، الحافظ، المجود، المفتي، الرازي، الشافعي، اللالكائي، مفيد بغداد في وقته، قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتاباً في السنة، وعاجلته المنية، خرج إلى الدينور، فأدركه أجله بها في شهر رمضان سنة ٤١٨ هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٧/ ٤١٩).

[4] - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم اللالكائي (١/١٨١-١٨٢).

"وأن الله عز و جل على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسول صلى الله عليه و سلم بلا كيف؛ أحاط بكل شيء علماً، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[١].

قال: "وروي أنه قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل[٢]: (الله عز وجل فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان؟)،

قال: "نعم على العرش، وعلمه لا يخلو منه مكان"[٣].

وفي رواية حنبل أنه سئل عن قوله: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** (٤) ﴾[٤]، وقوله: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ** (٧) ﴾[٥]، فقال: "عالم بالغيب والشهادة، علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة، وسع كرسيه السموات والأرض بعلمه"[٦].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عن السلف رضوان الله عليهم ما يفيد أيضاً بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه، ونفي أن يكون الله تعالى مخالطاً بشيء من مخلوقاته أو ممتزجاً به تعالى الله عن ذلك؛ فقال رحمه الله:

---

[١] – المصدر السابق (١٧٧/١).

[٢] – سبق ترجمته.

[٣] – المصدر السابق (٤٠١/٣) بتصرف يسير.

[٤] – سورة الحديد، آية (٤).

[٥] – سورة المجادلة، آية (٧).

[٦] – المصدر السابق (٤٠٢/٣).

"ذكر ابن أبي حاتم بإسناده عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون[1] قال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[2]، يعلم وهو كذلك ما توسوس به أنفسنا منا، وهو بذلك أقرب إلينا من حبل الوريد، وكيف لا يكون كذلك وهو أعلم بما توسوس به أنفسنا منا فكيف بحبل الوريد.

وكذلك قال أبو عمر الطلمنكي[3] قال: ومن سأل عن قوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[4]، فاعلم أن ذلك كله على معنى العلم به والقدرة عليه؛ والدليل من ذلك صدر الآية ؛ فقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[5]؛ لأن الله لما كان عالماً بوسوسته، كان أقرب إليه من حبل الوريد، وحبل الوريد لا يعلم ما توسوس به النفس. ويلزم الملحد على اعتقاده أن يكون معبوده مخالطاً لدم الإنسان ولحمه، وأن لا يجرد الإنسان تسمية المخلوق حتى يقول: خالق ومخلوق؛ لأن معبوده بزعمه داخل حبل الوريد من الإنسان وخارجه فهو على قوله ممتزج به غير مباين له.

---

[1] – عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون المدني، الفقيه مولى آل الهدير التميمي، والد عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون الفقيه، كان إماماً مفتياً حجة صاحب سنة، وإليه توفي سنة أربع وستين ومائة وروى له الجماعة. الوافي بالوفيات، الأصبهاني (١٨/ ٣١٥–٣١٦).

[2] – سورة طه، آية (٥).

[3] –الإمام المقرىء المحقق المحدث الحافظ الأثري، أبو عمر؛ أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى، المعافري الأندلسي الطلمنكي، كان من بحور العلم، وأول سماعه في سنة اثنتين وستين وثلاث مائة، وهو أول من أدخل القراءات على الأندلس، وكان عالماً بالتفسير والحديث، توفي سنة ٤٢٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٢١٩).

[4] – سورة ق، آية (١٦).

[5] – سورة ق، آية (١٦).

قال: وقد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله على عرشه بائنٌ من جميع خلقه، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ وعما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال: وكذلك الجواب في قوله فيمن يحضره الموت: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[1]؛ أي بالعلم به والقدرة عليه؛ إذ لا يقدرون له على حيلة ولا يدفعون عنه الموت، وقد قال تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[2]، وقال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾[3].

قلت[4]: وهكذا ذكر غير واحد من المفسرين مثل الثعلبي وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما في قوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[5].

وأما في قوله ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴿٨٥﴾ ﴾[6]، فذكر أبو الفرج القولين:

إنهم: الملائكة، وذكره عن أبي صالح عن ابن عباس، وإنه: القرب بالعلم.

وهؤلاء كلهم مقصودهم:

أنه ليس المراد أن ذات الباري جل وعلا قريبة من وريد العبد ومن الميت، ولما ظنّوا أن المراد قربه وحده دون قرب الملائكة فسروا ذلك بالعلم والقدرة كما في لفظ المعية، ولا حاجة إلى هذا؛ فإن المراد بقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴿٨٥﴾ ﴾[7]، أي:

---

[1] - سورة الواقعة، آية (٨٥).

[2] - سورة الأنعام، آية (٦١).

[3] - سورة السجدة، آية (١١).

[4] - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

[5] - سورة ق، آية (١٦).

[6] - سورة الواقعة، آية (٨٥).

[7] - سورة الواقعة، آية (٨٥).

بملائكتنا في الآيتين، وهذا بخلاف لفظ المعية؛ فإنه لم يقل: (ونحن معه)، بل جعل نفسه هو الذي مع العباد، وأخبر أنه ينبئهم يوم القيامة بما عملوا، وهو نفسه الذي خلق السموات والأرض، وهو نفسه الذي استوى على العرش، فلا يجعل لفظ مثل لفظ مع تفريق القرآن بينهما"[1].

ولكن ابن عربي الطائي لم يثبت لله عزوجل مباينة عن المخلوقات، بل زعم أن وجود الله تعالى هو نفس وجود المخلوقين، وأنه ليس ثمة وجودان؛ فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض ذكره لمعتقد ابن عربي الطائي:

"وهذا الرجل له ترتيب في سلوكه من جنس ترتيب الملاحدة القرامطة:

فأول ما يظهر اعتقاد معتزلة الكُلابيّة: الذين ينفون الصفات الخبرية ويثبتون الصفات السبع أو الثمان.

ثم بعد ذلك اعتقاد الفلاسفة: الذين ينفون الصفات ويثبتون وجوداً واجباً مجرداً صدرت عنه الممكنات.

ثم بعد هذا يجعل هذا الوجود هو وجود كل موجود؛ فليس عنده وجودان أحدهما واجب والآخر ممكن، ولا أحدهما خالق والآخر مخلوق؛ بل عين الوجود الواجب هو عين الوجود الممكن مع تعدد المراتب، والمراتب عنده هي الأعيان الثابتة في العدم، على زعم من يقول: (إن المعدوم شيء)، ولا ريب أن من جعل المعدوم شيئاً ثابتاً في الخارج عن الذهن فقوله باطل.

لكن أولئك[2] يقولون: إن الخالق جعل لهذه الأعيان وجوداً مخلوقاً.

وابن عربي يقول: بل نفس وجوده فاض عليها، فهي مفتقرة إليه في وجوده، وهو مفتقر إلى ثبوتها؛ ولهذا قال: (فيعبدني وأعبده ... ويحمدني وأحمده)

---

[1] – مجموع الفتاوى (٥/٥٠٢)، وانظر: شرح حديث النزول، ابن تيمية، ص(١٣٠-١٣١).

[2] – يعني: القائلون بأن المعدوم شيء.

ولهذا امتنع التكليف عنده؛ فإن التكليف يكون من مكلف لمكلف أحدهما آمراً والآخر مأموراً؛ فامتنع التكليف"[١].

ويقول أيضاً فيما ينقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وهو عنده هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم، وقد يقول لا هو العالم ولا غيره، وقد يقول هو العالم أيضاً وهو غيره، وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها من المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين، إذ ليس مذهبه في الغيرين مذهب الصفاتية"[٢].

ثم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن أهل التجهم والوحدة عموماً:

"فإنّهم لا يقرون بأن الخالق مباين للمخلوق كما اتفق السلف والأئمة، وصرحوا بأنه مباين للخلق، ليس داخلاً في المخلوقات ولا المخلوقات داخلة فيه.

بل تارة يجعلونه حالاً بذاته في كل مكان.

وتارة يجعلون وجوده عين وجود المخلوقات.

وتارة يصفونه بالأمور السلبية المحضة، مثل كونه غير مباين للعالم ولا حال فيه.

فهم بين أمرين:

(١) إما أن يصفوه بما يقتضي عدمه وتعطيله، فينكرونه وإن كانوا يقرون به، فيجمعون في قولهم بين الإقرار والإنكار والنفي والإثبات، وقد يصرح بعضهم بصحة الجمع بين النقيضين ويقول: إن هذا غاية التحقيق والعرفان.

(٢) وإما أن يصفوه بما يقتضي أنه عين المخلوقات أو جزء منها أو صفة لها، وذلك أيضاً يقتضي قولهم بعدم الخالق وتعطيل الصانع"[٣].

---

[١] – مجموع الفتاوى (٢/١١٣–١١٤).

[٢] – بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية ص(٤٠٨).

[٣] – مجموع الفتاوى (٦/٤٦٩–٤٧٠).

ثم بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من أسباب ضلال ابن عربي وأهل الوحدة في هذا الباب، فهمهم الباطل لحديث النبي ﷺ:

(إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا أو يعملوا به)[1].

وبيّن رحمه الله أن استدلالهم بهذا الحديث، وقياسهم حديث النفس على الوجود، قياس فاسد وباطل؛ فقال رحمه الله:

"ولهذا مثل ما يوجد من الكلام والسمع: بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به)[2]، فلما كان المحدِّث هنا هو المحدَّث، جعل هذا مثلاً لوجود الرب.

فعنده كل كلام في الوجود كلامه، وهو المتكلم عنده وهو المستمع.

ولهذا يقول: (إن قلت عبد فذاك ميت)، وفي موضع آخر رأيته بخطه:

(إن قلت عبد فذاك نفي)؛ لأن العبد ليس له عنده وجود مخلوق، بل وجوده هو الوجود الواجب القديم عنده، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع، فإن كلام الرجل يفسر بعضه بعضاً"[3].

---

[1] - متفق عليه، رواه البخاري في:"كتاب: بدء الوحي"،"باب: باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، ولا عتاقة إلا لوجه الله"، برقم (٢٥٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل ، أو تكلّم)، (٩١/٣).

- ورواه مسلم، واللفظ له في "كتاب: الإيمان"، "باب: تجاوز الله عن حديث النفس، والخواطر بالقلب"، برقم(٣٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ (٨١/١).

[2] - سبق تخريجه.

[3] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١٤/٢- ١١٥).

ثم بيّن رحمه الله أن قول ابن عربي هذا قد بناه على أصله الفاسد الذي طرده في كل أبواب الدين؛ فقال رحمه الله:

"وهذا الأصل وهو القول بوحدة الوجود، قوله وقول ابن سبعين وصاحبه الششتري، والتلمساني، والصدر القونوي، وسعيد الفرغاني، وعبد الله البلياني، وابن الفارض صاحب نظم السلوك، وغير هؤلاء من أهل الإلحاد القائلين بالوحدة والحلول والاتحاد"[١].

ومن الأدلة التي تنقض هذا الزعم الفاسد أن الخالق يحتاج في وجوده إلى المخلوق، أو القول بعدم مباينته للعالم، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض ردّه على النصارى في قولهم بأن اللاهوت والناسوت كلاهما متحد بالآخر، وأن كلاهما قوام الآخر، فيقول رحمه الله:

"فإنه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء أن المخلوق لا قوام له إلّا بالخالق، فإن كان الخالق قوامه بالمخلوق: لزم أن يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر، فيكون كل منهما محتاجاً إلى الآخر، إذ ما كان قوام الشيء به فإنه محتاج إليه.

وهذا مع كونه يقتضي أن الخالق يحتاج إلى مخلوقه وهو من الكفر الواضح؛ فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل"[٢].

"فإنه مع الاتحاد: كل من المتحدين لابد له من الأخر، فهو محتاج إليه"[٣].

"وكذلك الحلول: فإن كل حالّ محتاج إلى محلول فيه؛ وهو من الكفر الواضح فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل"[٤].

---

[١] - المصدر السابق (١١٥/٢).

[٢] - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية (٢٩٥/٤-٢٩٦).

[٣] - المصدر السابق (٢٩٦/٤).

[٤] - المصدر السابق (٢٩٦/٤).

ثم بيّن رحمه الله تعالى أن الخالق يمتنع عليه أن يحتاج إلى المخلوق بأي وجه من الوجوه: فأولاً يقال أن: القديم الأزلي الذي لم يسبق وجوده عدم، لا يحتاج إلى المخلوق المحدث الذي سبق وجوده عدم.

ثم ثانياً يقال: وحتى على قول من يقول أن المخلوق قديم أزلي لم يسبق وجوده عدم، يمتنع أيضاً أن يحتاج إليه الخالق.

وفي تفصيل ذلك يقول رحمه الله:

"فإن ذلك المخلوق إن قدّر أنه موجود بنفسه قديم أزليّ، فليس هو مخلوقاً، ومع هذا فيمتنع أن يكون كل من القديمين الأزليّين محتاجاً إلى الآخر، سواء قدّر أنه فاعل له أو تمام الفاعل له أو كان مفتقراً إليه بوجه من الوجوه؛ لأنه إذا كان مفتقراً إليه بوجه من الوجوه لم يكن موجوداً إلّا به؛ فإن الموجود لا يكون موجوداً إلّا بوجود لوازمه ولا يتم وجوده إلّا به فكل ما قدّر أنه محتاج إليه لم يكن موجوداً إلّا به.

فإذا كان كل من القديمين محتاجاً إلى الآخر: لزم أن لا يكون هذا موجوداً إلَا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر، وأن لا يكون هذا موجوداً إلا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر، والخالق لا يكون خالقاً حتى يكون موجوداً، ولا يكون موجوداً إلّا بلوازم وجوده، فيلزم أن لا يكون هذا موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً.

ولا يكون ذاك موجوداً حتى يجعله الآخر موجوداً، إذ كان جعله لما لم يتم به وجوده يتوقف وجوده عليه فلا يكون موجوداً إلّا به، فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما إلى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده إلّا به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق العقلاء"[١].

وهذا من بديع المناقشة والمناظرة لأصل فكرة: (أن الخالق يحتاج في وجوده إلى المخلوق)، وهذه الحجج العقلية البديعة وإن كان شيخ الإسلام رحمه الله قد ذكرها في معرض رده على النصارى، إلّا إنها لتصلح وتستقيم في بابنا هذا لنقد كلام ابن

---

[١] – المصدر السابق (٤/٢٩٦–٢٩٧).

عربي وأهل الوحدة في قولهم (إن الخالق يحتاج في وجوده إلى المخلوق)، بل تروي الغليل في هذا الباب وذاك؛ فرحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة، وجزاه الله عن أمة الإسلام خيراً .

المبحث الثالث:

موقفه من قول ابن عربي بأن حقيقة الأسماء أمور عدمية

من الأمور المتقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء الله الحسنى متضمنة للصفات، فكل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر، فالعزيز متضمن لصفة العزة وهو مشتق منها، والخالق متضمن لصفة الخلق وهو مشتق منها، فأسماء الله مشتقة من صفاته وليست جامدة كما يزعم المعتزلة ومن وافقهم الذين ادَّعوا أنها أعلام جامدة لا معاني لها، فقالوا: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وعزيز بلا عزة، فسلبوا بذلك عن أسماء الله معانيها.

فالرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته، وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به[1].

وفي كون أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

"أسماء الله الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية؛ بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم؛ لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى"[2].

وقال رحمه الله:

"أسماء الرب تعالى، وأسماء كتبه، وأسماء نبيه صلى الله عليه وسلم هي أعلام دالة على معان هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين، فهو الله الخالق، البارىء المصور القهار؛ فهذه أسماء له دالة على معان هي صفاته"[3].

---

[1] – انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، التميمي ص (٤١٩).

[2] – بدائع الفوائد، ابن القيم (١٦٢/١) ط. دار الكتاب العربي، وانظر: القواعد المثلى، ابن عثيمين ص(٢٣)، وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص(٤٢١).

[3] – بدائع الفوائد، ابن القيم (١٦٢/١).

ولكن ابن عربي وأمثاله من أهل الوحدة زعموا أن حقيقة أسماء الله تعالى أمور عدمية، وذلك تمشياً مع أصولهم الفاسدة من أن وجود الله تعالى وجود مجرد لا اسم له ولا صفة، وأن الوجود واحد؛ وليس للخالق وجود مباين للمخلوق[١]؛ فيقول شيخ الإسلام رحمه الله في ذكره لمعتقد ابن عربي:

"فهذا وغيره من كلامه يبين أن الوجود عنده واحد، وليس للخالق وجود مباين لوجود المخلوقات، بل وجودها عينه، ثم يذكر الظاهر الخيالي والمراتب، وهي عنده الذوات الثابتة في العدم المساوية للوجود[٢].

وأما أسماء الله تعالى فهي عنده النسبة التي بين الوجود وبين هذه المراتب، وهي في الحقيقة أمور عدمية، وكل من الوجود والثبوت لا ينفك عن الآخر ولا يستغني عنه، وهو شبيه بقول من يقول: (الوجود غير الماهية وهو ملازم لها)، و(المادة غير الصورة وهي ملازمة لها)"[٣].

ويُبيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن حقيقة هذا القول الفاسد عند ابن عربي هو الجمع بين التعطيل والاتحاد، فيقول رحمه الله: "وكان كثير من أهل التصوف والسلوك والطالبين لطريق التحقيق والعرفان –مع أنهم يظنون أنهم متابعون للرسل وأنهم متقون للبدع المخالفة له–، يقولون هذا الكلام ويعظمونه ويعظمون ابن عربي لقوله مثل هذا؛ ولا يعلمون أن هذا الكلام بناه على أصله الفاسد في الإلحاد الذي يجمع بين التعطيل والاتحاد؛ فإن حقيقة الرب عنده وجود مجرد لا اسم له ولا صفة، ولا يمكن أن يرى في الدنيا ولا في الآخرة، ولا له كلام قائم به ولا علم ولا غير ذلك، ولكن يرى ظاهراً في المخلوقات متجلياً في المصنوعات"[٤].

---

[١] – كما سبق بيانه في المبحث الثاني، من هذا الفصل الثالث.

[٢] – كما سبق تفصيل هذه المسألة في ثنايا هذا البحث.

[٣] – بغية المرتاد، ابن تيمية ص (٤٠٧).

[٤] – مجموع الفتاوى (٥٩٠/٧).

ومما يوضح هذا الأصل الفاسد عند ابن عربي، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن مقالته في اسم الله تعالى (العلي)؛ حيث يظهر تجهّمه وتعطيله لأسماء الله تعالى؛ فقال:

"وقال أيضاً في الإدريسية: من أسمائه الحسنى العلي على من وما ثمّ إلّا هو؟، فهو العلي لذاته، أو عن ماذا وما هو إلّا هو؟، فعلوه لنفسه!!.

وهو من حيث الوجود عين الموجوات، فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلّا هو، فهو العلي لا علو إضافة؛ لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات، والعين واحدة من المجموع في المجموع، فوجود الكثير من الأسماء وهي النسب وهي أمور عدمية وليس إلى العين التي هي الذات، فهو العلي لنفسه لا بالإضافة؛ فما في العالم من هذه الحقيقة علو إضافة، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة، فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة.

لذلك يقول فيه هؤلاء هو أنت لا أنت، قال أبو سعيد الخرّاز[1]: (وهو وجه من وجوه الحق، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله تعالى لا يعرف إلّا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر في حال بطونه وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثمّ من يراه غيره، وما ثم من ينطق عنه، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه، وهو المسمى أبو سعيد الخرّاز، وغير ذلك من أسماء المحدثات).

إلى أن قال: (ومن عرف ما قرّرناه في الأعداد وأن نفيها عين إثباتها، علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق بالأمر الخالق المخلوق والأمر

---

[1] – أحمد بن عيسى الخراز، أبو سعيد، من مشايخ الصوفية، بغدادي نسبته إلى خرز الجلود، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، له تصانيف في علوم القوم، ومن كلامه: إذا بكت أعين الخائفين، فقد كاتبوا الله بدموعهم، توفي ٢٨٦ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (١/ ١٩١).

المخلوق الخالق، كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة؛ ﴿ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]، والولد عين أبيه فما رأى يذبح سوى نفسه، وفداه بذبح عظيم، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان، وظهر بصورة والد، لا بل بحكم ولد، والوالد من هو عين الوالد، وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه؛ فمنه الصاحبة والولد والأمر واحد في العدد، فمن الطبيعة ومن الظاهر فيها، وما رأيناها نقصت بما ظهر فيها ولا زادت بعد ما ظهر، وما الذي ظهر غيرها وما هي عين ما ظهر لاختلاف الصور بالحكم، فهذا بارد يابس وهذا حار يابس فجمع بين اليبسين وأبان بغير ذلك، والجامع الطبيعة لا بل العين الطبيعية، بل معالم الطبيعة صور في مرآة واحدة، لا بل صورة واحدة في مراء مختلفة، فما ثمّ إلّا حيرة لتفرق النظر!!. ومن عرف ما قلناه لم يحر، وليس الأمر إلّا حكم المحل والمحل عين العين الثابتة، فيها يتنوع الحق في المحل بتنوع الأحكام عليه، فيقبل كل حكم وما يحكم عليه إلّا عين ما تجلى فيه، ما ثّم إلا هذا!!.

ثمّ أنشد:

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا ... وليس خلقاً بذاك الوجه فاذكروا
من يدر ما قلت،لم تخذل بصيرته ... وليس يدريه إلّا من له بصر
جمّع وفرّق فإن العين واحدة ... وهي الكثيرة لا تبقي ولا تذر

فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي فيه تستغرق جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية، بحيث لا يمكن أن يفوته نصيب منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلّا لمسمى الله تعالى خاصة"[2]!!..

---

[1] - سورة الصافات، آية (١٠٢).

[2] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٧٦- ٧٧)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية ص (٤٠٤-٤٠٧)، وانظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، مُحَمَّد العريفي (١/ ٦٤٣- ٦٤٥).

وحول قول ابن عربي: (فهو مرآتك في رؤيتك نفسك، وأنت مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها)، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"وذلك لأن العبد لا يرى نفسه -التي هي عينه- إلّا في وجود الحق -الذي هو وجوده-، والعبد مرآته في رؤيته أسماءه وظهور أحكامها؛ لأن أسماء الحق عنده هي النسب والإضافات التي بين الأعيان وبين وجود الحق، وأحكام الأسماء هي الأعيان الثابتة في العدم وظهور هذه الأحكام بتجلي الحق في الأعيان.

والأعيان التي هي حقيقة العيان هي مرآة الحق التي بها يرى أسماءه، وظهور أحكامها.

فإنه إذا ظهر في الأعيان حصلت النسبة التي بين الوجود والأعيان -وهي الأسماء-، وظهرت أحكامها -وهي الأعيان-، ووجود هذه الأعيان هو الحق!!.

فلهذا قال: (وليست سوى عينه فاختلط الأمر وانبهم)..

فتدبر هذا من كلامه وما يناسبه، لتعلم ما يعتقده من ذات الحق وأسمائه وأن:

- ذات الحق عنده: هي نفس وجود المخلوقات..
- وأسماؤه: هي النسب التي بين الوجود والأعيان..
- وأحكامها: هي الأعيان..

لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولأسمائه ولصفاته وخلقه وأمره، وعلى الإلحاد في أسماء الله وآياته.

فإن هذا الذي ذكره غاية الإلحاد في أسماء الله وآياته: (الآيات المخلوقة)، و(الآيات المتلوة)؛ فإنه لم يثبت له اسماً ولا آية، إذ ليس إلّا وجوداً واحداً، وذاك ليس هو اسماً ولا آية، والأعيان الثابتة ليست هي أسماءه ولا آياته.

ولما أثبت شيئين فرق بينهما بالوجود والثبوت، وليس بينهما فرق، اختلط الأمر عليه وانبهم!!.

وهذا حقيقة قوله وسر مذهبه، الذي يدعي أنه به أعلم العالم بالله وأنه تقدم بذلك على الصديق الذي جهل؛ فقال: (العجز عن درك الإدراك إدراك)، وتقدم به على

المرسلين الذين ما علموا ذلك إلّا من مشكاته، وفيه من أنواع الكفر والضلال ما يطول عدها:

- منها: الكفر بذات الله؛ إذ ليس عنده إلّا وجود المخلوق .
- ومنها: الكفر بأسماء الله؛ فإنها ليست عنده إلّا أمور عدمية، فإذا قلنا: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ ، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ؛ فليس الرب عنده إلّا نسبة إلى الثبوت"[1].

---

[1] - مجموع الفتاوى (٢/٢١٤-٢١٦).

المبحث الرابع:

موقفه من زعم ابن عربي أن الله تعالى لا ينزه عن شيء، وأن تنزيه الله تعالى هو عين التحديد والتقييد

لقد ذمّ الله سبحانه وتعالى مقالة النصارى في ذاته سبحانه؛ فقال عزوجل في محكم التنزيل: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾[١].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله:

"وهذا تقبيح وتشنيع لقول المعاندين الجاحدين، الذين زعموا أن الرحمن اتخذ ولداً، كقول النصارى: المسيح ابن الله، وقول اليهود: عزير ابن الله، وقول المشركين: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾[٢]، أي: عظيماً وخيماً، من عظيم أمره أنه: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴿٩٠﴾ ﴾[٣] على عظمتها وصلابتها ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴿٩٠﴾ ﴾[٤]، أي: من هذا القول ﴿ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ ﴿٩٠﴾ ﴾[٥]، منه، أي: تتصدع وتنفطر ﴿ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ

---

[١] - سورة مريم، آية (٨٨-٩٣).

[٢] - سورة مريم، آية (٨٩).

[٣] - سورة مريم، آية (٩٠).

[٤] - سورة مريم، آية (٩٠).

[٥] - سورة مريم، آية (٩٠).

هَدًّا (٩٠) ﴾[١]، أي: تندك الجبال، ﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) ﴾[٢]، أي: من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات، أن يكون منها ما ذكر.

والحال أنه: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى (٩٢) ﴾[٣]، أي: لا يليق ولا يكون ﴿ لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) ﴾[٤]؛ وذلك لأن اتخاذه الولد يدل على نقصه واحتياجه، وهو الغني الحميد؛ والولد أيضاً من جنس والده، والله تعالى لا شبيه له ولا مثل ولا سمي.

﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) ﴾[٥]، أي: ذليلاً منقاداً غير متعاصٍ ولا ممتنع، الملائكة والإنس والجن وغيرهم، الجميع مماليك متصرف فيهم، ليس لهم من الملك شيء، ولا من التدبير شيء، فكيف يكون له ولد، وهذا شأنه وعظمة ملكه؟"[٦].

بل لقد أنذر الله سبحانه أصحاب هذه المقالة الخبيثة؛ فقال تعالى:

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾[٧].

فإذا كانت السماوات تكاد تنفطر من تلك المقالة الخبيثة، بل وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، فكيف بمن ينسب كل شيء خبيث في الأرض إلى ذات الله، بل جعله

---

[١] – سورة مريم، آية (٩٠).

[٢] – سورة مريم، آية (٩١).

[٣] – سورة مريم، آية (٩٢).

[٤] – سورة مريم، آية (٩٢).

[٥] – سورة مريم، آية (٩٣).

[٦] – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي ص(٥٠١).

[٧] – سورة الكهف، آية (٤–٥).

عين الله؟، فالذين نسبوا لله ولداً نسبوا شيئاً صالحاً كنبي أو ملك، أما أهل وحدة الوجود فنسبوا إلى الله كل شيء، بل جعلوه عين كل شيء في هذا الكون.

فقد ذكر ابن عربي أنه دخل على مريد له في الخلوة، وقد جاءه الغائط، فقال: (ما أُبصر غيره أبول عليه)، فقال له شيخه: (فالذي يخرج من بطنك من أين هو؟)، قال: (فرّجت عني).

ومرَّ شيخان منهم التلمساني والشيرازي على كلب أجرب ميت، فقال الشيرازي للتلمساني: (هذا أيضاً من ذاته؟)، فقال التلمساني: (هل ثمّ شيء خارج عنها؟)[1].

فما عرف البشر في تاريخهم الطويل كفراً وإلحاداً أعظم من هذا الكفر؛ فلئن كان الله تعالى قد نزّه نفسه عن مقالة النصارى بقوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[2]، فإن تنزيهه مما يدعيه ابن عربي واتباعه من الكفر والبهتان أولى وأحرى، فإن قولهم قد غلب ما سبق ذكره من قول النصارى واليهود ومشركي قريش، فنعوذ بالله من هذا الضلال المبين.

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴿١١٦﴾ ﴾[3]: نزّه وعظّم نفسه.

﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[4]: عبيداً ومُلكاً.

﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[5].

---

[1] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٤٢).

[2] – سورة البقرة، آية (١١٦).

[3] – سورة البقرة، آية (١١٦).

[4] – سورة البقرة، آية (١١٦).

[5] – سورة البقرة، آية (١١٦).

قال مجاهد[1] وعطاء والسدي[2]: (مطيعون)، وقال عكرمة ومقاتل: (مقرون له بالعبودية)، وقال ابن كيسان: (قائمون بالشهادة)[3].

فلقد نزّه الله نفسه عن هذا القول الباطل، الذي هو في حقيقته شتم لله تعالى؛ ففي الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال:

(قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك،

فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً)[4].

والناظر لكلام ابن عربي يجده قد جاوز حدّ وصف الله تعالى بما لا يليق، إلى ادعاء أن التنزيه عن النقائص نقيصة، بل هو عين التحديد والتقييد؛ لأن كل شيء هو عينه وذاته، وأن من نزهه عن الموجودات قد جهل الله ولم يعرفه، –أي: جهل ذاته ونفسه–، فيقول في "فصوصه":

"اعلم أن التنزيه عن أهل الحقائق في الجانب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزِّه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب"[1].

---

[1] – مجاهد بن جبر الأسود، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي،، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، توفي سنة ١٠٤ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي(٤/ ٤٤٩)

[2] – إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة، صاحب التفسير، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس، توفي سنة ١٢٨ هـ. الطبقات الكبرى، ابن سعد (٦/ ٣١٨).

[3] – انظر: معالم التنزيل، البغوي (١/١٤١).

[4] – رواه البخاري: "كتاب: التفسير"، "باب: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ ١١٦﴾"، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ هنا، برقم (٤٤٨٢)، (٦/٢٤).

فكما مرّ معنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن تصور هذه العقيدة يكفي لبطلانها عند من له أدنى مسكة عقل أو فطرة مستقيمة؛ فأين توقير الله تعالى وتعظيمه سبحانه، وتنزيهه عن كل سوء ونقص؟.

فإن القوم قد لبّس عليهم الشيطان، وزعموا أن كلامهم لا يفقهه إلّا من ذاق ذوقهم، ووجد وجدهم، وعرف معرفتهم!.

ولكن الأمر كما يظهر يربو على كونه شطحات وأحوالاً من ابن عربي وأمثاله؛ إذ هي عقيدة فلسفية مقررة مشروحة في عشرات الكتب، بل حرّفت لأجلها آيات القرآن الكريم؛ ليستدل بها هو وغيره على باطله وضلاله؛ وليغير بها عقيدة المسلمين الصحيحة في ذات الله سبحانه وتعالى؛ الذي يتصف بصفات الكمال، والذي لا يشبه أحداً من خلقه، بل هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، تعالى الله عن قولهم وتقدّس ﴿ سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴾[٢].

---

[١] – فصوص الحكم ص (٦٨).

[٢] – سورة النور، آية (١٦).

المبحث الخامس:

تسمية الله سبحانه بما لم يسم به نفسه من أسماء، وموقف شيخ الإسلام من ذلك

دلّت أدلة الكتاب والسنة على أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ١١٠ ﴾[٢] ،وقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾[٣] .

وعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال:

" إن لله تسعة وتسعين اسماً مائةً إلّا واحداً، من أحصاها دخل الجنة"، وزاد همّام عن أبي هريرة ﵁ عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه وتر يحب الوتر"[٤].

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أنه لا يجوز تسمية الله سبحانه بما لم يسمِّ به نفسه في كتابه، وبما لم يسمِّه به رسوله ﷺ.

---

[١] – سورة الأعراف ، آية (١٨٠).

[٢] – سورة الإسراء ، آية (١١٠).

[٣] – سورة الحشر ، آية (٢٤).

[٤] – متفق عليه ، رواه البخاري في: كتاب (الدعوات)، باب (إن لله مئة اسم إلّا واحداً) برقم(٦٤١٠) من حديث أبي هريرة ﵁ بغير هذا اللفظ (١٠٨/٨).

– ومسلم في: كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار)، باب (في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها)، برقم(٦٩٨٦) من حديث أبي هريرة ﵁ بلفظه.(٦٣/٨).

أما عند ابن عربي فإن الخلق يشترك مع الحق في كل صفة واسم؛ فيقول في أول فصّ من كتابه "فصوص الحكم": "ولاشك أن المحدَث قد ثبت حدوثه وافتقاره إلى محدِث أحدثه لإمكانه لنفسه، فوجوده من غيره، فهو مرتبط به ارتباط افتقار، ولابد أن يكون المستنَد إليه واجب الوجود لذاته، غنياً في وجوده بنفسه غير مفتقر، وهو الذي أعطى الوجود بذاته لهذا الحادث فانتسب إليه، ولما اقتضاه لذاته كان واجباً به، ولما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفة، ما عدا الوجوب الذاتي؛ فإن ذلك لا يصح في الحادث، وإن كان واجب الوجود ولكن وجوبه بغيره لا بذاته"[1].

فيظهر من كلام ابن عربي أنه جعل الخلق يشترك مع الحق في كل صفة واسم، إلّا الوجوب بالذات؛ فإن الله تعالى عنده واجب الوجود بذاته، والعالم واجب الوجود بغيره، وهو الذي أعطى الوجود بذاته لهذا الحادث فانتسب إليه، وأنه لما كان استناده إلى من ظهر عنه لذاته اقتضى أن يكون على صورته فيما ينسب إليه من كل شيء من اسم وصفة، وفي هذا القول ما لا يخفى من الضلال والبطلان؛ إذ كيف يجعل الخالق المتصف بصفات الكمال من كل وجه، متصفاً بكل صفة اتصف بها المخلوق العاجز الفقير من كل وجه؛ وما ذلك إلّا ثمرة خبيثة من ثمرات القول بوحدة الوجود.

ولم يتوقف الأمر عنده على مجرد تسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه، بل إنه يحرف معاني أسماء الله تعالى وصفاته بما يتمشى مع قوله الباطل بأن الوجود واحد، فيحرِّف بذلك معنى اسم الله تعالى (الحفيظ)، فيقول في معناه:

" فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود؛ فهو عين الوجود، فهو على كل شيء حفيظ بذاته، فحفظه تعالى للأشياء كلّها حفظٌ لصورته أن يكون الشيء غير صورته، ولا يصح إلّا هذا.

فهو الشاهد من المشهود، والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له فهو الإنسان الكبير:

---

[1] – فصوص الحكم، ابن عربي ص(٥٣).

فهو الكون كله ... وهو الواحد الذي
قام كوني بكونه ... ولذا قلت يغتذي"[1].

وهذا من الضلال المبين؛ فإذا كان الحق في هذا الباب أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، يجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2]،وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3].

وإذا كان تسميته تعالى بما لم يسمِّ به نفسه، أو إنكار ما سمّى به نفسه جناية وسوء أدب في حقه تعالى[4].

فكيف بهذا الإلحاد المبين الذي قاله ابن عربي في أسماء الله تعالى؛ حيث أطلق على الخالق سبحانه كل اسم أوصفة للمخلوق ؟!

بل كيف به وهو يطلق على الله تعالى "عبداً" حين أنشد:

"فوقتاً يكون العبد رباً بلا شك ... ووقتاً يكون العبد عبداً بلا إفك"[5].

---

[1] – المصدر السابق ص (١١١).

[2] – سورة الإسراء، آية (٣٦).

[3] – سورة الأعراف، آية (٣٣).

[4] – انظر: القواعد المثلى، ابن عثيمين ص (٤٤) بتصرف.

[5] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٤٣).

فلا شك أن هذا من أعظم الإلحاد وأفحشه[1]، بل هو الكفر المستبين، الذي هو من وحي الشياطين، تعالى الله وتقدّس عن افتراء الظالمين.

---

[1] – والإلحاد في أسمائه سبحانه وتعالى هو: (العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها).

والإلحاد مأخوذ من (الميل) كما يدل عليه مادته (ل– ح– د)، فمنه (اللّحد): وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط.

ومنه: (الملحد في الدين): المائل عن الحق إلى الباطل. (انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، التميمي ص(٤٧٥) وما بعدها).

والإلحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها، وهذا إلحاد. حقيقة، فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة. (انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم ١/١٦٩).

قال ابن عباس ومجاهد: "عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم، فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من الله، والعُزّى من العزيز، ومناة من المنّان". (انظر: مدارج السالكين، ابن القيم ١/٣٠).

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علّةً فاعلةً بالطبع ونحو ذلك. (انظر: بدائع الفوائد، ابن القيم ١/١٦٩).

الثالث: أن ينكر شيئاً منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، وإنما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها. (انظر: القواعد المثلى، ابن عثيمين ص(٦٠) وما بعدها).

الرابع: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه؛ وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه، فجعْلُها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها. (انظر: القواعد المثلى، ابن عثيمين ص(٦٠) وما بعدها)، (وانظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، التميمي ص(٤٧٥) وما بعدها).

الفصل الرابع

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في صفات الله جل وعلا

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقفه من وصف ابن عربي لله تعالى بكل صفات الذم التي يوصف بها المخلوق تصريحاً لا تلميحاً .

المبحث الثاني : موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في القرآن ، وكلام الله جل وعلا عموماً .

المبحث الثالث : موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في رؤية الله جل وعلا .

المبحث الرابع : موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في صفة المحبة لله جل وعلا .

المبحث الأول

موقفه من وصف ابن عربي لله تعالى بكل صفات الذم التي يوصف بها المخلوق تصريحاً لا تلميحاً

إن عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله جل وعلا واضحة بيّنة؛ موافقة لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فـ"صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كـ:الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾[١]، والمثل الأعلى: (هو الوصف الأعلى).

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة: إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٣].

---

[١] - سورة النحل ، آية (٦٠).

[٢] - سورة الأحقاف ، آية (٥).

[٣] - سورة النحل ، آية (٢٠-٢١).

ثم إنه قد ثبت بالحس والمشاهدة: أن للمخلوق صفات كمال، وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به"[1].

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟.

وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، ك:الموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴿٥٨﴾ ﴾[2]، وقوله عن موسى ﴿ فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴿٤٤﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[5]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال: (إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور)[6]، وقال: (أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً)[1].

---

[1] – القواعد المثلى في صفات الله وأسماءه الحسنى، ابن عثيمين ص(١٨).

[2] – سورة الفرقان ، آية (٥٨).

[3] – سورة طه ، آية (٥٢).

[4] – سورة فاطر ، آية (٤٤).

[5] – سورة الزخرف ، آية (٨٠).

[6] – متفق عليه، رواه البخاري في "كتاب: الفتن"، "باب: ذكر الدجال" برقم (٧١٣١) من حديث أنس وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر)(٩ / ٧٥).

– ورواه مسلم في "كتاب: الفتن وأشراط الساعة" ،"باب: ذكر الدجال وصفته وما معه" برقم (٧٥٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي إلا وقد

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصاً في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تثبت له إثباتاً مطلقاً، ولا تنفى عنه نفياً مطلقاً، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصاً، وذلك ك:المكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصاً في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها؛

كقوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ١٥ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ١٦ ﴾[٣]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ١٨٣ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ١٤٢ ﴾[٥]، وقوله ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ ١٥ ﴾[٦]."[٧]

أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر)(٨ / ١٩٥).

[١] - رواه البخاري في "كتاب: بدء الوحي"، "باب: ما يكره من رفع الصوت في التكبير" برقم (٢٩٩٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بلفظه (٤ / ٦٩).

[٢] - سورة آل عمران ، آية (٥٤).

[٣] - سورة الطارق ، آية (١٥-١٦).

[٤] - سورة الأعراف ، آية (١٨٢-١٨٣).

[٥] - سورة النساء ، آية (١٤٢).

[٦] - سورة البقرة ، آية (١٤-١٥).

[٧] - القواعد المثلى في صفات الله وأسماءه الحسنى، ابن عثيمين (١٨- ٢٠) بتصرف.

فتبيّن أن كل كمال ثبت للمخلوق فالله تعالى أولى به، وهو سبحانه منزّه عن كل نقص وعيب؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحقّ به، وكل نقص تنزّه عنه مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه؛ لأن الموجود الواجب القديم أكمل من الموجود الممكن المحدث؛ ولأن كل كمال في المفعول المخلوق هو من الفاعل الخالق.

وهم يقولون كمال المعلول من كمال العلة، فيمتنع وجود كمال في المخلوق إلّا من الخالق؛ فالخالق أحق بذلك الكمال، ومن المعلوم بضرورة العقل أن المعدوم لا يبدع موجوداً والناقص لا يبدع ما هو أكمل منه؛ فإن النقص أمور عدمية؛ ولهذا لا يوصف الرب من الأمور السلبية إلّا بما يتضمن أموراً وجودية، وإلّا فالعدم المحض لا كمال فيه، كما قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[١]،فنزّه نفسه عن السنة والنوم؛ لأن ذلك يتضمن كمال الحياة والقيومية.

كذلك قوله ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ ﴾[٢]، يتضمن كمال القدرة.

وقوله ﴿ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴿٣﴾ ﴾[٣]، يتضمن كمال العلم.

وكذلك قوله ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٤]، فمعناه على قول الجمهور: (لا تحيط به)، ليس معناه: (لا تراه)؛ فإن نفي الرؤية يشاركه فيها المعدوم فليس هو صفة مدح، بخلاف كونه لا يحاط به ولا يدرك فإن هذا يقتضي أنه من عظمته لا تدركه الأبصار؛ وذلك يقتضي كمالاً عظيماً تعجز معه الأبصار عن الإحاطة؛ فالآية دالة

---

[١] - سورة البقرة ، آية (٢٥٥).

[٢] - سورة ق ، آية (٣٨).

[٣] - سورة سبأ ، آية (٣).

[٤] - سورة الأنعام ، آية (١٠٣).

على إثبات رؤيته ونفي الإحاطة به، نقيض ما تظنه الجهمية من أنها دالة على نفي رؤيته"[١].

ولكن ابن عربي لم يتورع من أن يصف الله تعالى بكل صفات الذم التي يوصف بها المخلوق، فنسب كل ما في الوجود من شر وقبائح ونقائص إلى الله تعالى، بل جعل الله عز وجل هو عين كل ذلك، فيقول في "فصوصه":

"ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص، وبصفات الذم؟"[٢].

فزعم أن: "المخلوق يظهر بصفات الخالق وكلها حق له، كما أن صفات المخلوق حق للخالق"[٣]؛ فجعل الله عز وجل متصفٌ بكل ما يوصف به المخلوق، وجعل المخلوق متصفٌ بكل ما يوصف به الخالق؛ فالله عنده هو الحالف والمحلوف به، وهو المرسل والمرسل إليه والرسول، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "والقول المحكي عن ابن عربي: (وبي حلفت وأن المقسم الله)، هو أيضاً من إلحادهم وإفكهم؛ جعل نفسه حالفة بنفسه وجعل الحالف هو الله، فهو الحالف والمحلوف به، كما يقولون: أرسل من نفسه إلى نفسه رسولاً بنفسه، فهو المرسل والمرسل إليه والرسول"[٤].

بل جعله سبحانه هو الكبش الذي أنزله الله فداءً لإسماعيل عليه السلام من الذبح – تعالى الله عن كفره علواً كبيراً– فقال:

"فيا ليت شعري كيف ناب بذاته ... شخيص كبيش عن خليفة رحمان"[٥].

---

[١] – الصفدية، ابن تيمية (١/٩٠-٩١).

[٢] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (٨٠).

[٣] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٠٥).

[٤] – المصدر السابق (٢/٣١٥).

[٥] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (٨٤).

وقال أيضاً:

"فوقتاً يكون العبد رباً بلا شك ... ووقتاً يكون العبد عبداً بلا إفك
فإن كان عبداً كان بالحق واسعاً ... وإن كان رباً كان في عيشة ضنك"[1].

بل لقد صرّح ابن عربي بأن الله تعالى هو الذي يجوع ويعطش، ويمرض ويبول، وينكِح ويُنكَح، وأنه موصوف بكل نقص وعيب؛ لأن ذلك هو الكمال عنده؛ كما قال في "فصوص الحكم":

"فالعلي بنفسه هو الذي يكون له الكمال، الذي يستقصي به جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية، سواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلّا لمسمى الله خاصة"[2].

بل قال أيضاً :

"ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص والذم؟، ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الخالق؟؛ فهي كلها من أولها إلى آخرها صفات للعبد، كما أن صفات العبد من أولها على آخرها صفات الله تعالى"[3].

بل ونجده في موطن أخر يصف الله عزوجل بالجهل، وأنه سبحانه كالمخلوق لا يعلم الحوادث إلى بعد وقوعها؛ فيقول:

"ما علم الله تعالى إلّا ما أعطته المعلومات؛ فالعلم يتبع المعلوم، ولا يظهر في الوجود إلّا ما هو المعلوم عليه، فلله الحجة البالغة، ومن لم يعرف الأمر هكذا فما عنده خبر بما هو الأمر عليه، فالإنسان جاهل بما يكون منه قبل كونه فإذا وقع منه ما وقع فما وقع إلّا بعلم الله فيه، وما علم إلّا ما كان المعلوم عليه"[4].

---

[1] – المصدر السابق ص (٩٠).

[2] – المصدر السابق ص(٧٧).

[3] – فصوص الحكم، ابن عربي ص(٧٧).

[4] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٨٢/٤).

وذلك لأنه ما ثمّ موجود عند ابن عربي ومن تبعه سوى الواجب بنفسه؛ "ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء: (من قال إن في الكون سوى الله فقد كذب)، فقال له آخر: (فمن الذي كذب؟) فأفحمه؛ وهذا لأنه إذا لم يكن موجود سوى الواجب بنفسه كان هو الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب.."[1].

ولذا فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في سياق مناقشته :

"وهذا المتكلم بمثل هذا الكلام يتناقض فيه؛ فإنه يقال له: فأنت الكامل في نفسك الذي لا ترى عابداً ولا معبوداً نعاملك بموجب مذهبك، فتضرب وتوجع وتهان وتصفع!.

وإذا تظلّم ممن فعل به ذلك واشتكى وصاح منه وبكى، قيل له: ما ثمّ غير، ولا عابد ولا معبود، فلم يفعل بك هذا غيرك، بل الضارب هو المضروب والشاتم هو المشتوم والعابد هو المعبود!.

فإن قال: تظلّم من نفسه واشتكى من نفسه، قيل له أيضاً: فقل عبد نفسه!

فإذا أثبت ظالماً ومظلوماً وهما واحد، قيل له: فأثبت عابداً ومعبوداً وهما واحد!

ثم يقال له: هذا الذي يضحك ويضرب هو نفس الذي يبكي ويصيح؟ وهذا الذي شبع وروي هو نفس هذا الذي جاع وعطش؟.

فإن اعترف بأنه غيره: أثبت المغايرة، وإذا أثبت المغايرة بين هذا وهذا: فبين العابد والمعبود أولى وأحرى.

وإن قال : بل هو هو، عومل معاملة السوفسطائية فإن هذا القول من أقبح السفسطة"[2].

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٠٥/٢).

[2] - المصدر نفسه (٣٥٦/٢-٣٥٧).

وكذلك فإن من الأوجه العقلية الواضحة التي تبطل الوحدة وتثبت التعدد وأن الفاعل غير الآمر؛ ما يجده الإنسان من فعل نفسه؛ وبيان ذلك:

أن الإنسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴿٢٣﴾ ﴾[1] لكون نفسه أمرته بالسوء، والنفس أمارة بالسوء، لكن جهة أمرها ليست جهة فعلها، بل لا بد من نوع تعدد، إما في الذات وإما في الصفات.

وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار أن هذا الرجل الذي ظلم ذاك ليس هو إياه، وليس هو بمنزلة الرجل الذي ظلم نفسه، وإذا كان هذا في المخلوقين فالخالق أعظم مباينة للمخلوقين من هذا لهذا[2].

ولا شك أن قول ابن عربي هذا القول هو الضلال المبين والكفر المستبين؛ فقد أنكر السلف على من شبه الله بخلقه أشد الإنكار؛ فقد روى اللالكائي في ذكر (سياق ما روي في تكفير المشبهة) عن نعيم بن حمّاد رحمه الله قوله:

"من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه"[3].

فكيف بمن وصف الله سبحانه بصفات الذم والنقص تصريحاً لا تلميحاً، بل وجعلها من أخص خصائص الله تعالى؟!.

كما جعل أيضاً أن من خصائص الله تعالى: أنه يستغرق بكماله جميع الأمور الوجودية حتى لا يفوته نعت منها، سواء كان محموداً أو مذموماً؛ ذلك لأن الله تعالى عنده هو عين كل شيء في الوجود، فيقول في "فصوصه":

---

[1] - سورة الأعراف، آية (٢٣).

[2] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٥٧).

[3] - شرح أصول اعتقاد أهل السنة، أبو القاسم اللالكائي (٣/٥٣٢).

"فالعلي بنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية، حيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلّا لمسمى الله خاصة"[1].

فجعل مسمى الله تعالى يستغرق جميع الأمور الوجودية، سواءٌ كانت ممدوحةً في العرف والعقل والشرع، أم كانت مذمومةً في العرف والعقل والشرع، وليس هناك وقاحة وسوء أدب مع الله أعظم من هذا، بل ليس هناك كفر بالله تعالى أكبر من هذا الكفر المبين.

بل لم يكتف بهذا أيضاً حتى زعم أن الحق لا يشهد أتمّ شهود، ولا يعرف حق المعرفة إلّا في المرأة حال اللذة والشهوة..!! ، ولا أدري بأي دين أم بأي قلب سوّلت له نفسه أن يخطّ هذا الكفر بيده..؟! ؛ ففي هذا أعظم تنقص لرب العزة والجلال.

يقول في واحدة من أقبح عبارات "فصوص الحكم" وقد شرع يفسر ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: (حُبّب إليّ من دنياكم الطيب والنساء، وجُعلت قرة عيني في الصلاة)[2] فيقول:"اشتق الله من الإنسان شخصاً على صورته سماه امرأة، فظهرت بصورته فحنّ إليها حنين الشيء إلى نفسه، وحنّت إليه حنين الشيء إلى وطنه، فحببت إليه النساء، فإن الله أحب من خلقه على صورته، وأسجد له ملائكته النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم، وعلو نشأتهم الطبيعية، فمن هناك وقعت المناسبة والصورة أعظم مناسبة، وأجلّها وأكملها"[3].

---

[1] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٧٩).

[2] - رواه النسائي، برقم (٣٩٣٩) في كتاب (عشرة النساء)، باب: (حب النساء)، من حديث أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "حبب إلي من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة"، ورواه أحمد بهذا اللفظ، برقم (١٢٣١٥) في مسند أنس بن مالك ﷺ (١٢٨/٣)، وفي لفظ للنسائي (٣٩٤٠): "حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة"، وصححه الألباني (٦٠/٧-٦١).

[3] - المرجع السابق ص (٢١٦).

فقد زعم ابتداءاً أن الإنسان أحب المرأة؛ لأنها جزء منه، ثم قاس على هذا أن الله أحب الإنسان لأنه خلقه على صورته، يعني: أن الإنسان ظهر في الوجود على صورة الرحمن، وفي هذا تشبيه لله تعالى بخلقه وهذا أعظم التنقّص؛ إذ تشبيه الحيّ القيوم الكامل من كل وجه بالعاجز الفقير الناقص من كل وجه هو أعظم التنقّص لله تعالى.

ثم قال: "فإنها زوج، أي: شفعت[1] وجود الحق كما كانت المرأة شفعت بوجودها الرجل، فصيرته زوجاً، فظهرت الثلاثة: حق ورجل وامرأة، فحنّ الرجل إلى ربّه الذي هو أصله حنين المرأة إليه، فحبّب إليه ربه النساء، كما أحبّ الله من هو على صورته، فما وقع الحبّ إلّا لمن تكوّن عنه، وقد كان حبه لمن تكوّن منه، وهو الحق، فلهذا قال (حبب) ولم يقل (أحببت) من نفسه، لتعلق حبه بربه الذي هو على صورته حتى في محبته لامرأته، فإنه أحبها بحب الله إياه تخلقاً إلهيا"[2].

فجعل حبّ الرجل للمرأة حباً إلهياً؛ لأن حبه للمرأة كحب الله لصورة الإنسان التي كوّنها؛ فعنده أن الحب لا يقع إلّا لمن تكوّن عنه.

ثم قال:

"ولما أحبّ الرجل المرأة طلب الوصلة، أي: غاية الوصل التي تكون في المحبة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النّكاح، ولهذا تعمّ الشهوة أجزاءه كلها، ولذلك أمر بالاغتسال منه، فعمّت الطهارة كما عمّ الفناء فيها عند حصول الشهوة، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أن يلتذّ بغيره؛ فطهره بالغسل، ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه، إذ لا يكون إلّا ذلك، فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهوداً في منفعل، وإذا شاهد في نفسه شاهده في فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكوّن عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا وساطة، فشهوده للحق في المرأة أتمّ وأكمل؛ ولأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه من حيث

---

[1] - يعني: صورة الإنسان.

[2] - المرجع السابق ص (٢١٦).

هو منفعل خاصة، فلهذا أحبّ الرسول صلى الله عليه وسلم النساء، لكمال شهود الحق فيهن؛ إذ لا يشهد الحق مجرداً عن المواد أبداً.."[1].

فقرّر أولاً أن حبّ المرأة حباً إلهياً، وثانياً أن أعظم الوصال معها يكون بالنكاح، ثم بنى بعقله الفاسد على هاتين المقدمتين أسوأ نتيجة في العقل والدين، ألا وهي:

أن الحق لا يشهد أتمّ شهود، ولا يعرف حق المعرفة إلّا في المرأة حال اللذة والشهوة؛ فشهود الحق في المرأة عنده شهودٌ للحق من حيث هو فاعل منفعل، وهذا عنده أعظم وأتمّ من أن يشاهده من نفسه فقط؛ إذ لا يُشهد الحق مجرداً عن المواد عنده.

لذا قال: "فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله.."[2].

وقال أيضاً: "فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حبٌ إلهيّ"[3].

وفي وسط هذا الركام الهائل من الكفر البواح نرى أنه يقرر ما به ينقض أصل عقيدته في وحدة الوجود؛ حيث أنه قد سبق له أن قرّر أن: جميع الموجودات هي صورة للحق، وأنكر التعدد وزعم أنه لا تنفرد صورة واحدة بأن تكون هي الخالق؛ بل جميع الصور ذاتها ذات الخالق، ثم هو هنا يثبت أكثر من وجود، وأن الحق ظهر في عدة مظاهر حيث قال:

" فإنها زوج، أي: شفعت وجود الحق كما كانت المرأة شفعت بوجودها الرجل، فصيرته زوجاً، فظهرت الثلاثة: حق ورجل وامرأة .."[4].

وهذا في حدّ ذاته كاف في بطلان عقيدته التي سبق وقررها من أن الوجود واحد، فكلامه ينقض بعضه بعضاً وهو دليل تناقضه، فظهر من بعض قوله الباطل ما يبطل البعض الأخر؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

[1] - المرجع السابق ص (٢١٧).

[2] - المرجع السابق ص (٢١٨).

[3] - المرجع السابق ص (٢١٨).

[4] - المرجع السابق ص (٢١٦).

"فإن الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد، والقضيتان المتناقضتان بالسلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق أحدهما كذب الأخرى لا يمكن الجمع بينهما"[١].

ولا شك أن هذا الكلام من وحي الشياطين له؛ فالإنسان لا يمكنه أن يخوض فيما لا يعلم، فضلاً عن أن يخوض غمار المهلكات، بالكلام في ذات رب البريات سبحانه بهذا الكلام الباطل المنكر العظيم؛ كيف والعبد يجعل حقيقة روحه التي بين جنبيه؛ بل يجهل حقيقة بعض المخلوقات وماهيتها؟ ؛ فعن عبد الرحمن بن مهدي[٢] رحمه الله أنه قال لفتى من ولد جعفر بن سليمان: "بلغني أنك تتكلم في الرب تبارك وتعالى وتصفه وتشبهه"، فقال الغلام: "نعم"، فأخذ يتكلم في الصفة، فقال: "رويدك يا بني حتى نتكلم أول شيء في المخلوق، فإذا عجزنا عن المخلوقات فنحن عن الخالق أعجز وأعجز"، فأخبره عبد الرحمن بن مهدي عن حديث خلق جبريل عليه السلام، ثم قال له: "صف لي خلقاً من خلق الله له ستمائة جناح"، فبقي الغلام ينظر إليه، فقال عبد الرحمن: "يا بني فإني أهون عليك المسألة، وأضع عنك خمس مائة وسبعة وتسعين، صف لي خلقاً بثلاثة أجنحة، ركّب الجناح الثالث منه موضعاً غير الموضعين اللذين ركبهما الله حتى أعلم"، فقال: "يا أبا سعيد نحن قد عجزنا عن صفة المخلوق، ونحن عن صفة الخالق أعجز وأعجز، فأشهدك أني قد رجعت عن ذلك، وأستغفر الله"[٣].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضاً في معرض كلامه عن ابن عربي:

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣١١/٢).

[٢] - عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن، الإمام الناقد المجود سيد الحفاظ، أبو سعيد العنبري -وقيل: الأزدي- مولاهم البصري اللؤلؤي، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة، وطلب هذا الشأن وهو ابن بضع عشرة سنة، وله فيه تصانيف حدّث ببغداد، ومولده ووفاته في البصرة سنة ١٩٨ هـ، قال الشافعيّ: لا أعرف له نظيراً في الدنيا. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ٥٨٩)، وانظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ٣٣٩)

[٣] - انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، أبو القاسم اللالكائي (٥٣٠/٣) بتصرف.

"لكن صاحب الفصوص يجعل وجود هذا الوجود الحق الذي هو وجود كل شيء، فهو الموصوف عنده بجميع صفات النقص والذم والكفر والفواحش والكذب والجهل.

كما هو الموصوف عنده بصفات المدح والكمال.

فهو العالم والجاهل، والبصير والأعمى، والمؤمن والكافر، والناكح والمنكوح، والصحيح والمريض، والداعي والمجيب، والمتكلم والمستمع، هذا كله يذكره في مواضع من كلامه، وهذا عنده غاية الكمال، وفي هذا المعنى ينشدون:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وهو عنده هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم، وقد يقول لا هو العالم ولا غيره، وقد يقول هو العالم أيضاً وهو غيره، وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها من المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين، إذ ليس مذهبه في الغيرين مذهب الصفاتية"[1].

ويمكن أن يقال أن ما وقع فيه ابن عربي هو أعلى درجات الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفات؛، فعند التأمل نجد أن قوله أشد قبحاً وكفراً من المشبهة والمعطلة النفاة جميعاً، وبالتالي فإن ما قاله أهل العلم في المشبهة والمعطلة من ضلال وبعد حجة، فإنه ينسحب وبطريق الأولى على مقالة ابن عربي الفاسدة في باب صفات الله تعالى.

فإننا نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول عن المعطلة النفاة:

"وهؤلاء الجهّال يمثّلون في ابتداء فهمهم صفات الخالق بصفات المخلوق، وينفون مضمون ذلك، ويكونون قد جحدوا ما يستحقه الرب من خصائصه وصفاته، وألحدوا في أسماء الله وآياته وخرجوا عن القياس العقلي والنص الشرعي، فلا يبقى بأيديهم لا معقول صريح ولا منقول صحيح.

وقد تدبرت كلام عامة من ينفي شيئاً مما أثبته الرسل من الأسماء والصفات فوجدتهم كلهم متناقضين"[1].

---

[1] – [1] – بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية (٤٠٨).

والمتأمل لمقالة ابن عربي في هذا الباب يجدها قد بلغت من الجهل والضلال والتناقض غايته.

---

[١] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٩/٥) بتصرف، وانظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، لعبد العزيز العبد اللطيف ص(١٢٦).

المبحث الثاني:

موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في القرآن، وكلام الله جل وعلا عموماً

وفيه: تمهيد، وستة مطالب :

تمهيد:

من المناسب قبل الشروع في بيان تفصيلات مطالب هذا المبحث، أن نقدم بين يديّ حديثنا بياناً مختصراً لعقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم وكلام الله جل وعلا عموماً؛ فبضدّها تتبين الأشياء.

فقد روى أبو القاسم اللالكائي في (اعتقاد أبي زرعة[1] وأبي حاتم[2] الرازيين) بسنده عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: "سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم:

(الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته)"[3].

وقالا أيضاً رحمهما الله: "وأن الله عز و جل على عرشه بائن من خلقه؛ كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسول صلى الله عليه و سلم، بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[1].

---

[1] - عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي بالولاء، أَبو زُرْعَة الرازيّ، الإمام سيد الحفاظ، وجالس أحمد بن حنبل، كان يحفظ مئة ألف حديث، ويقال: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل، توفي بالريّ ٢٦٤ هـ، له مسند. سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٦٥).

[2] - مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر بن داود، بن مهران الحنظليّ أبو حاتم، الإمام، الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، الحنظلي الغطفاني، من تميم بن حنظلة بن يربوع، قال الخطيب: كان أبو حاتم أحد الأئمة الحفاظ الأثبات، أول سماعه سنة تسع ومائتين، توفي ببغداد سنة ٢٧٧ هـ، له طبقات التابعين. سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٣/ ٢٤٧).

[3] - انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم اللالكائي (١٧٦/١).

وقد ذكر الإمام الطحاوي[٢] رحمه الله تعالى في عقيدته:

"وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر؛ حيث قال تعالى: ﴿ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ ﴾[٣]، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر"[٤].

وقد علق ابن أبي العز الحنفي[٥] رحمه الله على كلام الإمام الطحاوي رحمه الله قائلاً:

"وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة"[٦].

---

[١] – انظر: المصدر السابق (١/١٧٧).

[٢] – الإمام العلامة الحافظ الكبير محدث الديار المصرية وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن مُحَمَّد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر، توفي ٣٢١ هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٥/ ٢٧)

[٣] – سورة المدثر، آية (٢٥-٢٦).

[٤] – انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (١/١٦٨).

[٥] – صدر الدين مُحَمَّد بن علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ: فقيه. كان قاضي القضاة بدمشق، ثم ولي قضاء الديار المصرية فترة ثم استعفي، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيبك الدمشقيّ وبيان ما فيه من الشرك، توفي ٧٩٢ هـ. انظر: الدرر الكامنة، ابن حجر (٣/ ٨٧).

[٦] – المصدر السابق (١/١٦٨).

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الأئمة كأحمد[١] وغيره قد نصوا على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أنه كلام الله غير مخلوق؛ قالوا: لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك[٢].

وجدير بالذكر أنه في أثناء تناولي لهذا المبحث قد أنقل عن ابن عربي أحياناً، وأحياناً أخرى أنقل عن غيره من أهل الوحدة ممن يتلاقى معه في تلكم العقائد الباطلة، مشيراً في كلٍ إلى ردود وتقريرات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

---

[١] – سبق ترجمته.

[٢] – انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب (١٧٨/١).

المطلب الأول: موقفه من قول ابن عربي أنه إذا خلق كلاماً في غيره صار هو المتكلم به

الذي اتفق عليه السلف أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وقال غير واحد منهم: (منه بدأ وإليه يعود)، وقد قال أحمد بن حنبل[١] مفسراً لعبارة: (منه بدأ) أي: هو المتكلم به، لم يبتد من غيره كما قالت الجهمية القائلون بأن القرآن مخلوق؛ حيث قالوا: خلقه في غيره فهو مبتدأ من ذلك المحل المخلوق، ويلزمهم أن يكون كلاماً لذلك المحل المخلوق لا لله تعالى.

ولذلك قال ابن عربي الطائي وكان من غلاة هؤلاء الجهمية ومن القائلين بوحدة الوجود:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

وقد قال ابن عربي ذلك؛ لأنه كان يرى أن الوجود واحد، فبالتالي كان كل كلام في الوجود هو كلام الله تعالى، بل يمكننا أن نقول أن كلامه ذلك فرع من أصله وقاعدته العامة أن: (كل وجود في الوجود وجوده).

ولهذا قال سليمان بن داود الهاشمي[٢] -نظير أحمد بن حنبل الذي قال الشافعي[٣]: (ما رأيت أعقل من رجلين أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمي)-: من قال ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴿١٤﴾ ﴾[٤] مخلوق فهو كافر.

---

[١] - سبق ترجمته.

[٢] - سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن العباس الأمير الهاشمي، كان أميراً شريفاً جليلاً عالماً ثقة، قال أحمد ابن حنبل: كان يصلح للخلافة، روى عنه أحمد بن حنبل وغيره من الكبار، وتوفي سنة ٢١٩ هـ. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (١٥/ ٢٣٩).

[٣] - محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، الإمام عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ٥).

[٤] - سورة طه، آية (١٤).

فإن كان قوله ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ (١٤) ﴾[١] كلاماً خلقه في الشجرة كانت الشجرة هي القائلة لذلك كما كان فرعون هو القائل لذلك، وحينئذ فيكون جعل الشجرة إلهاً أعظم كفراً من جعل فرعون إلهاً[٢].

فابن عربي ومن تبعه من أهل الوحدة جهمية ينفون صفة الكلام عن الله تعالى، ويقولون بأن القرآن مخلوق؛ ونجد ذلك ظاهراً من خلال جواب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما سئل عن عبارة (ما ثمّ غير) وحيث قال:

"وقول القائل: (ما ثمّ غير) إذا أراد به ما يريده أهل الوحدة، أي: (ما ثمّ غير موجود سوى الله) فهذا كفر صريح.

ولو لم يكن ثمّ غير لم يقل: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا (١٤) ﴾[٣]، ولم يقل: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ (٦٤) ﴾[٤]، فإنهم كانوا يأمرونه بعبادة الأوثان، فلو لم يكن غير الله لم يصح قوله: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ (٦٤) ﴾، ولم يقل: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ (١١٤) ﴾[٥]، ولم يقل الخليل: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) ﴾[٦]، ولم يقل: فطّرني ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا

---

[١] – سورة طه، آية (١٤).

[٢] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٧/٨٣–٨٤) بتصرف.

[٣] – سورة الأنعام ، آية (١٤).

[٤] – سورة الزمر ، آية (٦٤).

[٥] – سورة الأنعام ، آية (١١٤).

[٦] – سورة الشعراء ، آية (٧٥–٧٦).

مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ ﴾[١]، فإن إبراهيم لم يعاد ربه، ولم يتبرأ من ربه، فإن لم تكن تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها هم وآباؤهم الأقدمون غير الله، لكان إبراهيم قد تبرأ من الله وعادى الله، وحاشا إبراهيم من ذلك، وهؤلاء الملاحدة في أول أمرهم ينفون الصفات، ويقولون: القرآن هو الله، أو غير الله؟، فإذا قيل لهم: غير الله، قالوا: فغير الله مخلوق، وفي آخر أمرهم يقولون: ما ثمّ موجود غير الله، أو يقولون: العالم لا هو الله ولا هو غيره، ويقولون:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه "[٢].

وكلام ابن عربي في وحدة الوجود يلزم منه أن الله سبحانه وتعالى هو المتكلم بجميع الكلام الذي في الوجود، بما في ذلك الكفر والفسوق والعصيان عياذاً بالله.

وأيضاً فإننا نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد أطال في معرض كلامه عن أهل الوحدة، حين سرد رحمه الله وأطال الرد على عبارتهم: (أن الله تعالى إذا خلق كلاماً في غيره صار هو المتكلم به)، وقول ابن عربي:

(وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه)[٣]

---

[١] - سورة الزخرف ، آية (٢٦-٢٧).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٧٦-٣٧٧).

[٣] - قائل هذا البيت هو ابن عربي كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هنا، وهو في الفتوحات المكية (٤/١٤١):

ألا كل قول في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

يعم به الأكوان كل مكون ... فمنه إليه بدؤه وختامه

وقد بين شيخ الإسلام رحمه الله مراد ابن عربي بقوله: "فمنه إليه بدؤه وختامه"، ووضّح رحمه الله أن مراده مخالف لمراد أئمة أهل السنة حين قالوا: "منه بدأ وإليه يعود"، وسيأتي في هذا المبحث إن شاء الله. انظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، مُحَمَّد العريفي (١/ ٦٥٧).

فقال رحمه الله رحمة واسعة: "ولكن هؤلاء يقولون: (إذا خلق كلاماً في غيره صار هو المتكلم به)؛ وذلك باطلٌ وضلالٌ من وجوه كثيرة:

أحدها: أن الله سبحانه أنطق الأشياء كلها نطقاً معتاداً، ونطقاً خارجاً عن المعتاد؛ قال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (٦٥) ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٢٠) وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (٢١) ﴾[2]، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ (١٨) ﴾[3].

وقد ثبت أن الحصى كان يسبح في يد النبي صلى الله عليه وسلم[4]، وأن الحجر كان يسلم عليه[5] وأمثال ذلك من إنطاق الجمادات.

---

[1] – سورة يس، آية (٦٥).

[2] – سورة فصلت، آية (٢٠–٢١).

[3] – سورة ص، آية (١٨).

[4] – يشير رحمه الله بهذا إلى ما أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، برقم (١٢٤٤)، من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: "إني لشاهد عند النبي في حلقة، وفي يده حصى فسبحن في يده، وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي إلى أبي بكر فسبحن مع أبي بكر سمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلى النبي فسبحن في يده، ثم دفعهن النبي إلى عمر فسبحن في يده وسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن النبي إلى عثمان بن عفان فسبحن في يده، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا" (٢ / ٥٩).

– ورواه ابن أبي عاصم في السنة، برقم (١١٤٦)، من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ وفي آخره: "ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن" (٢ / ٥٤٣).

[5] – يشير رحمه الله بهذا إلى ما رواه مسلم، برقم (٦٠٧٨)، في كتاب: (الفضائل)، باب: (فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة)، من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول

فلو كان إذا خلق كلاماً في غيره كان هو المتكلم به كان هذا كله كلام الله تعالى، ويكون قد كلم من سمع هذا الكلام كما كلم موسى بن عمران، بل قد ثبت أن الله خالق أفعال العباد، فكل ناطق فالله خالق نطقه وكلامه؛ فلو كان متكلماً بما خلقه من الكلام لكان كل كلام في الوجود كلامه حتى كلام إبليس والكفار وغيرهم.

وهذا تقوله غلاة الجهمية كابن عربي وأمثاله يقولون:

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه"[1].

وفي أثناء بيان الوجه الأول من أوجه بطلان تلك المقالة المعنون لها، بيّن رحمه الله مشابهة الحلولية المشبهة للحلولية الجهمية، والتقاءهم في هذه المسألة؛ فقال رحمه الله:

"وهكذا أشباه هؤلاء من غلاة المشبهة الذين يقولون: (إن كلام الآدميين غير مخلوق)؛ فإن كل واحدة من الطائفتين يجعلون كلام المخلوق بمنزلة كلام الخالق!!.

فأولئك يجعلون الجميع مخلوقاً وأن الجميع كلام الله، وهؤلاء يجعلون الجميع كلام الله وهو غير مخلوق، ولهذا كان قد حصل اتصال بين شيخ الجهمية الحلولية وشيخ المشبهة الحلولية"[2].

ثم ذكر رحمه الله وجهاً آخر في الرد على تلك الأقوال؛ فقال رحمه الله:

"الوجه الثاني: أن يقال لهؤلاء الضالين: ما خلقه الله في غيره من الكلام وسائر الصفات فإنما يعود حكمه على ذلك المحل لا على غيره.

فإذا خلق كلاماً في الشجرة أو في غيرها من الأجسام كان ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام، كما لو خلق فيه إرادة أو حياة أو علماً ولا يكون الله هو المتكلم به،

الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن) (٧ / ٥٨).

[1] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٢/٥١٠–٥١١).

[2] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥/٢٥١–٢٥٢).

كما إذا خلق فيه حياة أو قدرة أو سمعاً أو بصراً كان ذلك المحل هو الحي به والقادر به والسميع به والبصير به.

فكما أنه سبحانه لا يجوز أن يكون متصفاً بما خلقه من الصفات المشروطة بالحياة وغير المشروطة بالحياة، فلا يكون هو المتحرك بما خلقه في غيره من الحركات ولا المصوت بما خلقه في غيره من الأصوات، ولا سمعه ولا بصره وقدرته ما خلقه في غيره من السمع والبصر والقدرة.

فكذلك لا يكون كلامه ما خلقه في غيره من الكلام ولا يكون متكلماً بذلك الكلام"[1].

ثم ذكر رحمه الله وجهاً ثالثاً بليغاً في بيان إبطال تلك المقالات، ومفاده:

أن اسم الفاعل ونحوه من المشتقات[2] هو مركب يدل على الذات وعلى الصفة[3]، والمركب يمتنع تحققه بدون تحقق مفرداته، وهذا كما أنه ثابت في الأسماء المشتقة فكذلك في الأفعال؛ فقال رحمه الله في بيان هذا المعنى:

"الوجه الثالث: أن الاسم المشتق من معنى لا يتحقق بدون ذلك المعنى؛ فاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل يمتنع ثبوت معناها دون معنى المصدر التي هي مشتقة منه، والناس متفقون على أنه لا يكون متحرك ولا متكلم إلّا بحركة وكلام، فلا يكون مريد إلّا بإرادة وكذلك لا يكون عالم إلّا بعلم ولا قادر إلّا بقدرة ونحو ذلك.

ثم هذه الأسماء المشتقة من المصدر إنما يسمى بها من قام به مسمى المصدر؛ فإنما يسمى بالحي من قامت به الحياة، وبالمتحرك من قامت به الحركة، وبالعالم من قام به العلم، وبالقادر من قامت به القدرة.

---

[1] – مجموع الفتاوى (١٢/٥١١–٥١٢) باختصار.

[2] – مثل كلمة: (المتكلم).

[3] – بمعنى: أنه لا يسمى متكلم –الذات–، إلّا إذا قام به الكلام –الصفة–.

فأما من لم يقم به مسمى المصدر فيمتنع أن يسمى باسم الفاعل ونحوه من الصفات، وهذا معلوم بالاعتبار في جميع النظائر، وهذا كما أنه ثابت في الأسماء المشتقة فكذلك في الأفعال، سواء قيل إن الفعل المشتق من المصدر أو المصدر مشتق من الفعل لا نزاع بين الناس أن فاعل الفعل هو فاعل المصدر . فإذا قيل كلم أو علم أو تكلم أو تعلم، ففاعل التكليم والتعليم هو المكلم والمعلم، وكذلك التعلم والتكلم والفاعل هو الذي قام به المصدر الذي هو التكليم والتعليم والتكلم والتعلم.

فإذا قيل تكلم فلان أو كلم فلان فلاناً، ففلان هو المتكلم والمكلم؛ فقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾[1]، وقوله: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ٢٥٣ ﴾[2]،وقوله : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ١٤٣ ﴾[3]، يقتضي أن الله هو المكلم فكما يمتنع أن يقال: (هو متكلم بكلام قائم بغيره)، يمتنع أن يقال: (كلم بكلام قائم بغيره)"[4].

وقد بيّن رحمه الله أن قول هؤلاء الحلولية وأهل الوحدة أشد سوءاً وفحشاً من المعتزلة، الذين كفّر الأئمة من قال بمقالتهم، وذكر في هذا السياق جملة من كلام السلف رضوان الله عليهم؛ فقال رحمه الله: "وإذا كانت المعتزلة خيراً من هؤلاء[5] وقد كفر السلف من يقول بقولهم[6]، فكيف هؤلاء[7]؟!

---

[1] - سورة النساء، آية (١٦٤).

[2] - سورة البقرة، آية (٢٥٣).

[3] - سورة الأعراف، آية (١٤٣).

[4] - مجموع الفتاوى (١٢/٥١٢-٥١٤).

[5] - يعني: الحلولية، وأهل الوحدة.

[6] - يعني: كفر السلف من يقول بقول المعتزلة.

[7] - يعني أهل الحلول، وأهل وحدة الوجود.

وكلام السلف والأئمة في مثل هؤلاء لا يحصى.

قال حرب بن إسماعيل الكرماني: (سمعت إسحاق بن راهويه يقول: ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق، وكيف يكون شيء من الرب عز ذكره مخلوقاً؟، ولو كان كما قالوا لزمهم أن يقولوا: علم الله وقدرته ومشيئته مخلوقة، فإن قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا: كان الله تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة وهو الكفر المحض الواضح،لم يزل الله عالماً متكلماً له المشيئة والقدرة في خلقه، والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر).

وقال وكيع بن الجراح[1]: (من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق، فقيل له: من أين قلت هذا؟ ؛ قال: لأن الله يقول: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي ﴿١٣﴾ ﴾[2]، ولا يكون من الله شيء مخلوق)، وهذا القول قاله غير واحد من السلف.

وقال أحمد بن حنبل: (كلام الله من الله ليس ببائن منه)، وهذا معنى قول السلف: (القرآن كلام الله منه بدأ ومنه خرج وإليه يعود).

كما في الحديث الذي رواه أحمد وغيره عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه)[3]، يعني: القرآن،

---

[1] – وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي ابن فرس بن جمجمة بن سفيان بن الحارث بن عمرو بن عبيد بن رؤاس، الإمام، الحافظ، محدث العراق، أبو سفيان الرؤاسي، الكوفي، أحد الأعلام، ولد سنة ١٢٩هـ، قاله: أحمد بن حنبل، وقال الإمام أحمد: ما رأيت أحد أوعى منه ولا أحفظ، وكيع إمام المسلمين، توفي راجعاً من الحج سنة ١٩٧ هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٩/ ١٤٠).

[2] – سورة السجدة، آية (١٣).

[3] – أخرجه أحمد في مسنده، كتاب (فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ)، (باب) برقم(٢٩١٢) من من حديث جبير بن نفير ﷺ بلفظه. (١٧٧/٦).

وقد روي أيضاً عن أبي أمامة مرفوعاً"[١].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا بيان مراد السلف رضوان الله عليهم من قولهم: (منه بدأ وإليه يعود)، بما ينتفي معه استدلال الحلولية بهذه العبارة على: (أن كلامه فارق ذاته وحلّ بغيره)؛ ولعله رحمه الله بهذا يوضّح معنى قول ابن عربي:

"يعم به أسماع كل مكوَّن ... فمنه إليه بدؤه وختامه"[٢]

ويوضح أن عبارة السلف تختلف كلياً عن عبارة ابن عربي؛ فقال رحمه الله:

"وليس معنى قول السلف والأئمة: (إنه منه خرج، ومنه بدأ)، أنه فارق ذاته وحل بغيره ؛فإن كلام المخلوق إذ تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره فكيف يكون كلام الله؟؛ قال تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[٣]؛ فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم، ومع هذا فلم تفارق ذاتهم.

و أيضاً فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره: لا صفة الخالق، ولا صفة المخلوق.

والناس إذا سمعوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم ثم بلغوه عنه كان الكلام الذي بلغوه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد بلغوه بحركاتهم وأصواتهم، فالقرآن أولى بذلك؛ فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴿٦﴾ ﴾[٤]،وقال صلى الله عليه وسلم: (زينوا القرآن بأصواتكم)[٥]؛ ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء

---

[١] - مجموع الفتاوى (٥١٦/١٢-٥١٧).

[٢] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٤١/٤).

[٣] - سورة الكهف، آية (٥).

[٤] - سورة التوبة، آية (٦).

[٥] - رواه أبو داود، برقم (١٤٧٠) في كتاب: (الوتر)، باب: (استحباب الترتيل في القراءة) من حديث البراء بن عازب ﷺ بهذا اللفظ (٥٤٨/١).

الجهمية، فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله، كما يقولون: (كلامه لموسى خرج من الشجرة)؛ فبيّن السلف والأئمة أن القرآن من الله بدأ وخرج، وذكروا قوله: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴿١٣﴾ ﴾[1]؛ فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات"[2].

وقد سبق في مطلع هذا المطلب ذكر عبارة الإمام أحمد رحمه الله في بيان مراد السلف رحمهم الله بعبارة: (منه بدأ وإليه يعود).

ثم أطال وأجاد رحمه الله في الرد على مقالات الجهمية في القرآن الكريم وكلام الله جل وعلا عموماً؛ ولكن فيما نقلته هنا كفاية لبيان بطلان قول الحلولية وأهل وحدة الوجود في كلام الله جل وعلا.

وقد فهم السلف حقيقة مذهب هؤلاء، وأنه يقتضي تعطيل الرسالة؛ فإن الرسل إنما بعثوا ليبلغوا كلام الله، بل يقتضي تعطيل التوحيد؛ فإن من لا يتكلم ولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات.

بل من لا تقوم به الصفات فهو عدم محض، إذ لا يمكن تقدير ذات مجردة عن الصفات ولو في الذهن !!.

فكان قول هؤلاء مضاهياً لقول المتفلسفة الدهرية الذين يجعلون وجود الرب وجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق لا صفة له، وقد علم أن المطلق بشرط الإطلاق لا يوجد إلّا في الذهن، وهؤلاء الدهرية ينكرون أيضاً حقيقة تكليمه لموسى: ويقولون إنّما هو فيض فاض عليه من العقل الفعال، وهكذا يقولون في الوحي إلى جميع الأنبياء. وحقيقة قولهم: إن القرآن قول البشر لكنه صدر عن نفس صافية شريفة[3].

– ورواه أحمد، برقم (١٨٥١٧) في مسند البراء بن عازب ﵁ بلفظه (٢٨٣/٤).

[1] – سورة السجدة، آية (١٣).

[2] – مجموع الفتاوى (٥١٨-٥١٧/١٢).

[3] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥١٦/١٢) بتصرف.

المطلب الثاني: موقفه من قول ابن عربي أن كلام المخلوقين غير مخلوق

لما جعل ابن عربي وجود الخالق هو عين وجود المخلوق كما سبق بيانه، وجعل كلام الخلق جميعاً هو كلام الله سبحانه وتعالى ولا فرق، لزم من قوله ذلك أن يكون كلام المخلوقين غير مخلوق.

وبيان ذلك: أنه إن أقرّ أن الله تعالى غير مخلوق، وأن كلام المخلوق هو عينه كلام الخالق جل وعلا على وفق أصله في القول بوحدة الوجود.

فيلزمه على هذا القول أن يكون بذلك كلام المخلوقين غير مخلوق.

وإن أقرّ أن كلام المخلوقين مخلوق، وأن كلام المخلوق هو عينه كلام الخالق جل وعلا على وفق أصله في القول بوحدة الوجود.

فيلزمه على هذا القول أن يكون الله تعالى مخلوق، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

ولزم على ذلك أن يكون كل فحش وسوء من القول كلاماً لله تعالى، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وأيضاً فيقال لهؤلاء الملاحدة: إن لم يكن في الوجود غيره بوجه من الوجوه لزم أن يكون كلام الخلق وأكلهم وشربهم ونكاحهم وزناهم وكفرهم وشركهم وكل ما يفعلونه من القبائح هو نفس وجود الله، ومعلوم أن من جعل هذا صفة لله كان من أعظم الناس كفراً وضلالاً، فمن قال إنه عين وجود الله كان أكفر وأضلّ؛ فإن الصفات والأعراض لا تكون عين الموجود القائم بنفسه وأئمة هؤلاء الملاحدة كابن عربي يقول : (وكل كلام في الوجود كلامه، سواء علينا نثره ونظامه) فيجعلون كلام المخلوقين من الكفر والكذب وغير ذلك كلاماً لله"[١].

وأنكر ابن عربي أن يكون كلام المخلوقين مخلوقاً؛ حتى لا يثبت غيراً مع الله تعالى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما هذا الملحد فزاد على هؤلاء فجعل

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٥٢-٣٥٣).

كلام الخلق وعبادتهم نفس وجوده، ولم يجعل ذلك كلاماً له بل نفى أن يكون هذا كلاماً له لئلا يثبت غيراً له"[1].

ونفي وجود (غير) في الوجود كلامٌ باطلٌ ظاهر البطلان؛ ومما يدل على بطلانه قول شيخ الإسلام رحمه الله بعد ذلك: "وقد علم بالكتاب والسنة والإجماع وبالعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى، وأن كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله، ولهذا أنكر الله على من عبد غيره، ولو لم يكن هناك غير لما صحّ الإنكار، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿١٤﴾ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴿٣﴾ ﴾[4]"[5].

فكل ما سوى الله سبحانه و تعالى عالم ومخلوق؛ كما قال شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب[6] رحمه الله: "وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم"[7]، وإنما سميت المخلوقات –ما سوى الله تعالى– عالماً؛ لأنها علامة على وجود الخالق سبحانه وتعالى البائن من مخلوقاته.

---

[1] – المصدر السابق (٢/٣٥٣).

[2] – سورة الزمر، آية (٦٤).

[3] – سورة الأنعام، آية (١٤).

[4] – سورة فاطر، آية (٣).

[5] – المصدر السابق (٢/٣٥٣) بتصرف يسير.

[6] – شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، توفي سنة ١٢٠٦ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٦/ ٢٥٧).

[7] – انظر: الأصول الثلاثة، مُحَمَّد بن عبد الوهاب ص(٦).

المطلب الثالث: موقفه من قول ابن عربي أن كلام الله فيض يفيض على القلوب

إن ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن ابن عربي وأمثاله ممن ينكرون صفة الكلام لله تعالى، ويزعمون أن كلام الله تعالى هو فيض يفيض على القلوب من العقل الفعّال هو عين كلام الفلاسفة؛ لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فلما كان قول الجهمية المعطلة النفاة يؤول إلى قول فرعون، كان منتهي قولهم إنكار رب العالمين وإنكار عبادته، وإنكار كلامه حتى ظهروا بدعوى التحقيق والتوحيد والعرفان، فصاروا يقولون: العالم هو الله، والوجود واحد، والموجود القديم الأزلي الخالق هو الموجود المحدث المخلوق، والرب هو العبد، ما ثمّ رب وعبد وخالق ومخلوق"[1]، فكثير من المتصوفة والمتفلسفة يقولون: (إن تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال)، ويقولون: (إن النبوة مكتسبة)"[2].

ويقول أيضاً: "صاحب الفصوص يقول المعدوم شيء، ووجود الحق قاض عليه فيفرق بين الوجود والثبوت، والمعتزلة الذين قالوا: المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه فإن أولئك قالوا: إن الرب خلق لهذه الأشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود الرب، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليه فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق"[3].

وهذا من تأثر غلاة المتصوفة كابن عربي وغيره من أهل الوحدة بالفلاسفة كما سبق ذكره في أول هذا البحث.

---

[1] – مجموع الفتاوى (١٣/١٨٥).

[2] – انظر: مجموع الفتاوى (١١/٦٠٦-٦٠٧).

[3] – المصدر السابق (١١/ ٢٤١- ٢٤٢).

المطلب الرابع :موقفه من قول ابن عربي بإمكان سماع كلام الله لآحاد الناس

مما سبق معنا عن ابن عربي قوله:

"ألا كل قول في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه
يعم به الأكوان كل مكون ... فمنه إليه بدؤه وختامه"[1].

فهو يزعم أن كلام كل مخلوق هو كلام الله تعالى في الحقيقة؛ كما أن كل ما في الوجود هو الله، وأنه لا فرق بين الخالق والمخلوق.

وبالتالي يكون كل قول في الوجود هو قول الله تعالى، وكل مسموع هو من الله تعالى؛ وبالتالي أيضاً فبإمكان آحاد الناس سماع كلام الله تعالى.

وقد سبق تفصيل بعض ما في هذه المسألة في المطلب الأول من هذا المبحث، كما أنه سيأتي مزيد بيان لها في المطلب الذي بعده إن شاء الله.

إذن فكل كلام مسموع في الكون هو من الله تعالى عند القوم، بل كل ما يقع في نفوسهم من الخواطر هو من الله تعالى؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فبنوا على أصلهم الفاسد أن الله هو الوجود المطلق الثابت لكل موجود، وصار ما يقع في قلوبهم من الخواطر وإن كانت من وساوس الشيطان يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن الله بلا واسطة، وأنهم يكلَمون كما كُلم موسى بن عمران، وفيهم من يزعمون أن حالهم أفضل من حال موسى بن عمران؛ لأن موسى سمع الخطاب من الشجرة وهم على زعمهم يسمعون الخطاب من حي ناطق كما يذكر عن صاحب الفصوص أنه قال: (وكل كلام في الوجود كلامه .. سواء علينا نثره ونظامه).

وأعانهم على ذلك ما اعتقدوه من مذاهب الجهمية وأتباعهم، الذين يزعمون أن تكليم الله لموسى إنما كان من جنس الإلهام"[2].

---

[1] - (١٤١/٤).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٢٩/٢).

المطلب الخامس: موقفه من قول ابن عربي بأن الله عزوجل يكلّم أهل التصفية بأعظم مما كلّم به موسى عليه السلام

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمن يسلكون طريق التصفية والرياضة، ويزعمون بذلك أنهم يصلون إلى أن يكلمهم الله بأعظم مما كلّم به نبي الله موسى عليه السلام[1]؛ فقال رحمه الله:

وهذا قول طائفة من الناس يسلكون طريق الرياضة والتصفية، ويظنون أنهم بذلك يصلون إلى أن يخاطبهم الله كما خاطب موسى بن عمران.

وهؤلاء ثلاثة أصناف:

الأول: صنف يزعمون أنهم يخاطبون بأعظم مما خوطب به موسى بن عمران، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد القائلين بأن الوجود واحد؛ كصاحب "الفصوص" وأمثاله.

فإن هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الأنبياء، وأن الخطاب الذي يحصل لهم من الله أعلى مما يحصل لإبراهيم وموسى وعيسى ومُحَمَّد عليهم الصلاة والسلام.

---

[1] – ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الكلام في معرض جوابه حينما سئل عن رجل يحب السماع والرقص فأشار عليه رجل، فقال هذه الأبيات :

(أنكروا رقصاً وقالوا حرام ... فعليهم من أجل ذاك سلام
اعبد الله يا فقيه وصل ... والزم الشرع فالسماع حرام
بل حرام عليك ثم حلال ... عند قوم أحوالهم لا تلام
مثل قوم صفوا وبان لهم ... من جانب الطور جذوة وكلام
فإذا قوبل السماع بلهو ... فحرام على الجميع حرام)

انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١ / ٦٠٥).

ومعلوم أن هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى الذين يفضلون الأنبياء على غيرهم لكن يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض.

والنوع الثاني: من يقول: (إن الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران)؛ كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة والمتصوفة الذين يقولون:

(إن تكليم موسى فيض فاض على قلبه من العقل الفعال)، ويقولون: (إن النبوة مكتسبة).

والنوع الثالث: الذين يقولون: (إن موسى أفضل لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى، ولكن موسى مقصوداً بالتكليم دون هذا)؛ كما يوجد هذا في أخبار صاحب "مشكاة الأنوار"، وكذلك سلك مسلكه صاحب "خلع النعلين" وأمثالهما"[1].

وأيضاً يقول شيخ الإسلام رحمه الله في هذا:

"إن الواحد من أهل الرياضة قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى بن عمران، كما ذكر ذلك في (الإحياء) ونحوه، وصار الواحد من هؤلاء يظن أن ما يحصل له من الإلهامات هي مثل تكليم الله لموسى بن عمران.

ودخلت الفلاسفة من هذا الباب فزعموا أن تكليم الله لموسى إنما هو فيض فاض على نفسه من العقل الفعال، وأن (كلام الله) ليس إلّا ما يحصل في النفوس من المخاطبات، كما أن (الملائكة) ما يحصل في القلوب من الصور الخيالية، ومثل هذا قد يحصل في اليقظة والمنام، فجعلوا تكليم الله لموسى بن عمران من جنس من يرى ربه في المنام وهو يكلمه ونحو ذلك، وهو لازم لقول من جعل كلام الله معنى مجرداً، وإذا كان اللزوم معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام علم فساد اللازم"[2].

---

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٦٠٦–٦٠٧)، وانظر: موقف ابن تيمية من الصوفية، محمّد العريفي (١/ ٦٦١– ٦٦٣).

[2] – المصدر السابق (٦/٥٤٠).

المطلب السادس: موقفه من زعم أهل الوحدة أن القرآن كله شرك، وأن التوحيد في كلامهم

بداية فإن أهل الوحدة يزعمون أن التوحيد إنما هو في كلامهم وليس في كلام الله جل وعلا، ولا أدري كيف ذلك وهم يزعمون أيضاً أن كلام الخالق هو كلام المخلوق ولا فرق وينكرون التعدد!، ومما لا شك فيه أن هذا التناقض يشير بوضوح إلى ضلالهم وفساد مقالتهم.

وإن كنت لم أعثر على نقل صريح لابن عربي في هذا المعنى، إلّا أن كلام أهل الوحدة واضح في المعنى المشار إليه؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عظم مقالات أهل الوحدة الكفرية: "وهؤلاء إذا قيل في مقالتهم إنها كفر لم يُفِهم هذا اللفظ حالها؛ فإن الكفر جنس تحته أنواع متفاوتة؛ بل كفر كل كافر جزء من كفرهم!!..

ولهذا قيل لرئيسهم[1] أنت نصيري؟، فقال: (نصير جزء مني).!

وكان عبد الله بن المبارك[2] يقول: (إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية)، وهؤلاء شر من أولئك الجهمية؛ فإن أولئك كان غايتهم القول بأن الله في كل مكان، وهؤلاء قولهم أنه وجود كل مكان ما عندهم موجودان، أحدهما حال والآخر محل.

ولهذا قالوا: إن آدم من الله بمنزلة إنسان العين من العين، وقد علم المسلمون واليهود والنصارى بالاضطرار من دين المرسلين: أن من قال عن أحد من البشر إنه جزء من الله فإنه كافر في جميع الملل؛ إذ النصارى لم تقل هذا وإن كان قولها من أعظم الكفر، لم

---

[1] – في زمن شيخ الإسلام ولم يسمه.

[2] – عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ بالولاء، التميمي المروزي، أبو عبد الرحمن، الحَافظ شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، كان من سكان خراسان، ومات بهيت –على الفرات– منصرفاً من غزو الروم، له كتاب في الجهاد وهو أول من صنف فيه، والرقائق في مجلد، توفي سنة ١٨١ هـ. الأعلام، الزركلي (٤/ ١١٥).

يقل أحد إن عين المخلوقات هي جزء الخالق ولا أن الخالق هو المخلوق ولا الحق المنزّه هو الخلق المشبه"[1].

وفي محاوراته مع أصحاب تلك المقالة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وحدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي[2] أنه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال: قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً، فرأيته مخالفاً للكتاب والسنة، فلما ذكرت ذلك له قال: (القرآن ليس فيه توحيد، بل القرآن كله شرك، ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد)[3] قال: فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت، الكل واحد؟، قال: (لا فرق بين ذلك عندنا، وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حراماً، فقلنا هو حرام عليهم عندهم، وأما عندنا فما ثمّ حرام).

وحدثني كمال الدين المراغي أنه لما تحدث مع التلمساني في هذا المذهب، قال: وكنت أقرأ عليه في ذلك؛ فإنهم كانوا قد عظموه عندنا ونحن مشتاقون إلى معرفة "فصوص الحكم"، فلما صار يشرحه لي أقول هذا خلاف القرآن والأحاديث، فقال: (ارم هذا كله خلف الباب، واحضر بقلب صاف حتى تتلقى هذا التوحيد –أو كما قال–)، ثم خاف أن أشيع ذلك عنه فجاء إلي باكياً وقال : (استرعني ما سمعته مني).

وحدثني أيضاً أنه اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي[4] فقال عن التلمساني: (هؤلاء كفار، هؤلاء يعتقدون أن الصنعة هي الصانع)، قال : وكنت قد عزمت على أن أدخل

---

[1] – مجموع الفتاوى (٢/١٢٧–١٢٨).

[2] – عمر بن إلياس بن يونس المراغي أبو القاسم الصوفي كمال الدين ولد بأذربيجان سنة ٦٤٣ وقدم دمشق سنة ٧٢٩ وهو ابن نيف وثمانين سنة، وجاور قبل ذلك بالقدس ثلاثين سنة وأقام قبلها بمصر خمس عشرة سنة قال البدر النابلسي سمع صحيح البخاري على العز الحراني. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر (٤/ ١٨٤).

[3] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/١٢٧).

[4] – علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف، أبو الحسن الشاذلي، المغربي، نزيل الإسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية، المتوفى: ٦٥٦ هـ، انظر: تاريخ

الخلوة على يده، فقلت: أنا لا آخذ عنه هذا، وإنما أتعلم منه أدب الخلوة، فقال لي: مثلك مثل من يريد أن يتقرب إلى السلطان على يد صاحب الأتون والزبال؛ فإذا كان الزبال هو الذي يقربه إلى السلطان، كيف يكون حاله عند السلطان؟.

وحدثنا أيضاً قال: قال لي قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد[1]: (إنما استولت التتار على بلاد المشرق؛ لظهور الفلسفة فيهم؛ وضعف الشريعة)، فقلت له: ففي بلادكم مذهب هؤلاء الذين يقولون بالاتحاد، وهو شر من مذهب الفلاسفة؟، فقال: (قول هؤلاء لا يقوله عاقل، بل كل عاقل يعلم فساد قول هؤلاء –يعني أن فساده ظاهر–، فلا يذكر هذا فيما يشتبه على العقلاء، بخلاف مقالة الفلاسفة فإن فيها شيئاً من المعقول وإن كانت فاسدة.

وحدثني تاج الدين الأنباري الفقيه المصري الفاضل أنه سمع الشيخ إبراهيم الجعبري[2] يقول: (رأيت ابن عربي شيخاً مخضوب اللحية، وهو شيخ نجس يكفر بكل كتاب أنزله الله، وكل نبي أرسله الله).

الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (١٤/ ٨٢٩)، الوافي بالوفيات، الصفدي (١٦/ ٤٢)، طبقات الأولياء، ابن الملقن ص(٤٥٨).

[1] – مُحَّد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح تقيّ الدين القشيري، المعروف بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول مجتهد، ونشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة، وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥ هـ فاستمر إلى أن توفي بالقاهرة، له تصانيف، وكان مع غزارة علمه، ظريفاً ملح وأشعار، توفي ٧٠٢ هـ. الأعلام، الزركلي (٦/ ٢٨٣).

[2] – إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، له نظم ونثر، ولد بقلعة جعبر –على الفرات، بين بالس والرقة– وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل في فلسطين إلى أن مات سنة ٧٣٢ هـ، يقال له (شيخ الخليل) وقد يعرف بـ(ابن السراج)، وكنيته في بغداد (تقيّ الدين)، وفي غيرها (برهان الدين)، له نحو مئة كتاب أكثرها مختصر. الأعلام، الزركلي (١/ ٥٥).

وحدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلم[١] أنه قال: (كنت وأنا شاب بدمشق أسمع الناس يقولون عن ابن عربي والخسروشاهي[٢]: أن كلاهما زنديق -أو كلاماً هذا معناه-.

وحدثني عن الشيخ إبراهيم الجعبري: أنه حضر ابن الفارض عند الموت وهو ينشد:

إن كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد لقيت فقد ضيعت أيامي
أمنية ظفرت نفسي بها زمناً ... واليوم أحسبها أضغاث أحلام

وكان إبراهيم الجعبري[٣] يقول: (رأيت في منامي ابن عربي وابن الفارض، وهما شيخان أعميان يمشيان ويتعثران، ويقولان: كيف الطريق؟ أين الطريق؟"[٤].

---

[١] - إسماعيل بن عثمان بن مُحَمَّد القرشي الحنفي التيماني، الإمام العلامة رشيد الدين أبو الفضل ابن المعلم، وكان بصيراً بالعربية رأساً في المذهب، حدث بدمشق وبمصر، واستوطن القاهرة، وكان ديناً زاهداً مقتصداً في لباسه، وساء خلقه قبل موته، توفي ٧١٤ هـ. انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي (٩/ ٩٣)، وانظر: الدرر الكامنة، ابن حجر (٦/ ٢٢١).

[٢] - عبد الحميد بن عيسى بن عمويه بن يونس بن خليل، شمس الدين أبو مُحَمَّد الخسروشاهي التبريزي، ولد سنة ٥٨٠ هـ، بخسروشاه، وتوفي بدمشق في سنة ٦٥٢ هـ. الوافي بالوفيات، الصفدي (١٨/ ٤٤).

[٣] - سبق ترجمته.

[٤] - مجموع الفتاوى، (٢/٢٤٤-٢٤٧).

المبحث الثالث:

موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في رؤية الله جل وعلا

وقد جعلت هذا المبحث في تمهيد، ومطلبين.

تمهيد:

من المناسب قبل التعرض لموقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من قول ابن عربي في هذه المسألة، أن نبيّن قول أهل السنة والجماعة في رؤية الله عزوجل في الدنيا والآخرة.

فأما رؤية الله جل وعلا في الدنيا: فقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله جل وعلا لا يُرى في الدنيا؛ واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾[1].

---

[1] – سورة الأعراف، آية (١٤٣).

– وقد تعلق نفاة الرؤية بظاهر هذه الآية؛ وقالوا: (قال الله تعالى: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ولن تكون للتأبيد)، ولا حجة لهم فيها؛ ومعنى الآية: لن تراني في الدنيا أو في الحال؛ لأنه كان يسأل الرؤية في الحال.

و(لن) لا تكون للتأبيد، كقوله تعالى: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ ، إخباراً عن اليهود، ثم أخبر عنهم أنهم يتمنون الموت في الآخرة؛ يقولون: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ، والدليل عليه أنه لم ينسبه إلى الجهل بسؤال الرؤية، ولم يقل إني لا أرى حتى تكون لهم حجة، بل علق الرؤية على استقرار الجبل، واستقرار الجبل على التجلي غير مستحيل إذا جعل الله تعالى له تلك القوة، والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالاً. انظر: معالم التنزيل، البغوي (٣/٢٧٦) بتصرف.

ومن السنة: ما جاء عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)[1].

وأما رؤيته سبحانه وتعالى في الآخرة:

فهي ثابتة للمؤمنين في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

ومن السنة قول النبي ﷺ: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا)[4].

---

[1] – أخرجه مسلم في: (كتاب: الإيمان)، (باب: معرفة طريق الرؤية) برقم (٣٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (١/ ١٦٧).

–ورواه أحمد في مسنده برقم (٢٢٨١٦) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٥/٣٢٤).

[2] – سورة يونس، آية (٢٦).

[3] – سورة القيامة، آية (٢٢–٢٣).

[4] – متفق عليه، رواه البخاري برقم (٥٥٤) في كتاب: (مواقيت الصلاة)، باب: (فضل صلاة العصر) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: (كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة –يعني البدر– فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾، قال إسماعيل: افعلوا لا تفوتنكم. (١/١٤٥)
.

– ورواه مسلم برقم (١٤٦٦) في كتاب: (المساجد)، باب: (فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه بلفظه. (٢/١١٣).

وقد قال الإمام مالك بن أنس[١] رحمه الله: "الناس ينظرون إلى الله عز و جل يوم القيامة بأعينهم"[٢].

ومن عقيدة أهل السنة في هذا الباب وغيره من أبواب الصفات أن تلك النصوص تمر كما جاءت بلا سؤال عن كيفيتها؛ قال الوليد بن مسلم[٣] سألت الأوزاعي[٤]، وسفيان الثوري[٥]، ومالك بن أنس[٦]، والليث بن سعد[٧] عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية

---

[١] - هو شيخ الإسلام، حجة الأمة، إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، الأصبحي، المدني، توفي سنة ١٧٩ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٨/ ٤٨).

[٢] - الإبانة عن أصول الديانة، ابن بطة (٣/٥٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٣/٥٠١).

[٣] - الوليد بن مسلم الأموي بالولاء الدمشقيّ، أبو العباس، عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث، قال أحمد بن حنبل: ليس أحد أروى لحديث الشاميين من: الوليد بن مسلم، وإسماعيل بن عياش،توفي سنة ١٩٥ هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٩/ ٢١٤).

[٤] - شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو، قال يحيى بن أبي كثير: ما رأيت في هذا البعث أهدى من هذا الشاب، سكن بيروت وتوفي بها سنة ١٥٧ هـ. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ١٠٧).

[٥] - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، أمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤ هـ فسكن مكة والمدينة. وانتقل إلى البصرة فمات فيها سنة ١٦١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٧/ ٢٢٩).

[٦] - سبق ترجمته.

[٧] - الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، الليث بن سعد عبد الرحمن الفهميّ، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره، توفي في القاهرة سنة ١٧٥ هـ، وقال الإمام الشافعيّ: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٨/ ١٣٦).

فقالوا: (تمر بلا كيف)، وقال سفيان بن عيينة[1]: (من لم يقل إن القرآن كلام الله وأن الله يرى في الجنة فهو جهمي)، ذكره الطبري[2].

ومن أنكر رؤية الله تعالى في الآخرة فهو جهمي كما قال السلف رحمهم الله؛ قال سفيان بن عيينة رحمه الله: (لا يصلى خلف الجهمي، والجهمي الذي يقول: لا يرى ربه يوم القيامة)[3].

وقال قتيبة بن سعيد[4] رحمه الله تعالى: (قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة، الإيمان الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤية)[5].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام[6]، وقد ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية:

---

[1] - سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، مولى مُحَمَّد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو مُحَمَّد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، لقي الكبار وحمل عنهم علماً جماً، ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوى لقي سفيان بن عيينة؛ لإمامته وعلو إسناده.توفي ١٩٨ هـ، سير أعلام النبلاء، الذهبي (٨/ ٤٥٤).

[2] - انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٣/ ٥٥٨).

[3] - انظر: المصدر السابق (٣/ ٥٥٨).

[4] - قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي بالولاء، أبو رجاء البغلاني، من أكابر رجال الحديث، ولد في بغلان -من قرى بلخ- وسكن العراق، روى عنه البخاري ومسلم، توفي سنة ٢٤٠ هـ. الأعلام، الزركلي (٥/ ١٨٩).

[5] - انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٣/ ٥٦١).

[6] - الإمام، الحافظ، المجتهد، ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، وله كتاب (الأموال)، قال عبد الله بن طاهر: علماء الإسلام أربعة: عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلّام في زمانه، وقال الجاحظ:لم يكتب الناس أصح من كتبه، ولا أكثر فائدة، حج فتوفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ، انظر: الأعلام، الزركلي (٥/ ١٧٦)، وانظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٠/ ٤٩٠).

(هي عندنا حق، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا، إلّا أنّا إذا قيل لنا فسروها لنا، قلنا: لا نفسر منها شيئاً، ولكن نمضيها كما جاءت).

وقال عبد الوهاب الوراق: سألت أسود بن سالم[١] عن أحاديث الرؤية فقال: (أحلف عليها أنها حق).

وقال ذُكر عن الإمام الشافعي[٢] رحمه الله تعالى أنه حين جاءته رقعة من الصعيد مكتوب فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[٣]؟ ، قال رحمه الله تعالى: (لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا)، قال الربيع: فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟، قال: (نعم، وبه أدين لله عز وجل)[٤].

وقال الإمام مالك بن أنس[٥] رحمه الله: "لم ير الله في الدنيا؛ لأنه باقٍ، ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصار باقية، رُئي الباقي بالباقي"[٦].

---

[١] – أسود بن سالم أبو محمّد البغدادي، الزاهد الورع كان بينه وبين معروف الكرخي مودة ومحبة ومصافاة. الوافي بالوفيات، الصفدي (٩/ ١٤٩).

[٢] – سبق ترجمته.

[٣] – سورة المطففين، آية (١٥).

[٤] – شرح أصول اعتقاد أهل السنة، أبو القاسم اللالكائي (٣/ ٥٦٠).

[٥] – سبق ترجمته.

[٦] – الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (١/١٩٩–٢٠٠).

وأما رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا: ففيها كلام معروف لعائشة ﵂، وابن عباس رضي الله عنهما؛ فعائشة ﵂ أنكرت الرؤية، وابن عباس رضي الله عنهما ثبت عنه في صحيح مسلم أنه قال: (رأى مُحَمَّد ربه بفؤاده مرتين)[1].

وكذلك ذكر أحمد عن أبي ذر ﵁ وغيره أنه أثبت رؤيته بفؤاده، وهذا المنصوص عن ابن عباس وأبي ذر رضي الله عنهما وغيرهما هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السنة.

ولم يثبت عن أحد منهم إثبات الرؤية بالعين في الدنيا، بل إن جماهير الأئمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصحابة وأئمة المسلمين.

كما لم يثبت عن أحد منهم إنكار الرؤية في الآخرة[2].

---

[1] – رواه مسلم برقم (٤٥٥)، في كتاب: (الإيمان)، باب: (معنى قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ ، وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ قال: (رآه بفؤاده مرتين). (١٠٩/١).

[2] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٣٠/٢) ، (٣٣٦/٢) بتصرف.

المطلب الأول: موقفه من تفرد ابن عربي بقول (أن الله يرى في الدنيا والآخرة)

افترق الناس في مسألة رؤية الله عزوجل على ثلاثة أقوال كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ حيث قال رحمه الله:

"فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين: على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عياناً وأن أحداً لا يراه في الدنيا بعينه، لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب في المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها، ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن أنه رأى ذلك بعينه وهو غالط، ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد ومعرفته في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضع.

والقول الثاني: قول نفاة الجهمية أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة.

والقول الثالث: قول من يزعم أنه يرى في الدنيا والآخرة.

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والإثبات فيقولون أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وأنه يرى في الدنيا والآخرة، وهذا قول ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله؛ لأن الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم"[1].

فظهر من ذلك أن قول ابن عربي في هذا الباب متناقض أشدَّ التناقض؛ حيث ذكر أن الله تعالى يرى في الدنيا والآخرة، وأنه سبحانه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة.

ومن خلال النظر في قول ابن عربي في هذه المسألة تبيّن أن قوله تردد بين زعمين باطلين على أساسهما نشأ قوله في تلك المسألة:

أولاً: لما زعم أن الله تعالى هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات؛ نتج عن ذلك الزعم الباطل قوله: (أنه سبحانه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة).

ثانياً: زعم أيضاً أن وجود الله تعالى هو عين وجود المخلوقات، فهو عنده هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم؛ فبالتالي نتج عن ذلك قوله: (أنه سبحانه يرى في الدنيا

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٣٦-٣٣٧).

والآخرة)؛ لأن كل وجود في الوجود هو عين وجود الله سبحانه عند ابن عربي كما سبق بيانه.

ومن هذا وذاك ظهر التناقض الواضح عند ابن عربي في مسألة رؤية الله سبحانه وتعالى.

وفي تلك المسألة نجد قول ابن عربي:

"مَن ستر الحقَّ ولم يُفشه ... فذلك الشخص الذي قد كَفَر
تبارك الله الذي لم يزل ... يَظْهر فيما قد بدا من صور
فإنه منشئها دائماً ... في كل ما يَظْهر أو قد ظَهَر"[١].

و أيضاً قوله:

"فليس إلّا عينه بالخبر ... وليس إلّا غيره بالبصر
إن قيل هُوْ قيل لهم ليس هُوْ ... لأنه مطلوبكم بالفِكَر
أو قيل ما هوْ.قيل هُوْ إنه ... عين الذي تشهده في البصر"[٢].

وحقيقة قول ابن عربي وقول هؤلاء الاتحادية برؤية الله تعالى في الدنيا مردها إلى أنهم لا يشاهدون إلّا الوجود المطلق الذي لا حقيقة له إلّا في أذهانهم، أو أنهم يشاهدون المخلوقات التي هي عندهم ذات الخالق، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"أن العبد قد يرى الله في الدنيا (عندهم)[٣] إذا زال عن عينه المانع، إذ لا حجاب عندهم للرؤية منفصل عن العبد وإنما الحجاب متصل به فإذا ارتفع شاهد الحق.

وهم لا يشاهدون إلّا ما يتمثلونه من الوجود المطلق الذي لا حقيقة له إلّا في أذهانهم أو من الوجود المخلوق، فيكون الرب المشهود عندهم الذي يخاطبهم في زعمهم لا وجود له إلّا في أذهانهم، أو لا وجود له إلّا وجود المخلوقات.

---

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٣٧٥).

[٢] - المصدر السابق (٣/٣٧٦).

[٣] - ليست في الأصل ، وقد أضفتها ليتسق بها السياق.

وهذا هو التعطيل للرب تعالى ولكتبه ولرسله، والبدع دهليز الكفر والنفاق، كما أن التشيع دهليز الرفض، والرفض دهليز القرمطة والتعطيل، فالكلام الذي فيه تجهم هو دهليز التجهم، والتجهم دهليز الزندقة والتعطيل"[1].

وهذا الزعم الباطل من ابن عربي فرية عظيمة في ذات الله سبحانه؛ فمن المعروف أنه قد ثبت بنص القرآن الكريم أن موسى عليه السلام قيل له: (لن تراني).

ولما كانت رؤية الله تعالى أعظم من إنزال كتاب من السماء.

كان من قال أن أحداً من الناس يراه في الدنيا، فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران، ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتاباً من السماء[2].

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٢٢٩-٢٣٠).

ويعني رحمه بقوله (البدع دهليز الكفر والنفاق): أن البدع تضر بصاحبها وتورث في قلبه النفاق ثم الكفر؛ فالبدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها.

وأما قوله (التشيع دهليز الرفض): فمعناه أن التشيع هو الطريق الموصل إلى الرفض الذي يؤدي بصاحبه إلى الباطنية والانسلاخ من الدين.

وأما قوله (التجهم دهليز الزندقة والتعطيل): فمعناه أن من ركب مركب النفي والتعطيل فإنه يصل إلى الني المحض الذي هو عدم محض، فيكون ذلك طريقاً إلى الزندقة والكفر.

[2] - انظر: المصدر السابق (٢/٣٣٥-٣٣٦).

المطلب الثاني: موقفه من جمع ابن عربي بين النفي والإثبات في هذه المسألة

لا عجب أن يتكلم ابن عربي بمثل هذا الكلام الغريب المتناقض، سواء في هذه المسألة أو في غيرها؛ فإنه سبق وأن قرر في ثنايا مؤلفاته أن أرض الحقيقة هي أرض الخيال[١]!.

وهذا الذي ذكره ابن عربي في مسالة الرؤية هو من الممتنعات عقلاً؛ فإنه إما أن يقول بالرؤية في الدنيا والآخرة فيوافق عقيدة أهل الكشف الباطلة، أو يقول بعدمهما فيوافق أهل الاعتزال، أو يقول بعدمها في الدنيا وثبوتها لأهل الإيمان في الآخرة فيوافق أهل السنة.

أما أن يجمع بين النفي والإثبات في هذه المسألة فهذا ما لم يسبق إليه، ولا يقول به أحد من العقلاء فضلاً عن العلماء.

وله من المتناقضات الشبيهة بهذا الكثير والكثير؛ فهو القائل: (لا هو العالم ولا غيره)، وهو القائل أيضاً: (هو العالم وهو غيره)، وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها من المعنى بين النقيضين مع سلب النقيضين، إذ ليس مذهبه في الغيرين مذهب الصفاتية[٢].

ويتشابه أهل الكشف الباطل جميعاً في أصل واحد؛ ألا وهو الجمع بين النقيضين والقول بما تحيله العقول؛ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ذلك عنهم؛ حيث يقول:

"فإن الجمع بين النقيضين في الإعتقاد في غاية الفساد؛ والقضيتان المتناقضتان بالسلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق أحدهما كذب الأخرى لا يمكن الجمع بينهما.

وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل، وأنهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين، وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول، ولا ريب أن هذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السفسطة.

---

[١] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣١٢/٢).

[٢] – انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ابن تيمية ص(٤٠٨).

ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام أعظم من الأولياء، والأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه؛ فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

وهؤلاء الملاحدة يدّعون: أن محالات العقول صحيحة، وأن الجمع بين النقيضين صحيح، وأن ما خالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح"[1].

فمذهبهم يستلزم الجمع بين النقيضين؛ ومنشأ ذلك أنهم يقولون في عموم الكائنات ما قالته النصارى في المسيح، ولهذا تنوعوا في ذلك تنوع النصارى في المسيح[2].

---

[1] – المصدر السابق (٢/٣١١-٣١٢).

[2] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٢٣١).

المبحث الرابع:

موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في صفة المحبة لله جل وعلا

وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: حقيقة المحبة عند ابن عربي

لو نظرنا إلى كلام ابن عربي في مسألة الحب الإلهي، فإننا نجده قد قسّم الحب في الإنسان عموماً إلى قسمين:

أولاً: نوع طبيعي يشارك فيه الإنسان البهائم والحيوانات.

ثانياً: حب روحاني ينفصل فيه الإنسان عن الحيوانات ويتميز عنها.

أما الحب الطبيعي عموماً: فهو الحب الذي يتطلب به المحب إرضاء نفسه.

وأما الحب الروحاني هو الذي يتطلب به المحب رضا المحبوب[1].

وكما ذكرنا من قبل أن ابن عربي يُسخِّر ويُطوّع كلامه في جميع أبواب الدين لخدمة قوله الباطل بوحدة الوجود؛ فإننا نجده هنا أيضاً يقرر نظرية وحدة الوجود من خلال الكلام عن الحب؛ فيذكر أن (الحب الحقيقي يستغرق حواس المحبوب وعقله، فلا يرى المحب حينئذٍ إلّا محبوبه)[2].

ومن الواضح أن هذه الجملة تفتح له باباً واسعاً ليُبديء من خلاله ويعيد في تقرير نظريته الباطلة.

ويتجلى معنى الوحدة عند ابن عربي في أنه جعل الوصول إلى محبوبية الله تعالى، ثم الوصول إلى منزلة التجلي سبيلاً من سبل الوصول إلى الوحدة؛ فابن عربي يؤكد بكل

---

[1] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٤٣٢).

[2] – المصدر السابق (٢/٤٢٩).

وضوح أن الله يتجلى لكل محبّ تحت حجاب المحبوبية، التي لا يعشقها إلّا بقدر ما يتحلى فيها من مشابهة للإلوهية[١].

وقد ألف ابن عربي في موضوع الحب أشعاراً ذات صبغة صوفية فلسفية، بطريقة رمزية يُغرب فيها كثيراً، وفيها من الفساد والضلال ما الله به عليم.

ويظهر كلامه عن الحب الإلهي –كما سماه– في ديوانه المعروف: (ترجمان الأشواق)، الذي قام هو بشرحه في كتاب عنوانه: (ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق).

فقد زعم ابن عربي أن وحدة الوجود هي تلخيص لمعنى الحب الإلهي؛ فزعم أن الحب أساس الأديان جميعها، في محاولة منه لتمرير القول بصحة جميع العقائد والأديان تحت ستار المحبوبية.

وقد وجدت أن أحد المستشرقين ويُدعى نيكلسون[٢] قد أشار إلى ذلك بقوله:

"ويعلن ابن عربي أن ليس دين أرفع من دين الحب والشوق إلى الله؛ فالحب خلاصة النحل جميعاً، والصوفي الصادق يرحب بدين الحب على أي صورة تبدي"[٣]، والعياذ بالله.

ولهذا الأصل الباطل وغيره يقول ابن عربي:

"لقد صار قلبي قابلاً كل صورة　　فمرعى لغزلان، ودير لرهبان
وبيت لأوثان، وكعبة طائف　　وألواح توراة، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت　　ركائبه، فالحب ديني وإيماني

---

[١] – انظر: ابن عربي حياته ومذهبه، بلاثيوس، كتاب مترجم ص (٢٣٨– ٢٤٣).

[٢] – المستشرق الأنجليزي رينولد ألن نيكلسون (١٨٦٨– ١٩٤٥م)، عالم بالتصوف الإسلامي تعلم في كمبردج وغيرها، ودرس العربية والفارسية، ودرّسهما، واشترك في نشر (تذكرة الأولياء) للعطار، و (اللمع) للسراج، و (ترجمان الأشواق) لابن عربي، وله كتب بالإنكليزية، منها (تاريخ الآداب العربية) و (متصوفو الإسلام) و (دراسات في التصوف الإسلامي) ترجمه إلى العربية أبوالعلا عفيفي. انظر: الأعلام، الزركلي (٣/ ٣٩).

[٣] – الصوفية في الإسلام، نيكلسون ص(١٠٢).

لنا أسوة في بشر هند وأختها وقيس وليلى ثم مَيّ وغيلان"[1].

ولذا فقد ذكر المستشرق نيكلسون أن الرافد الأصيل لحب الله عند ابن عربي إنما هو نزعة من الحب عند النصرانية[2].

وقال المستشرق آسين بلاثيوس: "يبدو أن ابن عربي يضع دين الحب الصوفي فوق كل الأديان"[3]؛ وهذا من عدم مبالاة ابن عربي بالدين من حيث الأصل.

وقد تكلم ابن عربي عن حبه الإلهي قائلاً:

"ولقد بلغ بي قوة الخيال أن كان حبي يجسدني محبوبي من خارج العينين، فلا أقدر أنظر إليه، ويخاطبني وأصغي إليه وأفهم عنه"[4].

وفي موضع آخر يقول:

"إن حبنا لله يكون بالحبين الطبيعي والروحاني معاً.. وهي مسألة صعبة التصور"[5].

---

[1] – ذكر ابن عربي هذه الأبيات في كتابه: "ذخائر الأعلاق، شرح ترجمان الأشواق"، ابن عربي ص (٣٩).

[2] – الصوفية في الإسلام، المستشرق نيكلسون، كتاب مترجم ص (١٠٨).

[3] – ابن عربي حياته ومذهبه، المستشرق آسين بلاثيوس، كتاب مترجم ص (٢٦٦).

[4] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٤٢٩/٢).

[5] – الفتوحات المكية (٤٣٤/٢–٤٣٥).

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام من قول ابن عربي في المحبة

لما كانت العبادة عند أهل السنة: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"[١]، كان الحب من أجلّ العبادات القلبية عند أهل السنة، فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام، ولكن الصوفية فإن الدين عندهم هو الحب فقط؛ كما سبق بيانه في المطلب السابق في أثناء ذكر قول ابن عربي في الحب.

ولا شك أن محبة الله تعالى هي الأساس الذي تبنى عليه العبادة، ولكن العبادة ليست مقصورة على المحبة كما يزعمون؛ بل لها جوانب وأنواع كثيرة غير المحبة، مثل: الخوف والرجاء والذل والخضوع والدعاء إلى غير ذلك.

وفي ذلك يقول العلامة ابن القيم[٢] رحمه الله:

"وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذلك عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان"[٣].

ولهذا كان مكحول[٤] رحمه الله يقول: "من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد"[٥].

---

[١] – رسالة العبودية، ابن تيمية ص(٥)، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/١٤٩).

[٢] – سبق ترجمته.

[٣] – متن القصيدة النونية، ابن القيم ص(٣٥).

[٤] – مكحول الدمشقي أبو عبد الله، عالم أهل الشام، الفقيه، قال الزهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام. سير أعلام النبلاء، الذهبي (٥/ ١٥٥).

[٥] – انظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية (٦٧)، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية تيمية (١٠/١٤٩).

وبيان كلامهم رحمهم الله: أن دعوى الحب لله بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة؛ ولذا ترى من يدعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله عز وجل ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيع لها، وهذا شأن المشركين الذين قالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ١٤٨ ﴾ ،وقالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ٢٠ ﴾ وغير ذلك، وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس إذ قال: ﴿ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ٣٩ ﴾ .

وإنّما المحبة نفس وفاق العبد ربه فيحب ما يحبه ويرضاه ويبغض ما يكرهه ويأباه، وإنّما تتلقى معرفة محاب الله ومعاصيه من طريق الشرع، وإنّما تحصل بمتابعة الشارع؛ ولذا قال الحسن رحمه الله تعالى: (ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣١ ﴾[١]، فمن ادعى محبة الله ولم يك متبعاً رسوله فهو كاذب)[٢]، وقد قال الشافعي[٣] رحمه الله تعالى: (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم)[٤]. وقد وصف الله رسله وأنبياءه بأنهم يدعون ربهم رغباً ورهباً؛ قال سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾[٥].

---

[١] – سورة آل عمران، آية (٣١).

[٢] – انظر: الدر المنثور، السيوطي (٢/ ١٧٧).

[٣] – سبق ترجمته.

[٤] – انظر: ذم الكلام، الهروي ص(٢٤٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (١/ ١٦٤).

[٥] – سورة الأنبياء، آية (٩٠).

فإن العلم والإرادة، أصل لطريق الهدى والعبادة، وقد بعث الله محمدًا ﷺ بأكمل محبة في أكمل معرفة، فأخرج بمحبة الله ورسوله التي هي أصلُ الأعمالِ المحبةَ التي فيها إشراك وإجمال؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴿١٦٥﴾ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٢]، ولهذا كانت المحبة الإيمانية هي الموجبة للذوق الإيماني، والوجد الديني؛ كما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلّا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)[٣].

فجعل ﷺ وجود حلاوة الإيمان معلقاً بمحبة الله ورسوله الفاضلة، وبالمحبة فيه في الله، وبكراهة ضد الإيمان، وفي صحيح مسلم عن العباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)[٤]؛ فجعل ذوق

---

[١] – سورة البقرة، آية (١٦٥).

[٢] – سورة التوبة، آية (٢٤).

[٣] – متفق عليه، رواه البخاري برقم (١٦)، في كتاب: (الإيمان)، باب: (حلاوة الإيمان) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظه (١٠/١).

– ورواه مسلم برقم (١٧٤)، في كتاب: (الإيمان)، باب: (بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظه (٤٨/١).

[٤] – رواه مسلم برقم (١٦٠)، في كتاب: (الإيمان)، باب: (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً) من حديث العباس رضي الله عنه بلفظه (٤٦/١).

طعم الإيمان معلقاً بالرضي بهذه الأصول، كما جعل الوجد معلقاً بالمحبة؛ ليفرق صلى الله عليه وسلم بين الذوق والوجد، الذي هو أصل الأعمال الظاهرة وثمرة الأعمال الباطنة، وبين ما أمر الله به ورسوله وبين غيره؛ كما قال سهل بن عبد الله التستري[١]: (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل، إذ كان كل من أحب شيئاً فله ذوق بحسب محبته)[٢].

وقد سبق معنا قول الحسن في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٣١) ﴾[٣]، وقد ذكر نعت المحبين في قوله: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ (٥٤) ﴾[٤]، فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال، الذي نعت الله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال، المفرق في الملتين قبلنا، وهو الشدة والعزة على أعداء الله، والذلة والرحمة لأولياء الله ورسوله، ولهذا يوجد كثير ممن له وجد وحب مجمل مطلق، كما قال فيه كبير من كبرائهم:

مشرد عن الوطن ... مبعد عن السكن
يبكي الطول والدمن ... يهوى ولا يدري لمن"[٥].

---

[١] – سبق ترجمته.

[٢] – إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٢/ ٣٠٢).

[٣] – سورة آل عمران، آية (٣١).

[٤] – سورة المائدة، آية (٥٤).

[٥] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٥٣–٤٥٥) بتصرف.

وإنّما كان ما حصل عند المتأخرين كابن عربي وغيره من خلل في هذا الباب هو بسبب التوسع في معنى المحبة، حتى خرجوا بها عن المعنى الشرعي إلى معانٍ أخرى باطلة؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"ولهذا قد وجد في نوع من المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة، حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية"[١].

وقال أيضاً رحمه الله:

"وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعاً من الجهل بالدين، إما من تعدي حدود الله، وإما من تضييع حقوق الله، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها"[٢].

فتبيّن بذلك أن الاقتصار على جانب المحبة لا يسمى عبادة، بل قد يؤول بصاحبه إلى الضلال بالخروج عن الدين كما هو الشأن مع ابن عربي.

ولعل منشأ ما ذكره ابن عربي في هذا الباب هو ما أوضحه شيخ الإسلام رحمه الله من أن المحبة لا تكون إلّا من غير لغير، ولما لم يكن ثمة غير عند أهل الوحدة أنكروا المحبة الشرعية بين الرب والعبد، بل ذكر ابن عربي أن الناس لو أنصفوا ما رأوا عابداً ولا معبوداً[٣]، ولا شك أن هذا الكلام فيه من الكفر والإلحاد والتناقض ما لا يخفى[٤]، وقد سبق بيان أوجه تناقضه عند الحديث عن توحيد الربوبية عند ابن عربي.

---

[١] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٧/١٠).

[٢] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧١/٤).

[٣] – ويعلق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه العبارة بقوله: "فمن هم الذين لا ينصفون إن كانوا هم الله ؟ ، فيكون الله هو الذي لا ينصف، وإن كانوا غير الله فقد ثبت الغير".

انظر: مجموع الفتاوى (٣٥٥/٢).

[٤] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٥٣/٢).

فإن قوله: (المحبة لا تكون إلّا من غير لغير، وأنه ما ثمّ غير) مقدمتان باطلتان من كل وجه:

- أولاً: قوله (المحبة لا تكون إلّا من غير لغير) كلام غير صحيح ببداهة العقول؛ فإن الإنسان يحب نفسه وليس غيراً لنفسه.

- ثانياً: أن عبارة (ما ثمّ غير): عبارة باطلة أيضاً بدلالة العقل والحسّ؛ فإن المخلوق غير الخالق، وكل مخلوق غير الآخر.

فتبيّن من ذلك أن كلا المقدمتين اللتين قدمهما بين يديّ حجته باطلتان.

ولعله مما يجب التنبيه عليه هنا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن كثيراً من الاتحادية يخالفون ابن عربي في دعواه أن (المحبة لا تكون إلّا من غير لغير)؛ فإن غيره من أهل الوحدة كابن الفارض مثلاً يرون أن (التوحيد لا يكون إلّا من عبد لرب) أي: لا يكون إلّا من غير لغير، ولا شك في بطلان هذا وذاك؛ فإن الله سبحانه يوحّد نفسه بنفسه؛ قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨** ﴾[١].

ولا شك أن كلا المذهبين باطلين عند الاتحادية:

فدعوى ابن عربي أن المحبة لا تكون إلّا من غير لغير باطلة، ودعوى ابن الفارض أن التوحيد لا يكون إلّا من غير لغير باطلة، ولكن المراد في هذا المقام بيان تناقض كل منهما في أقواله عينها، وتناقضهم أقوالهم فيما بينهم بعضهم لبعض[٢].

---

[١] – سورة آل عمران، آية (١٨).

[٢] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٥٤/٢) وما بعدها.

المطلب الثالث: موقفه من لازم قول ابن عربي في المحبة لله تعالى، وإسقاط التكاليف

مما يظهر جلياً من خلال النظر في كلام ابن عربي أن دعوى سقوط التكاليف[1] عنده كان من أهم أسبابها التوسع في مفهوم المحبة؛ لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كان هذا أصل مقصودهم، ولهذا أنزل الله آية المحبة محنة يمتحن بها المحب، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

فلا يكون محباً لله إلّا من اتبع رسوله، وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلّا بتحقيق العبودية، وكثير ممن يدعي المحبة يخرج عن شريعته وسنته صلى الله عليه وسلم ويدعي من الخيالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره، حتى يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له"[3].

وثمة جانب أخر من جوانب القول بسقوط التكاليف عند ابن عربي وسببٌ من أسبابه، ألا وهو: ما يدور عليه قطب رحى الدين عنده من القول بوحدة الوجود؛ "ولهذا امتنع التكليف عنده، فإن التكليف يكون من مكلِّف لمكلَّف، أحدهما آمرًا والآخر مأمورًا، فامتنع التكليف"[4].

ولا يعجز القوم عن إيجاد حجة على قولهم الباطل؛ وذلك من خلال طريقتهم الباطنية المعهودة في التعامل مع نصوص الشرع؛ بتحريفها عن وجهها الصحيح، وضرب بعضها ببعض، فيذكر شيخ الإسلام رحمه الله إحدى تلك الحجج الباطلة ويبيّن بطلانها؛ يقول رحمه الله:

---

[1] - وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة إن شاء الله في الفصل التاسع من هذا الباب الأول.

[2] - سورة آل عمران، آية (٣١).

[3] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/٢٠٩-٢١٠).

[4] - المرجع السابق (٢/١١٤).

"وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء، وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك مسلك الباطنية في بعض الأمور لا في جميعها، حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة عن بعض الخواص، أو حِلَّ الخمر وغيرها من المحرمات لهم، أو أن لبعضهم طريقًا إلى الله عز وجل غير متابعة الرسول.

وقد يحتج بعضهم بقصة موسي والخضر، ويظنون أن الخضر خرج عن الشريعة؛ فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة!!.

وهم في هذا ضالون من وجهين:

أحدهما: أن الخضر لم يخرج عن الشريعة، بل الذي فعله كان جائزًا في شريعة موسى؛ ولهذا لما بَيَّن له الأسباب أقرّه على ذلك، ولو لم يكن جائزًا لما أقرّه، ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب التي بها أبيحت تلك، فظن أن الخضر كالملك الظالم، فذكر ذلك له الخضر.

والثاني: أن الخضر لم يكن من أمة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته، بل قال له: (إني على علم من علم الله عَلَّمَنِيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه)؛ وذلك أن دعوة موسى لم تكن عامة؛ فإن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة، ومُحَّد ﷺ بعث إلى الناس كافة، بل بعث إلى الإنس والجن باطناً وظاهراً، فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته، لا في الباطن ولا في الظاهر، لا من الخواص ولا من العوام.

بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم إلى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية، وظنوا أن من شهدها سقط عنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد.

وهذا هو دين المشركين الذين قالوا: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾[١]، وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة، الذين يقرون بالأمر والنهي،

---

[١] – سورة الأنعام، آية (١٤٨).

والوعد والوعيد، ويكذبون بالقدر، فإن أولئك يشبهون المجوس، وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشرائع، فهم من شر الناس"[١].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة عامة في هذا الباب، توضح أن كثيراً من غلاة الصوفية قد ضلّوا في باب المحبة، حتى أدى بهم ذلك إلى الخروج الكامل عن الشريعة، وأنهم بذلك قد وقعوا فيما وقع فيه النصارى، بل وشابهوهم من وجوه؛ فيقول رحمه الله:

"وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخاً في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله، مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوماً فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم ديناً، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم ديناً، ثم إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها، كما يدعي النصارى في المسيح، ويثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه، إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع"[٢].

فقوام الدين الحق، هو: الإخلاص والإتباع؛ فهذا قطب الدين وما يدور عليه رحاه، والمحبة الحقيقية لله تعالى إنما هي في اتباع شرعه عزوجل، وما بعث به رسوله ﷺ كما سبق بيانه، وحول نفس هذا المعنى يقول ابن تيمية رحمه الله:

"وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا؛ وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك.

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/٢٦٦-٢٦٨).

[٢] - المصدر السابق (١٠/٢١٢-٢١٣).

وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل؛ فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلّا ما كان لله، ولا يكون لله إلّا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع.

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله بل لا يكون لله إلّا ما جمع الوصفين: أن يكون لله، وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب؛ كما قال : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[١]؛ فلابد من العمل الصالح وهو الواجب والمستحب، ولابد أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

وهذا الأصل هو أصل الدين، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين، و به أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وإليه دعا الرسول وعليه جاهد، و به أمر وفيه رغّب، وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه"[٣].

---

[١] – سورة الكهف، آية (١١٠).

[٢] – سورة البقرة، آية (١١٢).

[٣] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/٢١٣–٢١٤).

الفصل الخامس

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في توحيد الألوهية

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقفه من زعم ابن عربي صحة دين عبدة الأصنام والأوثان .

المبحث الثاني : موقفه من زعم ابن عربي أن فرعون كان محقاً حينما قال (أنا ربكم الأعلى) .

المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي بصحة جميع العقائد .

المبحث الرابع : موقفه من زعم ابن عربي أن النصارى أخطئوا لما خصوا الحلول بشخص واحد .

المبحث الأول:

موقفه من زعم ابن عربي صحة دين عبدة الأصنام والأوثان

إن من المعلوم بالاضطرار من شرائع الرسل –صلوات الله وسلامه عليهم– أنهم ما جاءوا إلّا لتقرير التوحيد، ولدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة كل ما يعبد من دون الله؛ من الأصنام والأوثان والمخلوقين؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1] .

وعبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له هي الغاية التي خلق الله من أجلها الجن والإنس، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"والعبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خَلق الخلق لها، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[2]، وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه ﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾[3]، وكذلك قال هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم لقومهم: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴿٣٦﴾ ﴾[4] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[5]، وقال: ﴿ إِنَّ

---

[1] – سورة النحل ، آية (٣٦).

[2] – سورة الذاريات ، آية (٥٦).

[3] – سورة الأعراف ، آية (٥٩).

[4] – سورة النحل ، آية (٣٦).

[5] – سورة الأنبياء ، آية (٢٥).

هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ (٩٢) ﴾[١] ،كما قال في الآية الأخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ (٥١) وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ (٥٢) ﴾[٢].

وجعل ذلك لازماً لرسوله -ﷺ- إلى الموت كما قال: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ (٩٩) ﴾[٣].

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ (٢٠) ﴾[٤] ، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ۩ (٢٠٦) ﴾[٥].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾[٦] "[٧].

فعبادة الله سبحانه وتعالى وحده هي لبُّ الدين، وأساس العقيدة، فلا يصح دين مع صرف العبادة لغير الله تعالى، سواء كانت عبادة بدنية، أو عبادة قلبية.

---

[١] - سورة الأنبياء ، آية (٩٢).

[٢] - سورة المؤمنون ، آية (٥١-٥٢).

[٣] - سورة الحجر ، آية (٩٢).

[٤] - سورة الأنبياء ، آية (١٩-٢٠).

[٥] - سورة الأعراف ، آية (٢٠٦).

[٦] - سورة غافر ، آية (٦٠).

[٧] - العبودية ، ابن تيمية (٤٤-٤٥)، مجموع الفتاوى (١٠/١٥٠-١٥١).

وقد ضلّ ابن عربي في باب توحيد العبادة ضلالاً بعيداً؛ فجعل عبادة غير الله سبحانه من الأصنام والأوثان هي نفس عبادة الله تعالى، وأخذ يوهّن من توحيد الله تعالى، ويدّعي أن التوحيد الحقيقي إنما هو في وحدة الوجود، فقال في "الفتوحات المكيّة":

"كيف التوكل والأعيان ليس سوى ... عين الموكل لا عين ولا أثر"[١].

بل قال إن وجود تلك المعبودات الباطلة هو عين وجود الله -تعالى الله عن قوله علواً كبيراً-.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمّا تضمنه كتاب (فصوص الحكم) من ضلالات: "ما تضمنه كتاب (فصوص الحكم) وما شاكله من الكلام: فإنه كفر باطناً وظاهرًا، وباطنه أقبح من ظاهره، وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة، وأهل الحلول، وأهل الاتحاد، وهم يسمون أنفسهم المحققين.

وهؤلاء نوعان: نوع يقول بذلك مطلقًا[٢]، كما هو مذهب صاحب الفصوص ابن عربي وأمثاله ممن يقول: إن الوجود واحد، ويقولون: إن وجود المخلوق هو وجود الخالق، لا يثبتون موجودين خلق أحدهما الآخر، بل يقولون: الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق.

ويقولون: إن وجود الأصنام هو وجود الله، وإن عبّاد الأصنام ما عبدوا شيئاً إلّا الله، ويقولون: إن عبّاد العجل ما عبدوا إلّا الله، وإن موسى أنكر على هارون لكون هارون أنكر عليهم عبادة العجل، وإن موسى كان -بزعمهم- من العارفين الذين يرون الحق في كل شيء، بل يرونه عين كل شيء..ونحو ذلك مما يقوله صاحب الفصوص"[٣].

---

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٤/١٦٣)

[٢] - هذا هو القسم الأول الذي يذكره شيخ الإسلام وهو الذين يقولون بالإتحاد المطلق الذي هو وحدة الوجود، وثمّ قسم ثان مرّ ذكره في أثناء هذا البحث: وهو القائلون بالإتحاد المقيد؛ كقول النصارى في المسيح عليه السلام ،والعلويّة في علي ﷺ، والنصيرية في مُحَمَّد بن نصير وغيرهم كما سبق ذكره.

[٣] - مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (٢/٣٦٤-٣٦٥) بتصرف.

وقد أظهر ابن عربي ضلاله هذا في دعوى التحقيق والعرفان؛ وأن من شهد هذا الشهود فقد بلغ المنزلة العظيمة العالية، وأن نبي الله موسى -عليه السلام- كان من العارفين؛ لأنه رأى الحق في كل شيء، بل رآه عين كل شيء، وفي هذا من الكذب وسوء الأدب والتنقص من مقام نبي الله موسى -عليه السلام- ما لا يخفى.

فهذا الضلال المبين فرع على عقيدة وحدة الوجود الفاسدة، فهو مذهب باطني باطل، ودخيل على عقيدة المسلمين؛ فالشرك عند ابن عربي هو التوحيد الذي عليه المسلمون من إفراد الله تعالى وحده دون سواه، والبراءة مما يُعبد من دون الله؛ فيقول: "فيا أيها الموحد أين تذهب؟ وأنت توحد، توحيدك يشهد بأنك أشركت؛ إذ لا يثبت توحيد إلّا من موحد وموحد"[1].

وأما حقيقة التوحيد عنده فهي عدم حصر العبادة على معبود واحد؛ لأن كل المعبودات مظاهر تجلي لإله واحد؛ يقول ابن عربي: "المشركون هم الذين وقعوا على الشركة في الأسماء الإلهية لأنها اشتركت في الدلالة على الذات، وتميزت بأعيانها بما تدل عليه من رحمة ومغفرة وانتقام وحياة وعلم وغير ذلك...

فلا تجزع من أجل الشريك الذي شقي صاحبه، فإن ذلك ليس بمشرك حقيقة، وأنت هو المشرك على الحقيقة؛ لأنه من شأن الشركة اتحاد المشترك فيه، فيكون لكل واحد الحكم فيه على السواء"[2].

ويؤكد ابن عربي أن المشركين موحدون لكنهم سلكوا طريقاً بعيدة حتى يصلوا إلى حقيقة التوحيد، وهذه الطريق البعيدة هي حصرهم التوحيد على صورة واحدة وهي آلهتهم[3]؛

---

[1] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٤/ ٣٠٨)، وانظر: وحدة الأديان في عقائد الصوفية، سعيد معلوي ص(٦٤١) وما بعدها.

[2] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/ ١٣٤- ١٣٥).

[3] – انظر: وحدة الأديان في عقائد الصوفية، سعيد معلوي ص(٦٤٥) بتصرف.

يقول ابن عربي: "لا تتخيل أن المشرك لا يقول بالواحد، بل يقول به ولكن من مكان بعيد؛ ولهذا شقي بالبعد، والمؤمن يقول به من مكان قريب، ولهذا سعد بالقرب"[١].

وهؤلاء -يعني: ابن عربي وأمثاله- من جنس الجهميّة الذين يقولون: إن الله بذاته حال في كل مكان، ولكن أهل وحدة الوجود حققوا هذا المذهب أعظم من تحقيق غيرهم من الجهمية[٢].

ولهذا فإن كل من كان منهم أعرف بباطن المذهب وحقيقته، كان أعظم كفرًا وفسقاً؛ كالتلمساني؛ فإنه كان من أعرف هؤلاء بهذا المذهب، وأخبرهم بحقيقته، فأخرجه ذلك إلى الفعل فكان يعظم اليهود والنصارى والمشركين، ويستحل المحرمات ويصنف للنصيريّة كتبًا على مذهبهم، يقرهم فيها على عقيدتهم الشركية. وكذلك ابن سبعين كان من أئمة هؤلاء، وكان له من الكفر والسحر -الذي يسمى السيميا- والموافقة للنصارى، والقرامطة والرافضة، ما يناسب أصوله. فكل من كان أخبر بباطن هذا المذهب، ووافقهم عليه، كان أظهر كفرًا وإلحادًا[٣].

وتمشياً مع هذا القول الباطل الذي يعود على دين الإسلام بالإبطال، فقد ادعى ابن عربي تصحيح ملة المجرمين المشركين المعذبين في جهنم، وادعى أن فهم الكُمَّل من الأولياء في قوله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾[٤]، هو أن المجرمين هم أهل الاستقامة على صراط رب العالمين، فقال في "فصوصه":

" والمجرمون هم الذين استحقوا المقام الذي ساقهم إليه بريح الدبور، التي أهلكهم عن نفوسهم بها، فهو يأخذ بنواصيهم، والريح تسوقهم وهى عين الأهواء التي كانوا عليها إلى جهنم، وهى البعد الذي كانوا يتوهمونه، فلما ساقهم إلى ذلك الموطن حصلوا في عين القرب، فزال البعد، فزال مسمى جهنم في حقهم، ففازوا بنعيم القرب من جهة

---

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢/ ١٣٣).

[٢] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٦٧).

[٣] - انظر: المرجع السابق (٢/٣٦٦-٣٦٧).

[٤] - سورة مريم ، آية (٨٦).

الاستحقاق؛ لأنهم مجرمون فما أعطاهم هذا المقام الذوقي اللذيذ من جهة المنة، وإنما أخذوه بما استحقته حقائقهم من أعمالهم التي كانوا عليها، وكانوا في السعي في أعمالهم على صراط الرب المستقيم؛ لأن نواصيهم كانت بيد من له هذه الصفة، فما مشوا بنفوسهم، وإنما مشوا بحكم الجبر إلى أن وصلوا إلى عين القرب: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ ﴾[1] "[2].

فسوى بين الموحدين الذين يعبدون الله سبحانه وتعالى، وبين المجرمين المشركين الذين يعبدون غير الله من الأصنام والأوثان، ودعاه هذا القول الباطل إلى تحريف كتاب الله تعالى، وتأويله تأويلاً باطنياً ما أنزل الله به من سلطان، فسوى بين أهل الجحيم وأهل النعيم المقيم؛ والله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل:

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢٠ ﴾[3] .

وقد كذب أولئك القوم فيما قالوا؛ فإن السعادة الحقيقة للعبد إنما هي في توحيد الله سبحانه لا شريك الله؛ فهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولا تزال قلوب العباد في حاجة إلى توحيد الله سبحانه ومحبته، وخلع كل معبود من دونه عز وجل؛ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في ذلك في كتابه القيم "طريق الهجرتين": "اعلم أن

---

[1] – سورة الواقعة ، آية (٨٥).

[2] – فصوص الحكم ص (١٠٨).

[3] – سورة السجدة ، آية (١٨–٢٠).

حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم، والسجود، والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها؛ بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به؛ فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلّا هو، فلا تطمئن الدنيا إلّا بذكره، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولابد لها من لقائه؛ ولا صلاح لها إلّا بمحبتها وعبوديتها له؛ ورضاه وإكرامه لها"[١] .

إذن فتصحيحه وتصويبه لدين المشركين وعبدة الأوثان كان فرعاً فاسداً من شجرة وحدة الوجود الفاسدة، بل لم يقتصر الأمر عنده على ذلك؛ بل إن القول بوحدة الوجود حمل القائلين به على أن استحلوا المحرمات؛ كما حكى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن فاجرهم التلمساني الذي كان أخبث القوم وأعمقهم كفراً، أنه كان يستحل جميع المحرمات؛ حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: (البنت والأم والأجنبية شيء واحد، ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم)؛ فعنده ما ثمّ غير ولا سوى بوجه من الوجوه؛ بل العبد إنّما يشهد السوى ما دام محجوباً، فإذا انكشف حجابه رأى أنه ما ثمّ غير يبين له الأمر[٢].

" وكذلك ما في شعر ابن الفارض في قصيدته التي سماها نظم السلوك كقوله :

لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن ... صلاتي لغيري في أداء كل سجدة

وقوله:

وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

---

[١] - طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم (٥٧-٥٨).

[٢] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٧٢).

وقوله:

إلي رسولاً كنت مني مرسلاً ... وذاتي بآياتي عليَّ استدلت

فأقوال هؤلاء ونحوها باطنها أعظم كفراً وإلحاداً من ظاهرها، فإنه قد يظن أن ظاهرها من جنس كلام الشيوخ العارفين أهل التحقيق والتوحيد، وأما باطنها فإنه أعظم كفراً وكذباً وجهلاً من كلام اليهود والنصارى وعباد الأصنام "[1].

ثمّ يسوق رحمه الله بعض العبارات التي يتلفظ بها هؤلاء مبيناً بطلانها؛ فيقول:

"وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الأب، فقال: (طف ببيت ما فارقه الله طرفة عين قط)، فهذا كفر بإجماع المسلمين فإن الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله، وأما الطواف بالأنبياء والصالحين فحرام بإجماع المسلمين؛ ومن اعتقد ذلك ديناً فهو كافر سواء طاف ببدنه أو بقبره.

وقوله : (ما فارقه الله طرفة عين قط) إن أراد به الحلول المطلق العام فهو مع بطلانه متناقض؛ فإنه لا فرق حينئذ بين الطائف والمطوف به فلم يكن طواف هذا بهذا أولى من العكس؛ بل هذا يستلزم أنه يُطاف بالكلاب والخنازير والكفار والنجاسات والأقذار وكل خبيث وكل ملعون؛ لأن الحلول والاتحاد العام يتناول هذا كله"[2].

فبيّن رحمه الله بهذا الإلزام العقلي بطلان قول هؤلاء وعظم بدعتهم؛ بل إن ذنوب هؤلاء وبدعهم من أعظم أسباب ظهور الأعداء على أمة الإسلام قديماً وحديثاً؛ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وكثيراً ما كنت أظن أن ظهور مثل هؤلاء أكبر أسباب ظهور التتار، واندراس شريعة الإسلام، وأن هؤلاء مقدمة الدجال الأعور الكذاب، الذي يزعم أنه هو الله.

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٦٥-٣٦٦).

[2] - المصدر السابق (٢/٣٠٨-٣٠٩).

فإن هؤلاء عندهم كل شيء هو الله، ولكن بعض الأشياء أكبر من بعض وأعظم"[1].

ولم ينقم أهل وحدة الوجود على أهل الشرك بالله في شركهم شيئاً، اللّهم إلّا ما كان منهم من مجرد الإنكار على عباد الأصنام أنهم اقتصروا على بعض المظاهر في صرف العبادة لها دون بعض !!؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"وكذلك يقولون في المشركين عباد الأصنام إنّما كان خطؤهم لأنهم اقتصروا على بعض المظاهر دون بعض، وهم يجوزون الشرك وعبادة الأصنام مطلقاً على وجه الإطلاق والعموم، ولا ريب أن في قول هؤلاء من الكفر والضلال ما هو أعظم من كفر اليهود والنصارى، وهذا المذهب شائع في كثير من المتأخرين، وكان طوائف من الجهمية يقولون به، وكلام ابن عربي في فصوص الحكم وغيره، وكلام ابن سبعين وصاحبه الششتري، وقصيدة ابن الفارض نظم السلوك، وكلام العفيف التلمساني وعبد الله البلياني والصدر القونوي، وكثير من شعر ابن إسرائيل وما ينقل من ذلك عن شيخه الحريري؛ وكذلك نحو منه يوجد في كلام كثير من الناس غير هؤلاء هو مبني على هذا المذهب -مذهب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود-.

وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب، فإن هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال ما حير كثيراً من الرجال"[2].

ومما سبق يتضح أن أصل ضلال هؤلاء في أبوب العبادة وغيرها: أنهم لم يعرفوا مباينة الله لمخلوقاته وعلوه عليها، فلم يقدروه حق قدره سبحانه؛ فعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمس نفسها كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله[3].

---

[1] - المصدر السابق (٢/٤٧٥).

[2] - مجموع الفتاوى (٢/٢٩٦-٢٩٧).

[3] - انظر: المصدر السابق (٢/٢٩٧).

المبحث الثاني

موقفه من زعم ابن عربي أن فرعون كان محقاً حينما قال (أنا ربكم الأعلى)

إن مما هو معلوم ومما لا ينازع فيه أحد أن فرعون مات كافراً، وكونه من أهل النار هو مما علم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى؛ فإن أهل الملل الثلاثة متفقون على أنه من أعظم الخلق كفراً، ولهذا لم يذكر الله تعالى في القرآن قصة كافر كما ذكر قصته في بسطها وتثنيتها، ولا ذكر عن كافر من الكفر أعظم مما ذكر من كفره واجترائه وكونه أشد الناس عذاباً يوم القيامة.

ولهذا كان المسلمون متفقين على أن من توقف في كفره، وكونه من أهل النار فإنه يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلّا قتل كافراً مرتداً، فضلاً عمن يقول إنه مات مؤمناً.

ولكن ابن عربي لم يكتف بتصحيح عبادة كل معبود -كما سبق بيانه-، حتى جعل فرعون اللعين الذي لم تعرف الأرض قبله أكفر منه ولا أظلم، من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة حيث يقول في كتابه "فصوص الحكم":

"ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف[1]؛ لذلك قال: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2]، أي: وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى منهم؛ بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه، بل أقروا له بذلك؛ فقالوا: ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾[3]؛ فالدولة لك، فصح قوله: (أنا ربكم الأعلى)"[1].

---

[1] - وهنا تظهر إشارته الخبيثة الباطنية أن فرعون كان الخليفة بالسيف، ويعني بالخليفة قول الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ ﴿٢٦﴾ ﴾ فيقيس الخلافة الشرعية النبوية على فرعون المتسلط الكافر.

[2] - سورة النازعات ، آية (٢٤).

[3] - سورة طه ، آية (٧٢).

فزعم أن فرعون كان أعلم بالله من رسل الله عليهم الصلاة والسلام؛ لأنه عرف حقيقة الحق، وأما أهل التوحيد الحق فما عرفوا إلّا وجهاً واحداً، ولم يعرفوا أن الكل أرباب وأنهم مخلوقون في نفس الوقت، فالإنسان عنده هو الحق، والرب عنده هو الخلق؛ ولذلك قال ابن عربي معللاً كلمة فرعون: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] أن الكل أرباب بنسبة ما؛ وفرعون أعلى من هؤلاء الأرباب؛ لأنه الملك المطاع في ذلك الوقت، فصحّت هذه الدعوى منه.

وهذا ضلال مبين وتحريف للكلم عن مواضعه، بل هو من التلاعب بكلام الله عزوجل، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

وعلى هذا فقد حكم له بالإيمان والجنة زاعماً أنه آمن عندما رأى انفلاق البحر لبني إسرائيل، وأنه مات مؤمناً موحداً، وأنكر على من يقول: إنه من المعذبين قائلاً:

" ليس لديهم نص في هذا المعنى"[3].

ولا عجب أن نجد بعد ذلك أن ابن عربي يعظّم فرعون، ويدّعي إيمانه وعرفانه؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"والمقصود هنا أن هؤلاء الاتحادية من أتباع صاحب (فصوص الحكم) وصاحب (الفتوحات المكية) ونحوهم، هم الذين يعظّمون فرعون، ويدّعون أنه مات مؤمناً، وأن تغريقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون: ليس في القرآن ما يدل على كفره، ويحتجون على إيمانه بقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[4]"[1].

---

[1] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٢١٠-٢١١).

[2] - - سورة النازعات ، آية (٢٤).

[3] - فصوص الحكم ص (٢١١).

[4] - سورة يونس ، آية (٩٠).

فهذا الذي قاله ابن عربي إفكٌ مفترى، وكفرٌ واضحٌ مبينٌ، وهذه الحجة التي احتج بها حجة داحضة؛ فإن الله تعالى يقول عن فرعون في كتابه الكريم: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ (٩٩) ﴾[٢].

فهذا القول الشنيع المخالف لما جاء في كتاب الله تعالى ما هو إلّا نفاقٌ وزندقةٌ؛ كما حكم بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: " والشك في كفره أو نفيه أعظم منه في كفر أبي لهب ونحوه، وأعظم من ذلك في أبي جهل وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث ونحوهم ممن تواتر كفرهم ولم يذكر باسمه في القرآن، وإنما ذكر ما ذكر من أعمالهم، ولهذا لم يظهر عن أحد التصريح بأنه مات مؤمناً إلّا عمن فيه من النفاق والزندقة أو التقليد للزنادقة والمنافقين ما هو أعظم من ذلك، كالاتحادية الذين يقولون: إن وجود الخالق هو وجود الخلق، حتى يصرحون بأن يغوث ويعوق ونسرا وغيرها من الأصنام وجودها وجود الله، وأنها عُبدت بحق، وكذلك العجل عُبد بحق، وأن موسى أنكر على هارون نهيه عن عبادة العجل، وأن فرعون كان صادقاً في قوله: أنا ربكم الأعلى، وأنه عين الحق، وأن العبد إذا دعا الله تعالى فعين الداعي عين المجيب، وأن العالم هويته، ليس وراء العالم وجود أصلاً.ومعلوم أن هذا بعينه هو حقيقة قول فرعون الذي قال: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ (٣٦) أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ (٣٧) ﴾[٣]، ولقد خاطبت بعض الفضلاء مرة بحقيقة مذهبهم، وأنه حقيقة

---

[١] – جامع الرسائل لابن تيمية (١/٢٠٧).

[٢] – سورة هود ، آية (٩٦–٩٩).

[٣] – سورة غافر ، آية (٣٦–٣٧).

قول فرعون فذكر لي رئيس من رؤسائهم أنه لما دعاه إلى هذا القول وبيّنه قال: (قلت له: هذا قول فرعون)، فقال له: (ونحن على قول فرعون)؛ وما كنت أظن أنهم يقرّون أو يعترفون بأنهم على قول فرعون"[١].

وتلك الحجة التي احتج بها صاحب الفصوص ومن تبعه على قوله، من أن إغراق فرعون كان بمثابة الغسل للكافر، وأنه آمن عند انفلاق البحر فمات موحداً، قدّ بيّن شيخ الإسلام بطلانها، وأنها ليست إلّا تلبيسٌ بالباطل؛ فقال رحمه الله مبيناً كذب وزور هذه الدعوى:

"وتمام القصة تبيّن ضلالهم؛ فإنه قال سبحانه: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[٢]، وهذا استفهامٌ إنكارٌ وذمٌ، ولو كان إيمانه صحيحاً مقبولاً لما قيل له ذلك.

وقد قال موسى عليه السلام: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾[٣]، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴿٨٩﴾ ﴾[٤]، فاستجاب الله دعوة موسى وهارون؛ فإن موسى كان يدعو وهارون يؤمن أن فرعون وملأه لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

---

[١] – جامع الرسائل والمسائل، ابن تيمية (١/٢٠٤–٢٠٥).

[٢] – سورة يونس، آية (٩١).

[٣] – سورة يونس، آية (٨٨).

[٤] – سورة يونس، آية (٨٩).

ثم إنه سبحانه وتعالى قال بعد قوله: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ ﴿٩٢﴾ ﴾[1]، فجعله الله تعالى عبرة وعلامة لمن يكون بعده من الأمم لينظروا عاقبة من كفر بالله تعالى؛ ولهذا ذكر الله تعالى الاعتبار بقصة فرعون وقومه في غير موضع.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾[2]، فأخبر سبحانه أن كل واحد من هؤلاء المذكورين –فرعون وغيره– كذب الرسل كلهم، إذ لم يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض كاليهود والنصارى، بل كذبوا الجميع، وهذا أعظم أنواع الكفر؛ فمن وصف بالكفر الخاص الأشد، كيف لا يدخل في الكفر؟!. ثم إن الله تعالى أخبر عن فرعون بأعظم أنواع الكفر: من جحود الخالق، ودعواه الإلهية، وتكذيب من يقر بالخالق سبحانه، ومن تكذيب الرسول ووصفه بالجنون والسحر وغير ذلك، ومن المعلوم بالاضطرار أن الكفار العرب الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم –مثل أبي جهل وذريته– لم يكونوا يجحدون الصانع، ولا يدعون لأنفسهم الإلهية، بل كانوا يشركون بالله ويكذبون رسوله.

وفرعون كان أعظم كفراً من هؤلاء؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

---

[1] – سورة يونس، آية (٩١–٩٢).

[2] – سورة ق، آية (١٢–١٤).

[3] – سورة غافر ، آية (٣٦–٣٧).

أخبر الله سبحانه وتعالى أن فرعون ومن ذكر معه قال إن موسى ساحر كذاب، وهذا من أعظم أنواع الكفر.

ثم أخبر الله أنه أمر بقتل أولاد الذين آمنوا معه لينفروا عن الإيمان معه كيداً لموسى؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (٢٥) ﴾[١]؛ فدل على أنهم من الكافرين الذين كيدهم في تباب، فوصفهم بالتكذيب وبالكفر جميعاً، وإن كان التكذيب مشتملاً مستلزماً للكفر، كما أن الرسالة مستلزمةٌ للنبوة، والنبوة مستلزمةٌ للولاية.

ثم أخبر عن فرعون أنه طلب قتل موسى وقال: (وليدع ربه)، وهذا تنبيه على أنه لم يكن مقراً بربه، ولهذا قال في تمام الكلام: ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى (٣٨) ﴾[٢]، وهذا جحدٌ صريحٌ لإله العالمين، وهي الكلمة الأولى.

ثم قال بعد ذلك لما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾[٣]، قال الله تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ (٢٥) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ (٢٦) ﴾[٤]، قال كثير من العلماء: أي نكال الكلمة الآخرة، ونكال الكلمة الأولى، وفرعون هو أكثر الكفار ذكراً في القرآن، وهو لا يذكره سبحانه إلّا بالذم والتقبيح واللعن، ولم يذكره بخير قط[٥].

---

[١] – سورة غافر ، آية (٢٥) ، وفي الأصل قال شيخ الإسلام: " وما كيد الكافرين إلّا في تباب" ولعل هذا الخطأ كان سهواً منه رحمه الله، فالآية كما أثبتُّها هنا.

[٢] – سورة القصص ، آية (٣٨).

[٣] – سورة النازعات ، آية (٢١–٢٤).

[٤] – سورة النازعات ، آية (٢٥–٢٦).

[٥] – ورغم كل هذه الأدلة التي ساقها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والتي تدل على كفر المجرم فرعون وأنه من أكثر الكفار ذكراً في القرآن؛ إلا أن هؤلاء الملاحدة أهل الوحدة يزعمون أنه مات مؤمناً طاهراً، بل لم ينطق بأكثر من الحقيقة.

وهؤلاء الملاحدة المنافقون يزعمون أنه مات طاهراً مطهراً ليس فيه شيءٌ من الخبث، بل يزعمون أن السحرة صدقوه في قوله: (ما علمت لكم من إله غيري)، وأنه صحّ قوله: (أنا ربكم الأعلى)، وأنه كان عين الحق[1].

وهؤلاء مع تعظيمهم لفرعون يشاركون في حقيقة كفره، وإن كانوا مفارقين له من جهة أخرى، فإن عندهم: ما ثمّ موجود غير الله أصلاً، ولا يمكن أحد أن يتخذ إلهاً غيره؛ لأنه أي شيء عبد العابد من الأوثان والأصنام والشياطين، فليست عندهم غير الله أصلاً، وهل يقال هي الله؟، لهم في ذلك قولان"[2].

وقد أشار رحمه الله إلى أنهم في سبيل ذلك قد حرّفوا آيات الله جل وعلا، فيقول:

"فإنّ هؤلاء الملاحدة يزعمون أنه ليس في القرآن آية تدل على عذابه، ويقولون إنما قال تعالى: ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾[3]، قالوا: فأخبر أنه يوردهم، ولم يذكر أنه دخل معهم، قالوا: وقد قال: ﴿ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ (٤٦) ﴾[4]، فإنّما يدخل النار آل فرعون لا فرعون !!.

وهذا من أعظم جهلهم وضلالهم، فإنه حيث ذكر في الكتاب والسنة آل فلان كان فلان داخلاً فيهم، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ﴾[5]، وقوله: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ (٣٤) ﴾[6]، وقوله: ﴿

---

[1] - وهذا جرياناً على الأصل الفاسد الذي سبق مناقشته من أن الوجود واحد، والعياذ بالله.

[2] - جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية، محمّد رشيد رضا(١/٢١١) بتصرّف يسير.

[3] - سورة هود ، آية (٩٨).

[4] - سورة غافر ، آية (٤٦).

[5] - سورة آل عمران ، آية (٣٣).

[6] - سورة القمر ، آية (٣٤).

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ (١٣٠) ﴾[1]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم صل على آل أبي أوفى)[2]، وقوله: (لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود)[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ (٤٩) ﴾[4]، وقوله ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ (٤٢) ﴾[5]،وقوله: ﴿ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ (٤٦) ﴾[6] متناول له له ولهم باتفاق المسلمين، وبالعلم الضروري من دين المسلمين.

ثم قال: ﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ (٤٧) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ (٤٨) ﴾[7].

ومعلوم أنّ فرعون هو أعظم الذين استكبروا، ثم هامان وقارون، وأن قومهم كانوا لهم تبعاً، وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذي قال: (ما علمت لكم من إله غيري)، وقال: (أنا ربكم الأعلى).

---

[1] - سورة الصافات ، آية (١٣٠).

[2] - متفق عليه ، رواه البخاري "باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة" برقم (١٤٩٧)، ومسلم "باب الدعاء لمن أتى بصدقته" برقم (٢٥٤٤).

[3] - متفق عليه ، رواه البخاري "باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن" برقم (٥٠٤٨)، ومسلم "باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن" برقم (١٨٨٧).

[4] - سورة البقرة ، آية (٤٩).

[5] - سورة القمر ، آية (٤١-٤٢).

[6] - سورة غافر ، آية (٤٦).

[7] - سورة غافر ، آية (٤٧-٤٨).

فأخبر سبحانه أنّهم اتبعوا أمره، وأنه يقدمهم؛ لأنه إمامهم فيكون قادماً لهم لا سائقاً لهم، وأنه يوردهم النار، فإذا كان التابع قد ورد النار فمعلوم أن القادم الذي يقدمه وهو متبوعه ورد قبله، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1].

والتابع والمتبوع كما قال الله تعالى في تلك السورة عن فرعون وقومه: ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾[2]"[3].

فتبيّن بطلان هذا القول، وضلال القائلين به؛ ففرعون عندهم من أعظم العارفين، فلا يبعد أن يكون أتباع صاحب (فصوص الحكم) و (الفتوحات المكيّة) هم أتباع الدجال؛ فالدجال عند هؤلاء مثل فرعون من كبار العارفين، وأكبر من الرسل بعد نبينا مُحَمَّد صلى الله تعالى عليه وسلم وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؛ فموسى قاتل فرعون الذي يدعي الربوبيّة، ويسلط الله تعالى مسيح الهدى –الذي قيل فيه: إنه الله تعالى وهو بريء من ذلك– على مسيح الضلالة الذي قال: إنه الله.

ولهذا كان بعض الناس يعجب من كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال عن الدجال: (إنه أعور)[4]، وكونه قال: (واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت)[1].

---

[1] – سورة القصص ، آية (٤٢).

[2] – سورة هود ، آية (٩٩).

[3] – جامع الرسائل والمسائل لابن تيمية، مُحَمَّد رشيد رضا(١/٢٠٧–٢١٦) بتصرّف.

[4] – متفق عليه ، رواه البخاري في: كتاب (الأدب)، باب (قول الرجل للرجل أخسأ) برقم (٦١٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.(٨/٥٠).

– ورواه مسلم في: كتاب (الفتن وأشراط الساعة)، باب (ذكر الدجال وصفته وما معه) برقم (٧٥٤٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.(٨/١٩٤).

وابن الخطيب أنكر أن يكون النبي ﷺ قال هذا؛ لأن ظهور دلائل الحدوث والنقص على الدجال، أبين من أن يستدل عليه بأنه أعور!.

فلما رأينا حقيقة قول هؤلاء الاتحادية، وتدبرنا ما وقعت فيه النصارى والحلوليّة، ظهر سبب دلالة النبي ﷺ لأمته بهذه العلامة، فإنه بعث رحمة للعالمين، فإذا كان كثير من الخلق يُجوّز ظهور الرب في البشر، أو يقول: إنه هو البشر، كان الاستدلال على ذلك بالعور دليلاً على انتفاء الإلهية عنه[٢].

---

[١] – رواه ابن ماجة في سننه في: كتاب (الفتن)، باب (فتنة الدجال، وخروج عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج) من حديث أبي أمامة الباهلي ﵁ برقم (٤٠٧٧)، ولفظه: "ولا ترون ربكم حتى تموتوا". (١٩٧/٥).

[٢] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٧٥/٢-٤٧٦).

المبحث الثالث: موقفه من قول ابن عربي بصحة جميع العقائد

لقد دعا ابن عربي إلى عقيدة وحدة الوجود الباطلة، التي تقرر أن الإله هو الروح الذي يسري في جميع الموجودات، بل الموجودات هي صورته الظاهرة، بل هي عينه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

لذلك رأى أن كل موجود في الوجود هو الله، وأنه لا فرق بين وجود الله ووجود المخلوقين، وبالتالي صحّح عبادة جميع المعبودات من دون الله -كما سبق بيانه-، وصحّح تبعاً جميع الديانات والعقائد؛ كما قال في المشهور عنه:

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه[١]

ولم يقف ضلال ابن عربي في هذا الباب إلى هذا الحد؛ فلم ينسب هذا القول الشنيع إلى نفسه ومن شايعه فحسب؛ بل زعم أن هذه هي عقيدة موسى وعيسى ومُحَّد عليهم الصلاة والسلام، بل وجميع الأنبياء والمرسلين الذين عرفوا الأمر على حقيقته، وعرفوا أن الله تعالى هو عين الوجود بلا تمييز، وزعم أن الرسول ﷺ قد أعطاه كتاب "فصوص الحكم" -كما سبق ذكره-؛ ليخرج به على الناس ليبلغهم الدين الحق والرسالة الصحيحة، التي مفادها -بزعمه- أن الله هو عين كل المعبودات؛ لأن الله هو كل شيء، بل هو عين كل شيء، كما قال في "فصوصه":

" فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء"[٢].

ومن هذا القبيل ما زعمه ابن عربي من أن موسى عليه السلام كان ممن يرون الحق في كل شيء، بل كان ممن يرون الحق عين كل شيء[٣].

---

[١] - يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فهذا البيت يعرف لابن عربي فإن كان قد سبقه إليه الحلاج وقد تمثل هو به، فإضافته إلى الحلاج صحيحة، وهو كلام متناقض باطل". مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢ / ٣١١).

[٢] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٩٢).

[٣] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٥/٢).

ومن هذا القبيل أيضاً ما زعمه أن قوم نوح عليه السلام أجابوا رسولهم إجابة حقيقية، وأن نوحاً عليه السلام مكر بهم فمكروا به، وأن تمسكهم بآلهتهم إنما هو تمسك بحق أراد نوح عليه السلام أن يزيلهم عنه، كما سبق الإشارة إلى ذلك.

بل ويجعل ابن عربي تلك الآلهة الباطلة التي عبدها قوم نوح آلهة حقّة؛ لأنها في زعمه أوجه من وجوه الحق؛ فقال مبرراً جوابهم لنبيهم عليه السلام ومصحّحاً حجتهم:

"فقالوا في مكرهم: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1]؛ فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء؛ فإن للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من يعرفه، ويجهله من يجهله..، فما عبد غير الله في كل معبود"[2].

وإمعاناً في تحريف آيات الله تعالى وتصويباً لشرك المشركين، يجد الناظر في تفسيره لسورة نوح ليّاً لأعناق الآيات لتوافق دعواه الباطلة؛ فيقول مثلاً في تفسير دعوة نوح عليه السلام على قومه: "﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3]: لأنفسهم (المصطفين) الذين أورثوا الكتاب أوّل الثلاثة، فقدمه على المقتصد والسابق، ﴿ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾[4]: إلّا حيرة"[5].

فجعل الظلم المذكور في دعوة نوح على قومه: ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾[6]، جعله من جنس الظلم الذي وصف الله به طائفة من الذين أورثهم الكتاب؛حيث

---

[1] - سورة نوح ، آية (٢٣).

[2] - فصوص الحكم ص (٧٢).

[3] - سورة نوح ، آية (٢٤).

[4] - سورة نوح ، آية (٢٤).

[5] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٧٣).

[6] - سورة نوح ، آية (٢٤).

قال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، وهذا من التلاعب بآيات الله تعالى.

بل حرّف القرآن؛ فجعل الشرك والخطايا التي كانت سبب إهلاكهم؛ جعلها زوراً وبهتاناً الخطى التي خطوا بها إلى الله تعالى، فغرقوا بها في بحار العلم بالله؛ فقال:

"﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ ﴿٢٥﴾ ﴾[2] فهي التي خطت بهم، فغرقوا في بحار العلم بالله؛ ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾[3] فكان الله عين أنصارهم، فهلكوا فيه إلى الأبد"[4].

ثم استغرق في التحريف والتلبيس؛ فحرّف قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ ﴿٢٧﴾ ﴾[5] قائلاً:

" أي يحيروهم؛ فيخرجوهم من العبودية إلى ما هم فيه من أسرار الربوبية، فينظرون أنفسهم أرباباً بعدما كانوا عند أنفسهم عبيداً، فهم العبيد الأرباب"[6].

فكانت جائزة قوم نوح عند ابن عربي على شركهم وكفرهم هي أن جعلهم أرباباً عند أنفسهم؛ حينما عرفوا أسرار الربوبية، وأيقنوا أن كل موجود هو الله -تعالى الله عن قوله علواً كبيراً-.

---

[1] - سورة فاطر ، آية (٣٢).

[2] - سورة نوح ، آية (٢٥).

[3] - سورة نوح ، آية (٢٥).

[4] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٣٣).

[5] - سورة نوح ، آية (٢٧).

[6] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٧٤).

إذن فمن الواضح أن ابن عربي عمد إلى جميع كفار الأرض فجعلهم مؤمنين وعارفين بل وواصلين، وعمد كذلك إلى المسلمين الموحدين فجعلهم مؤمنين بجزء من الحق فقط كافرين بأجزاء أخرى، حتى تجرّأ فجعل الأنبياء في هذه المنزلة الدونيّة؛ من كونهم يعرفون جزءاً من الحق فقط، وأن العارفين فقط -أي: أهل وحدة الوجود عنده- هم من يعرفون حقيقة الحق كاملة؛ ففرعون مثلاً كان أعلم بالله من موسى عليه السلام؛ لأنه عرف حقيقة الحق كاملة، وأما موسى عليه السلام فما عرف إلا وجهاً واحداً من أوجه الحق، ولم يعرف أن الكل أرباباً، كما سبق بيانه عند الحديث عن زعمه إيمان فرعون[1].

وعلى هذه العقيدة الباطلة أيضاً صحّح ابن عربي موقف السامري، وصناعته للعجل الذي فتن به بني إسرائيل، فعبدوه من دون الله، وخطّأ هارون عليه السلام؛ لأنه لم يعرف الحق بإنكاره على بني إسرائيل عبادة العجل؛ وزعم أن موسى عليه السلام عرف الحق وأن إنكاره على السامريّ كان بسبب أنه حصر الإله في شيء واحد فقط؛ فعين كل شيء عنده هي عين الإله وعين الحق -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-[2].

كما زعم أيضاً أن موسى عليه السلام علم أن أصحاب العجل ما عبدوا إلّا الله[3]؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴿٢٣﴾ ﴾[4]، فجعل القضاء الشرعي الديني قضاءاً كونياً قدرياً، وأن الله ما حكم بشيء إلّا وقع، وأن حصول الشيء ووقوعه دليل رضى الله ومحبته؛ لذا زعم أن كل معبود في الأرض إنما هو الله، وما عبد الإنسان شيئاً كائناً ما كان إلّا كان في الحقيقة عابداً لله.

---

[1] - انظر: المبحث السابق من هذا الفصل.

[2] - انظر: فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٩٢).

[3] - انظر: المصدر السابق ص (١٩٢).

[4] - سورة الإسراء ، آية (٢٣).

وهذا خلط عجيب بين القضاء الكوني والقضاء الشرعي، بل هو جهل بآيات الله تعالى، وعدم فهم لمراد الله تعالى، فالفرق بين القضاء الكوني القدري والقضاء الشرعي الديني واضح لمن تدبّر آيات الله تعالى، وجمع بينها وتفهّمها جميعاً.

فلله عز وجل عند هذا الضالّ درجات يعبد فيها، وكل صنم وإله عبد في الأرض، فهو إحدى هذه الدرجات في زعمه، ويحرّف لذلك قوله تعالى:

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴿١٥﴾ ﴾[1]، بل والعجيب في الأمر أنه جعل عبادة الهوى التي جاء القرآن الكريم بذمها صراحة، جعلها أعظم هذه الدرجات وأسماها عنده؛ حيث يقول:

"وما عبد شيء من العالم إلّا بعد التلبس بالرفعة عند العابد، والظهور بالدرجة في قلبه، وكذلك تسمى الحق لنا بـ(رفيع الدرجات)، ولم يقل: (رفيع الدرجة)، فكثّر الدرجات في عين واحدة، فإنه قضى أن لا يعبد إلّا إياه في درجات كثيرة مختلفة، أعطت كل درجة مجلى إلهياً عبد فيها، وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه (الهوى) كما قال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، وهو أعظم معبود، فإنه لا يعبد شيء إلّا به.. ولا يعبد هو إلّا بذاته، وفيه أقول:

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ... ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى"[3].

فقد جعل جميع العقائد صحيحة؛ فالعارف عنده من يعبد كل شيء أياً كان اسمه، فيقول:

"والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر، أو حيوان أو إنسان، أو كوكب أو ملك"[4].

---

[1] - سورة غافر ، آية (١٥).

[2] - سورة الجاثية ، آية (٢٣)

[3] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٩٤).

[4] - المصدر السابق ص (١٩٥).

ثم جعل ابن عربي بعد ذلك كفار قريش الذين تمسكوا بآلهتهم الباطلة قائلين ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ٣ ﴾[1] عابدين لله في الحقيقة، بل هم من العارفين؛ لأنهم عرفوا حقيقة الحق في كثرة الصور، ومما يدل على ذلك قوله:

" فدعا -يعني النبي صلى الله عليه وسلم- إلى إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجملة، ولا يشهد ولا تدركه الأبصار، للطفه وسريانه في أعيانه[2] الأشياء، فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها وصورها الظاهرة، وهو اللطيف الخبير، والخبرة ذوق، والذوق تجل، والتجلي في صور فلا بد منها، ولا بد منه، فلا بد أن يعبده من رآه بهواه إن فهمت، وعلى الله قصد السبيل".

بل لم يقتصر ابن عربي على أن صحّح جميع العقائد؛ بل جعل الله عز وجل أيضاً يعبد كل شيء من الموجودات -تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً-؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حاكياً عنهم هذا الكفر البواح:

"والله يعبد -أيضاً- كل شيء؛ لأن الأشياء غذاؤه بالأسماء والأحكام، وهو غذاؤها بالوجود، وهو فقير إليها وهي فقيرة إليه، وهو خليل كل شيء بهذا المعنى"[3].

فتعالى الله رب العالمين وتقدّس عما يصفه به هذا الكاذب المفتري.

---

[1] - سورة الأحقاف ، آية (٣).

[2] - لعلها: في أعيان الأشياء.

[3] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٦٨/٢).

وبيان مدخل القول بوحدة الأديان عند ابن عربي أنه جعل الإنسان هو محل الظهور والتجلي الإلهي، وفي اعتقاده أن هذا الظهور والتجلي يختلف ويتنوع بتنوع الموجودات واختلافها؛ ويوضح ذلك قوله:

"لقدْ كنتُ قبلَ اليومِ أُنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينِهِ داني
وقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ ... فمرعىً لغزلانٍ وديرٌ لرهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ ... وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بدينِ الحبِّ أنىَّ توجَّهتْ ... ركائبه فالحبُّ ديني وإيماني"[1].

فقد أخبر أنه في السابق كان يرى أن الناس يمكن تصنيفهم على حسب اعتقاداتهم الدينية، فإن كانوا من دين آخر فهو ينكر عليهم وبالتالي ينكرهم، ثم ذكر أنه فجأة وجد قلبه يقبل كل صورة: فمرعى الغزلان ودير الرهبان وبيت الأوثان وكعبة الطائف وألواح التوراة ومصحف القرآن صارت كلها عنده مقبولة؛ فقد تجاوز هذا الضال الخلافات بين العقائد بزعم أنه يدين بدين الحب، الذي به يتجلى الإله في كل الموجودات.

وحتى الاعتقادات الوثنية يراها -وهذه حاله- أن المقصود بها التقرب إلى الله تعالى الذي يتجلى في جميع الأشياء والموجودات، فتوصل بذلك إلى أن المسعى واحد والشكل مختلف، وبذلك قبل كل صورة وصحّح جميع الاعتقادات والديانات الباطلة؛ فما هذه الديانات الباطلة عنده إلّا تجليات للحقيقة الإلهيّة.

ويعتبر ابن عربي أن كل معبود من المعبودات وجه من وجوه الله؛ ويفسر بل يحرّف -كما سبقت الإشارة إلى ذلك- قول الله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ

---

[1] - زخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق، ابن عربي ص (٤٣).

(٢٣) ﴾[1] قائلاً: "حكم وقدّر أزلاً أنكم لا تعبدون غير الله مهما تكن صور معبوداتكم"[2].

وكما سبق معنا قول ابن عربي :

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه

فكيف تصح جميع عقائد الناس رغم تباينها وتناقضها ؟! ؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذا البيت المنسوب لابن عربي:

" وهو كلامٌ متناقضٌ باطلٌ؛ فإن الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد؛ والقضيتان المتناقضتان بالسلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق أحدهما كذب الأخرى لا يمكن الجمع بينهما.

وهؤلاء يزعمون أنه يثبت عندهم في الكشف ما يناقض صريح العقل، وأنهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين وأن من سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول، ولا ريب أن هذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السفسطة .

ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام أعظم من الأولياء والأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول، وهؤلاء الملاحدة يدعون أن محالات العقول صحيحة، وأن الجمع بين النقيضين صحيح، وأن ما خالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح.

ولا ريب أنهم أصحاب خيال وأوهام يتخيلون في نفوسهم أموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتة في الخارج وإنّما هي خيالاتهم، والخيال الباطل يتصور فيه ما لا حقيقة له؛ ولهذا يقولون: (أرض الحقيقة هي أرض الخيال)!، كما يقول ذلك ابن عربي وغيره"[3].

---

[1] – سورة الإسراء، آية (٢٣).

[2] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (٣٣).

[3] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣١١-٣١٢).

لذلك نجد أهل الإلحاد والضلال في زماننا يسعون سعياً حثيثاً لنشر مذهب ابن عربي بين أوساط المسلمين، ولعل السر في ذلك هو تأصيل هذا المذهب الفاسد لفكرة وحدة الوجود، والتي تقود بدورها إلى فكرة وحدة الأديان، وأن أهل الديانات الباطلة كلهم على حق؛ وأنها جميعها طرق موصلة إلى الله؛ وذلك لسلخ المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وهويتهم ، فالله المستعان.

ولعل مما يفسر لنا اهتمام أهل الباطل وأعداء الإسلام بتراث وأدبيات ابن عربي، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عنه وأمثاله من أهل الوحدة، من كونهم يصوبون جميع الملل بل ويدخلون معهم بيعهم وكنائسهم؛ فيقول رحمه الله في معرض كلامه عن الباطنية والفلاسفة ومن يقولون بإسقاط الشرائع:

"فغالب هؤلاء لا يوجبون شريعة الإسلام، بل يجوزون التهود والتنصر، وكل من كان من هؤلاء واصلاً إلى علمهم فهو سعيد، وهكذا تقول الاتحادية منهم كابن سبعين، وابن هود، والتلمساني ونحوهم، ويدخلون مع النصارى بيعهم ويصلون معهم إلى الشرق، ويشربون معهم ومع اليهود الخمر، ويميلون إلى دين النصارى أكثر من دين المسلمين لما فيه من إباحة المحظورات؛ ولأنهم أقرب إلى الاتحاد والحلول؛ ولأنهم أجهل فيقبلون ما يقولونه أعظم من قبولهم لقول المسلمين"[١] .

وكذلك إذا طالعنا أقوال هؤلاء في مسائل الجهاد في سبيل الله، وحكم اليهود والنصارى عندهم في الدنيا والآخرة، يظهر لنا جلياً اهتمام المحتلين من اليهود والنصارى بنشر تراث ابن عربي وأمثاله؛ فالواحد من هؤلاء يفرح إذا قيل له لست بمسلم، ويحكي عن نفسه، كما كان أحمد المارديني-وهو من أصحاب ابن عربي- يحكي عن نفسه أنه دخل إلى بعض ديارات النصارى ليأخذ منهم ما يأكله هو ورفيقه، فأخذ بعضهم يتكلم في المسلمين ويقول: (يقولون كذا وكذا)، فقال له آخر: (لا تتكلم في المسلمين فهذا واحد منهم)، فقال ذلك المتكلم: (هذا وجهه وجه مسلم؟)، أي: ليس هذا بمسلم.

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤/١٦٤).

فصار يحكيها المارديني أن النصراني قال عنه (ليس هذا بمسلم)، ويفرح بقول النصراني ويصدقه فيما يقول، أي: ليس هو بمسلم[1].

ولعل هذا أيضاً ما يظهر لنا سبب الود المتبادل بين الصوفية وبين أصحاب المصالح في دول الإسلام من غير المسلمين.

ولقد رأيت على أرض الواقع دعماً غريباً غير مشروط ولا محدود لإحياء الموالد الصوفية في مصر، بل أحياناً يُضفى على تلك الموالد الصبغة الدبلوماسية بحضور سفراء الدول الكبرى ومباركتهم لتلك الموالد، في حين يُتهم من ينكر تلك الموالد بالإرهاب والأصولية المتشددة، ولو كان كلامه مستنداً إلى أدلة الشرع الشريف.

فكيف لا يجد هذا الفكر المنحرف وقعاً وقبولاً في نفوس أعداء الدين؟، وكيف لا ينبرون لنشره وإحيائه في زماننا؟؛ فهذه ضالتهم التي يبحثون عنها لسلخ المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، ولمحو عقيدة : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾[2]، ولمحاربة قول الله عزوجل : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3]؛ نسأل الله السلامة والعافية.

لذا فإن هذا الفكر المنحرف لا يثني عليه في غالب الأحوال إلّا كافرٌ ملحدٌ، أو جاهلٌ ضالٌ، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" فكل من كان أخبر بباطن هذا المذهب، ووافقهم عليه، كان أظهر كفراً وإلحاداً.

وأما الجهّال الذين يحسنون الظن بقول هؤلاء ولا يفهمونه، ويعتقدون أنه من جنس كلام المشايخ العارفين، الذين يتكلمون بكلام صحيح لا يفهمه كثير من الناس، فهؤلاء

---

[1] - انظر: المصدر السابق (١٤/١٦٥).

[2] - سورة آل عمران ، آية (١٩).

[3] - سورة آل عمران ، آية (٨٥).

تجد فيهم إسلاماً وإيمانًا، ومتابعةً للكتاب والسنة بحسب إيمانهم التقليدي، وتجد فيهم إقراراً لهؤلاء وإحساناً للظن بهم، وتسليماً لهم بحسب جهلهم وضلالهم.

ولا يتصور أن يثني على هؤلاء إلّا كافرٌ ملحدٌ، أو جاهلٌ ضالٌ"[1].

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٧/٢).

المبحث الرابع:

موقفه من زعم ابن عربي أن النصارى أخطئوا لما خصوا الحلول بشخص واحد

لم ينقم ابن عربي على النصارى في قولهم في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بل لم ينقم عليهم إلّا أنهم قد خصوا الحلول بشخص المسيح عليه السلام، وجعلوا تجلي الله عزوجل في المسيح عليه السلام فقط، ولم يجعلوه في جميع الموجودات -تعالى الله عن قوله وقولهم علواً كبيراً-.

وذلك راجع إلى أن أهل وحدة الوجود ينكرون التعدد في الذوات -كما سبق بيانه-؛ فالوجود عندهم واحد؛ وفي ذلك يقول ابن عربي:

" والعابد من كل عابد إنما هو الواحد فما ثمّ إلّا الواحد، والاثنان إنما هو واحد، وكذلك الثلاثة والأربعة والعشرة والمائة والألف إلى ما لا يتناهى، ما تجد سوى الواحد ليس أمراً زائداً"[1].

لذا فإن ابن عربي ينكر على النصارى قولهم بأن الله تجلى في عيسى عليه السلام؛ لأن في ذلك -عنده- نقص في حقيقة معرفة الله تعالى الذي يتجلى في كل موجود في الوجود، بل هو الوجود عنده -كما سبق بيانه-.

فما جعله النصارى مختصاً بالمسيح عليه السلام جعله ابن عربي عاماً في جميع الموجودات، وما احتُج به زوراً وبهتاناً مما هو منسوب للمسيح عليه السلام من قوله :

(إن الله اشتاق أن يرى ذاته المقدسة فخلق من نوره آدم، وجعله كالمرآة ينظر إلى ذاته المقدسة فيها، وإني أنا ذلك النور وآدم المرآة)[2].

احتج بنظيره ابن عربي وأهل الحلول العام على جميع الموجودات؛ فالحق عنده هو عين الخلق بل هو عين الوجود؛ فإن هؤلاء الاتحادية ضموا إلى قول النصارى قولهم بعموم الاتحاد، حيث قالوا في عموم الموجودات ما تقوله النصارى في المسيح عليه السلام.

---

[1] - الأحديّة، ابن عربي (ص٤٦).

[2] - انظر : مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣١٦/٢).

والاحتجاج بهذا القول مردود على من احتج به سواء من النصارى أو من أهل الإتحاد العام؛ فهو احتجاج باطل لا يصح من وجوه :

(الوجه الأول) :

"أن هذا الكلام -مع ما فيه من الكفر والإلحاد- متناقض؛ وذلك أن الله سبحانه يرى نفسه كما يسمع كلام نفسه، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عبد مخلوق لله قال لأصحابه: (إني أراكم من وراء ظهري كما أراكم من بين يدي)[١]، فإذا كان المخلوق قد يرى ما خلفه -وهو أبلغ من رؤية نفسه- فالخالق تعالى كيف لا يرى نفسه ؟"[٢].

(الوجه الثاني) :

"إن شوقه إلى رؤية نفسه حتى خلق آدم يقتضي أنه لم يكن في الأزل يرى نفسه حتى خلق آدم"[٣].

(الوجه الثالث) :

"ثم ذلك الشوق إن كان قديماً كان ينبغي أن يفعل ذلك في الأزل، وإن كان محدثاً فلا بد من سبب يقتضي حدوثه.

---

[١] – رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٨/٣)، عن أنس ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "استووا استووا فوالله إني لأراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي" برقم (١٣٨٣٨)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم".

– ورواه البخاري (١٨٤/١)، كتاب: بدء الوحي، باب: "إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف"، عن أنس ﷺ قال أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: "أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري"، برقم(٧١٩).

[٢] – انظر : مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣١٦/٢).

[٣] – انظر : المصدر السابق (٣١٦/٢).

مع أنه قد يقال: الشوق أيضاً صفة نقص ولهذا لم يثبت ذلك في حق الله تعالى وقد روي (طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشوق)[1] وهو حديث ضعيف"[2].

(الوجه الرابع) :

"وقوله: (فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة، وأنا ذلك النور وآدم هو المرآة)، يقتضي أن يكون آدم مخلوقاً من المسيح، وهذا نقيض الواقع فإن آدم خلق قبل المسيح، والمسيح خلق من مريم، ومريم من ذرية آدم فكيف يكون آدم مخلوقاً من ذريته ؟"[3].

(الوجه الخامس) :

"وأيضا فقول القائل : (إن آدم خلق من نور الله الذي هو المسيح)، إن أراد به نوره الذي هو صفة لله فذاك ليس هو المسيح الذي هو قائم بنفسه؛ إذ يمتنع أن يكون القائم بنفسه صفة لغيره، وإن أراد بنوره ما هو نور منفصل عنه فمعلوم أن المسيح لم يكن شيئاً موجوداً منفصلاً قبل خلق آدم.

فامتنع على كل تقدير أن يكون آدم مخلوقاً من نور الله الذي هو المسيح"[4].

(الوجه السادس) :

"وأيضا فإذا كان آدم كالمرآة وهو ينظر إلى ذاته المقدسة فيها لزم أن يكون الظاهر في آدم هو مثال ذاته، لا أن آدم هو ذاته ولا مثال ذاته ولا كذاته.

وحينئذ فإن كان المراد بذلك أن آدم يعرف الله تعالى فيرى مثال ذاته العلمي في آدم؛ فالرب تعالى يعرف نفسه فكان المثال العلمي إذا أمكن رؤيته كانت رؤيته للعلم المطابق

---

[1] – قال العراقي: "لم أجد له أصلاً إلا إن صاحب الفردوس ذكره من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس إسناداً"، وقال ابن السبكي: "لم أجد له إسناداً". انظر: تخريج أحاديث الإحياء (٣٣١/٦)، وانظر: المغني عن حمل الأسفار، العراقي ص(٨٨٣).

[2] – انظر : المصدر السابق (٣١٧/٢).

[3] – انظر : مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣١٧/٢).

[4] – انظر: المصدر السابق (٣١٧/٢).

له القائم بذاته أولى من رؤيته للعلم القائم بآدم، وإن كان المراد أن آدم نفسه مثال لله فلا يكون آدم هو المرآة، بل يكون هو كالمثال الذي في المرآة"[١].

(الوجه السابع) :

"أن تخصيص المسيح بكونه ذلك النور هو قول النصارى الذين يخصونه بأنه الله أو ابن الله، وهؤلاء الإتحادية ضموا إلى قول النصارى قولهم بعموم الإتحاد؛ حيث جعلوا في غير المسيح من جنس ما تقوله النصارى في المسيح"[٢].

فتبيّن بهذا أن كل قول يحتج به هؤلاء على قولهم هو قول باطل متناقض، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أهل الحلول والإتحاد العام في أثناء ذكره لأقسام القائلين بالحلول والإتحاد :

"وأما الأولون: فيقولون بالإطلاق، ويقولون: النصارى إنما كفروا بالتخصيص. وأقوال هؤلاء شر من أقوال النصارى، وفيها من التناقض من جنس ما في أقوال النصارى، ولهذا يقولون بالحلول تارة، وبالاتحاد أخرى، وبالوحدة تارة، فإنه مذهب متناقض في نفسه، ولهذا يُلَبِّسون على من لم يفهمه.

فهذا كله كفر باطناً وظاهرًا بإجماع كل مسلم، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفة قولهم ومعرفة دين الإسلام فهو كافر، كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين"[٣].

---

[١] - المصدر السابق (٣١٨/٢).

[٢] - المصدر السابق (٣١٨/٢).

[٣] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٨/٢).

وقد قال أبو حيان الأندلسي[1] في تفسيره عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ﴿١٧﴾ ﴾[2]، قال رحمه الله:

"ومن بعض اعتقادات النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهراً وانتمى إلى الصوفية حلول الله تعالى في الصور الجميلة، ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين ، والتستري"[3]..

ثم قال رحمه الله:

"وإنما سردت أسماء هؤلاء نصحاً لدين الله –يعلم الله ذلك– وشفقة على ضعفاء المسلمين؛ وليحذروا فهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله تعالى ورسله ويقولون بقدم العالم، وينكرون البعث.

وقد أولع جهلة ممن ينتمي للتصوّف بتعظيم هؤلاء وادّعائهم أنهم صفوة الله وأولياؤه، والردّ على النصارى والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين"[4].

فأهل وحدة الوجود كابن عربي وغيره هم أسوأ من النصارى؛ فما ينقم أهل وحدة الوجود على النصارى إلّا أنهم خصّوا الحلول بشخص واحد وهو عيسى عليه السلام، بينما يقول أهل الوحدة أن كل الوجود هو الله، وما ثم خالق ومخلوق، فالحق عين الخلق.

---

[1] – مُحَّد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين أبو حيان، من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة وتوفي فيها، بعد أن كف بصره سنة ٧٤٥ هـ. الأعلام، الزركلي (٧/ ١٥٢).

[2] – سورة المائدة، آية (١٧).

[3] – تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٣/٤٤٢) بتصرف.

[4] – المصدر السابق (٣/٤٤٢).

لذا صاروا أسوأ من النصارى، وقولهم هذا أفحش وأبعد في النجعة؛ فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض ذكره لمعتقد أهل الوحدة:

"وهؤلاء في دعواهم الاتحاد والحلول بغير المسيح شر من النصارى؛ فإن المسيح صلوات الله عليه أفضل من كل من ليس بنبي، بل هو أفضل من جماهير الأنبياء والمرسلين، فإذا كان من ادعى أن اللاهوت اتحد به كافراً فكيف بمن ادعى ذلك فيمن هو دونه، وهذا الاتحاد الخاص غير الاتحاد والحلول العام لقول الذين يقولون إنه حال بذاته في كل مكان أو متحد بكل شيء، وغلاة هؤلاء ومحققوهم يقولون إنه عين الوجود والوجود واحد، فيجعلون الوجود الخالق القديم الواجب هو عين وجود المخلوق المحدث الممكن، وهؤلاء مثل ابن عربي الطائي وصاحبه الصدر القونوي وصاحبه العفيف التلمساني وابن سبعين وصاحبه الششتري وعبد الله البلياني وعامر البصري وطوائف غير هؤلاء، وهؤلاء يقولون إن النصارى إنما كفروا لأنهم خصّوا ذلك بالمسيح"[1].

---

[1] - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية (٤/٤٩٧-٤٩٨).

الفصل السادس

موقف شيخ الإسلام من عقيدة ابن عربي في النبوة والرسالة

وفيه خمسة مباحث :

- **المبحث الأول** : موقفه من قول ابن عربي بأن النبوة مكتسبة .

- **المبحث الثاني :** موقفه من قول ابن عربي أن الوحي هو عبارة عن فيض يفيض على القلوب من العقل الفعال .

- **المبحث الثالث :** موقفه من تكذيب ابن عربي للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما أخبروا به من الغيبيات.

- **المبحث الرابع :** موقفه من زعم ابن عربي أن كلام الرسل له ظاهر وباطن ، وبإمكان الاستغناء عن الأنبياء في تلقي الدين .

- **المبحث الخامس :** موقفه من قول ابن عربي بتفضيل أهل الصفوة والأولياء على الأنبياء والمرسلين و أن الأنبياء يخضعون للأولياء .

المبحث الأول: موقفه من قول ابن عربي بأن النبوة مكتسبة

إن من المتقرر في دين الإسلام أن النبوة اصطفاء واختيار من الله تعالى؛ قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[١]، يقول القرطبي في تفسيره: "قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ختم السورة بأنّ الله اصطفى مُحَمَّداً ﷺ لتبليغ الرسالة، أي: ليس بعثة مُحَمَّداً أمراً بدعياً.

وأخبر أن الاختيار إليه سبحانه وتعالى؛ فهو سميع لأقوال عباده، بصير بمن يختاره من خلقه لرسالته"[٢].

وفي ذات السياق يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وقد دلّ القرآن على أنّه سبحانه لا يؤيّد الكذّاب عليه، بل لا بُدّ أن يظهر كذبه، وأن ينتقم منه؛ فقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ (٤٧) ﴾[٣]، ذكر هذا بعد قوله: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٤٣) ﴾[٤].

هذا بتقدير أن يتقوّل بعض الأقاويل، فكيف بمن يتقوّل الرسالة كلها"[٥].

---

[١] – سورة الحج، آية (٧٥).

[٢] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/٩٨).

[٣] – سورة الحاقة، آية (٤٤–٤٧).

[٤] – سورة الحاقة، آية (٣٨–٤٣).

[٥] – النبوات، ابن تيمية ص(٨٩٧)

ولكن ابن عربي قد درج على قول أشباهه من الفلاسفة الذين يزعمون أن النبوة مكتسبة، ويوضّح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قولهم في النبوة في معرض كلامه عن صدق نبوة نبينا ﷺ قائلاً:

"وكما أن إخباره عن أمور الغيب يدل على نبوته، فإنه يدل على أن النبوة إنباء من الله، ليس ذلك كما يقوله بعض المتفلسفة كابن سينا وأمثاله: (إنه فيض فاض عليه من النفس الفلكية أو العقل الفعال)، ويقولون إن (النفس) أو (العقل) هو: (اللوح المحفوظ)، وأن من اتصلت نفسه به علم ما علمته الأنبياء، ويقولون: النبوة مكتسبة؛ لأن هذه صفتها، ويقولون إن سبب علمه بالغيب هو اتصال نفسه بـ(النفس الفلكية)، وزعموا أنها اللوح المحفوظ وأن تحريكها للفلك هو سبب حدوث الحوادث في الأرض فتكون عالمة بما يحدث في الأرض؛ لأن العلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب، فإن هذا مبني على مقدمات باطلة قد بسط الكلام على بطلانها في موضع آخر"[١].

وبعد أن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن متقدمي الفلاسفة ليس لهم كلام في النبوة البتة، وأن متأخريهم حائرون فيها وأن منهم من يكذب بها، قال رحمه الله:

"ومنهم من يصدق بها مع قوله بقدم العالم كابن سينا وأمثاله، لكنهم يجعلون النبي بمنزلة ملك عادل فيجعلون النبوة كلها من جنس ما يحصل لبعض الصالحين من الكشف والتأثير والتخيل، فيجعلون خاصة النبي ثلاثة أشياء:

- قوة (الحدس الصائب) التي يسمونها القوة القدسية.
- وقوة (التأثير) في العالم.
- وقوة (الحس) التي بها يسمع ويبصر المعقولات متخيلة في نفسه.

فكلام الله عندهم هو ما في نفسه من الأصوات، وملائكته هي ما في أنفسهم من الصور والأنوار"[٢].

---

[١] - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ابن تيمية (٣٤٤/٥).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥٨٨/٧).

ثم بيّن رحمه الله تعالى أن عقائد الفلاسفة الباطلة في النبوة وكلام الله تعالى وملائكته، هي الأصل عند ابن عربي حين زعم في مقالاته أن النبوة مكتسبة؛ فقال رحمه الله:

"وهذه الخصال تحصل لغالب أهل الرياضة والصفا؛ فلهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة، وصار كل من سلك سبيلهم كـ(السهروردي)[١] المقتول و(ابن سبعين المغربي)[٢] وأمثالهما يطلب النبوة ويطمع أن يقال له (قم فأنذر)؛ هذا يقول: (لا أموت حتى يقال لي: "قم فأنذر")، وهذا يجاور بمكة ويعمد إلى غار حراء ويطلب أن ينزل عليه فيه الوحي كما نزل على المزمل والمدثر مثله، وكل منهما ومن أمثالهما يسعى بأنواع السيمياء التي هي من السحر ويتوهم أن معجزات الأنبياء كانت من جنس السحر السيميائي"[٣].

ولكن ابن عربي قد سلك مسلكاً مختلفاً في طلب النبوة أو ما هو أعلى من النبوة، فقال عنه شيخ الإسلام رحمه الله:

"ومن لم يمكنه طلب النبوة وادعاؤها لعلمه بقول الصادق المصدوق: (لا نبي بعدي)[٤] أو غير ذلك كابن عربي وأمثاله، طلب ما هو أعلى من النبوة؛ وأن خاتم الأولياءأعظم من خاتم الأنبياء، وأن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، والنبي يأخذ بواسطة الملك"[٥].

---

[١] - سبق ترجمته.

[٢] - سبق ترجمته.

[٣] - المصدر السابق (٧/٥٨٨).

[٤] - متفق عليه، رواه البخاري برقم (٣٤٥٥) في كتاب: (أحاديث الأنبياء)، باب: (ما ذكر عن بني إسرائيل) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا، قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم) (٤/٢٠٦).

- ورواه مسلم برقم (٤٨٧٩) في كتاب: (الإمارة)، باب: (الوفاء ببيعة الخلاء الأول فالأول) من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظه (٦/١٧).

[٥] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/٥٨٨-٥٨٩).

وقد أخرج ابن عربي وأمثاله أقوال الفلاسفة في النبوة والوحي في قالب من الولاية، فلو ذهبنا لنقارن بين أقوال الفلاسفة في النبوة وما جاء عن ابن عربي وأمثاله لوجدناها متطابقة، لا يختلف القولان إلّا في تعبير هؤلاء بـ(الولي) وتعبير أولئك بـ(الفيلسوف)؛ فهم يعتقدون ما يعتقده الفلاسفة في النبوة.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن ابن عربي قد بنى قوله في النبوة على أصل متبوعيه من الفلاسفة، فقال رحمه الله:

"وبنى ذلك على أصل متبوعيه الفلاسفة فإن عندهم: ما يتصور في نفس النبي أو الولي هي الملائكة من الأشكال النورانية الخيالية.

فـ(الملائكة): عندهم ما يتخيله في نفسه، و(النبي): عندهم ما يتلقى بواسطة هذا التخيل، و(الولي): يتلقى المعارف العقلية بدون هذا التخيل.

ولا ريب أن من تلقى المعارف بلا تخيل كان أكمل ممن تلقاها بتخيل، فلما اعتقدوا في النبوة ما يعتقده هؤلاء المتفلسفة صاروا يقولون: (إن الولاية أعظم من النبوة)؛ كما يقول كثير من الفلاسفة: (إن الفيلسوف أعظم من النبي)، فإن هذا قول الفارابي[١] ، ومبشر بن فاتك[٢] وغيرهما، وهؤلاء يقولون النبوة أفضل الأمور عند الجمهور لا عند الخاصة، ويقولون: خاصة النبي جودة التخييل والتخيل.

---

[١] – مُحَّد بن مُحَّد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابيّ، ويعرف بالمعلم الثاني، أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل مستعرب، ولد في فاراب –على نهر جيحون– وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، واتصل بسيف الدولة ابن حمدان وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩ هـ، كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره، وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وكان يميل إلى الانفراد بنفسه، له نحو مئة كتاب. الأعلام، الزركلي (٧/ ٢٠).

[٢] – مبشر بن فاتك، أبو الوفاء، المدعو بالأمير، حكيم وأديب، أصله من دمشق، وموطنه مصر، قال ياقوت: وله تواليف في علوم الأوائل، وملك من الكتب مالا يحصى عدده كثرة، توفي سنة ٥٠٠ هـ. الأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٣)

فجاء هؤلاء الذين أخرجوا الفلسفة في قالب الولاية، وعبروا عن المتفلسف بالولي، وأخذوا معاني الفلاسفة وأبرزوها في صورة المكاشفة والمخاطبة، وقالوا: (إن الولي أعظم من النبي؛ لأن المعاني المجردة يأخذها عن الله بلا واسطة تخيل لشيء في نفسه، والنبي يأخذها بواسطة ما يتخيل في نفسه من الصور والأصوات)"[١].

بل وزاد كذب وضلال ابن عربي وأمثاله من المتصوفة على كذب وضلال الفلاسفة؛ حيث زعموا أن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء الذي يزعمون تفضيله على خاتم الأنبياء ﷺ -كما سيأتي بيانه إن شاء الله- ؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولم يكفهم هذا البهتان حتى ادعوا أن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم هؤلاء الأولياء، الذي هو من أجهل الخلق بالله وأبعدهم عن دين الله، والعلم بالله هو عندهم بأنه الوجود المطلق الساري في الكائنات، فوجود كل موجود هو عين وجود واجب الوجود.

وحقيقة هذا القول قول الدهرية الطبيعية الذين ينكرون أن يكون للعالم مبدع أبدعه هو واجب الوجود بنفسه؛ بل يقولون : العالم نفسه واجب الوجود بنفسه .

فحقيقة قول هؤلاء شر من قول الدهرية الإلهيين وهو يعود عند التحقق إلى قول الدهرية الطبيعيين"[٢].

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٥٨٩/٧).

[٢] - المصدر السابق (٥٨٩/٧-٥٩٠).

المبحث الثاني:

موقفه من قول ابن عربي أن الوحي هو عبارة عن فيض يفيض على القلوب من العقل الفعال

من المناسب قبل التعرض لمناقشة قضية الوحي عند ابن عربي، أن نعرّج على تعريف الوحي في اللغة وفي الاصطلاح، لما لذلك من ارتباط وثيق بموضوع هذا المبحث، وكما قيل: (فبضدّها تتبيّن الأشياء).

أولاً: الوحي في اللغة:

هو الإشارة، والكتابة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك.

و(أوحى إليه): بعثه، و(أوحى إليه): ألهمه؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴿٦٨﴾ ﴾[١]، وفيه: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ ﴾[٢]؛ أي إليها، فمعنى هذا أمرها، و(وحى إليه وأوحى): كلمه بكلام يخفيه من غيره.

و(وحى إليه وأوحى): أومأ؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾[٣]؛ وقال: (فأوحت إلينا والأنامل رسلها).

وقال الفراء في قوله فأوحى إليهم: أي أشار إليهم، قال: والعرب تقول (أوحى، ووحى) و(أومى، وومى) بمعنى واحد.

وقال بعضهم: (الإيحاء) البكاء؛ يقال: (فلان يوحي أباه) أي: يبكيه، و(النائحة توحي الميت): تنوح عليه، وقال[٤]:

---

[١] – سورة النحل، آية (٦٨).

[٢] – سورة الزلزلة، آية (٥).

[٣] – سورة مريم، آية (١١).

[٤] – سبق ذكره في كلام ابن منظور، وهو: الجعدي.

توحي بحال أبيها وهو متكيء ... على سنان كأنف النسر مفتوق"[١].

وقد ذكر الراغب الأصفهاني أن أصل الوحي هو: الإشارة السريعة[٢].

ثانياً: تعريف الوحي في الاصطلاح:

سمى الله الطريق الذي يعلم الله به أنبياءه ورسله وحياً؛ فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾[٣].

وقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه؛ فقيل:

"هو الإعلام بالشرع ، وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه ، أي: الموحى ، وهو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم"[٤].

وقيل: "الوحي معناه في الشرع: أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه إليه من ألوان الهداية والعلم ، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر"[٥].

وهذا التعريف عندما يطلق الوحي ويراد به المصدر (الوحي)، وأمَّا إذا أطلق وأريد به اسم المفعول (الموحَى) فإنه يقال في تعريفه: (هو ما أنزله الله على أنبيائه وعرّفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم)[٦].

---

[١] - انظر: لسان العرب، ابن منظور (١٥/٢٣٩-٢٤٠) مادة (وحى).

[٢] - مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص(٨٥٨).

[٣] - سورة النساء، آية (١٦٣).

[٤] - انظر: فتح الباري، ابن حجر (١/١٤-١٥).

[٥] - مناهل العرفان، الزرقاني (١/٦٤).

[٦] - انظر: الوحي المحمدي، مُحَمَّد رشيد رضا ص (٤٤).

وقد قال الإمام القرطبي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1]، والإيحاء هنا الإرسال إلى النبي ﷺ، والوحي يكون إلهاماً وإيماءاً وغير ذلك"[2].

وكذلك فإن بقية المفسرين لم يخرجوا عما ذكره القرطبي رحمه الله[3].

---

[1] – سورة آل عمران، آية (٤٤).

[2] – الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٤/٨٥).

[3] – "ينقسم الوحي بمعناه الاصطلاحي إلى قسمين أساسيين:

١ – وحي الله إلى ملائكته.   ٢ – وحي الله إلى رسوله من البشر.

فأما ما يدل على وحي الله إلى ملائكته: فقد جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يبين أن الله يكلم الملائكة ويوحي إليهم ، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾ ﴾ "سورة البقرة، آية(٣٠)"، وما بعدها ما الآيات، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴿١٢﴾ ﴾ "سورة الأنفال، آية (١٢)"، وفي الحديث: (حديث صلصلة الجرس).

وأمَّا وحي الله إلى رسله من البشر فهو على نوعين :

النوع الأول: الوحي بغير واسطة وهو قسمان:

أولهما: الرؤيا الصالحة في النوم . ثانيهما: الكلام الإلهي من وراء حجاب بدون واسطة في اليقظة لا في المنام .

النوع الثاني: الوحي إلى الرسل بواسطة الملك ، وهو الذي نزل به القرآن ، وله كيفيات متنوعة"[3].

انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ص (٣٤-٣٩)، بتصرف.

وأما الوحي عند ابن عربي فهو عبارة عن فيض يفيض على القلوب من العقل الفعّال، ولا عجب من ذلك؛ فإن انحرافه في مفهوم الوحي فرع على انحرافه في مفهوم النبوة والعكس.

ويرى ابن عربي أنه يتلقى عن الوحي عن الله تبارك وتعالى، وأن الوحي ينزل على خاتم الأولياء كما نزل على خاتم الأنبياء[1].

---

[1] - وقد سبق بيانه في الفصل الأول من هذا الباب.

المبحث الثالث:

موقفه من تكذيب ابن عربي للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما أخبروا به من الغيبيات

أجمع أهل العلم من أهل السنة والجماعة على أن الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون فيما أبلغوا به عن الله عزوجل.

وأنهم لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان فيما جاءوا به من وحي الله تبارك وتعالى؛

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٦٧) ﴾[1]،

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ (٣) إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ (٤) ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾[3].

لذا فقد اتفقت الأمة على أنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون في تحمّل الرسالة، فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلّا شيئاً قد نُسخ[4]، وقد تكفل الله لرسوله

---

[1] – سورة المائدة ، آية (٦٧).

[2] – سورة النجم ، آية (١–٤).

[3] – سورة الأعلى ، آية (٦–٧).

[4] – يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "وقوله تعالى: (أَوْ نُنْسِهَا) فقرئ على وجهين: "ننسأها، ونُنْسها"؛ فأما من قرأها: "نَنسأها" –بفتح النون والهمزة بعد السين–فمعناه: نؤخرها؛ فعن ابن عباس قال: خطبنا عمر رضي الله عنه فقال: يقول الله عز وجل: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا) أي: نؤخرها.

وأما على قراءة: (أَوْ نُنْسِهَا) فقال عبد الرزاق، عن قتادة في قوله: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا) قال: كان الله تعالى ينسي نبيه ما يشاء، وينسخ ما يشاء". أ.هـ مختصراً (١/٣٧٦–٣٧٧).

صلى الله عليه وسلم بأن يقرئه فلا ينسى شيئاً مما أوحاه إليه، إلّا شيئاً أراد الله أن ينسيه إياه؛ حيث قال سبحانه: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ﴿٧﴾ ﴾[١]، وتكفل له بأن يجمعه في صدره : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾[٢].

وهم أيضاً معصومون في التبليغ؛ فالرسل لا يكتمون شيئاً ممّا أوحاه الله إليهم؛ ذلك أن الكتمان خيانة، والرسل يستحيل أن يكونوا كذلك، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴿٦٧﴾ ﴾[٣].

ولو افتُرض أن حدث شيء من الكتمان أو التغيير لما أوحاه الله -وحاشاهم صلوات الله وسلامه عليهم-، فإن عقاب الله يحلّ بذلك الكاتم المغيّر ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٤].

ومن العصمة ألاّ ينسوا شيئاً مما أوحاه الله إليهم، وبذلك لا يضيع شيء من الوحي، وعدم النسيان في التبليغ داخل في قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾[٥].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[٦] يدل أيضاً على عصمته ﷺ في التبليغ[٧].

---

[١] - سورة الأعلى ، آية (٦-٧).

[٢] - سورة القيامة ، آية (١٦-١٨).

[٣] - سورة المائدة ، آية (٦٧).

[٤] - سورة الحاقة ، آية (٤٤-٤٦).

[٥] - سورة الأعلى ، آية (٦).

[٦] - سورة النجم ، آية (٣-٤).

[٧] - انظر: الرسل والرسالات، محمّد سليمان الأشقر ص (٦٥-٦٦).

ولعلنا إذا تتبعنا منشأ القول بتكذيب الرسل فيما أخبروا به من المغيبات عند ابن عربي وأمثاله من أهل الوحدة[١]، فإننا سوف نجد أن سبب وقوعهم في هذا القول الشنيع هو: تنقصهم لأنبياء الله تعالى[٢]، ومدحهم للكفار وأئمة الضلال المذمومين عند المسلمين؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية كانوا مناقضين للرسل -صلوات الله تعالى وسلامه عليهم-، كما يوجد في كلام صاحب (الفتوحات المكية) و(الفصوص) وأشباه ذلك، يمدح الكفار مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم، ويتنقص الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وهارون، ويذم شيوخ المسلمين المحمودين عند المسلمين كالجنيد بن مُحَّد[٣]، وسهل بن عبدالله التستري، ويمدح المذمومين عند المسلمين كالحلاج ونحوه كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية"[٤].

---

[١] - التكذيب لما جاءت به الرسل عند الباطنية وأهل الوحدة جاء من طريقين:

أولهما: الإنكار والتكذيب الصريح لما جاءت به الرسل، وثانيهما: التأويل الفاسد، بل التحريف الصريح والواضح لما جاء عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من إخبار بالمغيبات.

ولعلي أن أتعرض-إن شاء الله- لذكر نماذج وصور من تكذيب وإنكار ابن عربي لما جاءت به الرسل من المغيبات فيما يأتي عنه من نقولات.

[٢] - كذلك تنقص هؤلاء القوم -من الباطنية وأهل وحدة الوجود- من مقام الأنبياء والمرسلين جاء من طريقين:

أولهما: نسبة الدعوة الباطلة إلى وحدة الوجود إلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ثانيهما: تحريف ما جاء على ألسنة الرسل بما يتوافق مع عقائدهم الفاسدة والقول بوحدة الوجود.

وسنأتي أيضاً -إن شاء الله- على ذكر نماذج من أقوال ابن عربي في ذلك.

[٣] - الجنيد بن مُحَّد أبو القاسم القايني، نزيل هراة، وشيخ الصوفية، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، قال الذهبي: (روى عنه ابن ناصر وابن عساكر)، وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخزز، توفي سنة ٢٩٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٠/ ٢٧٢).

[٤] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٢٣٩).

ولعلنا في أثناء بيان مقصودنا من هذا المبحث نحتاج أن نبيّن أمرين:

أولاً: عرض عدة نماذج من تنقص ابن عربي لأنبياء الله ورسله، بل ونسبة الدعوة إلى الكفر المستبين ووحدة الوجود إلى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ثانياً: عرض بعض النماذج من كلام ابن عربي والتي توضح إنكاره لما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من المغيبات.

فمن التنقص من أنبياء الله تعالى الذي وقع فيه ابن عربي:

تنقصه من موسى وهارون عليهما السلام؛ حيث تنقص من نبي الله هارون عليه السلام حين خطّأه عليه السلام في إنكاره على بني إسرائيل عبادة العجل، وصحّح موقف السامري وصناعته للعجل، بل وزعم أيضاً أن موسى عليه السلام ما أنكر على هارون عليه السلام إلّا إنكاره على بني إسرائيل عبادة العجل؛ حيث زعم أن موسى عليه السلام كان أعلم من هارون عليه السلام لأنه كان يرى الحق عين كل شيء، وفي هذا تنقص واضح من موسى عليه السلام، ونسبة هذه العقيدة الباطلة إليه -وحاشاه-؛ فقد قال ابن عربي في فصوصه:

" ثم قال هارون لموسى عليهما السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ ﴿٩٤﴾﴾[١]، فتجعلني سبباً في تفريقهم؛ فإن عبادة العجل فرّقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون؛ لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه أن الله قضى ألّا يعبد إلّا إياه، وما حكم الله بشيء إلّا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه؛ فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء"[٢].

---

[١] - سورة طه ، آية (٩٤).

[٢] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٩٢).

ومن التنقص أيضاً من أنبياء الله تعالى الذي وقع فيه ابن عربي:

ما زعمه أن كليم الله موسى عليه السلام اعترف بألوهية العجل؛ فيذكر في فصوصه أن قول موسى عليه السلام للسامري: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٩٧ ﴾[1]، اعتراف من موسى عليه السلام بألوهية العجل؛ لأنه بعض المجالي التي يتجلى فيها الرب؛ فيقول في ذلك: "وقال له: ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٩٧ ﴾[2] فسماه إلهاً بطريق التنبيه للتعليم أنه بعض المجالي الإلهية"[3].

بل يزعم أن موسى عليه السلام أحرق العجل حتى لا يحصر الإله في شيء واحد؛ فزعم أن معنى قول موسى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ ﴾[4]، أي: "لماذا خصّصت العجل فقط بكونه إلهاً"[5]!!.

وفي هذا تنقص واضح لنبي الله موسى عليه السلام حيث نسب إليه الإقرار على الكفر والدعوة إليه –وحاشاه عليه السلام–.

ومن التنقص أيضاً من أنبياء الله تعالى الذي وقع فيه ابن عربي:

ما زعمه من أن قوم نوح عليه السلام أجابوا رسولهم إجابة حقيقية، وأن تمسكهم بآلهتهم إنّما هو تمسك بحق أراد نوح عليه السلام أن يزيلهم عنه، بل زعم أيضاً أن نوحاً عليه السلام قد مكر بقومه –وحاشاه عليه الصلاة والسلام– فأجابوه مكراً كما دعاهم؛ فيقول في فصوصه:

---

[1] – سورة طه ، آية (٩٧).

[2] – سورة طه ، آية (٩٧).

[3] – فصوص الحكم ص (١٩٣).

[4] – سورة طه ، آية (٩٥).

[5] – انظر: فصوص الحكم ص (١٩٣) بتصرف.

"﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ ﴾[1]؛ لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، أدعو إلى الله فهذا عين المكر، فأجابوه مكراً كما دعاهم"[2].

بل زعم في حق نبي الله نوح عليه السلام زعماً عظيماً، وهو أنه عليه السلام قد مدح قومه على كفرهم ولكن بلسان الذم؛ فيقول في "فصوصه": "علم العلماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من الثناء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرءان لا فرقان، ومن أقيم في القرءان لا يصغى إلى الفرقان وإن كان فيه، دعاهم ليغفر لهم لا ليكشف لهم، وفهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم؛ لذلك ﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ ٧ ﴾[3]، وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها، فأجابوا دعوته بالفعل، لا ب(لبيك).

قال نوح في حكمته لقومه: ﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ ﴾[4]، وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري، ﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ ١٢ ﴾[5] أي: بما يميل بكم إليه، إليه، فإذا مال بكم إليه رأيتم صورتكم فيه"[6].

فقد جعل ابن عربي الأموال المذكورة في الآية هي: (ما يميل بهم إليه فيرون صورتهم فيه)، وهذا هو عين القول بوحدة الوجود، ولذلك يقول بعدها:

"فمن تخيل أنه رآه فما عرف، وأما من رأى نفسه فهو العارف"[7].

---

[1] – سورة نوح ، آية (٢٢).

[2] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (٧١).

[3] – سورة نوح ، آية (٧).

[4] – سورة نوح ، آية (١١).

[5] – سورة نوح ، آية (١٢).

[6] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (٧١).

[7] – المصدر السابق ص(٧١).

وفي هذا الكلام تحريف واضح لكلام الله تعالى؛ ليتمشى مع مزاعمه الباطلة ودعواه الخبيثة وقوله بوحدة الوجود.

فالأنبياء والصالحون عنده لا يعرفون الحق معرفة كاملة؛ بل هم عنده مؤمنون بجزء من أجزاء الحق، ولم يصل إلى معرفة الحق على حقيقته إلّا أهل وحدة الوجود.

المبحث الرابع:

موقفه من زعم ابن عربي أن كلام الرسل له ظاهر وباطن، وبالإمكان الاستغناء عن الأنبياء في تلقي الدين

يزعم ابن عربي وغيره من غلاة الصوفية أن للدين ظاهراً وباطناً، وأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للأمة له ظاهر يفهمه عوام الناس، وله باطن لا يفهمه إلّا الخلّص من أولياء الله تعالى، ولهم في ذلك عبارات متعددة.

فيقول قائلهم: "العلوم ثلاثة: ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الإنسان له ظاهر، وباطن، وباطن الباطن؛ فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن"[١].

ويقول أيضاً:

"هل ظاهر الشرع وعلم الباطن ... إلا كجسم فيه روح ساكن
والعلم الظاهر هو علم العبودية ... والعلم الباطن هو علم الربوبية"[٢].

وكذلك يقول ابن عربي عند تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾[٣]، قال: "إنه القيامة الكبرى؛ ولهذا قيل: إن أمير المؤمنين علي هو النبأ العظيم، وهو فلك نوح، أي الجمع والتفصيل لكونه جامعاً لهما"[٤].

وفي هذه العبارة عن ابن عربي عدة نقاط في غاية الأهمية والخطورة:

أولها: زعمه أن للدين ظاهراً وباطناً، كما ادعى أيضاً أن علياً ﷺ جامعاً لهما.

---

[١] - الفتوحات الإلهية، ابن عجيبة ص (٣٣٣).

[٢] - المصدر السابق ص (٣٣٣).

[٣] - سورة النبأ ، آية (١-٢).

[٤] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٨٤/٢).

ثانيها: أنه جعل علياً ﵁ هو النبأ العظيم، وهو الذي جمع بين الجمع والتفصيل -أي: الحقيقة والشريعة-، وفي هذا تأثر واضح بالشيعة في القول بالظاهر والباطن في دين الإسلام، وكذلك في الغلو في على بن أبي طالب ﵁.

ثالثها: الاستغراق في التفسير الباطني للقرآن الكريم؛ وذلك كنتيجة طبيعية لزعمه أن للدين ظاهراً وباطناً.

ولعل أصل فكرة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن تسربت إلى الصوفية من دين الشيعة الرافضة، ثم اعتقدتها الصوفية بتمامها كما هي عند أولئك؛ ومنها تدرّجت الصوفية وتطرقت إلى التأويل الباطني والتفسير المعنوي، الذي نجده بكثرة في كتب ومؤلفات ابن عربي، وقد جعل غلاة الصوفية هذا الباب -أعني: التفسير الباطني- من أهم أصول وقواعد العارفين عندهم، ومن الهبات اللّدنيّة التي أنعم الله بها على الأولياء بغير واسطة رسول، لذلك ظهر عندهم القول بالاستغناء عن الرسل في المعارف اللّدنيّة وفي التلقي عن الله سبحانه وتعالى.

بل دعاهم هذا الأمر إلى الخروج بالقرآن عن المعاني الشرعية التي أرادها الله تعالى من العباد، وفي ذلك يقول بعض من كتب عن ابن عربي محللاً أسلوبه التأويلي والتفسيري: "إنه يحول القرآن بمنهجه الخطير في التأويل إلى قرآن جديد"[١].

ويقول الشيخ مُحَّد عبده عن رأيه في تفسير ابن عربي كما نقله عنه تلميذه الشيخ مُحَّد رشيد رضا رحمهما الله:"وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز"[٢].

ومن ذلك ما يقوله ابن عربي في تفسير قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ الٓمٓ ﴾[٣]: "أشار بهذه الحروف إلى كل الوجود حيث هو كل؛ لأن (أ): إشارة إلى ذات الله الذي

---

[١] - ابن عربي في دراساتي، أبو العلا عفيفي ص (١٣).

[٢] - تفسير المنار، مُحَّد رشيد رضا (١٨/١).

[٣] - سورة البقرة ، آية (١).

هو أول الوجود، و(ل): إلى العقل الفعّال المسمى جبريل، وهو أوسط الوجود الذي يستفيض من المبدأ، ويفيض إلى المنتهي، و(م): إلى مُحَمَّد الذي هو آخر الوجود تتمّ به دائرته، وتتصل بأولها، ولهذا ختم"[1].

ولعل من أهم الأسباب التي حملت ابن عربي وغيره من أهل التأويلات الباطنية على هذا القول الباطل -أعني: القول بأن للدين ظاهراً وباطناً-؛ هو ما وقعوا فيه من الشطحات الصوفية، والتي تحمل في طيّاتها عبارات كفرية، فلما سمع العلماء الذين عاصروهم هذه العبارات الكفريّة كفروهم بها، ورموهم بالإلحاد والزندقة فلم يسعهم آنذاك إلّا القول بالظاهر والباطن، كمحاولة للتملص من تبعة هذه العبارات الكفرية.

وقد فصّل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان مسألة أن خطاب الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى أممهم ليس له ظاهر وباطن، وأن إظهار الإنسان خلاف ما يبطن عادة المنافقين وليست بعادة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن النبي ﷺ يستوي ظاهره وباطنه وسره وعلانيته، وأنه لا يبطن خلاف ما يظهر على عادة المكّارين المنافقين، فقال رحمه الله: "وأما قول القائل: إن النبي ﷺ خصّ كل قوم بما يصلح لهم... إلخ، فهذا الكلام له وجهان:

إن أراد به أن الأعمال المشروعة يختلف الناس فيها بحسب اختلاف أحوالهم، فهذا لا ريب فيه؛ فإنه ليس ما يؤمر به الفقير كما يؤمر به الغني، ولا ما يؤمر به المريض كما يؤمر به الصحيح، ولا ما يؤمر به عند المصائب هو ما يؤمر به عند النعم،ولا ما تؤمر به الحائض كما تؤمر به الطاهرة، ولا ما تؤمر به الأئمة كالذي تؤمر به الرعية، فأمر الله لعباده قد يتنوع بتنوع أحوالهم،كما قد يشتركون في أصل الإيمان بالله وتوحيده،والإيمان بكتبه ورسله.

وإن أراد به أن الشريعة في نفسها تختلف، وأن النبي ﷺ خاطب زيدًا بخطاب يناقض ما خاطب به عَمْرًا، أو أظهر لهذا شيئًا يناقض ما أظهره لهذا -كما يرويه الكذابون: أن

---

[1] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١/٥).

عائشة سألته هل رأيت ربك؟ فقال: (لا)، وسأله أبو بكر فقال: (نعم)، وأنه أجاب عن مسألة واحدة بجوابين متناقضين لاختلاف حال السائلين- فهذا من كلام الكذابين المفترين، بل هو من كلام الملاحدة المنافقين؛ فإن النبي ﷺ قال:(ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين)، والحديث في سنن أبي داود وغيره، وكان عام الفتح قد أهدر دم جماعة منهم ابن أبي سَرْح، فجاء به عثمان ليبايع النبي ﷺ فأعرض عنه مرتين أو ثلاثاً ثم بايعه، ثم قال:(أما كان فيكم رجل رشيد ينظر إلى وقد أعرضت عن هذا فيقتله؟) فقال بعضهم: هلّا أومضت إليَّ يا رسول الله؟ فقال: (ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين)[١] وهذا مبالغة في استواء ظاهره وباطنه وسره وعلانيته، وأنه لا يبطن خلاف ما يظهر على عادة المكّارين المنافقين"[٢].

---

[١] - رواه أبو داود في(كتاب: الجهاد)، (باب: قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام) برقم (٢٦٨٥)، من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: " لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلّا أربعة نفر وامرأتين وسماهم وابن أبي سرح"، فذكر الحديث قال: "وأما ابن أبي سرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله بايع عبد الله فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال: "أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله"، فقالوا: ما ندرى يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك، قال: "إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين".

قال أبو داود: كان عبد الله أخا عثمان من الرضاعة، وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه وضربه عثمان الحد إذ شرب الخمر.(١١/٣).

- ورواه النسائي في (كتاب: تحريم الدم)، (باب: الحكم على المرتد) برقم (٤٠٦٧) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ بلفظه.

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/ ٢٥٠-٢٥١).

وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله أن مراد هؤلاء الباطنية من ذلك هو إفقاد الشرع لمضمون الخطاب الذي جاء به؛ وذلك لأن المتكلم إذا أراد من خطابه خلاف ما أظهره، فإن المستمع -والحالة هذه- يفقد الثقة فيما يخاطب به من الأخبار والأوامر؛ لتجويزه على المخاطب أن يكون أراد بخطابه غير ما أظهره، يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"فمن سلك هذه السبيل لم يبق لمن علم أمره ثقة بما يخبر به، وبما يأمر به، وحينئذ فينتقض عليه جميع ما خاطب به الناس، فإنه ما من خطاب يخاطبهم به إلّا ويجوزون عليه أن يكون أراد به غير ما أظهره لهم، فلا يثقون بأخباره وأوامره، فيختل عليه الأمر كله فيكون مقصوده صلاحهم، فيعود ذلك بالفساد العظيم، بل كل من وافقه فلابد أن يظهر خلاف ما أبطن، كأتباع من سلك هذه السبيل من القرامطة الباطنية وغيرهم، لا تجد أحداً من موافقيهم إلّا ولابد أن يبين أن ظاهره خلاف باطنه، ويحصل لهم بذلك من كشف الأسرار وهتك الأستار ما يصيرون به من شرار الكفار"[١].

فعلم الباطن ذو منزلة عظيمة عند الصوفية، فهو لا يعارضه علم الظاهر بحال من الأحوال، وفي ذلك يقول أبو طالب المكي من كبرائهم: "سئل بعض العلماء عن علم الباطن: أي شيء هو ؟ ، فقال: سرّ من سرّ الله تعالى، يقذفه في قلوب عباده، لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً"[٢].

والعجب كل العجب من هؤلاء القوم، إذ كيف يجعلون علم الباطن سراً لم يطلع الله عليه ملكاً ولا بشراً، ثم هم يزعمون أن الله قد أطلعهم عليه ؟!..

وكما أن أصل فكرة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن تسربت إليهم من الشيعة، كذلك فإن فكرة الاستغناء عن الرسل نشأت من زعمهم الباطل بأن الولي يأخذ من نفس المعدن الذي يأخذ منه الملك.

---

[١] - المصدر السابق (١٣/٢٤٨-٢٤٩).

[٢] - قوت القلوب، أبو طالب المكي (١/١٢٠).

لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على من زعم أنه يسعه الاستغناء عن الرسول ﷺ : "فإن كل من بلغه رسالة مُحَّد ﷺ لا يكون وليًا لله إلّا بإتباع مُحَّد ﷺ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط مُحَّد ﷺ، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه لا يكون ولياً لله إلّا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه"[1].

ويقول رحمه الله: "وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر، ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء وبعض أهل الكلام والفلسفة، يسلك مسلك الباطنية في بعض الأمور لا في جميعها حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة عن بعض الخواص، أو حل الخمر وغيرها من المحرمات لهم أو أن لبعضهم طريقاً إلى الله عز وجل غير متابعة الرسول .

وقد يحتج بعضهم بقصة موسى والخضر، ويظنون أن الخضر خرج عن الشريعة؛ فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة وهم في هذا ضالون من وجهين:

أحدهما: أن الخضر لم يخرج عن الشريعة؛ بل الذي فعله كان جائزاً في شريعة موسى؛ ولهذا لما بيّن له الأسباب أقره على ذلك، ولو لم يكن جائزاً لما أقره، ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب التي بها أبيحت تلك الأمور، فظنّ أن الخضر كالملك الظالم فذكر ذلك له الخضر.

والثاني: أن الخضر لم يكن من أمة موسى ولا كان يجب عليه متابعته؛ بل قال له: (إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه)[2]، وذلك أن دعوة موسى لم تكن عامة؛ فإن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة ومُحَّد صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة؛ بل بعث إلى الإنس والجن باطناً وظاهراً؛ فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته لا في الباطن ولا في الظاهر؛ لا من الخواص ولا من العوام"[3].

---

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٢٥/١١).

[2] – رواه البخاري بطوله من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، في (كتاب: العلم)، (باب: ما يستحب للعالم إذا سئل إي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله) برقم (١٢٢).

[3] – المصدر نفسه (٢٦٥/١٣-٢٦٧).

ويكثر في كلام ابن عربي وغيره من أهل الباطن النكير على العلماء والفقهاء الذين لا يقرونهم على باطنيتهم، فيسمونهم بأهل الظاهر، والعامة، وأهل الرسوم، كما يقول ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكيّة):

"ما خلق الله أشقّ ولا أشدّ من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الإلهي، الذين منحهم أسراره في خلقه، وفهم معاني كتابه وإشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام"[١].

فشبّه هذا الضالّ المضل علماء المسلمين بالفراعنة، وشبه نفسه ومن وافقه على باطله الباطني بالرسل؛ زاعماً أنه ومن وافقه على باطنيته من أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به من طريق الهبات الإلهية لا من طريق الرسل، فهو يعتقد أنه يسعه الاستغناء عن الرسل بهذا الوهب الإلهي -كما زعم-.

فتلك إذاً قسمة ضيزى؛ إذ كيف يكون من تبع شيطانه وما يمليه عليه، وغرق في ظلمات التيه، كمن اتبع ما أنزل إليه من ربه، وتقرب إلى الله تعالى بالنور الذي أنزله ؟! ، ولكن هذه حال من ختم الله على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة.

---

[١] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي(٤/٣٤).

المبحث الخامس:

موقفه من قول ابن عربي بتفضيل أهل الصفوة والأولياء على الأنبياء والمرسلين، و أن الأنبياء يخضعون للأولياء

وقد تولى ابن عربي أيضاً كبر الدعوى الباطلة بأن أهل الصفوة والأولياء أفضل من الأنبياء والمرسلين؛ فقد صرح في مواضع متعددة من كتبه بأن منزلة الولاية والصفوة أعظم من منزلة النبوة والرسالة؛ فقال في "لطائف الأسرار":

" سماء النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي"[1].

وقال في "الفتوحات المكيّة":

" بين الولاية والرسالة برزخ ... فيه النبوة حكمها لا يجهل "[2].

ومن فضّل أحداً من المشايخ على النبي صلى الله عليه وسلم، أو اعتقد أن أحداً يستغني عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم استتيب، فإن تاب وإلّا ضربت عنقه.

وكذلك من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام، فإنه يستتاب فإن تاب وإلّا ضربت عنقه؛ لأن الخضر لم يكن من أمة موسى عليه السلام، ولا كان يجب عليه طاعته، بل قال له: (إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه)[3].

---

[1] – لطائف الأسرار، ابن عربي ص(٢٩).

[2] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٢٤٩).

[3] – سبق تخريجه.

وكان مبعوثاً إلى بني إسرائيل، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)[1]، ومُحَمَّد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى جميع الثقلين إنسهم وجنهم.

فمن اعتقد أنه يسوغ لأحد الخروج عن شريعته وطاعته فهو كافر يجب قتله"[2].

بل إن هذا القول الباطل فرية على الشرع، بل على مشايخ الطرق المقتدى بهم سوى أهل الغلو؛ وفي ذلك يقول ابن تيمية رحمه الله:

"ومن هؤلاء من يفضل بعض الأولياء على الأنبياء، وقد يجعلون الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه مشايخ الطريق المقتدى بهم دع عنك سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين.

بل لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب "ختم الأولياء" بكلام ذكر أنه يكون في آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء، قام عليه المسلمون وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك، ولا ريب أنه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه.

ومن هنا ضل من اتبعه في ذلك حتى صار جماعات يدعي كل واحد أنه خاتم الأولياء كابن عربي صاحب "الفصوص"، وسعد الدين بن حمويه وغيرهما، وصار بعض الناس يدعي أن في المتأخرين من يكون أفضل في العلم بالله من أبي بكر وعمر والمهاجرين

---

[1] - رواه البخاري، في (كتاب: التيمم)، (باب: التيمم)، برقم (٣٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة".(٩١/١).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٢٢/٣).

والأنصار، إلى أمثال هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والإجماع"[1].

بل إن هذا القول المحدث الغريب لم يقله أساطين وكبراء الفلاسفة؛ فمثلاً يقول ابن سينا في هذا الباب: "اتفق فلاسفة العالم على أنه لم يقرع العالم ناموس أفضل من هذا الناموس المحمدي"[2].

ويعلق ابن تيمية رحمه الله على قول ابن سينا السابق قائلاً:

"وكل عقلاء الفلاسفة متفقون على أنه[3] أكمل وأفضل النوع البشري، وأن جنس الرسل أفضل من جنس الفلاسفة المشاهير، ثم قد يزعمون أن الرسل والأنبياء حكماء كبار وأن الفلاسفة الحكماء أنبياء صغار وقد يجعلونهم صنفين.

والغرض: أن هؤلاء الأساطين من الفلاسفة والمتكلمين غاية ما يقولون : هذا القول"[4].

وأهل الوحدة يزعمون أن الأنبياء يخضعون للأولياء في علم الباطن، كما سبق عن ابن عربي، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مناقشة هؤلاء وأشباههم:

"إن من زعم أنه وكبار طائفته أعلم من الرسل بالحقائق وأحسن بياناً لها، فهذا زنديق منافق إذا أظهر الإيمان بهم باتفاق المؤمنين.

وإن قال: إن الرسل كانوا أعظم علماً وبياناً، لكن هذه الحقائق لا يمكن علمها أو لا يمكن بيانها مطلقاً، أو يمكن الأمران للخاصة.

قلنا: فحينئذ لا يمكنكم أنتم ما عجزت عنه الرسل من العلم والبيان.

إن قلتم: لا يمكن علمها، قلنا: فأنتم وأكابركم لا يمكنكم علمها بطريق الأولى.

---

[1] - المصدر السابق (١٣/٢٦٧).

[2] - انظر: المصدر السابق (٤/١٠٠).

[3] - يعني: النبي ﷺ، الذي عبر عنه ابن سينا بقوله (الناموس المحمدي).

[4] - المصدر نفسه (٤/١٠٠-١٠١).

وإن قلتم: لا يمكنهم بيانها، قلنا: فأنتم وأكابركم لا يمكنكم بيانها.

وإن قلتم: يمكن ذلك للخاصة دون العامة، قلنا: فيمكن ذلك من الرسل للخاصة دون العامة.

فإن ادعوا أنه لم يكن في خاصة أصحاب الرسل من يمكنهم فهم ذلك، جعلوا السابقين الأولين دون المتأخرين في العلم والإيمان، وهذا من مقالات الزنادقة؛ لأنه قد جعل بعض الأمم الأوائل من اليونان والهند ونحوهم أكمل عقلاً وتحقيقاً للأمور الإلهية والعبادية من هذه الأمة.

فهذا من مقالات المنافقين الزنادقة؛ إذ المسلمون متفقون على أن هذه الأمة خير الأمم وأكملهم وأن أكمل هذه الأمة وأفضلها هم سابقوها.

وإذا سلم ذلك: فأعلم الناس بالسابقين وأتبعهم لهم هم (أهل الحديث) و(أهل السنة)"[1].

"والزنادقة من الفلاسفة والنصيرية وغيرهم يقدحون تارة في النقل؛ وهو قول جهالهم.

وتارة يقدحون في فهم الرسالة؛ وهو قول حذاقهم، كما يذهب إليه أكابر الفلاسفة والاتحادية ونحوهم، حتى كان التلمساني مرة مريضاً، فدخل عليه شخص ومعه بعض طلبة الحديث، فأخذ يتكلم على قاعدته في الفكر: (أنه حجاب وأن الأمر مداره على الكشف)، وغرضه كشف الوجود المطلق، فقال ذلك الطالب: فما معنى قول أم الدرداء: " أفضل عمل أبي الدرداء التفكر ؟"، فتبرم بدخول مثل هذا عليه وقال للذي جاء به: (كيف يدخل علي مثل هذا؟)، ثم قال: (أتدري يا بني ما مثل أبي الدرداء وأمثاله؟، مثلهم مثل أقوام سمعوا كلاماً وحفظوه لنا حتى نكون نحن الذين نفهمه ونعرف مراد صاحبه، ومثل بريد حمل كتاباً من السلطان إلى نائبه) أو نحو ذلك؛ فقد طال

---

[1] - المصدر نفسه (٤/١٠١-١٠٢) بتصرف يسير.

عهدي بالحكاية، حدثني بها الذي دخل عليه وهو ثقة يعرف ما يقول في هذا، وكان له في هذه الفنون جولان كثير"[١].

---

[١] - المصدر نفسه (٤/١٠٢-١٠٣).

الفصل السابع

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في الولاية

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الولاية عند ابن عربي .

المبحث الثاني : موقفه من تقسيم المشايخ والأولياء إلى درجات وطبقات عند ابن عربي .

المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي بتفضيل الولي على النبي .

المبحث الرابع : موقفه من قول ابن عربي أن الولي يتلقى عن الله تعالى مباشرة .

المبحث الخامس : موقفه من زعم ابن عربي أن الولي معصوم ، ويقول للشيء (كن) فيكون .

المبحث السادس : موقفه من قول ابن عربي أنه هو خاتم الأولياء كما أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء .

المبحث الأول:

تعريف الولاية عند ابن عربي

قبل أن نشرع في بيان معنى الولاية عند ابن عربي ومن تبعه من الملاحدة والاتحادية، لابد لنا من بيان المعنى اللغوي للولاية والوليّ، وكذلك المعنى الشرعي الصحيح للولاية والوليّ.

المعنى اللغوي للولاية:

قال ابن فارس: "الواو واللام والياء أصلٌ صحيح يدل على قرب، من ذلك الوَلْي: القرب، يقال: "تباعد بعد ولْي" أي: بعد قرب.

ومن الباب المولى: المعتِق والمعتَق، والصاحب والحليف وابن العم والصاحب[1] والجار، كل هؤلاء من الولْي وهو القرب، وكل من ولي أمر آخر فهو وليه"[2].

والوَلاية: النصرة، والوِلاية: تولي الأمر، وحقيقته: تولي الأمر، والولي والمولى يستعملان في ذلك"[3].

أما عن المعنى الشرعي للولي والولاية:

فإن الله عزوجل يقول:

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[4].

---

[1] – لعل (الصاحب الأولى) بمعنى المالك، و(الصاحب الثانية) بمعنى الرفيق؛ فالتكرار يفيد المغايرة هنا في كلام ابن فارس والله أعلم.

[2] – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (١٤١/٦).

[3] – مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص (٨٨٥).

[4] – سورة يونس ، آية (٦٢-٦٣).

وفيها يقول الشوكاني[1] رحمه الله في تفسيره:

"ثم لما بيّن سبحانه إحاطته بجميع الأشياء، وكان في ذلك تقوية لقلوب المطيعين، وكسر لقلوب العاصين ذكر حال المطيعين، فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾، الوليّ في اللغة: القريب .

والمراد بأولياء الله: خلّص المؤمنين، كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ؛ أي: يؤمنون (بما يجب الإيمان به)، ويتقون (ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه).

والمراد بنفي الخوف عنهم: أنهم لا يخافون أبداً كما يخاف غيرهم؛ لأنهم قد قاموا بما أوجب الله عليهم، وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها، فهم على ثقة من أنفسهم، وحسن ظنّ بربهم، وكذلك لا يحزنون على فوت مطلب من المطالب؛ لأنهم يعلمون أن ذلك بقضاء الله وقدره، فيسلمون للقضاء والقدر، ويريحون قلوبهم عن الهمّ والكدر، فصدورهم منشرحة، وجوارحهم نشطة، وقلوبهم مسرورة.

ومحل "الموصول" النصب على أنه بدل من "أولياء"، أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو هو مبتدأ وخبره "لهم البشرى" ، فيكون غير متصل بما قبله، أو النصب أيضاً على المدح، أو على أنه وصف لـ(أولياء)"[2].

وفي المعنى الصحيح للولاية الشرعية يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "ولاية الله هي موافقته بالمحبة لما يحب، والبغض لما يبغض، والرضا بما يرضي، والسخط بما يسخط،

---

[1] - مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان -من بلاد خولان، باليمن- ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكما بها، وكان يرى تحريم التقليد، وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ. الأعلام، الزركلي (٦/ ٢٩٨)

[2] - فتح القدير، الشوكاني تفسير سورة يونس ، ص(٦٣٢).

والأمر بما يأمر به، والنهي عما ينهى عنه، والموالاة لأوليائه، والمعاداة لأعدائه؛ كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يسعى، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه)[١]، (قال) فهذا أصح حديث روي في الأولياء"[٢].

هكذا كان استعمال لفظة (الولي)، وظلت النظرة إليها بهذا المعنى إلى أن دخلت أوساط الشيعة ثم في دائرة الصوفية، فأطلقوها على أئمتهم ومشايخهم مراعين فيها اعتبارات أخرى، غير هذه الاعتبارات الإسلامية فأصبحت محصورة في طائفة خاصة بعد أن كانت صفة محتملة لأي إنسان يقوم بنصرة دين الله من عباده المسلمين، وأول من صرف هذا المعنى إلى معنى خاص هم الشيعة، فأطلقوها على أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ على اعتبار أنه هو وذريته بشراً نورانيين من طينة مكنونة تحت العرش، ثم أضاف لها الشيعة والصوفية العلم اللدنيّ؛ لأن الشيعة يعتقدون أن علي ابن أبي طالب أخذ علماً خاصاً عن الرسول ﷺ[٣].

---

[١] – رواه البخاري في "كتاب: الرقاق"، "باب: التواضع" برقم (٦٥٠٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها؛ وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٨ / ١٣١).

[٢] – مجموع الفتاوى (٢/٣٧٠-٣٧١).

[٣] – انظر: الصوفية نشأتها وتطورها، مُحَمَّد العبدة وطارق عبد الحليم ص (٦٤).

ولعل من أكثر الأحاديث التي حصل خلل في فهمها عند أهل الباطن الباطل من الشيعة والصوفية هو حديث الولي المشهور، ولا شك أن إشكالات القوم وشبههم تزول فور معرفة المعنى الحق المراد من هذا الحديث، وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله المعنى الحق المراد من حديث الولي السابق ذكره؛ فقال رحمه الله:

"والحديث حق كما أخبر به النبي ﷺ؛ فإن وليّ الله لكمال محبته لله وطاعته لله يبقى إدراكه لله وبالله، وعمله لله وبالله، فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه، وما يراه مما يحبه الحق أحبه، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه، ويبقى في سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل، كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته: (اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً)[1]"[2].

---

[1] - متفق عليه، رواه البخاري في "كتاب:بدء الوحي"، "باب: الدعاء إذا انتبه من الليل" برقم (٦٣١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بتّ عند ميمونة فقام النبي صلى الله عليه وسلم فأتى حاجته، غسل وجهه ويديه، ثم نام، ثم قام فأتى القربة، فأطلق شناقها، ثم توضأ وضوءاً بين وضوءين لم يكثر وقد أبلغ، فصلى فقمت فتمطيت كراهية أن يرى أني كنت أتقيه، فتوضأت فقام يصلي فقمت عن يساره فأخذ بأذني فأداري عن يمينه، فتتامّت صلاته ثلاث عشرة ركعة، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، فآذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ، وكان يقول في دعائه: "اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً"، قال كريب: وسبع في التابوت فلقيت رجلاً من ولد العباس فحدثني بهن فذكر: "عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وذكر خصلتين") (٨ / ٨٦).

- ورواه مسلم بلفظه برقم (١٨٢٤)، في "كتاب: الصلاة"، "باب: الدعاء في صلاة الليل" (١٧٨/٢).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٣/٢).

فبيّن رحمه الله أن ولاية الله تعالى إنّما تكون بالإستقامة على أوامره ونواهيه سبحانه وتعالى، وعدم الخروج عن شرعه وسنة نبيّه ﷺ.

فكل مؤمن تقي هو ولي لله تعالى بالمعنى الشرعي، ويدخل في ذلك الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فهم سادة الأولياء، لكن الأولياء في الاصطلاح وفي هذا المقام تحديداً يراد بهم مَنْ سوى الأنبياء؛ هذا من الجهة الاصطلاحية في هذا الباب، وإلّا فالأنبياء سادة الأولياء كما سبق بيانه.

في حين أننا نجد أن الصوفية بعامة عند تعريفهم للولاية قد خرجوا عن المعنى الشرعي إلى ما يشير إلى الحلول والإتحاد من جهة، وإلى عصمة الأولياء من جهة أخرى؛ فيقول أبو القاسم القشيري مثلاً:

"الولي له معنيان: (أحدهما): فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره.

و(الثاني): فعيل، مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً"[1]؛ وقوله هذا تأسيس للقول بعصمة الولي.

وعرّفه الجرجاني بمثل تعريف القشيري، وزاد: "الولاية هي: قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه"[2]، وهذا يشير إلى الفناء أو الحلول.

وأما معنى الولاية عند الملاحدة والاتحادية ومنهم ابن عربي هي: (أن الخالق هو عين المخلوق، وجعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق، وأن الوجود واحد كما سبق بيانه).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الرد على هذه الدعوى الباطلة، واستدلالهم بحديث الولي على أن الوجود واحد: "فالملاحدة والاتحادية يحتجون به

---

[1] - انظر: الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري ص(٥٢٠-٥٢١).

[2] - التعريفات، الجرجاني ص(٣٢٩).

يعني بحديث الوليّ السابق ذكره- على قولهم، لقوله: (كنت سمعه وبصره ويده ورجله)؛ والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة:

منها: قوله: (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة)؛ فأثبت معادياً محارباً، ووليًاً غير المعادي، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا.

ومنها: قوله: (وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه)؛ فأثبت عبداً متقرباً إلى ربه، ورباً افترض عليه فرائض.

ومنها: قوله: (ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه) فأثبت متقرِّبًا ومتقرَّبًا إليه، ومحباً ومحبوباً غيره، وهذا كله ينقض قولهم: الوجود واحد.

ومنها: قوله: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به) إلى آخره، فإنه جعل لعبده بعد محبته هذه الأمور"[1].

وفي بيان بطلان زعمهم يقول أيضاً رحمه الله: "فولي الله فيه من الموافقة لله ما يتحد به المحبوب والمكروه، والمأمور والمنهي ونحو ذلك، فيبقى محبوب الحق محبوبه، ومكروه الحق مكروهه، ومأمور الحق مأموره، وولي الحق وليه، وعدو الحق عدوه، بل المخلوق إذا أحب المخلوق محبة تامة حصل بينهما نحو من هذا، حتى قد يتألم أحدهما بتألم الآخر، ويلتذُّ بلذته.

ولهذا قال ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[2]؛ ولهذا كان المؤمن يسره ما يسر المؤمنين، ويسوؤه ما يسوؤهم، ومن لم يكن كذلك لم يكن منهم.

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧١/٢).

[2] - رواه مسلم في: (كتاب: البر والصلة والأدب)، (باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) برقم (٦٧٥١) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى".(٢٠/٨).

فهذا الإتحاد الذي بين المؤمنين ليس هو أن ذات أحدهما هي بعينها ذات الآخر، ولا حلّت فيه، بل هو توافقهما واتحادهما في الإيمان بالله ورسوله وشعب ذلك مثل محبة الله ورسوله، ومحبة ما يحبه الله ورسوله.

فإذا كان هذا معقولاً بين المؤمنين فالعبد إذا كان موافقاً لربه تعالى فيما يحبه ويبغضه، ويأمر به وينهى عنه، ونحو ذلك مما يحبه الرب من عبده: كيف تكون ذات أحدهما هي الأخرى أو حالة فيها؟"[1].

أما عند هؤلاء الملاحدة أهل الإتحاد والوحدة: فإن الوجود عندهم واحد، وأنكروا الكثرة والتعدد في الوجود؛ يقول شيخ الإسلام:

"وهو عندهم[2] قبل المحبة وبعدها واحد، وهو عندهم هذه الأعضاء: بطنه، وفرجه، وشعره، وكل شيء؛ لا تعدد عندهم؛ ولا كثرة في الوجود، ولكن يثبتون مراتب ومجالي ومظاهر، فإن جعلوها موجودة: نقضوا قولهم.

وإن جعلوها ثابتة في العدم –كما يقوله ابن عربي– أو جعلوها المعينات والمطلق هو الحق، كانوا قد بنوا ذلك على قول من يقول: المعدوم شيء، وقول من جعل الكليات ثابتة في الخارج زائدة على المعينات.

والأول: قول طائفة من المعتزلة، وهو قول ابن عربي.

والثاني: قول طائفة من الفلاسفة، وهو قول القونوي صاحب ابن عربي، وكلا القولين باطلان عند العقلاء.

ولهذا كان التلمساني أحذق منهما فلم يثبت شيئاً وراء الوجود، كما قيل:

وما البحر إلّا الموج لا شيء ... غيره وإن فرقته كثرة المتعدد

لكن هؤلاء الضلال من الفلاسفة والمعتزلة ما قالوا: وجود المخلوق هو وجود الخالق، وهؤلاء الملاحدة قالوا: هذا هو هذا؛ ولهذا صاروا يقولون بالحلول من وجه لكون

---

[1] – المصدر نفسه (٢/٣٧٣-٣٧٤).

[2] – يعني: الوجود.

الوجود في كل الذوات أو بالعكس وبالاتحاد من وجه لاتحادهما ؛ وحقيقة قولهم هي وحدة الوجود"[١] .

---

[١] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٢/٢) بتصرف يسير.

المبحث الثاني:

موقفه من تقسيم المشايخ والأولياء إلى درجات وطبقات عند ابن عربي

جعل الصوفيةُ الأولياءَ على مراتب، وذلك بحسب اجتهادهم في دقائق التقوى -وبحسب ما يعتبرونه توفيقًا من الله لهم-، وبذلك تفاوتت مراتبهم في مقامات الولاية، فليس كل المتقين على درجة واحدة.

أما من حيث الدرجات، فيجعلون المراتب من الأفضل إلى الأدنى كالتالي[١]:

(القطب الغوث): الذي به يغاث عباد الله وبواسطته تنزل الرحمة.

وقد اشتهر منهم أربعة: "عبد القادر الجيلاني"[٢]، و"أحمد الرفاعي[٣]"، و"أحمد البدوي"[١]، و"إبراهيم الدسوقي"[٢]، وقد يزعمون أن كل واحد منهم يدبر جزءاً من أجزاء الكون، والعياذ بالله.

---

[١] - انظر: التعرف على التصوف، أحمد مُحَمَّد شهاب، ص(٥٣).

[٢] - عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني، أبو مُحَمَّد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان، وانتقل إلى بغداد شاباً، فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وتوفي في بغداد سنة ٥٦١هـ، وقال الذهبي: (عليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢٠/ ٤٣٩).

[٣] - أحمد بن علي بن يحيى الرفاعيّ البطائحي الحسيني، أبو العباس مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد في قرية حسن من أعمال واسط بالعراق، وتوفي سنة ٥٧٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٢١/ ٧٧).

- ومن أقواله: (إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة ولا تخضر ورقة إلا بنظره، ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق)، وكان يقول: (إن القلب إذا انجلى من حبّ الدنيا وشهوتها صار كالبلّور ، وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس). انظر: قلادة الجواهر، مُحَمَّد الرفاعي ص(١٤٨)، نقلاً عن: التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير ص(١٨٠).

ثم (الإمامان): وهما كالوزيرين للغوث.

ثم (الأربعة الأوتاد): الحافظون لجهات الأرض.

ثم (السبعة النجباء) و(الحافظون للأقاليم السبعة).

ثم (الأربعون الأبدال): الساعون في قضاء حوائج المسلمين، وهم في الشام.

ثم (التسعة والتسعون): الذين هو مظاهر أسماء الله، عياذاً بالله.

ثم (الثلاثمائة والتسعون): الأولياء الصالحون من المؤمنين.

ويزعمون أن أهل المراتب لا بد من وجودهم في كل زمان إلى زمان نزول نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام.

فالأبدال مثلاً: إحدى المراتب في الترتيب الطبقي للأولياء عند الصوفية، لا يعرفهم عامة الناس، وهم يشاركون بما لديهم من اقتدار له أثر في حفظ نظام الكون[٣].

والأبدال لهم مظاهر أربعة: الصمت والجوع والسهر والعزلة، والأبدال لا ينقصون ولا يزيدون، وقد سموا البدلاء؛ لأن البدل إذا ما فارق مكانه خلفه فيه شخص آخر على صورته، ولا يشك الرائي أنه البدل، وترتيب الأبدال كترتيب السماوات السبع بحيث يكون ارتباط الأول بالسماء السابعة.

---

[١] - أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، أبو العباس البدوي، المتصوف صاحب الشهرة في الديار المصرية، أصله من المغرب، طاف البلاد ودخل مصر وسورية والعراق، وعظم شأنه في مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير، وتوفي ودفن في طنطا سنة ٦٧٥ هـ، وذكر الشعراني تطوافه بالقبور، ودعواه تصريف الأمور وضلالاً بعيداً. انظر: الطبقات الكبرى، الشعراني (١/ ١٥٥).

[٢] - إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن مُحَمَّد، من كبار المتصوفين، من أهل دسوق بغربية مصر، وقد ذكر الشعراني في (الجواهر) جملة من مقالاته، وله شعر ينحو فيه منحى ابن الفارض في وحدة الوجود، اقتفى آثار الصوفية وكثر مريدوه ونقلوا عنه كلاماً على طريقة القوم فيه الكثير مما لا معنى له، توفي سنة ٦٧٦ هـ. انظر: الطبقات الكبرى، الشعراني (١/ ١٥٤).

[٣] - انظر: مجلة دائرة المعارف الإسلامية، عدد(٢)، ص(١٤٢).

ويروي الصوفية حديثاً عن علي ﷺ أنه قال: (البدلاء بالشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء بخراسان، والأوتاد بسائر الأرض)!!.

ويقول يحيى بن معاذ الرازي[1]: (إذا رأيت الرجل يعمل الطيبات فاعلم أن طريقه التقوى، وإذا رأيته يحدث بآيات الله فاعلم أنه على طريق الأبدال)!!"[2].

يقول ابن عربي في كتابه "رحلة الأبدال":

"يا من أراد منازل الأبدال ... من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن بها فلست من أهلها ... إن لم تزاحمهم على أحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ... ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت، واعتدال دائم ... والجوع والسهر النزيه العالي"[3].

وقد ذكر ابن عربي أن ترتيب الأبدال كترتيب السماوات السبع، بحيث يكون ارتباط البدل الأول بالسماء السابعة وهكذا؛ فقد ذكر في "الفتوحات المكية" ترتيبهم فقال:

"البدل الأول: يحكم الإقليم الأول للسماء السابعة على قلب الخليل.

البدل الثاني: يحكم الإقليم الثاني للسماء السادسة على قلب موسى.

البدل الثالث: يحكم الإقليم الثالث للسماء الخامسة على قلب هارون.

البدل الرابع: يحكم الإقليم الرابع للسماء الرابعة على قلب إدريس.

البدل الخامس: يحكم الإقليم الخامس للسماء الثالثة على قلب يوسف.

البدل السادس: يحكم الإقليم السادس للسماء الثانية على قلب عيسى.

---

[1] - يحيى بن معاذ بن جعفر الرازيّ، أبو زكريا، واعظ وزاهد، لم يكن له نظير في وقته، من أهل الري، أقام ببلخ، ومات في نيسابور سنة ٢٥٨ هـ. الأعلام، الزركلي (٨/ ١٧٢).

[2] - التصوف الإسلامي، أبو العلا عفيفي ص(٢٠).

[3] - انظر: معراج السلوك إلى ملك الملوك، أبو بكر مُحَمَّد بناني ص(٢١).

البدل السابع : يحكم الإقليم السابع للسماء الأولى على قلب آدم"[١].

ولا تتفق الروايات المختلفة الواردة في كتب الصوفية على رأي في تفصيلات هذا النظام الطبقي، كذلك يوجد خلاف كبير في الرأي حول عدد الأبدال؛ فيرى البعض أنهم أربعون، ويقول المكي أنهم ثلاثمائة، ويقول ابن عربي أنهم سبعة.

والرأي الغالب أن الأبدال في الطبقة الخامسة من طبقات الأولياء التي تنحدر من القطب الأعظم، ويتقدم عليهم بعد القطب الذي يأتي في المرتبة الأولى الإمامان ثم الأوتاد، ثم الأفراد السبعة، ويأتي بعد الأبدال الذين هم في الطبقة الخامسة النجباء، ثم النقباء، ثم العصائب، فالحكماء أو المفردون، ثم الرجبيون –الرجباء–[٢].

أما عند ابن عربي فإن الولاية على مراتب كما سبق، ومنها مرتبة (الولاية الخاصة)، والأولياء هم الورثة؛ لأنهم أخذوا علمهم عن الله مباشرة.

وهم عند ابن عربي أفضل من الأنبياء نظراً لما هم عليه من ذوق أدركوا به علم الوجود ووقفوا على سرّ القدر[٣].

فبعد أن حرَّف الصوفية كلمة ولي عن معناها الذي أراده القرآن الكريم اخترعوا ما يسمونه بالأقطاب والأوتاد والأبدال، تسميات ما أنزل الله بها من سلطان، يرتبون بها أولياءهم ترتيباً فيه مضاهاة للنصارى الذين يرتبون رجال الدين عندهم بدأ بالشماس وانتهاء بالبابا كما أنه فيه تشبه بالشيعة في ترتيب الأئمة وكذلك ترتيب النصيرية والإسماعيلية في أئمتهم كالسابق والتالي والناطق والأساس[٤].

---

[١] – الفتوحات المكية، ابن عربي (١/٣٧٠-٢٧٦) ملخصاً.

[٢] – انظر: دائرة المعارف الإسلامية (١٤٢/٢).

[٣] – انظر: الصوفية نشأتها وتطورها، مُحَمَّد العبدة وطارق عبد الحليم ص(٦٣-٦٤).

[٤] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٣٩/١١).

المبحث الثالث:

موقفه من قول ابن عربي بتفضيل الولي على النبي

يزعم غلاة الصوفية أن الأولياء أفضل وأعلى منزلة من الأنبياء، وهو قول في غاية الضلال والبهتان والبطلان؛ فإن الأنبياء هم أفضل البشر؛ قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾[1]، وأول من قال بهذا القول الباطل هو: مُحَمَّد بن علي الملقب بالحكيم الترمذي[2]، فهو أول من ابتدع مقالة أن الولي أفضل من النبي، وأيضاً ادعى أنه خاتم الأولياء كما أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء.

وقد تولى ابن عربي أيضاً كبر هذه الدعوى الباطلة؛ فقد صرح في مواضع متعددة من كتبه بأن الولاية أعظم من النبوة، ثم النبوة أعظم من الرسالة، فجعل الولي أعظم من الرسول ومن النبي، فقال في "لطائف الأسرار":

" سماء النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي"[3].

وقال في "الفتوحات المكيّة":

" بين الولاية والرسالة برزخ ... فيه النبوة حكمها لا يجهل "[4].

وقال أيضاً:

"من صورة الحق لنا من ولايته ... جميعها قلنا في الحرب إقدام
لنا الخلافة في الدنيا محققة ... ومالها في جنان الخلد أحكام"[5].

---

[1] - سورة الحج ، آية (٧٥).

[2] - سبق ترجمته.

[3] - لطائف الأسرار لابن عربي ص(٢٩).

[4] - الفتوحات المكية (٢/٢٤٩).

[5] - الفتوحات المكية (٢/٢٥٦).

وقال :

"اعلم أن الولاية هي الفلك المحيط للعالم؛ ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام، وأما التشريع والرسالة فمنقطعة"[١].

ويحتج القائلون على هذا القول الباطل بقول النبي ﷺ في المتحابين:

(يغبطهم النبيون والشهداء)[٢]؛ فقالوا: لو لم يكونوا أفضل منهم لم يغبطوهم، وهذا استدلال باطل ظاهر البطلان؛ لأن مجرد الغبطة لا تدل على أن المغبوط أفضل ممن غبطه؛ بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تمنى الشهادة في سبيل الله؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً يكرهون أن يتخلفوا بعدي، ولا أجد ما أحملهم ما تخلفت لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل)[٣].

ومع ذلك لم يقل أحد من أهل الإسلام إن درجة الشهداء أرفع من درجة الأنبياء والمرسلين.

ف"كل من سوى الأنبياء دونهم"[٤] كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

---

[١] - فصوص الحكم ص(٢٠٣).

[٢] - رواه الترمذي، "أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ"، "باب: ما جاء في الحب في الله" برقم (٢٣٩٠) من حديث

معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (قال الله عز و جل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء).

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله: "هذا حديث حسن صحيح" (٤ / ١٧٥).

[٣] - رواه البخاري بلفظه في "كتاب: التمني" ، باب: "ما جاء في التمني، ومن تمنى الشهادة"، من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظه، برقم (٧٢٢٦).

[٤] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٦٥/١١).

وأهل وحدة الوجود لا يرون فرقاً بين الخالق والمخلوق؛ فالوجود عندهم واحد، فالعبد عندهم هو المعبود، لذا فقد جعلوا الولي أفضل من النبي، بل جعلوا خاتم الأولياء ممداً في الباطن لخاتم الأنبياء بالعلوم والمعارف الباطنة؛ قال شيخ الإسلام رحمه الله:

"وربما غلوا فيه، كما فعل ابن عربي في فصوصه فجعلوه مُمِدا في الباطن لخاتم الأنبياء، تبعًا لغلوهم الباطل، حيث قد يجعلون الولاية فوق النبوة، موافقة لغلاة المتفلسفة الذين قد يجعلون الفيلسوف الكامل فوق النبي.

وكذلك جهال القدرية، والأحمدية، واليونسية، قد يفضلون شيخهم على النبي، أو غيره من الأنبياء، وربما ادعوا في شيخهم نوعاً من الإلهية، وكذلك طائفة من السعدية: يفضلون الولي على النبي.

وقال بعضهم: يقلد الشافعي ولا يقلد أبو بكر وعمر، وكذلك غالية الرافضة، الذين قد يجعلون الإمام كان ممداً للنبي في الباطن، كما قد يجعلونه إلهاً"[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"هذا ابن عربي يصرح في فصوصه: أن الولاية أعظم من النبوة؛ بل أكمل من الرسالة، ومن كلامه:

مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي

وبعض أصحابه يتأول ذلك بأن: ولاية النبي أفضل من نبوته، وكذلك ولاية الرسول أفضل من رسالته، أو يجعلون ولايته حاله مع الله، ورسالته حاله مع الخلق!.

وهذا من بليغ الجهل؛ فإن الرسول إذا خاطب الخلق وبلغهم الرسالة لم يفارق الولاية بل هو ولي الله في تلك الحال، كما هو ولي الله في سائر أحواله؛ فإنه ولي الله ليس عدواً له في شيء من أحواله؛ وليس حاله في تبليغ الرسالة دون حاله إذا صلى ودعا الله وناجاه .

---

[1] - المرجع السابق (١١/٣٦٣-٣٦٤).

وأيضاً: فما يقول هذا المتكلف[1] في قول هذا المعظم: إن النبي صلى الله عليه وسلم لبنة من فضة وهو لبنتان من ذهب وفضة، ويزعم أن لبنة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم هي العلم الظاهر، ولبنتاه: الذهب علم الباطن والفضة علم الظاهر وأنه يتلقى ذلك بلا واسطة، ويصرح في فصوصه أن رتبة الولاية أعظم من رتبة النبوة؛ لأن الولي يأخذ بلا واسطة والنبي بواسطة، فالفضيلة التي زعم أنه امتاز بها على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم عنده مما شاركه فيه.

وبالجملة: فهو لم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في شيء فإنه أخذ بزعمه عن الله ما هو متابعه فيه في الظاهر، كما يوافق المجتهد المجتهد والرسول الرسول، فليس عنده من اتباع الرسول والتلقي عنه شيء أصلاً لا في الحقائق الخبرية ولا في الحقائق الشرعية .

وأيضاً: فإنه لم يرض أن يكون معه كموسى مع عيسى وكالعالم مع العالم في الشرع الذي وافقه فيه، بل ادعى أنه يأخذ ما أقره عليه من الشرع من الله في الباطن فيكون أخذه للشرع عن الله أعظم من أخذ الرسول.

وأما ما ادعى امتيازه به عنه وافتقار الرسول إليه -وهو موضع اللّبنة الذهبية-، فزعم أنه يأخذه عن المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول.

فهذا كما ترى في حال هذا الرجل وتعظيم بعض المتأخرين له، وصرح الغزالي بأن قتل من ادعى أن رتبة الولاية أعلى من رتبة النبوة أحب إليه من قتل مائة كافر؛ لأن ضرر هذا في الدين أعظم.

ولا نطيل الكلام في هذا المقام لأنه ليس المقصود هنا"[2].

وعن حقيقة أصحاب هذا الزعم الباطل يقول شيخ الإسلام رحمه الله أيضاً:

"وصار كل من هؤلاء يدعي النبوة والرسالة، أو يريد أن يفصح بذلك لولا السيف؛ كما فعل السهروردي المقتول فإنه كان يقول: (لا أموت حتى يقال لي: قم فأنذر)،

---

[1] - يعني: ابن عربي، وقد سبق ذكر هذا عنه.

[2] - مجموع الفتاوى (٤/١٧١-١٧٣).

وكان ابن سبعين يقول: (لقد زرب ابن آمنة حيث قال لا نبي بعدي) ويقال إنه كان يتحرى غار حراء لينزل عليه فيه الوحي.

وابن عربي ادعى ما هو أعظم من النبوة عنده وهو ختم الولاية، وخاتم الأولياء عنده أفضل من خاتم الأنبياء في العلم بالله، وهو يقول إن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون من مشكاة هذا الخاتم المدعي معرفة الله التي حقيقتها وحدة الوجود وهي تعطيل الصانع سبحانه التي هي سرّ قول فرعون"[١]!.

وفي هذه الدعوى مشابهة منهم للفلاسفة؛ فقد ذكر الفلاسفة أن: (الفيلسوف أعظم من النبي)، وتبعهم هؤلاء وقالوا: (الولي أعظم من النبي)؛ وذلك لأن ما يتصور في نفس النبي أو الولي هي (الملائكة) من الأشكال النورانية الخيالية؛ فـ(الملائكة) عندهم ما يتخيله في نفسه، و(النبي) عندهم ما يتلقى بواسطة هذا التخيل، و(الولي) يتلقى المعارف العقلية بدون هذا التخيل، ولا ريب أن من تلقى المعارف بلا تخيل كان أكمل ممن تلقاها بتخيل[٢].

---

[١] – درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (٥/٢٢–٢٣).

[٢] – انظر: الإيمان الأوسط، ابن تيمية ص(١٣٢) وما بعدها.

المبحث الرابع

موقفه من قول ابن عربي أن الولي يتلقى عن الله تعالى مباشرة

لما جعل ابن عربي ومن تبعه الولي في منزلة أعلى من منزلة النبي، وفضّل الولي على النبي؛ جعل الولي الذي خُتمت به الولاية -بزعمه- يتلقى الوحي عن الله تعالى مباشرة بلا واسطة، ويقول: حدثني قلبي عن ربي، ولا يحتاج إلى النبي في التلقي أو في كونه واسطة عن الله تعالى في تبليغ الوحي؛ فقال في "الفتوحات المكيّة": "الولي لا يأخذ النبوة من النبي إلّا بعد أن يرثها الحق منهم، ثم يلقيها إلى الولي ليكون ذلك أتمُّ في حقه حتى ينتسب في ذلك إلى الله لا إلى غيره"[1]؛ أي: لا ينتسب إلى الأنبياء، وقد يقول أصحاب هذا الكلام الفاسد أن الولي الخاتم يتلقى عن النبي ولكن هذا يكون -عندهم- في الظاهر، وأما في الباطن فإنه يتلقى عن الله تعالى مباشرة، بل إن الأنبياء عندهم يتلقون من مشكاة الأولياء؛ فخاتم الأنبياء يتلقى عن خاتم الأولياء عندهم.

وقد ذهب بعض المتأخرون من الجهّال أنّ هناك من أولياء الله من يأخذون من المعدن الذي أخذ منه الملَك مباشرة؛ فيقولون: الولي يأخذ عن الله مباشرة أما النبي صلى الله عليه وسلم فيأخذ عن الله جل وعلا بواسطة جبريل، كما ذكر ابن عربي وكما ذكر غيرُه قال: الولي يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الملك مباشرة.

يعني فلا يحتاج إلى واسطة، ففُضِّل بهذا على النبي، وقالوا الولي يمكن أن يخرج عن شريعة النبي؛ لأنه في الظاهر متبع للنبي، لكنه في الباطن يتلقى تلقياً خاصاً، ولهذا زعموا بأن هناك من تسقط عنه التكاليف، وأنّ هناك من يسعه الخروج عن شريعة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم كما وسِع الخضر الخروج عن شريعة موسى وقد سبق مناقشة ذلك.

ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية على زعم ابن عربي بأنه يتلقى عن الله تعالى مباشرة بلا واسطة قائلاً: "وأيضا: فما يقول هذا المتكلف في قول هذا المعظّم: إن النبي صلى الله

---

[1] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢/٣٥٣).

عليه وسلم لبنة من فضة وهو لبنتان من ذهب وفضة، ويزعم أن لبنة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم هي العلم الظاهر، ولبنتاه: الذهب علم الباطن والفضة علم الظاهر، وأنه يتلقى ذلك بلا واسطة، ويصرح في فصوصه أن رتبة الولاية أعظم من رتبة النبوة؛ لأن الولي يأخذ بلا واسطة والنبي بواسطة، فالفضيلة التي زعم أنه امتاز بها على النبي صلى الله عليه وسلم أعظم عنده مما شاركه فيه.

وبالجملة: فهو لم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم في شيء فإنه أخذ بزعمه عن الله ما هو متابعه فيه في الظاهر، كما يوافق المجتهد المجتهد والرسول الرسول، فليس عنده من اتباع الرسول والتلقي عنه شيء أصلاً لا في الحقائق الخبرية ولا في الحقائق الشرعية.

وأيضاً: فإنه لم يرض أن يكون معه كموسى مع عيسى وكالعالم مع العالم في الشرع الذي وافقه فيه، بل ادعى أنه يأخذ ما أقره عليه من الشرع من الله في الباطن فيكون أخذه للشرع عن الله أعظم من أخذ الرسول.

وأما ما ادعى امتيازه به عنه وافتقار الرسول إليه -وهو موضع اللبنة الذهبية-، فزعم أنه يأخذه عن المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به إلى الرسول.

فهذا كما ترى في حال هذا الرجل وتعظيم بعض المتأخرين له، وصرح الغزالي[١] بأن قتل من ادعى أن رتبة الولاية أعلى من رتبة النبوة أحب إليه من قتل مائة كافر؛ لأن ضرر هذا في الدين أعظم .

ولا نطيل الكلام في هذا المقام لأنه ليس المقصود هنا"[٢].

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أصل هذا القول مستمد من قول الفلاسفة؛ فالفلاسفة يقولون إن الفيلسوف أعظم من النبي، وكذلك جاء هؤلاء

---

[١] - مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، فيلسوف متصوف، له نحو مائتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران -بخراسان-، له رحلات، نسبته إلى صناعة الغزل -عند من يقوله بتشديد الزاي-، أو إلى غَزَالة -من قرى طوس- لمن قال بالتخفيف، توفي سنة ٥٠٥ هـ. الأعلام، الزركلي (٧/ ٢٢).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤/١٧١-١٧٣).

وأخرجوا قول الفلاسفة في قالب من المكاشفة والمخاطبة، وقالوا: بأن الولي أفضل من النبي؛ لأنه يتلقى عن الله تعالى بلا واسطة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ومن لم يمكنه طلب النبوة وادعاؤها لعلمه بقول الصادق المصدوق: (لا نبي بعدي)[١] أو غير ذلك كابن عربي وأمثاله طلب ما هو أعلى من النبوة وأن خاتم الأولياء أعظم من خاتم الأنبياء، وأن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة والنبي يأخذ بواسطة الملك، وبنى ذلك على أصل متبوعيه الفلاسفة، فإن عندهم: ما يتصور في نفس النبي أو الولي هي "الملائكة" من الأشكال النورانية الخيالية؛ "فالملائكة" عندهم ما يتخيله في نفسه، و"النبي" عندهم ما يتلقى بواسطة هذا التخيل، و"الولي" يتلقى المعارف العقلية بدون هذا التخيل، ولا ريب أن من تلقى المعارف بلا تخيل كان أكمل ممن تلقاها بتخيل.

فلما اعتقدوا في النبوة ما يعتقده هؤلاء المتفلسفة صاروا يقولون: إن الولاية أعظم من النبوة، كما يقول كثير من الفلاسفة: (إن الفيلسوف أعظم من النبي)؛ فإن هذا قول الفارابي ومبشر بن فاتك وغيرهما، وهؤلاء يقولون النبوة أفضل الأمور عند الجمهور لا عند الخاصة، ويقولون: خاصة النبي جودة التخييل والتخيل؛ فجاء هؤلاء الذين أخرجوا الفلسفة في قالب الولاية وعبروا عن المتفلسف بالولي، وأخذوا معاني الفلاسفة وأبرزوها في صورة المكاشفة والمخاطبة، وقالوا: (إن الولي أعظم من النبي).

ولم يكفهم هذا البهتان حتى ادعوا أن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم هؤلاء الأولياء الذي هو من أجهل الخلق بالله وأبعدهم عن دين الله، والعلم بالله هو عندهم بأنه: الوجود المطلق الساري في الكائنات، فوجود كل موجود هو عين وجود واجب الوجود؛ وحقيقة هذا القول قول الدهرية الطبيعية الذين ينكرون أن يكون للعالم مبدع أبدعه هو واجب الوجود بنفسه؛ بل يقولون: العالم نفسه واجب الوجود بنفسه، فحقيقة قول هؤلاء شر من قول الدهرية الإلهيين وهو يعود عند التحقق إلى قول الدهرية الطبيعيين"[٢].

---

[١] - سبق تخريجه.

[٢] - الإيمان الأوسط، ابن تيمية ص(١٣٢-١٣٥).

المبحث الخامس:

موقفه من زعم ابن عربي أن الولي معصوم، ويقول للشيء (كن) فيكون

من المعلوم أنه لا أحد من البشر معصوم سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكن الله يعصم عباده بالتقوى فلا يباشروا ما نهاهم عنه؛ وعليه فليس من شروط الولاية العصمة، بل ليس من شروطها صحة الاجتهاد في كل مسألة؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

"فصل: وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ؛ بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى، وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته، ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى؛ فإن الله سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾[١]، قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها قبل ذلك شيء أشد منه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا)[٢]، قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[٣]، إلى قوله ﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[٤]، قال الله قد فعلت، ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا

---

[١] - سورة البقرة ، آية (٢٨٤).

[٢] - رواه مسلم في: (كتاب: الإيمان)، (باب: قوله تعالى: "وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه" برقم(٣٤٥)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بلفظه.(٨١/١).

[٣] - سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

[٤] - سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[1]، قال : قد فعلت ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[2]، قال قد فعلت.

وقد قال تعالى ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[3].

وثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعاً أنه قال: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر)[4]؛ فلم يؤثّم المجتهد المخطئ؛ بل جعل له أجراً على اجتهاده وجعل خطأه مغفوراً له، ولكن المجتهد المصيب له أجران فهو أفضل منه"[5].

فولي الله تعالى يجوز أن يقع منه الغلط، وبالتالي يجب على من الناس أن يتبعوه فيما وافق فيه شرع الله سبحانه وتعالى، وأن يخالفوه فيما خالف فيه شرع الله سبحانه وتعالى؛ يقول رحمه الله:

---

[1] - سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

[2] - سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

[3] - سورة الأحزاب ، آية (٥).

[4] - متفق عليه، رواه البخاري في: (كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة)، (باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) برقم(٧٣٥٢)، من حديث عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر".(٩/١٣٢-١٣٣).

- ورواه مسلم في: (كتاب: الأقضية)، (باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) برقم(٤٥٨٤)، من حديث عمرو بن العاص ﷺ بلفظه.(٥/١٣١).

[5] - مجموع الفتاوى (١١/٢٠١-٢٠٣)، بتصرف يسير.

"ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله لئلا يكون نبياً، بل ولا يجوز لولي الله أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه إلّا أن يكون موافقاً للشرع وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم فإن وافقه قبله وإن خالفه لم يقبله وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف ؟ توقف فيه"[١].

لذا فقد جاء عن سليمان الدارانيّ[٢] رحمه الله أنه كان يقول:

"إنه يقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلّا بشاهدين: الكتاب والسنة"[٣].

ثم إن الناس مع من كان ولياً لله تعالى على ثلاثة أصناف، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى حيث يقول: "والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف، طرفان ووسط: فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي لله وافقه في كل ما يظن أنه حدث به قلبه عن ربه، وسلّم إليه جميع ما يفعله، ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع أخرجه عن ولاية الله بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً.

وخيار الأمور أوساطها، وهو: أن لا يجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً، فلا يتبع في كل ما يقوله ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده. والواجب على الناس اتباع ما بعث الله به رسوله، وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف ويقول هذا خالف الشرع"[٤].

---

[١] - المصدر السابق (٢٠٣/١١).

[٢] - سليمان بن حبيب المحاربي الدارانيّ، أبو بكر، قاض من ثقات التابعين من أهل الشام، كان ينعت بقاضي الخلفاء، استمر في قضاء دمشق ثلاثين عاما، نسبته إلى -داريا- من غوطة دمشق، توفي سنة ١٢٠ هـ. الأعلام، الزركلي (٣/ ١٢٢).

[٣] - انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية ص(٤٨).

[٤] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٠٣/١١-٢٠٤).

ثم يضرب رحمه الله تعالى مثالاً بما كان من حال عمر بن الخطاب ﷺ؛ فقد ورد في حقه ﷺ ما يدل على أنه كان محدثاً ملهماً وولياً من أولياء الله تعالى، ولكنه مع ذلك كان يخالفه الصحابة ﷺ ويناقشونه فيما يرون أنه مخالف لشرع الله تعالى ومخالف لما جاء به النبي ﷺ.

فقال رحمه الله تعالى:

"وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم)[١]، وروى الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر)، وفي حديث آخر: (إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه)، وفيه: (لو كان نبي بعدي لكان عمر)[٢]، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر)[٣]، ثبت هذا عنه من رواية الشعبي، وقال ابن عمر: (ما كان عمر يقول في شيء: إني لأراه كذا إلّا كان كما يقول)، وعن قيس بن طارق قال:

---

[١] - متفق عليه، رواه البخاري في: (كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ)، (باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ﷺ) برقم(٣٦٨٩)، من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر".(١٥/٥).

- ورواه مسلم في: (كتاب: فضائل الصحابة)، (باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه) برقم(٦٣٥٧)، من حديث عائشة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: "قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم". قال ابن وهب: (تفسير محدثون: ملهمون).(١١٥/٧).

[٢] - سبق تخريجه.

[٣] - سبق تخريجه.

(كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك)[١]، وكان عمر يقول: (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة)[٢].

وقد ثبت في الصحيح تعيين عمر بأنه محدث في هذه الأمة فأي محدث ومخاطب فرض في أمة مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم فعمر أفضل منه"[٣].

ثم قال رحمه الله:

"ومع هذا فكان عمر رضي الله عنه يفعل ما هو الواجب عليه، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر كما نزل القرآن بموافقته غير مرة، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك كما رجع يوم الحديبية.

وكذلك لما مات النبي صلى الله عليه وسلم أنكر عمر موته أولاً، فلما قال أبو بكر: إنه مات رجع عمر عن ذلك.

وكذلك في قتال مانعي الزكاة، قال عمر: فوالله ما هو إلّا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق.

ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله عنهم ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة، ويقررهم على منازعته ولا يقول لهم: أنا محدّث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني، فأي أحد ادعى أو ادعى له أصحابه أنه ولي لله وأنه مخاطب، لا يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله، ولا يعارضوه ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة، فهو وهم مخطئون ومثل هذا من أضل الناس فعمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل منه وهو أمير المؤمنين وكان المسلمون ينازعونه

---

[١] - سبق تخريجه .

[٢] - سبق تخريجه .

[٣] - مجموع الفتاوى (١١/٢٠٤-٢٠٥).

فيما يقوله وهو وهم على الكتاب والسنة، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

وفي دعوى غلاة الصوفية عصمة الولي وأنه لا يجوز الإنكار عليه ولو خالف الشريعة؛ نقل الشعراني عن علي الخواص قوله:

"إياك أن تصغي لقول منكر على أحد من طائفة العلماء أو الفقراء، فتسقط من عين رعاية الله عز وجل"، ثم قال: "وإنّما نهى القوم عن المنازعة؛ لأن علومهم مواجيد لا نقل فيها"، ثم وصفها بكونها: "وراثة نبوية"[2].

ومن خرافات ابن عربي وغلاة الصوفية في هذا الباب؛ نسبتهم إلى الأولياء صفات الربوبية من علم الغيب والتصرف في الكون، ويظهر ذلك جلياً من خلال عموم ما ذكرته عن ابن عربي في الكلام على وحدة الوجود، من أنه يجعل الوجود واحداً وينكر التعدد، وأنه ينسب للمخلوق صفات الخالق من الإحياء والإماتة وتصريف الكون ونحوه؛ فقد حكى الشعراني عن إبراهيم الجعبري[3] من اطلاعه على خفايا من أحوال الناس[4]، وقد حكى أيضاً عنه أنه كان يُضْحِك ويُبْكِي من حوله إذا شاء، وأنه حبس بول ناس ثم أطلقه[5].

ونقل عن مُحَمَّد الحضري أنه يقول: "الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم"[6].

ونقل عن بعضهم أنه كان يقول للعصا التي كانت معه: "كوني إنساناً فتكون إنساناً، ويرسلها تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت"[1].

---

[1] - مجموع الفتاوى (١١/٢٠٥-٢٠٨) بتصرف.

[2] - الطبقات الكبرى، الشعراني (١/١٠).

[3] - سبق ترجمته.

[4] - انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/٢٠٣-٢٠٤).

[5] - انظر: المرجع السابق (١/٢٠٣-٢٠٤).

[6] - المرجع السابق (٢/١٠٧).

فبأي وجه -شرعي أو عقلي- سوّغ هؤلاء لأنفسهم هذه الدعاوى الباطلة ؟!، من العصمة والتصرف في الكون ونحو ذلك.

ومن قارن بين دعاوى هؤلاء وضلالاتهم، وبين ما سبق ذكره من حال محدث الأمة عمر رضي الله عنه، تبين له مدى بعد هؤلاء عن الحق وعن المنهج النبوي الصافي.

---

[١] - المرجع السابق (٢/١٣٦).

المبحث السادس

موقفه من قول ابن عربي أنه هو خاتم الأولياء كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء

عقيدة ختم الولاية عند غلاة المتصوفة تعني أنه: كما أن للأنبياء نبياً خاتماً، كذلك للأولياء وليٌ خاتم، وكما أن خاتم الأنبياء أفضل الأنبياء، كذلك فإن خاتم الأولياء يكون أفضل الأولياء.

وقد ذكر هذه العقيدة الباطلة والكلام على ختم الولاية "الحكيم الترمذي" في كتابه "ختم الولاية"، وادعى أنه هو خاتم الأولياء، ثم تبعه على هذا القول ممن جاء بعده كابن عربي الطائي وأحمد التيجاني وغيرهما، وكل منهم ادعى أيضاً أنه خاتم الأولياء، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وقد ظن طائفة غالطة أن "خاتم الأولياء" أفضل الأولياء قياساً على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المتقدمين في خاتم الأولياء إلّا مُحَمَّد بن علي الحكيم الترمذي فإنه صنف مصنفاً غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب "الفتوحات المكية " وكتاب "الفصوص"، فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال: (فخر عليهم السقف من تحتهم) لا عقل ولا قرآن"[١].

إذن فإن هذه الدعوى بجانب أنها باطلة من جهة الشرع ومناقضة له، فهي باطلة من جهة العقل أيضاً ومناقضة له.

وأيضاً فإن هذا اللفظ لفظ باطل لا أساس له من الشرع، ادعاه من ادعاه طمعاً في منزلة ورياسة ليست له؛ وفي بيان هذا المعنى يقول شيخ الإسلام:

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢٢٣/١١).

"لفظ (خاتم الأولياء) لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره مُحَمَّد بن علي الحكيم الترمذي، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: كابن حموية وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي عليه السلام من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعاً في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء"[1].

فهؤلاء القوم يظنون أن الولي باجتهاده في العبادة والتصفية، يستطيع أن يصل إلى هذه المنزلة التي تفوق -في رأيه ونظره الفاسد- منزلة الأنبياء؛ قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في "شرح الطحاوية":

"وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير إتباع لطريقتهم، ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء، ومنهم من يقول إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله، وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم؛ فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق كابن عربي وأمثاله؛ وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت لكن الولاية لم تختم، وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها، كما قال:

مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة؛ فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟

---

[1] - المصدر السابق (١١/٤٤٤).

يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[١]، والنبوة أخصّ من الولاية، والرسالة أخصّ من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك"[٢].

وقد قال ابن عربي في "فصوصه":

"ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن فرآها قد كملت إلّا موضع لبنة، فكان هو صلى الله عليه وسلم موضع اللبنة، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها، كما قال: لبنة واحدة، وأما خاتم الأولياء فلا بد له من هذه الرؤية، فيرى ما مثله النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين، ويرى نفسه تنطبع في موضع اللبنتين، فتكمل الحائط؛ والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من فضة ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو أخذ عن الله في السر ما هو في الصورة الظاهرة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلابد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إليه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع"[٣].

فقد جعل ابن عربي نفسه نظيراً للنبي ﷺ، بل يرى نفسه أفضل من النبي ﷺ؛ فلئن كان النبي ﷺ لبنة الفضة الظاهرة من البناء، فإنه قد جعل نفسه اللبنة الذهبية[٤]؛ فهو يأخذ في الباطن من المعدن الذي يأخذ منه الملك !!..

---

[١] - سورة يونس، آية (٦٢-٦٣).

[٢] - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ص (٤٩٢-٤٩٣).

[٣] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٦٣).

[٤] - بل جعل نفسه لبنتان: لبنة من فضة لعلم الظاهر، ولبنة من ذهب لعلم الباطن، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وأيضا: فما يقول هذا المتكلف في قول هذا المعظم: إن النبي ﷺ لبنة من فضة وهو لبنتان من ذهب وفضة، ويزعم أن لبنة مُحَمَّد ﷺ هي العلم الظاهر، ولبنتاه: الذهب علم الباطن والفضة علم الظاهر وأنه يتلقى ذلك بلا واسطة".

ويقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله معلقاً على هذا الكلام القبيح:

"فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسل المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسل، تلك أمانيهم: ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ﴿٥٦﴾ ﴾[1]، وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟، وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى من الكفر ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى نقد جيد؛ ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلّا للناقد الحاذق البصير.

وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2]، ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يعاملون معاملة المسلمين؛ لإظهارهم الإسلام، كما كان يظهره المنافقون في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ويبطنون الكفر، وهو يعاملهم معاملة المسلمين لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر من أحد منهم ما يبطنه من الكفر، لأجرى عليه حكم المرتد"[3].

و"خاتم الأولياء" تسمية باطلة؛ لم ترد في الكتاب ولا في السنة ولا عن السلف رحمهم الله، وإنما ادعاه من ادعاه طمعاً في مآرب شخصية كما سبق بيانه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"هذه تسمية باطلة؛ لا أصل لها في كتاب ولا سنة ولا كلام مأثور عمن هو مقبول عند الأمة قبولاً عاماً، لكن يعلم من حيث الجملة أن آخر من بقى من المؤمنين المتقين في العالم فهو آخر أولياء الله"[4].

---

[1] - سورة غافر ، آية (٥٦).

[2] - سورة الأنعام، آية (١٢٤).

[3] - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (٤٩٣-٤٩٤).

[4] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية ١١/٣٦٥-٣٦٦).

ويتمسك هؤلاء بعدة أدلة نقلية لم يفهموها على وجهها الصحيح، يجيب عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيقول:

"وتارة يستدلون بشبه نقلية: مثل قوله: (للعامل منهم أجر خمسين منكم)[1] ، وقوله: (أمتي كالغيث، لا يدرى أوله خير أم آخره)[2].

وهذا خلاف السنن المتواترة عن النبي ﷺ من حديث ابن مسعود وعمران ابن حصين، ومما هو في الصحيحين أو أحدهما، من قوله:(خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[3]، وقوله :(والذي نفسي بيده، لو

---

[1] – رواه أبو داود في: (كتاب: الملاحم)، (باب: الأمر والنهي) برقم(٤٣٤٣) من حديث أبي ثعلبة الخشني، أن أبا أمية الشعباني قال: سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية (عليكم أنفسكم)، قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فيها مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله".(٢١٥/٤).

– ورواه الترمذي في: (كتاب: تفسير القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ)، (باب: ومن سورة المائدة) برقم(٣٠٥٨) من حديث أبي ثعلبة الخشني بلفظه، وزاد: قال عبد الله بن المبارك وزادني غير عتبة قيل، يارسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: "بل أجر خمسين منكم".(٢٥٧/٥).

[2] – رواه الترمذي في: (كتاب: الأمثال عن رسول الله ﷺ)، (باب: بابٌ) برقم(٢٨٦٩)، من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ؟".(١٥٢/٥).

– ورواه أحمد في مسنده برقم(١٢٣٤٩) من حديث أنس ﷺ بلفظه.(١٣٠/٣).

[3] – متفق عليه، رواه البخاري في: (كتاب: الشهادات)، (باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد) برقم(٢٦٥١)، من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، قال عمران: لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه

أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه)[1] ، وغير ذلك من الأحاديث.

وخلاف إجماع السلف : كقول ابن مسعود: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب مُحَّد خير قلوب العباد، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب مُحَّد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد)، وقول حذيفة: (يا معشر القراء، استقيموا، وخذوا سبيل من كان قبلكم، فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)، وقول ابن مسعود: (من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، أولئك أصحاب مُحَّد، أبرّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)، وقول جندب وغيره مما هو كثير مكتوب في غير هذا الموضع؛ بل خلاف نصوص القرآن في مثل قوله:﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2]، وقوله: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ

وسلم بعد قرنين أو ثلاثة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن بعدكم قوماً يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن". (٢٢٤/٣).

- ورواه مسلم في: (كتاب: فضائل الصحابة)، (باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) برقم(٦٦٣٢)، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته"، لم يذكر هناد القرن في حديثه، وقال قتيبة: "ثم يجىء أقوام". (١٨٤/٧).

[1] - متفق عليه، رواه البخاري في: (كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ)، (باب: مناقب أبي بكر) برقم(٣٦٧٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه". (١٠/٥).

- ورواه مسلم في: (كتاب: فضائل الصحابة)، (باب: تحريم سبّ الصحابة ﷺ) برقم(٦٦٥١)، من حديث أبى هريرة ﷺ بلفظه وفيه: "لا تسبوا أصحابى لا تسبوا أصحابى" الحديث. (١٨٨/٧).

[2] - سورة التوبة، آية (١٠٠).

مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، وقوله: ﴿ **وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴿١٠﴾** ﴾[2]، وغير ذلك، فإنه لم يكن الغرض بهذا الموضع هذه المسألة، وإنما الغرض : الكلام على خاتم الأولياء"[3].

ويقول أيضاً في الجواب عن استدلالهم بهذه الأدلة:

"وأما قوله: (لهم أجر خمسين منكم لأنكم تجدون على الخير أعوانًا ولا يجدون على الخير أعوانًا)[4] فهذا صحيح؛ إذا عمل الواحد من المتأخرين مثل عمل عمله بعض المتقدمين كان له أجر خمسين، لكن لا يتصور أن بعض المتأخرين يعمل مثل عمل بعض أكابر السابقين، كأبي بكر وعمر؛ فإنه ما بقي يبعث نبي مثل مُحَّد، يعمل معه مثلما عملوا مع مُحَّد ﷺ.

وأما قوله: (أمتي كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره)[5]، مع أن فيه ليناً فمعناه: في المتأخرين ما يشبه المتقدمين ويقاربهم، حتى يبقى لقوة المشابهة والمقارنة لا يدري الذي ينظر إليه، أهذا خير أم هذا؟ وإن كان أحدهما في نفس الأمر خيرًا.

فهذا فيه بشرى للمتأخرين بأن فيهم من يقارب السابقين، كما جاء في الحديث الآخر: ("خير أمتي أولها وآخرها، وبين ذلك ثبج أو عوج، وددت أني رأيت

---

[1] - سورة الحديد، آية (١٠).

[2] - سورة الحشر، آية (١٠).

[3] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٣٦٧-٣٦٨).

[4] - سبق تخريجه.

[5] - سبق تخريجه.

إخواني"، قالوا: "أولسنا إخوانك؟"، قال: "أنتم أصحابي")[1]، هو تفضيل للصحابة، فإن لهم خصوصية الصحبة التي هي أكمل من مجرد الأخوة.

وكذلك قوله:(أي الناس أعجب إيمانًا) إلى قوله:(قوم يأتون بعدي يؤمنون بالورق المعلق)[2]، هو يدل على أن إيماهم عجب، أعجب من إيمان غيرهم، ولا يدل على أنهم أفضل، فإن في الحديث أنهم ذكروا الملائكة والأنبياء، ومعلوم أن الأنبياء أفضل من هؤلاء الذين يؤمنون بالورق المعلق.

ونظيره: كون الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء[3]؛ فإنه لا يدل على أنهم بعد الدخول يكونون أرفع مرتبة من جميع الأغنياء؛ وإنما سبقوا لسلامتهم من الحساب.

---

[1] – رواه أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك ﷺ بغير هذا اللفظ؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وددت أني لقيت إخواني"، قال: فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أو ليس نحن إخوانك ؟، قال: "أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني". (١٥٥/٣).

[2] – رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين في: (ذكر فضائل الأمة بعد الصحابة والتابعين) من حديث عمر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه و سلم جالساً فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أتدرون أي أهل الإيمان أفضل إيماناً ؟"، قالوا: يا رسول الله الملائكة ؟، قال: "هم كذلك و يحق ذلك لهم و ما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها، بل غيرهم"، قالوا: يا رسول الله فالأنبياء الذين أكرمهم الله تعالى بالنبوة و الرسالة ؟، قال: "هم كذلك و يحق لهم ذلك و ما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها، بل غيرهم"، قال: قلنا فمن هم يا رسول الله ؟ قال: "أقوام يأتون من بعدي في أصلاب الرجال فيؤمنون بي ولم يروني، ويجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً". قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في "التلخيص": بل مُحَّد بن أبي حميد ضعفوه. (٩٦/٤).

[3] – روى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم".

وفي لفظ له: "بخمسمائة عام وهو نصف يوم". قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. (٥٧٨/٤).

وهذا -باب التفضيل بين الأنواع في الأعيان، والأعمال والصفات أو بين أشخاص النوع- باب عظيم، يغلط فيه خلق كثير، والله يهدينا سواء الصراط"[1].

وقد يتمسكون أيضاً بشبهات ذوقية؛ لما قد يجدونه من أواخر الصالحين من المشاهدات العرفانية، والكرامات الخارقة ما لم ينقل مثله عن السلف، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وأما الأذواق والكرامات: فمنها ما هو باطل، والحق منه كان للسلف أكمل وأفضل بلا شك، وخرق العادة تارة يكون لحاجة العبد إلى ذلك، وقد يكون أفضل منه لا تخرق له تلك العادة؛ فإن خرقها له سبب وله غاية، فالكامل قد يرتقى عن ذلك السبب، وقد لا يحتاج إلى تلك الغاية المقصودة بها.

ومع هذا فما للمتأخرين كرامة إلّا وللسلف من نوعها ما هو أكمل منها"[2].

أو يتمسكون كذلك بشبهات عقلية من جهة أن متأخري كل فن يحكمونه أكثر من المتقدمين، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ويتمسكون تارة بشبهة عقلية أو ذوقية: من جهة أن متأخري كل فن يحكمونه أكثر من المتقدمين؛ فإنهم يستفيدون علوم الأولين مع العلوم التي اختصوا بها، كما هو موجود في أهل الحساب، والطبائعيين والمنجمين وغيرهم"[3].

يقول رحمه الله:

"وأما توهمهم أن متأخري كل فن أحذق من متقدميه؛ لأنهم كمّلوه، فهذا منتقض أولاً ليس بمطّرد؛ فإن كتاب سيبويه في العربية لم يصنف بعده مثله، بل وكتاب

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٣٧١-٣٧٢).

[2] - المرجع السابق (١١/٣٧٠).

[3] - المرجع السابق (١١/٣٦٦).

بطليموس، بل نصوص بقراط لم يصنف بعدها أكمل منها. ثم نقول: هذا قد يسلم في الفنون التي تنال بالقياس والرأي والحيلة، أما الفضائل المتعلقة بأتباع الأنبياء: فكل من كان إلى الأنبياء أقرب مع كمال فطرته كان تلقيه عنهم أعظم، وما يحسن فيه هو من الفضائل الدينية المأخوذة عن الأنبياء؛ ولهذا كان من يخالف ذلك هو من المبتدعة، الخارج عن سنن الأنبياء، المعتقد أن له نصيباً من العلوم والأحوال خارجاً عن طور الأنبياء، فكل من كان بالنبوة وقدرها أعظم، كان رسوخه في هذه المسألة أشدّ"[1].

وأصل زعمهم أن المتأخر أفضل من المتقدم: دعوى أن العالم متنقل من الابتداء إلى الانتهاء، يقول شيخ الإسلام رحمه الله في نقض ذلك:

"ومما يشبه هذا ظن طائفة كابن هود[2]، وابن سبعين[3]، والنفري، والتلمساني: إن الشيء المتأخر ينبغي أن يكون أفضل من المتقدم؛ لاعتقادهم أن العالم متنقل من الابتداء إلى الانتهاء، كالصبي الذي يكبر بعد صغره، والنبات الذي ينمو بعد ضعفه، ويبنون على ذلك أن المسيح أفضل من موسى، ويبعدون ذلك إلى أن يجعلوا بعد مُحَمَّد واحدًا من البشر أكمل منه، كما تقوله الإسماعيلية، والقرامطة، والباطنية، فليس على هذا دليل أصلاً -إن كل من تأخر زمانه من نوع، يكون أفضل ذلك النوع-؛ فلا هو مطرد ولا منعكس"[4].

"بل إبراهيم الخليل قد ثبت بقول النبي ﷺ: (أنه خير البرية)[5]، أي: بعد النبي ﷺ.

---

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٣٧٠).

[2] – سبق ترجمته.

[3] – سبق ترجمته.

[4] – المرجع السابق (١١/٣٦٨).

[5] – رواه مسلم ، "كتاب: الفضائل"، "باب: من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ"، برقم (٦٢٨٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذاك إبراهيم عليه السلام". (٧ / ٩٧).

وكذلك قال الربيع بن خثيم[١]: (لا أفضّل على نبينا أحداً، ولا أفضّل على إبراهيم بعد نبينا أحداً، وبعده جميع الأنبياء المتبعين لملّته مثل: موسى وعيسى وغيرهما، وكذلك أنبياء بني إسرائيل كلهم بعد موسى، وقد أجمع أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى: على أن موسى أفضل من غيره من أنبياء بني إسرائيل، إلّا ما يتنازعون فيه من المسيح، والقرآن قد شهد في آيتين لأولى العزم فقال في قوله: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ۝٧ ﴾[٢]، وقال: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ۝١٣ ﴾[٣]؛ فهؤلاء الخمسة أولو العزم، وهم الذين قد ثبت في أحاديث الشفاعة الصحاح أنهم يترادّون الشفاعة في أهل الموقف بعد آدم، فيجب تفضيلهم على بنيهم، وفيه تفضيل لمتقدم على متأخر، ولمتأخر على متقدم"[٤].

ثم يوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الإستدلال على التفضيل بالتقدم والتأخر هو استدلال باطل؛ وهو أصل الغلط في هذا الباب؛ يقول رحمه الله: "وأصل الغلط في هذا الباب: أن تفضيل الأنبياء، أو الأولياء، أو العلماء، أو الأمراء بالتقدم في

---

[١] – الربيع بن خثيم الثوري الكوفي من سادة التابعين، وروى له الجماعة سوى أبي داود، وتوفي في حدود السبعين للهجرة وقيل في حدود التسعين، وقال الشيخ شمس الدين أيضاً أرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم وسمع ابن مسعود وأبا أيوب وعمرو بن ميمون وقال توفي في حدود المائة. الوافي بالوفيات، الصفدي (١٤/ ٥٦).

[٢] – سورة الأحزاب، آية (٧).

[٣] – سورة الشورى، آية (١٣).

[٤] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٣٦٨–٣٦٩).

الزمان أو التأخر أصل باطل؛ فتارة يكون الفضل في متقدم النوع؛ وتارة في متأخر النوع، ولهذا يوجد في أهل النحو، والطب والحساب ما يفضل فيه المتقدم كبطليموس، وسيبويه، وبقراط وتارة بالعكس "[١].

كما يستدلون أيضاً بقياس فاسد؛ حيث قاسوا خاتم الأولياء على خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم !! ؛ وذلك لظنهم أنه قد يكون من المتأخرين من هو أفضل من أفاضل الصحابة !!..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ونقول ثانيًا: إن آخر الأولياء أو خاتمهم، سواء كان المحقق أو فرض مقدر، ليس يجب أن يكون أفضل من غيره من الأولياء، فضلاً عن أن يكون أفضلهم، وإنما نشأ هذا من مجرد القياس على خاتم الأنبياء؛ لما رأوا خاتم الأنبياء هو سيدهم، توهموا من ذلك قياساً بمجرد الاشتراك في لفظ خاتم، فقالوا: خاتم الأولياء أفضلهم.

وهذا خطأ في الاستدلال؛ فإن فضل خاتم الأنبياء عليهم لم يكن لمجرد كونه خاتماً، بل لأدلة أخرى دلت على ذلك.

ثم نقول: بل أوّل الأولياء في هذه الأمة وسابقهم هو أفضلهم؛ فإن أفضل الأمة خاتم الأنبياء، وأفضل الأولياء سابقهم إلى خاتم الأنبياء؛ وذلك لأن الولي مستفيد من النبي وتابع له، فكلما قرب من النبي كان أفضل وكلما بعد عنه كان بالعكس، بخلاف خاتم الأنبياء فإن استفادته إنما هي من الله، فليس في تأخره زماناً ما يوجب تأخر مرتبته، بل قد يجمع الله له ما فرقه في غيره من الأنبياء.

فهذا الأمر الذي ذكرناه من أن السابقين من الأولياء هم خيرهم، هو الذي دلّ عليه الكتاب والسنن المتواترة وإجماع السلف.

ويتصل بهذا ظنّ طوائف أن من المتأخرين من قد يكون أفضل من أفاضل الصحابة، ويوجد هذا في المنتسبين إلى العلم وإلى العبادة وإلى الجهاد والإمارة والملك !!، حتى

---

[١] - المصدر السابق (١١/٣٦٩).

في المتفقهة من قال: (أبو حنيفة أفقه من علي)!!، وقال بعضهم: (يقلد الشافعي ولا يقلد أبو بكر وعمر)!!."[1] .

والذي يظهر من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذه المقالة الباطلة عند القوم مبنية في الأساس على أمرين ذكرهما في ثنايا النقولات السابقة عنه رحمه الله، هما:

الأول: أن النبي ﷺ أتى بشريعةٍ ظاهرة تهتم بالعبادات الظاهرة، وأما خاتم الأولياء فقد جاء بشريعة باطنة، أخذ فيها العلم عن الله عزوجل مباشرة -كما سبق بيانه- فهو بذلك مستقل ومستغن عن النبي في هذا الباب.

الثاني: أنهم ما قالوا هذا الكلام الباطل إلّا لما فاتهم شرف منزلة الأنبياء، فحاولوا أن يتداركوا ذلك الفضل؛ فاختزعوا تلكم المقالة الفاسدة.

---

[1] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٣٦٦).

الفصل الثامن

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في كرامات الأولياء

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الكرامة وأقسامها عند ابن عربي .

المبحث الثاني : موقفه من قول ابن عربي في الكرامة .

المبحث الأول:

الكرامة وأقسامها عند ابن عربي

يجدر بنا قبل التعرض للكرامة وأقسامها عند ابن عربي أن نبيّن معنى الكرامة في اللغة والاصطلاح.

فأما معنى الكرامة في اللغة:

مصدر "كَرُم"، أو اسم مصدر من "كرّم" أو "أكرم"، و"الكاف والراء والميم: أصل صحيح، له بابان؛ أحدهما: شرف الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق[١].

ويظهر أن الكرامة من الباب الأول لشرفها في ذاتها، وصاحبها كريم من الباب الثاني لشرفه في خلُقه مع الخالق تعالى ومع الخلق أيضاً، والكرامة من الكرم، وهو: ضد اللؤم ونقيضه[٢].

والكرامة: اسم يوضع للإكرام[٣].

وأما الكرامة اصطلاحاً:

فإننا لو طالعنا نصوص الكتاب والسنة فسنجد أن الكرامة بهذا اللفظ لم ترد في الكتاب ولا في السنة؛ بل الذي ورد ذكره في القرآن الكريم لفظة (الآية)؛ فقد قال سبحانه بعد ذكر قصة أهل الكهف وحالهم وما وقع لهم من كرامات: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ ١٧ ﴾[٤]، فيمكن أن يقال أن الكرامة هي:

(آيات وبراهين على قدرة الله، دالّة على كرامة صاحبها).

---

[١] – انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (كرم) (٥/١٧١-١٧٢).

[٢] – انظر: المصدر السابق (٥/١٧١-١٧٢).

[٣] – انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (كرم) (١٢/٥١٠).

[٤] – سورة الكهف، آية (١٧).

وإنما أطلق العلماء عليها الكرامات تمييزاً لها عن المعجزات، وهذا التفريق في اللفظ ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو التفريق الشائع بين العلماء[١].

وليس كل من وقعت له خوارق عُدّ من الصالحين؛ بل إذا وجد الخارق للعادة نظرنا فيمن وقع له:

فإن كان نبياً: عددنا ذلك معجزة من المعجزات النبوية.

وإن كان مؤمناً تقياً: عددنا ذلك كرامة.

وإذا وجد الأمر الخارق للعادة من غير متبع للشرع الشريف: عددنا ذلك حالاً شيطانياً، هذا من جهة الاصطلاح ..

لذلك من المهم في هذا المقام تجلية الفرق بين كل من:

أولاً: المعجزات النبوية وكرامات الأولياء.

ثانياً: الأحوال الشيطانية وكرامات الأولياء.

فنقول: أولاً: الفرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء:

إنه مما لا شك فيه أن أصحاب الكرامات من الأولياء لا يصلون في الفضيلة والثواب إلى درجات الأنبياء بحال؛ فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فلا تبلغ كرامات أحد قطّ إلى مثل معجزات المرسلين"[٢].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلّا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[٣].

---

[١] – انظر: النبوات، ابن تيمية ص(١٥) بتصرف.

[٢] – النبوات، ابن تيمية ص(٤).

[٣] – رواه مسلم، "كتاب: الإيمان"، "باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا مُحَمَّد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته"، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ.

والمراد بهذا الحديث -في سياقنا هذا- هو كما بيّنه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى حيث قال:

"والمعنى أن كل نبي أعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها"[1].

واستناداً إلى هذا الحديث فإن خوارق العادات إذا جرت على يد الأنبياء تكون مقترنة قطعاً بدعوى النبوة، وهذا من الفوارق الظاهرة جداً بينها وبين كرامات الأولياء.

ثانياً: الفرق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية:

فإن أظهر الفوارق بين كرامات الأولياء والأحوال الشيطانية، أن الأولى لا تجري إلّا على يد أولياء الله تعالى المتمسكين بشرعه وسنة نبيه ﷺ، وهنا يأتي قول الإمام الشافعي رحمه الله:

"إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة"[2].

وأما الأحوال الشيطانية فقد قال الله سبحانه وتعالى عنها في خواتم سورة الشعراء: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[3]، فهذا ضابط مهم في التفريق بين الكرامات والأحوال الشيطانية.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسير آية الشعراء:

"هذا جواب لمن قال من مكذبي الرسول: إن مُحَمَّداً ينزل عليه شيطان، وقول من قال: إنه شاعر فقال: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾أي: أخبركم الخبر الحقيقي الذي لا شك فيه

---

[1] - المصدر نفسه ص(٤).

[2] - ذم الكلام، الهروي ص(٢٤٨)، شرح أول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (١/ ١٦٤).

[3] - سورة الشعراء، آية (٢٢١-٢٢٢).

ولا شبهة، ﴿ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾، أي: بصفة الأشخاص، الذين تنزل عليهم الشياطين.

﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ أي: كذّاب، كثير القول للزور، والإفك بالباطل، ﴿ أَثِيمٍ ﴾ في فعله، كثير المعاصي، هذا الذي تنزل عليه الشياطين، وتناسب حاله حالهم"[1].

فالكرامات تكون من الأولياء بزيادة الطاعات والقربات؛ لذا عند قراءة القرآن والذكر يستأنسون ويزيدهم ذلك إيماناً وخشوعاً.

وأما أصحاب الأحوال الشيطانية، فإن قراءة القرآن تبطل خوارقهم؛ لأنها ما هي إلّا أحوال تحصل لهم بسبب تقربهم للجن والشياطين بالمعاصي والشركيات.

إلى جانب أن أولياء الله يجتهدون في إخفاء أعمالهم وأحوالهم، أما أصحاب الأحوال الشيطانية فهم يتّجرون بتلك الأحوال ويلبسون بها على الناس.

ويجد الناظر في كتب ابن عربي أنه قد ضلّ ضلالاً بعيداً في مفهوم الكرامة وأقسامها؛ فقد جعل من الكرامة التي تحصل للولي أموراً تنافي الشرع وتخالف ما جاء به؛ فقد جعل منها:

- أن الولي يتلقى عن الله تعالى مباشرة بلا واسطة، وعدّ ذلك من الكرامات.

- وأن الولي قد تحصل له كرامة برؤية الله تعالى في الدنيا، وعدّ ذلك من الكرامات.

- بل وقد يكلم الله تعالى الولي ويشافهه بأعظم مما كلّم به موسى، وعدّ ذلك أيضاً من الكرامات.

- وزعم أيضاً أن من إكرام الله للولي أن يهديه حق التشريع، وذلك برواية الأحاديث عن رسول الله ﷺ مباشرة بأحكام وأمور جديدة، بل وتصحيح الأحاديث وتضعيفها؛ وذلك لإمكان اللّقيا بين الولي وبين النبي ﷺ يقظة في كل زمان ومكان.

---

[1] - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي ص (٥٩٩).

كما قد جاء عنه:

"علماء الرسوم -يقصد علماء الشريعة- يأخذون عن السلف إلى يوم القيامة، والأولياء يأخذون عن الله، ألقاه في صدورهم رحمة منه، وعناية سبقت لهم من ربهم"[١].

وقد سبق بيان طرفاً كبيراً من ذلك في أثناء هذا البحث[٢].

وأما الصوفية بعامة فلقد غلوا في أمر الكرامات والخوارق، فشرَّقوا فيها وغرَّبوا، ولقد ذكر بعض الباحثين أهم الأمور التي فارقوا بها أهل السنة في هذا الباب، ومن أهمها[٣]:

أولاً: اعتبار الخوارق معياراً للولاية، وأن من لا كرامة له لا ولاية له؛ قال الشعراني في ترجمة مُحَمَّد الغمري عن قوله: " وكان سيدي أحمد لا يأذن قط لفقير - لمريد أو صوفي- أن يجلس على سجاده إلّا إن ظهرت له كرامة "[٤].

ثانياً: الشغف بالخوارق، وتفسير كل خارق أو أمر غريب بأنه كرامة حتى صارت الخوارق هي كل همهم.

فينقل ابن الجوزي رحمه الله عن إبراهيم الخراساني أنه قال: "احتجت يوماً إلى الوضوء، فإذا أنا بكوز من جوهر، وسواك من فضة رأسه ألين من الخز، فاستكت بالسواك، وتوضأت بالماء، وتركتهما وانصرفت"!!.

ثم علق عليها ابن الجوزي رحمه الله فقال:

"في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته، فإن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل؛ إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز؛ ولكن قلَّ علمه فاستعمله، وإن ظن أنه كرامة، والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعاً"[٥].

---

[١] - فصوص الحكم، ابن عربي ص(١٣٠).

[٢] - انظر: الفصل الأول من الباب الأول من هذا البحث.

[٣] - انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، مُحَمَّد أحمد لوح (٢/ ٢٩٣-٣١١).

[٤] - الطبقات الكبرى، الشعراني (٢/٨٨).

[٥] - تلبيس إبليس، ابن الجوزي ص(٣٨٢).

ثالثاً: لما جعل الصوفية الكرامة أساس الولاية حرصوا على جمع الكرامات لمن ادعوا لهم الولاية، وتعدى الأمر إلى الاختلاق والكذب؛ ولهذا نماذج كثيرة عند ابن عربي وغيره.

المبحث الثاني:

موقفه من قول ابن عربي في الكرامة

إن من أشهر صور المخالفات في باب الكرامات ما هو عند الصوفية بعامة من المبالغة الشديدة في أمر الكرامات، وما يسمونه عندهم بـ "الكشف والإلهام"، حتى أتوا فيه بما ينافي الشرع والعقل؛ ويظهر هذا جلياً لمن نظر في كتبهم، ومنها بالقطع كتب ابن عربي الطائي[1]، حتى صارت تلك الخرافات تخيل على بعض العامة والبسطاء من الناس، حتى صارت معياراً للاستدلال[2].

إلى جانب ما يحصل من تلبيس أهل السحر والشعوذة بخوارقهم الشيطانية على العامة، وادعاؤهم أنها كرامة.

وقد بيّن أئمة الإسلام أنه ليس ثمة طريق إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته سبحانه وتعالى؛ فيقول الحافظ ابن رجب الحنبلي[3] رحمه الله:

"فظهر بذلك أنه لا طريق توصل إلى التقرب إلى الله تعالى وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فمن ادعى ولايته والتقرب إليه ومحبته بغير هذه الطريق تبين أنه كاذب في دعواه، كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدون من دونه"[4].

---

[1] - راجع في ذلك الفصل الأول من هذا الباب، والذي هو بعنوان "موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مصادر التلقي عند ابن عربي".

[2] - وكذلك من صور المخالفات في هذا الباب: توسّع أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية في الجهة المقابلة، وتجويزهم أن تصل كرامات الأولياء إلى حدّ معجزات الأنبياء.

ثم أيضاً: إنكار المعتزلة وورثتهم -العقلانيين- للكرامات جملة.

[3] - سبق ترجمته.

[4] - جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي (٢/٣٣٦).

وكذلك فقد قال الحافظ ابن حجر[1] رحمه الله:

"المراد بـ "ولي الله" المواظب على طاعته، المخلص في عبادته"[2].

وكذلك فإن ولاية الله تعالى ليست على مرتبة واحدة؛ فأولياء الله تعالى على مرتبتين:

إحداهما: مرتبة من تقرب إلى الله بأداء الفرائض، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين.

وثانيتهما: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، وهذه درجة السابقين المقربين.

وقد ذكر الله كلتا الدرجتين ودليل الصنفين في القرآن الكريم[3]؛ فقال سبحانه:﴿ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾[4]، ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[5].

والحاصل أن "الولاية" مرتبة في الدين عظيمة لا يبلغها إلّا من قام بالدين ظاهراً وباطناً بفعل المأمورات وترك المنهيات؛ فهي درجة عالية لا يُصعد إليها إلّا بسلّم الشريعة؛ بل من اعتقد ولاية من يترك الواجبات ويفعل المحرمات فهو كافر مرتد؛ لتكذيبه قول الله

---

[1] – أحمد بن علي بن مُحَمَّد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر، وقد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامة والذهب الوقاد والذكاء المفرط وسعة العلم في فنون شتى، وشهد له شيخه العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث، توفي سنة ٨٥٢ هـ. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي (٣٦/٢).

[2] – فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٣٤٢/١١).

[3] – وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ .(فاطر٣٢)

[4] – سورة الواقعة، آية (٨).

[5] – سورة الواقعة، آية (١٠-١١).

سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾[1].

والكرامة قد تحصل للولي وقد لا تحصل، فهي ليست شرطاً للولاية بحيث تنتفي بانتفائها؛ فالولاية تحصل من جهتين:

الأولى من جهة العبد بقيامه بما أمر الله به، واجتنابه ما نهى الله عنه، ثم التقرب إليه سبحانه بالنوافل.

والثانية من جهة الرب سبحانه وتعالى؛ وهو محبته للعبد ونصرته وتأييده، وأما الكرامات فهي أمر إضافي وليست شرطاً للولاية.

قال الإمام الشافعي[2] رحمه الله:

"إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة"[3].

وأهل السنة يثبتون وقوع الكرامات لأولياء الله سبحانه؛ يقول الطحاوي[4] رحمه الله تعالى:

"ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم"[5].

وكذلك قد جاء عن قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ومن أصول أهل السنة والجماعة : التصديق بكرامات الأولياء وما يُجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات،

---

[1] - سورة يونس ، آية (٦٢-٦٣).

[2] - سبق ترجمته.

[3] - انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٢٣٣).

[4] - سبق ترجمته.

[5] - شرح الطحاوية، ابن أبي العز (٢/٧٤٥).

كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة"[1].

بيان الموقف من جعل الكرامة أمراً يتم الاعتقاد والعمل بمقتضاه:

من فوائد الكشف والإلهام والفراسة والرؤى -وهي من الكرامات-: تحصيل الخير وتوقي الشر قبل وقوعه.

وشرط ذلك: ألّا يعارض العملُ بناءً عليها حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية.

ومثاله: لو شهد شاهدان عدلان في أمر، فرأى القاضي في منامه النبي صلى الله عليه وسلم يقول له: لا تحكم بهذه الشهادة؛ فإنّها باطل، فإنه لا يجوز له العمل بمقتضى هذه الرؤيا؛ لأنها تهدم قواعد الشريعة.

وكذا لو حصلت له مكاشفة بأن الماء الذي يريد الوضوء به مغصوب أو نجس، فإنه لا يتركه ويتيمم؛ لأن فتح هذا الباب يبطل العمل بالظاهر، ويلغي الشريعة.

وقد ذكر الشاطبي رحمه الله أوجهاً مما يسوغ العمل بالخوارق على وفقها، منها:

١- أن يكون في أمر مباح، كأن يرى رؤيا بأن فلاناً سيأتيه في وقت ما، فيتأهب لاستقباله، لكن لا يعامله إلّا بما هو مشروع.

٢- أن يكون العمل عليها لفائدة يرجو نجاحها، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أنه يراهم من وراء ظهره؛ لفائدة إقامة الصفوف، وأخرى هي تقوية إيمان من سمعه.

٣ - أن يكون فيه تحذير أو تبشير ليستعد ويتأهب.

وقال:" إنما ذكرت هذه الأوجه الثلاثة لتكون مثالاً يحتذى حذوه، وينظر في هذا المجال إلى جهته"[2].

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٥٦/٣).

[2] - انظر: الموافقات، الشاطبي (٢٦٦/٢) وما بعدها.

وقد تقدم بيان طرفاً من الخلل الحاصل عند ابن عربي في مفهوم الولاية، من رفعه لمنزلة الولي فوق النبي، وزعمه أن للأولياء خاتم هو أفضلهم كما أن للأنبياء خاتم، وكون الولي يستقي العلوم والمعارف عن الله تعالى مباشرة، وغير ذلك مما سبق ذكره ومناقشته.

الفصل التاسع

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في القدر

وفيه ثمانية مباحث :

- المبحث الأول : موقفه من قول ابن عربي أن العبد ليس له فعل، بل الفعل في الحقيقة لله
- المبحث الثاني : موقفه من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والكفر .
- المبحث الثالث : موقفه من قول ابن عربي أن الله يأمر العبد ظاهراً بطاعته ، فإن وقعت من العبد معصية عرفنا أن الله أمره بها في الباطن .
- المبحث الرابع : موقفه من قول ابن عربي بطاعة الإرادة وأنه ليس ثمة طاعة ولا معصية
- المبحث الخامس : موقفه من قول ابن عربي في مسألة الاستطاعة .
- المبحث السادس : موقفه من قول ابن عربي في الفناء ، وغياب الشهود .
- المبحث السابع : موقفه من قول ابن عربي بسقوط التكاليف بالفناء .
- المبحث الثامن : موقفه من قول ابن عربي في العصاة .

المبحث الأول:

موقفه من قول ابن عربي أن العبد ليس له فعل، بل الفعل في الحقيقة لله

يرى الناظر في كلام ابن عربي أن القول بوحدة الوجود قد ظهر صداه في كل ما دوّنه في أبواب الدين، لذا فقد ظهر انحرافه في فهم مسائل القضاء والقدر جلياً كما سيأتي تفصيله إن شاء الله.

ونتيجة لهذا فقد انحرف كلامه في مسألة (أفعال العباد) انحرافاً بالغاً، يعكس وبوضوح عقيدة وحدة الوجود عنده؛ فقد أنكر ابن عربي أن للعبد فعلاً ينسب إليه، وجعل الفعل كله لله سبحانه في الحقيقة؛ لأن المخلوقات كلها عنده ما هي إلّا مظاهر ومجالي للحق سبحانه وتعالى -كما سبق بيانه-.

لذا ففعل العبد هو عين فعل الرب عند ابن عربي، ولذلك يقول في "فص حكمة نبوية في كلمة موسوية":

"فأنا أعبد حقاً ... وإنّ الله مولانا
وأنا عينه ، فاعلم ... إذا ما قلت: إنسانا
فلا تحجب بإنسان ... فقد أعطاك برهانا
فكن حقاً، وكن خلقاً ... تكن بالله رحمانا"[1].

وقال في فص "حكمة رحمانية في كلمة سليمانية":

"والعمل مقسم على ثمانية أعضاء من الإنسان، وقد أخبر الحق تعالى أنه هوية كل عضو منها، فلم يكن العامل غير الحق، والصورة للعبد، والهوية مدرجة فيه، أي: في اسمه لا غير؛ لأنه تعالى عين ما ظهر.

فنحن نتيجة رحمة الامتنان بالأسماء الإلهية، والنسب الربانية، ثم أوجبها على نفسه بظهوره لنا، وأعلمنا أنه هويتنا، لنعلم أنه ما أوجبها على نفسه إلّا لنفسه، فما خرجت

---

[1] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٤٣).

الرحمة عنه، فعلى من امتن، وما ثم إلّا هو؟ إلا أنه لا بد من حكم لسان التفصيل، لما ظهر من تفاضل الخلق في العلوم، حتى يقال: إن هذا أعلم من هذا مع أحدية العين"[1].

وتتفرع مسألة (إثبات الفعل للعبد من عدمه) عند ابن عربي على مسألة (إثبات وجود العبد من عدمه)، فعنده الوجود واحد وليس للعبد وجود في الحقيقة؛ إنما الوجود لله الحق في كل المخلوقات، التي يعبر عنها بالمظاهر والمجالي للحق سبحانه وتعالى؛ فقد سبق معنا قوله:

"الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف"[2].

ويعلّق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على قول ابن عربي: (فذاك ميت)، وفي موضع أخر: (فذاك نفي)، بقوله رحمه الله:

"وكلاهما باطل؛ فإن العبد موجود وثابت ليس بمعدوم منتف، ولكن الله هو الذي جعله موجوداً ثابتاً، وهذا هو دين المسلمين، أن كل ما سوى الله مخلوق لله موجود، يجعل الله له وجوداً، فليس لشيء من الأشياء وجود إلّا بإيجاد الله له، وهو باعتبار نفسه لا يستحق إلّا العدم"[3].

فكون الله تعالى هو الذي أوجد جميع المخلوقات، لا يمنع أن يكون المخلوق موجوداً حياً ناطقاً فاعلاً مريداً قادراً ؛ بل هذا كله لا يمنع ثبوت الذوات والصفات والأفعال للمخلوق[4].

---

[1] - فصوص الحكم ص(١٥٣)، وانظر: مصرع التصوف ص (٢٦-٢٧).

[2] - انظر: مجموع الفتاوى (١١١/٢)، انظر: تلخيص الاستغاثة في الرد على البكري (٣٥٩/١).

[3] - مجموع الفتاوى (١١٥/٢).

[4] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١٥/٢).

"وأفعال العباد مفعولة مخلوقة لله، ليست صفة له ولا فعلًا قائماً بذاته، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[1]؛ فمعناه: وما أوصلت إذ حذفت، ولكن الله أوصل المرمي، فإن النبي ﷺ كان قد رمى المشركين بقبضة من تراب، وقال: "شاهت الوجوه"، فأوصلها الله إلى وجوه المشركين وعيونهم، وكانت قدرة النبي ﷺ عاجزة عن إيصالها إليهم، والرمي له مبدأ وهو: الحذف، ومنتهى وهو: الوصول، فأثبت الله لنبيه المبدأ بقوله: ﴿ إِذْ رَمَيْتَ ﴿١٧﴾ ﴾[2]،ونفى عنه المنتهى وأثبته لنفسه بقوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

وإلّا فلا يجوز أن يكون المثبت عين المنفي، فإن هذا تناقض، والله تعالى مع أنه هو خالق أفعال العباد فإنه لا يصف نفسه بصفة من قامت به تلك الأفعال، فلا يسمي نفسه مصلياً ولا صائماً، ولا آكلاً ولا شارباً، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً"[4].

إذن فلا يصح تسمية الله تعالى بما جعله قائماً بالمخلوقين من صفات تخصهم، من أكل وشرب، وصلاة وصوم.

وابن عربي يزعم أن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأفعال في الحقيقة، فهو المصلي والصائم، بل هو الآكل والشارب عنده والعياذ بالله؛ فهو لم يفرق في الوجود بين الخالق والمخلوق؛ فمذهبه في أفعال العباد هو الجبر؛ فيقول: "مع العلم أنه مجبور في اختياره

---

[1] - سورة الأنفال ، آية (١٧).

[2] - سورة الأنفال ، آية (١٧).

[3] - سورة الأنفال ، آية (١٧).

[4] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٥/٢-٣٧٦).

وهي مسألة صعبة التصور كثيرة التفلّت، ولولا وجود الآلام لهانت وما خطرت على بال"[١].

وكعادته في الإغراب فإننا نجد لابن عربي كلاماً غريباً متناقضاً في هذه المسألة؛ حيث نجده يقرر ما لم يُسبق إليه من أن العبد مجبورٌ بلا إكراه ! ؛ فيقول: "فالأمر فيه بمنزلة من هو مجبور في اختياره، فلا يثني عليه بالاختيار إلّا مع رفع العلم عنه بالجبر في ذلك الاختيار؛ لأن الاختيار يناقض الجبر، فيعلم الإنسان عند ذلك ما هو المراد بالاختيار، ويرى أنه ما ثمّ في الوجود إلّا الجبر من غير إكراه، فهو مجبور غير مكره، وهذه المسألة من أعظم المسائل في المعارف، وكم هلك فيها من الخلق قديماً وحديثاً"[٢].

وفي ذلك يقول أيضاً:

"فالخلق مجبورٌ ولاسيّما ... والأصل مجبور، فأين الخيار؟
فكل مخلوق على شكله ... في حالة الجبر وفي الإضطرار
تميّز المخلوق عن أصله ... بما له من ذلة وافتقار
فكن مع الحق بأوصافه ... ما بين جبر دائم واختيار"[٣]

فقول القائل: إن الرب والعبد شيء واحد، ليس بينهما فرق: كفر صريح[٤].

وقول القائل: ما ثمّ غير، أي: ما ثمّ غير موجود سوى الله: أيضاً كفر صريح[٥].

---

[١] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٢٠٤).

[٢] – المصدر السابق (٣/٣٥).

[٣] – المصدر السابق (٤/١٨٢).

[٤] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٧٤).

[٥] – انظر: المصدر السابق (٢/٣٧٦).

والقول الحق في أفعال العباد هو أن الله سبحانه وتعالى هو خالق العباد وخالق أفعالهم، وهو سبحانه الذي رزقهم القدرة والمشيئة، ومشيئتهم لا تخرج عن مشيئته سبحانه.

وفي ذلك يقول أبو القاسم اللالكائي:

"والصواب لدينا في القول فيما اختلف فيه من أفعال العباد وحسناتهم وسيئاتهم:

إن جميع ذلك من عند الله، والله مقدره ومدبره، لا يكون شيء إلّا بإرادته، ولا يحدث شيء إلّا بمشيئته، له الخلق والأمر"[١].

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الحق في مسألة أفعال العبيد هو ما ذهب إليه أهل السنة، من أن الله سبحانه وتعالى هو خالق ذوات العباد وهو خالق أفعالهم سبحانه، وهو الذي أعطاهم قدرة ومشيئة بها يكتسبون أفعالهم، ولا يخرجون في ذلك عن مشيئة الله تعالى؛ قال رحمه الله:

"وهو سبحانه الذي جعل الأبيض أبيض، والأسود أسود، والطويل طويلاً، والقصير قصيراً، والمتحرك متحركاً، والساكن ساكناً، والرطب رطباً، واليابس يابساً، والذكر ذكراً، والأنثى أنثى، والحلو حلواً، والمر مراً.

ومع هذا، فالأعيان تتصف بهذه الصفات، والله تعالى خالق الذوات وصفاتها.

فأي عجب من اتصاف الذات المخلوقة بصفاتها؟، ومن أين يكون الله خالق ذلك كله بالحق؟..

فإذا قال القائل: (الرب حق والعبد حق)؛ فإن أراد به أن هذا الحق هو عين هذا، فهذا هو الاتحاد والإلحاد، وهذا هو الذي ينافي التكليف.

وإن أراد أن العبد حق مخلوق، خلقه الخالق، فهذا مذهب المسلمين، وذلك لا ينافي أن يكون الخالق مُمكنًا للمخلوق، كما أنه خالق له"[٢].

---

[١] - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم اللالكائي (١ / ١٨٥).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/١١٦).

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله:

"وتوضيح ذلك: أن العبد إذا صلى وصام وعمل الخير، أو عمل شيئاً من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، والعمل السيِّئ.

وفعله المذكور بلا ريب واقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل.

وكما أن هذا هو الواقع، فهو الذي نص الله عليه في كتابه، ونص عليه رسوله صلى الله عليه وسلم؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيِّئها إلى العباد، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها، وأنهم محمودون عليها إذا كانت صالحة ومثابون عليها، ومذمومون إذا كانت سيئة ومعاقبون عليها.

فقد تبيّن بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحساً وشرعاً ومشاهدة.

ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم، كيف تكون داخلة في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرهاُ وشرُها؟ فيقال: بقدرتهم، وإرادتهم.

والذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال؛ فهذا الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وألطاف، وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال ﷺ: "وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة".

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا عليه، فولأَّهم ما تولوه لأنفسهم"[1].

---

[1] - التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، عبدالرحمن ابن سعدي، ص(٨٢-٨٣)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية، مُحَمَّد خليل هرّاس ص(٢٢٨).

المبحث الثاني:

موقفه من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والكفر

من المتقرر عند أهل السنة أنه يجب على العبد الإيمان والتسليم بقدر الله تعالى؛ يقول الإمام البربهاري رحمه الله موضحاً ما يجب على العبد في باب القدر من الإيمان والتسليم: "والكلام والجدل والخصومة في القدر خاصة منهي عنه عند جميع الفرق؛ لأن القدر سرُّ الله.

ونهى الرب جل اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى النبي صلى الله عليه و سلم عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم والتابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع ونهوا عن الجدال في القدر.

فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم في جملة الأشياء، واسكت عما سوى ذلك"[1].

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الإيمان بالقدر لا يبيح للعاصي الاحتجاج به في ترك واجب أو فعل محرم؛ فحقيقة الإيمان بالشرع والقدر والجمع بينهما لا تقتضي ذلك مطلقاً؛ فقال رحمه الله:

"وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس، وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج بالقدر.

ونفس المحتجّ بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول"[2].

---

[1] - شرح السنة، البربهاري (٣٦/١).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٧٩/٨)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٨٥٨/٢-٨٥٩).

"فإن القدر يجب الإيمان به، ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه، ووعده ووعيده"[1].

وقد أوضح رحمه الله -في معرض جوابه عن سؤال حول الضلالات في باب القدر- ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان في هذا الباب؛ فقال رحمه الله:

"وأما أهل الإيمان: فيؤمنون بالقضاء والقدر والأمر والنهي، ويفعلون المأمور ويتركون المحظور ويصبرون على المقدور، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾[2]؛ فـ(التقوى) تتناول فعل المأمور وترك المحظور، و(الصبر) يتضمن الصبر على المقدور.

وهؤلاء إذا أصابتهم مصيبة في الأرض أو في أنفسهم علموا أن ذلك في كتاب، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم؛ فسلموا الأمر لله وصبروا على ما ابتلاهم به.

وأما إذا جاء أمر الله: فإنهم يسارعون في الخيرات ويسابقون إلى الطاعات، ويدعون ربهم رغباً ورهباً، ويجتنبون محارمه ويحفظون حدوده ويستغفرون الله ويتوبون إليه من تقصيرهم فيما أمر وتعديهم لحدوده، علماً منهم بأن التوبة فرض على العباد دائماً، واقتداءاً بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح: (أيها الناس توبوا إلى ربكم، فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة)[3]، وفي رواية: (أكثر من سبعين مرة)[1]، وآخر

---

[1] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٠٠).

[2] - سورة يوسف، آية (٩٠).

[3] - رواه النسائي، برقم (١٠٢٠١) ، في (كتاب عمل اليوم والليلة)، باب: (كم يستغفر في اليوم ويتوب)، من حديث أبي بردة عن أبيه، ولفظه: أن النبي ﷺ قال: (إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة) (٩/١٦٧).

- ورواه ابن ماجة، برقم (٣٨١٥)، في (كتاب الأدب)، باب: (الاستغفار)، من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظه (٤/٧١٩).

سورة نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[2].

وإذا عرف هذان الأصلان : فعليهما ينبني جواب ما في هذا السؤال من الكلمات ويعرف ما دخل في هذه الأمور من الضلالات"[3].

وأيضاً فقد بيّن رحمه الله أن الإيمان بالقدر حسنة عظيمة، لكنها مع ذلك لا تقوى على دفع جميع السيئات، ولمّا كان بعض المحتجين بالقدر يحتجون بحال آدم عليه السلام؛ بيّن رحمه الله أيضاً أن حال من يحتج بالقدر على المعاصي يختلف عن حال آدم عليه السلام؛ فقال رحمه الله تعالى:

"بل الإيمان بالقدر حسنة من الحسنات وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات؛ فلو أشرك مشرك بالله وكذب رسوله ناظراً إلى أن ذلك مقدر عليه، لم يكن ذلك غافراً لتكذيبه ولا مانعاً من تعذيبه؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقراً بالقدر وناظراً إليه أو مكذباً به أو غافلاً عنه؛ فقد قال إبليس ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩﴾[4]، فأصرّ واحتج بالقدر فكان ذلك زيادة في كفره وسبباً لمزيد عذابه.

---

[1] - رواه البخاري بلفظ (أكثر من سبعين مرّة) برقم (٦٣٠٧) في (كتاب الدعوات)، باب: (استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلية) (٨/٨٣).

[2] - سورة النصر، آية (١-٣).

[3] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٠٣-٣٠٤).

[4] - سورة الحجر، آية (٣٩).

وأما آدم عليه السلام فإنه قال: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾[2].

فمن استغفر وتاب كان آدمياً سعيداً، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسياً شقياً؛ وقد قال تعالى لإبليس: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٥ ﴾[3].

وهذا الموضع ضلّ فيه كثير من الخائضين في الحقائق فإنهم يسلكون أنواعاً من الحقائق التي يجدونها ويذوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الأمر، فيضاهون المشركين الذين كانوا يبتدعون ديناً لم يشرعه الله، ويحتجون بالقدر على مخالفة أمر الله"[4].

ثم بيّن رحمه الله تعالى تناقض من يجعل القدر حجة على المعاصي والذنوب، وأن ذلك لا يكون إلّا بإتباع الهوى؛ فقال رحمه الله تعالى:

"ولا يوجد أحد يحتج بالقدر في ترك الواجب وفعل المحرم إلّا وهو متناقض لا يجعله حجة في مخالفة هواه، بل يعادي من آذاه وإن كان محقاً، ويحب من وافقه على غرضه وإن كان عدواً لله؛ فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجده لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبته وبغضه وولايته وعداوته، إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد.

فإن هذا مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه والشر الذي لا خير فيه؛ إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد، ولا اقتص من ظالم باغ، ولا أخذ لمظلوم حقه

---

[1] – سورة الأعراف، آية (٢٣).

[2] – سورة البقرة، آية (٣٧).

[3] – سورة ص، آية (٨٥).

[4] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٠٢-٣٠٣).

من ظالمه، ولفعل كل أحد ما يشتهيه من غير معارض يعارضه فيه، وهذا فيه من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد.

فمن المعلوم بالضرورة أن الأفعال تنقسم:

(أ)- إلى ما ينفع العباد.

(ب)- وإلى ما يضرهم.

والله قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، فمن لم يتبع شرع الله ودينه تبع ضده من الأهواء والبدع، وكان احتجاجه بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه، ولزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير من أهل المعاذير"[1].

وهذا القول بأن كل ما جرت عليه المقادير من أهل المعاذير هو مفاد كلام ابن عربي في باب القدر.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أقسام الذين ضلوا في القدر بقوله:

"والناس الذين ضلّوا في القدر على ثلاثة أصناف:

(الصنف الأول): قوم آمنوا بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وكذبوا بالقدر، وزعموا أن من الحوادث ما لا يخلقه الله كالمعتزلة ونحوهم.

(الصنف الثاني): وقوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء وربه ومليكه، لكن عارضوا هذا بالأمر والنهي، وسموا هذا حقيقة وجعلوا ذلك معارضاً للشريعة.

وفيهم من يقول: إن مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب، وإن العارف يستوي عنده هذا وهذا، وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد؛ فإنهم لا يسوون بين من أحسن إليهم وبين من ظلمهم، ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر

---

[1] - المصدر السابق (٢/٣٠١).

والعاجز، ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم، بل يفرقون بينهما ويفرقون أيضاً بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الأمر والنهي، ولا يقفون لا مع القدر ولا مع الأمر، بل كما قال بعض العلماء: (أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري!؛ أي مذهب يوافق هواك تمذهبت به)"[1].

و(الصنف الثالث) من الضالين في القدر: من خاصم الرب في جمعه بين القضاء والقدر والأمر والنهي، كما يذكرون ذلك على لسان إبليس، وهؤلاء خصماء الله وأعداؤه"[2].

ثم يجيب رحمه الله عن بعض أقوال أهل الوحدة في هذا الباب، فيقول رحمه الله:

"فقول القائل : إن الله لطف ذاته فسماها حقاً وكشفها فسماها خلقاً، هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد وهو باطل:

فإن اللطيف إن كان هو الكثيف فالحق هو الخلق ولا تلطيف ولا تكثيف.

وإن كان اللطيف غير الكثيف فقد ثبت الفرق بين الحق والخلق وهذا هو الحق، وحينئذ فالحق لا يكون خلقاً فلا يتصور أن ذات الحق تكون خلقاً بوجه من الوجوه، كما أن ذات المخلوق لا تكون ذات الخالق بوجه من الوجوه.

وكذلك قول الآخر: (ظهر فيها حقيقة، واحتجب عنها مجازاً)؛ فإنه إن كان الظاهر غير المظاهر فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد، وإن لم يكن أحدهما غير الآخر فلا يتصور ظهور ولا احتجاب"[3].

---

[1] - المصدر السابق (٢/٣٠٠-٣٠١).

[2] - المصدر السابق (٢/٣٠٣).

[3] - المصدر السابق (٢/٣٠٤).

المبحث الثالث:

موقفه من قول ابن عربي أن الله يأمر العبد ظاهراً بطاعته، فإن وقعت من العبد معصية عرفنا أن الله أمره بها في الباطن

لقد ترتب على الفهم الخاطئ لقضية القضاء والقدر عند ابن عربي وغلاة الصوفية وقوعهم في أقوال وأفعال يرفضها الشرع، بل ووقوعهم في الكفر البواح، وإقرار الشرك بالله تعالى.

فالإيمان بهذا الركن العظيم عند ابن عربي ما هو إلّا أن يؤمن العبد أن الله هو الذي أقامه على أفعاله، وتلك إرادة الله ولا إرادة للعبد معها، لذلك فلابد أن يعتقد العبد أن الله قد أقام العصاة في معاصيهم، وفرعون على أفعاله وأقواله، والكفرة في كفرهم، وإبليس في إغوائه.

كما جاء عن ابن عربي في سياق سرده لقصة موسى وهارون عليهما السلام مع بني إسرائيل لما عبدوا العجل[١]؛ بما يدل على أنه ليس عنده طاعة ولا معصية، وأن الأمر بالظاهر بترك الشيء قد يكون أمراً بارتكابه والوقوع فيه في نفس الأمر، وأن كل ما يقع في هذا الكون يكون محبوباً لله؛ فيقول ابن عربي في ذلك:

"ثم قال هارون لموسى عليهما السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ۝٩٤﴾[٢]؛ فتجعلني سبباً في تفريقهم؛ فإن عبادة العجل فرقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع موسى إليهم فيسألونه في ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون؛ لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قضى ألا يعبد إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلّا وقع، فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق

---

[١] - سبق بيانه بالتفصيل في ثنايا هذا البحث.

[٢] - سورة طه ، آية (٩٤).

في كل شيء بل يراه عين كل شيء، فكان موسى يربي هارون تربية علم وإن كان أصغر منه في السن"[١].

إذن فهذه العقيدة الفاسدة في القدر عند ابن عربي ما هي إلّا بسبب اضطراب في فهم نصوص الشريعة، وتفرقته بين الشرع والقدر[٢]، وبالتالي أدت به إلى القول باستباحة المحرمات، وتصويب أفعال العصاة، وتصحيح عبادة عبدة الأوثان[٣].

وكما جاء أيضاً عن أبي يزيد البسطامي[٤] أنه قال لرجل كان عنده عندما قال: سبحان الله، (سبحان الله شرك)، فقال له جليسه: كيف؟، قال: (لأنك نزهت نفسك عن فعل السوء، ولم تنزه الله الذي يفعل السوء ويريده، ويقيم الناس فيه)[٥].

إن هؤلاء الغلاة من المتصوفة لم يفهموا عقيدة القضاء والقدر الشرعية التي بيّنها الله سبحانه في كتابه الكريم أتمّ البيان، وشرحها رسوله صلى الله عليه وسلم أوضح الشرح، فقد رأوا أن فعل الكفرة والفجرة موافق للرب في إرادته ومحبته، وكذلك قال الحلاج عن إبليس وفرعون: (إنهما عرفا الحقيقة، وأنهما قائمان بأمر الله في ذلك، ولهذا ما سجد إبليس، وما آمن فرعون إلّا بأنه هو الله، ولهذا أيضاً ما رجع هو عن قوله)[٦].

والصوفية -وخصوصاً غلاتهم- غلوا في الجبر خصوصاً ممن يزعمون الترقي في مقام الشهود للحقيقة الكونية والربوبية الشاملة، فيرون كل ما يصدر من العبد من ظلم وكفر

---

[١] - فصوص الحكم، ابن عربي (٢/٨٧).

[٢] -كما سيأتي بيانه في ثنايا هذا البحث.

[٣] -كما سبق بيانه في خلال هذا البحث.

[٤] - سبق ترجمته.

[٥] - الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق ص(٢٩)، وانظر: فضائح الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل ص(١٣) وما بعدها.

[٦] - انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن عبد الخالق ص(٧٠-٧١)، بتصرف يسير.

وفسوق هو طاعة محضة؛ لأنها إنما تجري وفق ما قضاه الله وقدَّره، وكل ما قضاه وقدَّره فهو محبوب لديه مرضي عنه؛ فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكابه هذه المحظورات فقد أطاع إرادة الله ونَفَّذَ مشيئته، فمن أطاع الله وقضاءَه وقدرَه هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله[1]، "ومِنْ ثَمَّ فلا لوم، ولا تثريب، بل الكل مطيع بفعله لإرادة ربِّه، فصححوا بذلك إيمان فرعون وعبدة العجل، واليهود، والنصارى، والمجوس"[2].

وقد صرح بذلك ابن عربي كما مرّ معنا قوله:

"لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ ... فمرعى لغزلان وديرٌ لرهباني
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائفٍ ... وألواح توراةٍ ومصحفُ قرآن
أدين بدين الحبِّ أنَّى توجهت ... ركائبه فالحب ديني وإيماني"[3]

"وكما قال أحدهم:

أصبحت منفعلاً بما يختاره ... مني ففعلي كله طاعاتُ

وهذا المذهب من أخبث المذاهب، ولا يُشَك بكفر أصحابه، بل هو من أقبح أنواع

---

[1] – انظر: شرح القصيدة النونية للشيخ مُحَمَّد خليل هرّاس (٣٧٢/١)، وانظر: الإيمان بالقضاء والقدر، لمحمد إبراهيم الحمد ص(٢٧٥).

[2] – المعتزلة بين القديم والحديث، لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم ص(٥٨–٥٩).

[3] – رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، لموسى الدويش ص(٧٤)، وانظر: الصوفية في نظر الإسلام، لسميح عاطف الزين ص(٤٧٣)، وانظر: دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص(١١٣)، وانظر: كتاب نظرات في معتقد ابن عربي، لكمال عيسى ص(٤٢–٤٤)، وانظر: الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة، لمحمد حسين ص(١٧٢)، وانظر: الإيمان بالقضاء والقدر، لمحمد إبراهيم الحمد ص(٢٧٥–٢٧٧).

الكفر"[1].

ومن ثمّ فقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن إباحة الكفر والمعصية، وعدم التفرقة بين الكفار والمؤمنين وتسويغ كل عمل يعمله الإنسان؛ بدعوى أن المعصية أو الكفر الذي يقع من العبد إنما هو مراد لله مأمور به، بيّن رحمه الله أن ذلك كله من الكفر بالله وكتبه ورسله؛ قال رحمه الله:

"فإن من احتج بالقدر، وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات، ولم يفرق بين المأمور، والمحظور، والمؤمنين، والكفار، وأهل الطاعة، وأهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل، ولا بشيء من الكتب، وكان عنده إبليس وآدم سواء، ونوح وقومه سواء، وفرعون وموسى سواء، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء"[2].

---

[1] - الإيمان بالقضاء والقدر، لمحمد إبراهيم الحمد ص(٢٧٧).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٨).

المبحث الرابع:

موقفه من قول ابن عربي بطاعة الإرادة، وأنه ليس ثمة طاعة ولا معصية

أصل لفظة الإرادة مشتقة من الفعل راد يرود، إذا سعى في طلب الشيء، والإرادة في الأصل: قوة مركَّبة في قلب الإنسان، جعلت اسمًا لشروع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه، بأنه ينبغي أن يُفعل أولا يُفعل[١].

فالإرادة هي العزم على الفعل أو الترك، بعد تصور الغاية المترتبة عليه من خير أو نفع أو لذة ونحو ذلك.

وهي أخص من المشيئة؛ لأن المشيئة ابتداء العزم على الفعل، وأما الإرادة فهي الإجماع وتصميم العزم، وقد يطلق كل منهما على الآخر توسعاً[٢].

وهذه الإرادة التي تطلق في حق المخلوق[٣].

وأما الإرادة في حق الله تعالى:

فهي صفة فعلية ثابتة لله سبحانه وتعالى بالكتاب والسنة، والصفات الفعلية هي المتعلقة بمشيئة الله تعالى وقدرته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها؛ قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا

---

[١] – انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص(٢٠٦-٢٠٧)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور (٣٦٢/١).

[٢] – انظر: الفروق اللغوية (٣٥/١-٣٦).

[٣] – وقد ذكر البعض أن للإرادة معنىً خاصاً عند المتصوفة؛ يقول الجرجاني:

"الإرادة: بمعنى الجانب الإيجابي في مجاهدة الصوفي نفسه؛ للتخلص من رعونات النفس وعيوبها، وعزمه على الترقي في سلم المقامات والأحوال، وهى عندهم بدء طريق السالكين إلى الله، واسم لأول منزلة القاصدين إليه، وتعني حبس النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله، والرضا بموارد القضاء عليه". انظر:التعريفات ص(٢٥).

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (١٢٥) ﴾[١]، ومن السنة حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا أراد الله بقوم عذابًا، أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم)[٢].

فإرادة الله صفة ثابتة له، وهي ترد في القرآن الكريم على معنيين:

الأول: بمعنى الحكم المنتهى والقضاء المبرم بأن يفعل أو لا يفعل فمتى قيل: (أراد الله كذا)، فمعناه حكم فيه أنه كذا وليس بكذا، وتسمى الإرادة الكونية وهى بمعنى المشيئة؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ﴾[٣]، وكقوله: ﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١٧) ﴾[٤].

وأما المعنى الثاني من معاني الإرادة فهو : بمعنى الأمر الموجه إلى المكلفين؛ كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ (١٨٥) ﴾[٥]، وكقوله: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ

---

[١] - سورة الأنعام، آية (١٢٥).

[٢] - رواه مسلم، برقم (٧٤١٥)، في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، باب: (الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظه (١٦٥/٨).

[٣] - سورة هود، آية (١٠٧).

[٤] - سورة المائدة، آية (١٧).

[٥] - سورة البقرة، آية (١٨٥).

نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[1]، وهذه الإرادة تتحقق في حق المؤمن المطيع، وقد يعصيها الإنسان فتتحقق فيه إرادة الله الكونية وتتخلف في حقه الإرادة الشرعية.

وفي ذلك يقول الشيخ حافظ حكمي رحمه الله: "الإرادة في النصوص جاءت على معنيين: إرادة كونية قدرية وهي المشيئة ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا بل يدخل فيها الكفر والإيمان والطاعات والعصيان والمرضيّ والمحبوب والمكروه وضده، وهذه الإرادة ليس لأحد خروج منها ولا محيص عنها كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ﴿١٢٥﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ ﴿٤١﴾ ﴾[3]. الآيات، وغيرها.

وإرادة دينية شرعية مختصة بمراضي الله ومحابّه، وعلى مقتضاها أمر عباده ونهاهم كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ ﴾[5]. وغيرها من الآيات، وهذه الإرادة لا يحصل اتباعها إلّا لمن سبقت له بذلك الإرادة الكونية، فتجتمع الإرادة الكونية والشرعية في حق المؤمن الطائع وتنفرد الكونية في حق الفاجر العاصي؛ فالله سبحانه دعا عباده

---

[1] – سورة المائدة، آية (٦).

[2] – سورة الأنعام، آية (١٢٥).

[3] – سورة المائدة، آية (٤١).

[4] – سورة البقرة، آية (١٨٥).

[5] – سورة النساء، آية (٢٦).

عامة إلى مرضاته، وهدى لإجابته من شاء منهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾[١]. فعمم سبحانه الدعوة وخص الهداية بمن شاء ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢]"[٣].

وقد زعم ابن عربي أن الإنسان ينبغي أن يطيع إرادة الله تعالى التي هي بمعنى المشيئة، ومفاد هذا القول أن يطيع الإنسان إرادة نفسه وأهواءه؛ حيث أن إرادة الله الكونية –والتي هي بمعنى المشيئة– متعلقها هو كل ما أراد الله وقوعه كوناً من طاعة أو معصية ومن إيمان أو كفر، وإن لم يرض عنه شرعاً.

وفي ذلك يقول ابن عربي:

"يرضى الإله عن النفس التي ربطت .. بحكمه ولهم فيها علامات"[٤].

---

[١] – سورة يونس، آية (٢٥).

[٢] – سورة النجم، آية (٣٠).

[٣] – أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد حكمي ص (٢٠٤).

[٤] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢/٢١٣).

وهذا البيت ضمن مجموعة أبيات ذكرها في أول الباب التاسع والعشرين بعد المائة من الفتوحات المكيّة في معرفة ترك الرضى، حيث قال فيها:

ترك الرضى عند أهل الرسم مثلبة .. وعند أهل وجود الله آيات
على تحققهم بعين موجدهم .. من حيث ما هم به محو وإثبات
يرضى الإله عن النفس التي ربطت .. بحكمه ولهم فيها علامات
والنفس راضية عنه وليس لها .. بالعين علم ولا بالوجد لذّات
وما سوى النفس من عقل فليس له .. رضى وليست له فيها نهايات

فقد جعل ابن عربي رضا الله تعالى متحقق في النفس التي ربطت نفسها بحكمه الكوني القدري؛ بحيث يتحقق رضا الله سبحانه فيها؛ فالله عزوجل يرضى من العبد ما رضيه العبد لنفسه من الأعمال أياً كانت تلك الأعمال !.

وهذا خلل آخر في مفهوم الرضى؛ فمن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعباده الكفر، بل يرضى منهم التقوى والإيمان والعمل الصالح؛ قال سبحانه: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ ﴿٧﴾ ﴾[1] . ولكن البدعة تجرّ إلى البدعة، والضلال يجرّ إلى الضلال؛ فالخلل عند ابن عربي في عدم التفريق بين الإرادتين الشرعية والكونية، أدى إلى خلل عظيم في مفهوم الرضى والسخط لله عزوجل.

وقد ذكر أيضاً أن تسمية العبد طائعاً أو عاصياً، إنما هو من باب الطريق الذي اختاره العبد لنفسه، والذي يرجع الله إليه به على حد زعمه، فيقول:

"فأصل المعاصي في العباد يستند إلى نسبة إلهية؛ وهي أن الله هو الآمر عباده والناهي تعالى، (و)[2]المشيئة لها الحكم في الأمر الحق المتوجه على المأمور إما بالوقوع وإما بعدم الوقوع، فإن توجهت بالوقوع سمي ذلك العبد طائعاً، ويسمى ذلك الوقوع طاعة؛ فإن (طاعة الإرادة هي الأمر الإلهي)[3]، وإن لم تتوجه المشيئة بوقوع ذلك الأمر عمّت الإرادة الأمر وليس في قوة الأمر الحكم على المشيئة، فظهر حكم المشيئة في العبد المأمور فعصى أمر ربه أو نهيه؛ وليس ذلك إلّا للمشيئة الإلهية !.

---

[1] - سورة الزمر، آية (٧).

[2] - ليست في الأصل ، وقد أضفتها ؛ ليتضح المعنى.

[3] - في الأصل: (فان أطاعت الإرادة الأمر الإلهي)، وما أثبته هنا بتصرف يسير؛ ليتضح المعنى للقارئ.

فقد تبين لك من العاصي ومن الطائع ؟!، وإلى أي أصل ترجع معصية المكلف أو طاعته؟!، فلا رجوع إلّا لله على العباد، ورجوع العباد إلى الله برجوع الحق عليهم"[1].

وأصل المسألة فيما يظهر لي والله أعلم: أن الكفر عند ابن عربي هو ستر الحق، والحق هو ما أراد الله تعالى وقوعه، فلا ينبغي للإنسان أن يعارض وقوع ما أراده الله؛ لأن ذلك ستر للحق وهو عين الكفر عنده؛ كيف لا والوجود عنده واحد، فما وقع من الإنسان هو عين ما أراد الله وقوعه؛ بل هو عين ما وقع من الله وما أراد الله وقوعه؛ لأن الوجود واحد فالفاعل في الحقيقة هو الله.

تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

فلما كان الأمر كذلك عنده، فكيف يخالف الإنسان إرادة نفسه ؟!

؛ ويقول في موضع أخر:

"من ستر الحق و لم يفشه ... فذلك الشخص الذي قد كفر

وليس مخفياً على ناظر ... فيه بعين العقل أو بالبصر

تبارك الذي لم يزل ... يظهر فيما قد بدا من صور

فإنه منشئها دائماً ... في كل ما يظهر أو قد ظهر"[2].

إذن فمنشأ الخطأ الذي وقع فيه المخالفون لأهل السنة والجماعة في هذا الباب عموماً -من غلاة المتصوفة وغيرهم-؛ إنما هو بسبب عدم تفريقهم بين الإرادتين الكونية والشرعية، وظنهم أن الإرادة في النصوص كلها بمعنى واحد، ولكن الحق أن الإرادة نوعان: شرعية وكونية كما سبق بيانه.

وفي ضوء ما سبق بيانه من الأدلة الشرعية، والتي تبيّن الفرق بين الإرادتين الشرعية والكونية، جاء كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تلك المسألة موافقاً لنصوص

---

[1] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٣٧٤).

[2] - المصدر السابق (٣/٣٧٥).

الكتاب والسنة، مبيناً ما أشكل على المخالفين؛ حيث قال رحمه الله لما سئل (هل أراد الله من خلقه المعصية أم لا؟)، قال رحمه الله:

"لفظ (الإرادة) مجمل له معنيان:

أ– فيقصد به المشيئة لما خلقه.

ب– ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به.

فإن كان مقصود السائل: أنه أحب المعاصي ورضيها وأمر بها فلم يردها بهذا المعنى؛ فإن الله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء بل قال تعالى لما نهى عنه: ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ٣٨ ﴾[١].

وإن أراد أنها من جملة ما شاءه وخلقه؛ فالله خالق كل شيء وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون في الوجود إلّا ما شاء، وقد ذكر الله في موضع أنه يريدها وفي موضع أنه لا يريدها ،والمراد بالأول: أنه شاءها خلقاً، وبالثاني: أنه لا يحبها ولا يرضاها أمراً؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا ١٢٥ ﴾[٢]، وقال نوح : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤ ﴾[٣].

وقال في الثاني: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ١٨٥ ﴾[٤]،

---

[١] – سورة الإسراء ، آية (٣٨).

[٢] – سورة الأنعام ، آية (١٢٥).

[٣] – سورة هود ، آية (٣٤).

[٤] – سورة البقرة ، آية (١٨٥).

وقال تعالى :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٦ ﴾[١]، ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ ﴾[٢]، ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨ ﴾[٣]، وقال: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ ٦ ﴾[٤]، وقال :﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ ﴾[٥]"[٦].

وعلى هذا فتكون القسمة بين الإرادتين بالنسبة لوقوع المراد، قسمة رباعية:

الأول: ما تعلقت به الإرادتان الكونية والدينية، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فهذه مرادة ديناً؛ لأنها أعمال صالحة مأمور بها، ومرادة كوناً لأنها وقعت.

الثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الطاعات والأعمال الصالحة، فعصى ذلك الكفار والعصاة ولم يأتوا به، فهذا مراد شرعاً، لأنه من الأعمال الصالحة، وغير مراد كوناً؛ لأنه لم يقع من الكفار والعصاة.

الثالث: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط، كالمباحات والمعاني التي لم يأمر بها الله تعالى، فهي غير مرادة ديناً، ولكنها مرادة كوناً؛ لأنها وقعت.

---

[١] – سورة النساء ، آية (٢٦).

[٢] – سورة النساء ، آية (٢٧).

[٣] – سورة النساء ، آية (٢٨).

[٤] – سورة المائدة ، آية (٦).

[٥] – سورة الأحزاب ، آية (٣٣).

[٦] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨/١٥٩-١٦٠).

الرابع: ما لم تتعلق به الإرادتان، وذلك مما لم يقع ولم يوجد من أنواع المباحات والمعاصي[1].

ومما يستدعيه المقام: الرد على ابن عربي في دعواه أن الرضا بحكم الله الكوني أياً كان، هو حقيقة الرضا عن الله تعالى، فكما سبق كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في حقيقة الجمع بين الشرع والقدر، وتبيّن لنا أهمية هذه المسألة في النجاة من الزلل في هذا الباب كله.

فكذلك قد ذكر ابن القيم[2] رحمه الله كلاماً نفيساً جداً في باب (الرضا بقضاء الله تعالى)، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله مسألة عظيمة تحصل بها أيضاً النجاة من الزلل في هذا الباب كله؛ ألا وهي مسألة: (التفريق بين الرضا بقضاء الله الكوني القدري الجاري على العبد على خلاف مراد النفس من جنس المصائب والأقدار المؤلمة، وبين الرضا بقضاء الله الكوني القدري الجاري على العبد باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه من جنس الكفر والذنوب والمعاصي)؛ فيقول رحمه الله في ذلك:

"فالرضا بالقضاء الديني الشرعي واجب، وهو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان، فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض؛ قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[3]، فأقسم سبحانه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله، ويرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه، ويسلموا لحكمه، وهذا حقيقة الرضا بحكمه؛ فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان.

---

[1] - انظر: المصدر السابق (١٨٩/٨).

[2] - سبق ترجمته.

[3] - سورة النساء ، آية (٦٥).

ومتى خالط القلب بشاشة الإيمان، واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين، وحيي بروح الوحي وتمهدت طبيعته، وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة، وتلقى أحكام الرب تعالى بصدر واسع منشرح مسلم، فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء الديني المحبوب لله ورسوله.

والرضا بالقضاء الكوني القدري الموافق لمحبة العبد وإرادته ورضاه من الصحة والغنى والعافية واللذة أمر لازم لمقتضى الطبيعة، فإنه ملائم للعبد محبوب له، فليس في الرضا به عبودية في مقابلته بالشكر والاعتراف بالمنة ووضع النعمة مواضعها التي يحب الله أن توضع فيها، وأن لا يعصي المنعم بها.

والرضا بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبته مما يلائم ولا يدخل تحت اختياره مستحب، وهو من مقامات الإيمان، وفي وجوبه قولان، وهذا كالمرض والفقر وأذى الخلق له، والحر والبرد والآلام.

والرضا بالقضاء والقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه كأنواع الظلم والفسوق والعصيان حرام يعاقب عليه، وهو مخالفة لربه تعالى، فإنه جل ثناؤه لا يرضى بذلك ولا يحبه، فكيف تتفق المحبة والرضا بما يسخطه الحبيب ويبغضه"[١].

ثم قال رحمه الله تعالى: "فعليك بهذا التفصيل في مسألة الرضا بالقضاء"[٢].

ومما سبق سرده من بيان هاتين القاعدتين العظيمتين[٣]، يتبين لنا أن ابن عربي وغلاة الصوفية قد ضلوا في باب القدر ضلالاً عظيماً بسببهما؛ حيث أنهم:

أولاً: لم يجمعوا في الإيمان بين الشرع المأمور به، وبين قدر الله تعالى الكوني القدري.

---

[١] - مدارج السالكين، ابن القيم (٢/١٩٢-١٩٣).

[٢] - المصدر السابق (٢/١٩٣).

[٣] - أعني بذلك القاعدتين اللّتين سبق ذكرهما، وهما:القاعدة الأولى: في حقيقة الجمع بين الشرع والقدر، التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

القاعدة الثانية: في حقيقة الرضا بالقضاء الكوني، التي ذكرها ابن القيم رحمه الله.

ثانياً: أنهم لم يفرقوا في مسألة الرضا والمحبة القلبية بين: قضاء الله الكوني القدري الجاري على العبد على خلاف مراد النفس من جنس المصائب والأقدار المؤلمة، وقضاء الله الكوني القدري الجاري على العبد باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه من جنس الكفر والذنوب والمعاصي.

المبحث الخامس

موقفه من قول ابن عربي في مسألة الاستطاعة

قبل التعرض لقول ابن عربي في الاستطاعة، وبيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من قول ابن عربي فيها، ينبغي بيان المراد بالاستطاعة في اللغة والاصطلاح، وفي باب القدر عند أهل السنة والجماعة.

الاستطاعة في اللغة:

تأتي بمعنى: (الطاقة) أو (الإطاقة) أي: القدرة على الشيء؛ يُقال (استطاع الشيء) بمعنى: أطاقه وقدر عليه، ويمكن حذف التاء للتخفيف فيقال: (اسطاع)[١]، وهي ضد العجز[٢].

فهي (استفعالة) من الطوع؛ وذلك وجود ما يصير به الفعل متأتياً وهي عند المحققين: اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل، والاستطاعة: القدرة على الشيء، وقيل: هي استفعال من الطاعة[٣].

وأما الاستطاعة في الاصطلاح:

فيقول في "التعريفات": "هي القدرة التامة التي يجب عندها صدور الفعل"[٤].

"الاستطاعة عند المحققين: اسم للمعاني التي بها يتمكن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل، وهي أربعة أشياء: نية مخصوصة للفاعل وتصور للفعل ومادة قابلة لتأثيره وآلة إن كان الفعل آلياً كالكتابة؛ فإنّ الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة فصاعداً، ويضادُه العجز وهو: أن لا يجد أحد هذه الأربعة فصاعداً، ومتى وجد هذه الأربعة كلها

---

[١] - انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة طوع (٨/٢٤٠-٢٤٢).

[٢] - انظر: مفردات القرآن، الراغب الأصفهاني ص(٥٣٠) وما بعدها.

[٣] - انظر: المصدر نفسه ص(٥٣٠) وما بعدها.

[٤] - التعريفات، الجرجاني (١/٣٥).

فمستطيع مطلقاً، ومتى فقدها فعاجز مطلقاً، ومتى وجد بعضها دون بعض فمستطيع من وجه عاجز من وجه، ولأن يوصف بالعجز أولى"[1].

وحول معنى الاستطاعة في باب القدر:

يقول الإمام الطحاوي[2] رحمه الله تعالى في بيان قول أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

"والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به تكون مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكين وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، و بها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[3] "[4].

قال ابن أبي العز الحنفي[5] رحمه الله كلاماً نفيساً في أثناء شرحه لكلام الإمام الطحاوي رحمه الله في بيان هذه المسألة:

"الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظ متقاربة، وتنقسم الاستطاعة إلى قسمين، كما ذكره الشيخ رحمه الله، وهو قول عامة أهل السنة، وهو الوسط.

وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلّا قبل الفعل[6]، وقابلهم الأشاعرة فقالوا: لا تكون إلّا مع الفعل[1].

---

[1] - تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي (٤٦٣/٢١).

[2] - سبق ترجمته.

[3] - سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

[4] - انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ص (٤٣٣).

[5] - سبق ترجمته.

[6] - "وما قالته القدرية بناء على أصلهم الفاسد، وهو إقدار الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر سواء، فلا يقولون إن الله خصّ المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح

والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

الطاعة، وهذا بنفسه رجح المعصية كالوالد الذي أعطى كل واحد من بنيه سيفاً، فهذا جاهد به في سبيل الله، وهذا قطع به الطريق.

وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية، خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾، فالقدرية يقولون: إن هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق، والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن، ولهذا قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ ﴾؛ والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ١٢٥ ﴾، وأمثال هذه الآية في القرآن كثير، يبيّن أنه سبحانه هدى هذا وأضل هذا؛ قال تعالى: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ ﴾".

"فلما كان أصل قول القدرية أن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه؛ لأن القدرة التي تخص الفعل لا تكون للتارك؛ وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلّا من الله تعالى". انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ص(٤٣٤-٤٣٥).

[١] - "ومن قال: إن القدرة لا تكون إلّا حين الفعل يقولون: إن القدرة لا تصلح للضدين، فإن القدرة المقارنة للفعل لا تصلح إلّا لذلك الفعل، وهي مستلزمة له، لا توجد بدونه، لكن صار أهل الإثبات هنا حزبين: حزب قالوا: لا تكون القدرة إلّا معه، ظناً منهم أن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين، وظناً من بعضهم أن القدرة عرض، فلا تبقى زمانين، فيمتنع وجودها قبل الفعل". انظر: شرح الطحاوية، ابن أبي العز ص(٤٣٤) وما بعدها بتصرف.

وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات فقد تتقدم الأفعال.

وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]، فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلّا من حج لم يكن الحج قد وجب إلّا على من حج، ولم يعاقب أحداً على ترك الحج، وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[2]، فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلّا على من اتقى، ولم يعاقب من لم يتق، وهذا معلوم الفساد.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ﴿٤﴾ ﴾[3]، والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ﴿٤٢﴾ ﴾[4]، وكذبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كذبهم دلّ أنهم أرادوا بذلك المرض أو فقد المال، على ما بين تعالى بقوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾[5]، إلى أن قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

[1] - سورة آل عمران ، آية (٩٧).

[2] - سورة التغابن ، آية (١٦).

[3] - سورة المجادلة ، آية (٤).

[4] - سورة التوبة ، آية (٤٢).

[5] - سورة التوبة ، آية (٩١).

يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ ﴿٩٣﴾ ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2]، والمراد: استطاعة الآلات والأسباب.

ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين رضي الله عنه: (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب)[3]؛ وإنما نفى استطاعة الفعل معها.

وأما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة، فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[4]، والمراد نفي حقيقة القدرة، لا نفي الأسباب والآلات؛ لأنها كانت ثابتة"[5].

ثم قال رحمه الله: "وكذا قول صاحب موسى: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[6]، وقوله: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ ﴾[7]، والمراد منه حقيقة حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته؛ فإن تلك كانت ثابتة له، ألا ترى أنه عاتبه على ذلك ؟ ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع

---

[1] - سورة التوبة ، آية (٩٣).

[2] - سورة النساء ، آية (٢٥).

[3] - رواه البخاري، "كتاب: التقصير"، "باب: إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب" برقم (١١١٧) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: (صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب) (٢ / ٦٠).

[4] - سورة هود ، آية (٢٠).

[5] - شرح الطحاوية ص (٤٣٣-٤٣٥).

[6] - سورة الكهف ، آية (٦٧).

[7] - سورة الكهف ، آية (٧٢).

من الفعل لتضييع قدرة الفعل؛ لاشتغاله بغير ما أمر به، أو لعدم شغله إياها بفعل ما أمر به"[1].

وخلاصة هذه المسألة أن القدرة نوعان كما تقدم:

أولاً: نوع مصحح للفعل، يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الأمر والنهي، وهذه تحصل للمطيع والعاصي.

ثانياً: تكون قبل الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة، وضد هذه العجز كما تقدم.

وكذلك القول في الاستطاعة:

فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكناً مع المفسدة الراجحة لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحقه في بدنه أو ماله، أو يصلي قائماً مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك، فإن كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجحة، فكيف يكلف مع العجز ؟ !.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن (استطاعة العبد) فقال رحمه الله:

"والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل، ومقارنة له أيضاً، وتقارنه أيضاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره.

فالاستطاعة نوعان:

(أ) متقدمة صالحة للضدين. (ب) ومقارنة لا تكون إلّا مع الفعل.

فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له؛ قال الله تعالى في الأولى[1]: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[3]،

---

[1] - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز ص(٤٣٤).

وقال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ٢٨٦ ﴾[٤]؛ و"الوسع": الموسوع وهو الذي تسعه وتطيقه؛ فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلّا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات.

وقال تعالى : ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ٤ ﴾[٥]؛ والمراد به الاستطاعة المتقدمة؛ وإلّا كان المعنى فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين، فيجوز حينئذ الإطعام لكل من لم يصم ولا يكون الصوم واجباً على أحد حتى يفعله.

وقال النبي ﷺ: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)[٦]؛ ولو أريد به المقارنة فقط لكان المعنى: فأتوا منه ما فعلتم فلا يكونون مأمورين إلّا بما فعلوه.

---

[١] – يعني الاستطاعة التي تكون قبل الفعل؛ وهي المصححة للفعل المجوزة له.

[٢] – سورة آل عمران ، آية (٩٧).

[٣] – سورة التغابن ، آية (١٦).

[٤] – سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

[٥] – سورة المجادلة ، آية (٤).

[٦] – متفق عليه، رواه البخاري في "كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة"، "باب: الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ" برقم(٧٢٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) (٩ / ١١٧)، – ورواه مسلم في "كتاب: الحج"، "باب: فرض الحج مرة في العمر" برقم(٣٣٢١) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا)، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم)، ثم قال: (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)(٤ / ١٠٢).

وكذلك قال النبي ﷺ لعمران بن حصين: (صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب)[١]؛ ولو أريد المقارن لكان المعنى: فإن لم تفعل فتكون مخيراً.

ونظائر هذا متعددة فإن كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة، وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة[٢]؛ وإلّا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلّا على من فعلها وقد أسقطها عمن لم يفعلها فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

وأما الاستطاعة المقارنة الموجبة فمثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[٣]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾[٤]؛ فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة؛ إذ الأخرى لا بد بد منها في التكليف؛ فـ(الأولى)[٥] هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب وعليها يتكلم الفقهاء وهي الغالبة في عرف الناس، و (الثانية)[٦] هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات والثانية للكلمات الخلقيات الكونيات؛ كما قال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[٧].

---

[١] - سبق تخريجه.

[٢] - يعني: لم يرد الشرع الاستطاعة المقارنة للفعل؛ بل أراد الاستطاعة التي هي قبل الفعل.

[٣] - سورة هود ، آية (٢٠).

[٤] - سورة الكهف ، آية (١٠١).

[٥] - يعني: الاستطاعة التي تكون قبل الفعل.

[٦] - يعني: الاستطاعة التي تكون مع الفعل مقارنة له.

[٧] - سورة التحريم ، آية (١١).

ولما اعتقدت القدرية أن الأولى كافية في حصول الفعل، وأن العبد يحدث مشيئته جعله مستغنياً عن الله حين الفعل، كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل وهي من غيره رأوه مجبوراً على الفعل، وكلاهما خطأ قبيح؛ فإن العبد له مشيئة وهي تابعة لمشيئة الله؛ كما ذكر الله ذلك في عدة مواضع من كتابه:

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) ﴾[١]، ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ (٥٦) ﴾[٢]، ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (٢٩) ﴾[٣]، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ (٣٠) ﴾[٤]، ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) ﴾[٥]، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٩) ﴾[٦]، فإذا كان الله قد جعل العبد مريداً مختاراً شائياً؛ امتنع أن يقال هو مجبور مقهور مع كونه قد جعل مريداً، وامتنع أن يكون هو الذي ابتدع لنفسه المشيئة"[٧].

أما إذا نظرنا إلى معنى الاستطاعة عند ابن عربي فإننا سوف نجد فيما ذكره عنها كلاماً عجيباً؛ فقد جعل الاستطاعة التي هي مناط التكليف هي ما أراد العبد امتثاله من الأوامر أو تركه من النواهي، دون الالتفات إلى خطاب الشرع بإيجاب الواجبات أو المنع من المحرمات!.

---

[١] – سورة عبس ، آية (١٢).

[٢] – سورة المدثر ، آية (٥٦).

[٣] – سورة الإنسان ، آية (٢٩).

[٤] – سورة الإنسان ، آية (٣٠).

[٥] – سورة التكوير ، آية (٢٨).

[٦] – سورة التكوير، آية (٢٩).

[٧] – انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٧٢/٨-٣٧٤) بتصرف.

يقول ابن عربي: "ما أعطاه العبد من نفسه رضي الله به ورضي عنه فيه وإن لم يبذل استطاعته؛ فإنه لو بذل استطاعته التي إذا بذلها وقع في الحرج كان قد بذلها على جهد ومشقة، وقد رفع الله الحرج عن عباده في دينه، فعلمنا أن المراد بالاستطاعة في مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ (١٦) ﴾[1]، و﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ (٢٨٦) ﴾ ﴿ مَآ ءَاتَىٰهَاۚ (٧) ﴾[2]، أن حدّها أول درجات الحرج، فإذا أحسّ به أو استشرف عليه قبل الإحساس به فذلك حد الاستطاعة المأمور بها شرعاً؛ ليجمع بين قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ (١٦) ﴾[3]،وبين قوله:﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ (٧٨) ﴾[4]، ودين الله يسر، و﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ (١٨٥) ﴾ وفي وفي قوله ﴿ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ (١٦) ﴾[5]، ولما فهمت الصحابة من الاستطاعة ما ذكرناه لذلك كانت رخصة لعزمة قوله: ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[6]، فرضي الله منك إذا أعطيته مما كلفك حد الاستطاعة التي لا حرج عليك فيها، ورضيت منه أنت بالذي أعطاك من حال الدنيا ورضيت عنه في ذلك"[7].

---

[1] - سورة التغابن، آية (١٦).

[2] - سورة الطلاق، آية (٧).

[3] - سورة التغابن، آية (١٦).

[4] - سورة الحج، آية (٧٨) ، وفي الأصل: (ما عليكم في الدين من حرج)، والصواب ما أثبته هنا.

[5] - سورة التغابن، آية (١٦).

[6] - سورة آل عمران، آية (١٠٢).

[7] - الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٢١٢).

فجعل الاستطاعة هي ما قام به الإنسان من أعمال، وما لم يقم به من أعمال جعله خارج حدّ الاستطاعة، بل جعله من رفع الحرج والمشقة !، وهذا يتمشى مع قوله بالجبر ومع قوله بأن فعل العبد هو مراد الله، بل هو عين فعل الله، والعياذ بالله.

وفي هذا القول ما لا يخفى من الخطأ وتعطيل الأوامر والنواهي؛ ويظهر ذلك من خلطه بين نوعي الاستطاعة؛ فمثلاً جعل الاستطاعة في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاًۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[١] هي التي تكون مع الفعل فقط؛ بمعنى أنه لا يجب الحج على من حج، وأن من لم يحج لا يخاطب بالوجوب أصلاً قبل الإحرام، بل لا يأثم من تركه مع القدرة والاستطاعة!، وفي هذا ما لا يخفى من تعطيل الشرائع، وفيه أيضاً من عدم الفهم عن الله تعالى ورسوله ﷺ ما لا يخفى؛ فقد عارض بين قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[٢]، وبين قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ ﴾[٣].

وحقيقة الأمر أن الاستطاعة التي عناها ابن عربي لم تنف الحرج، بل نفت الشرع !

ثم يقول بعد ذلك:

"فلذلك قلنا متعلق الرضى اليسير، وهو الرضى بالموجود"[٤].

وهذا الرضى منعكسٌ عند ابن عربي؛ بمعنى أن رضى العبد بما هو من عند الله هو الرضى بالموجود، ورضى الله تعالى من عمل العبد إنما هو الرضى أيضاً بالموجود من

---

[١] – سورة آل عمران ، آية (٩٧).

[٢] – سورة التغابن، آية (١٦).

[٣] – سورة الحج، آية (٧٨) ، وفي الأصل: (ما عليكم في الدين من حرج)، والصواب ما أثبته هنا.

[٤] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٢/٢١٣).

أعماله، وما أطاقوه واستطاعوه هو ما أدوه لا ما أمرهم به في الشرائع؛ ويجعل هذا المعنى المغلوط هو المراد بقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

---

[1] - سورة التغابن، آية (١٦).

المبحث السادس:

موقفه من قول ابن عربي في الفناء، وغياب الشهود

يجدر بنا قبل التعرض لبيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن نذكر تعريف الفناء في اللغة والاصطلاح.

الفناء في اللغة:

يقول في "لسان العرب": "الفناء نقيض البقاء، و العقل فنى يفنى، يقال (فنى الشيء فناء)، و (تفانوا) أى : أفنى بعضهم بعضاً في الحرب، و (تفانى القوم) مثلاً أفنى بعضهم بعضاً ، و (فنى يفنى فناءاً) هرم و أشرف على الموت هرماً"[1] .

وأما الفناء في اصطلاح الصوفية: عرفه الكلاباذي[2] بقوله:

" هو أن يفنى الشخص عن الحظوظ فلا يكون شيء من ذلك حظ، و يسقط عنه التميز فناءاً عن الأشياء كلها شغلاً بما فني به"[3] .

وعند الطوسي[4]: "الفناء هو فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك"[5] .

---

[1] – لسان العرب، ابن منظور (١٠/٣٣٨).

[2] – أحمد بن مُحَمَّد بن الحسين بن الحسن بن علي بن رستم، أبو نصر البخاري الكلاباذي، الإمام، الحافظ، وكلاباذ: محلة من بخارى، وقال الحاكم: (أبو نصر الكلاباذي الكاتب من الحفاظ، حسن الفهم والمعرفة، عارف بصحيح البخاري، كتب بما وراء النهر وخراسان وبالعراق، ووجدت شيخنا أبا الحسن الدارقطني قد رضي فهمه ومعرفته، وهو متقن ثبت)، توفي سنة ٣٩٨ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٧/ ٩٤).

[3] – التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي ص (١٤٢).

[4] – عبد الله بن علي بن مُحَمَّد بن يحيى الطوسي، أبو نصر السراج الصوفي، شيخ الصوفية، مصنف كتاب (اللمع) في التصوف، توفي ٣٧٨ هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (٨/ ٤٥٢).

[5] – اللمع، الطوسي ص (٤١٧).

ويدل تعريف الصوفية للفناء من الناحية الخلقية -كما زعموا- بأنه محو الصفات الذميمة، و التخلق بكل خلق حميد، ووصفهم لوسائل قمع الهوى و الشهوات.

ورغم ذلك فإن هذا المفهوم يدل بما لا يدع مجالاً للشك على وجود أثر واضح للفلسفة البوذية؛ لأن تعريفهم هذا يتفق تمام الاتفاق مع تعريف "النيرفانا" عند البوذية، بل الفناء في عرف أصحاب وحدة الوجود -وسيأتي- ربما هو أشد إيصالاً لفكرة النيرفانا مما هي عليه في الأفكار الهندية القديمة، ويظهر ذلك جلياً من خلال مناقشة معنى الفناء عند ابن عربي.

وأما في الكتاب والسنة فإننا لا نجد ذكراً لمصطلح الفناء الصوفي؛ فهو مصطلح دخيل على الشرع.

وإن كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد ذكر تفصيلاً جيداً لمصطلح الفناء، حيث جعله على أقسام ثلاثة:

(فناء عن عبادة السوى)، و(فناء عن شهود السوى)، و(فناء عن وجود السوى). وجعل لكل قسم منها له حكماً يخصه بحسب ماهيته؛ فقال رحمه الله:

" فالأول: (أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه)؛ وبخوفه عن خوف ما سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وهذا هو حقيقة التوحيد والإخلاص الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو تحقيق لا إله إلا الله؛ فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله، ولا يبقى في قلبه تأله لغير الله، وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله.

والثاني:

(أن يفنى عن شهود ما سوى الله)، وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع، ونحو ذلك.

وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله، وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه، فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه المعبود لا إله إلا هو، الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأمر بطاعته وطاعة رسله،

ونهى عن معصيته ومعصية رسله، فمن شهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقاً وأمراً كان أتمّ معرفة وشهوداً، وإيماناً وتحقيقاً، من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر، وهو الشهود الصحيح المطابق.

لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا، كان معذوراً للعجز، لا محموداً على النقص والجهل.

والثالث:

(الفناء عن وجود السوى)، وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون: وجود الخالق هو وجود المخلوق، وما ثمّ غير ولا سوى في نفس الأمر، فهؤلاء قولهم أعظم كفراً من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام"[١].

فبيّن رحمه الله أن ابن عربي وأمثاله من الملاحدة أهل الوحدة إنما يعنون بالفناء: الفناء عن وجود السوى؛ بمعنى أن وجود الخالق هو وجود المخلوق، وما ثمّ غير ولا سوى في نفس الأمر، فالفناء إذا تكلم به هؤلاء فما يراد به إلّا وحدة الوجود.

إذن فالفناء بمفهومه الفاسد مثله مثل القول بوحدة الوجود؛ فهو دخيل على دين الإسلام، ودخيل على المسلمين من الديانات المحرّفة و الفلسفات الوثنية القديمة.

---

[١] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٣٦٩–٣٧٠).

المبحث السابع:

موقفه من قول ابن عربي بسقوط التكاليف بالفناء

لابد قبل التعرض للكلام في هذه المسألة من تعريف التكليف في اللغة وعند الأصوليين.

تعريف التكليف في اللغة:

إلزام ما فيه كلفة ومشقة؛ يقول في "مختار الصحاح":

" كلّفه تكليفاً : أمره بما يشق عليه"[١].

فالتكليف في اللغة: إلزام ما فيه كلفة، أي: مشقة؛ قالت الخنساء:

يكلّفه القوم ما نابهم ... وإن كان أصغرهم مولداً

قال ابن بدران معلقاً على ذلك: " وفي البيت الاستدلال بأن العرب لا تستعمل لفظ التكليف إلا في الأمر الشاق"[٢].

أما تعريف التكليف عند الأصوليين:

عرف الأصوليون التكليف بتعريفات متقاربة، منها:

"إلزام مقتضى خطاب الشرع"[٣].

وقد بيّن ابن قدامة[٤] رحمه الله في "الروضة" أن المراد بمقتضى خطاب الشرع: الأمر والنهي والإباحة[٥].

---

[١] - الصحاح في اللغة، الجوهري (٢/١٢١)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور (٩/٣٠٧).

[٢] - انظر: روضة الناظر مع شرحها نزهة الخاطر العاطر، ابن قدامة (١/١٣٦).

[٣] - انظر: روضة الناظر، ابن قدامة (١/١٣٦).

[٤] - سبق ترجمته.

[٥] - انظر : المصدر السابق (١/١٣٦)، انظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة، الجيزاني (١/٣٣٦).

وأما عن رأي شيخ الإسلام ابن تيمية:

فإنه يعترض رحمه الله على إطلاق لفظة (التكليف) على أوامر الشرع ونواهيه؛ لأن الذين أطلقوا على الأوامر والنواهي مصطلح التكاليف هم جمهور الأشاعرة، وذلك طرداً لأصلهم في عدم تعليل أفعال الله تعالى؛ فأصل الأوامر والنواهي عندهم تكاليف خالية عن الحكمة والمصلحة؛ ولذا فهو يقول رحمه الله:

"ولهذا لم يجيء في الكتاب والسنة وكلام السلف إطلاق القول على الإيمان والعمل الصالح أنه تكليف، كما يطلق ذلك كثير من المتكلمة والمتفقهة.

وإنما جاء ذكر التكليف في موضع النفي؛ كقوله :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[1]، ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ ﴿٨٤﴾ ﴾[2]، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ ﴿٧﴾ ﴾[3].

أي: وإن وقع في الأمر تكليف؛ فلا يكلف إلّا قدر الوسع، لا أنه يسمي جميع الشريعة تكليفاً.

مع أن غالبها قرة العيون وسرور القلوب، ولذات الأرواح وكمال النعيم؛ وذلك لإرادة وجه الله والإنابة إليه، وذكره وتوجه الوجه إليه؛ فهو الإله الحق الذي تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبداً"[4].

لذا فالقول بسقوط التكاليف أو انعدام التكليف عند ابن عربي، إنما هو نتيجة طبيعية لعقيدته الفاسدة في مسألة الفناء؛ فالفناء عند ابن عربي هو بمعنى وحدة الوجود؛ لأنه ما ثمّ فناء عنده إلّا على معنى الفناء المذموم الذي هو الفناء عن وجود السوى.

---

[1] - سورة البقرة ، آية (٢٨٦).

[2] - سورة النساء ، آية (٨٤).

[3] - سورة الطلاق ، آية (٧).

[4] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١/٢٥-٢٦).

وكذلك تفرّع القول بسقوط التكاليف، أو بانعدام التكليف عنده على عدم تفرقته بين وجود الخالق ووجود المخلوق؛ فالوجود عنده واحد، ونفس وجود الخالق فاض على المخلوقين[1].

ووجه ذلك: أنه لما كان الوجود واحداً امتنع التكليف؛ إذ ليس ثمة آمر ومأمور.

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وابن عربي يقول: بل نفس وجوده فاض عليها، فهي مفتقرة إليه في وجوده، وهو مفتقر إلى ثبوتها، ولهذا قال: فيعبدني وأعبده، ويحمدني وأحمده.

ولهذا امتنع التكليف عنده؛ فإن التكليف يكون من مكلِّف لمكلَّف، أحدهما آمراً والآخر مأموراً، فامتنع التكليف"[2].

وقد بيّن رحمه الله تعالى أن مقولة ابن عربي: (وبي حلفت، وأن المقسم الله)، هي من هذا الباب؛ فقد جعل نفسه الحالف والمحلوف به، وهذا هو الفناء عن وجود السوى أو وحدة الوجود؛ التي معها ينعدم وجود آمر ومأمور؛ فتسقط بل وتنعدم عندئذ التكاليف، فيقول:

"والقول المحكي عن ابن عربي:(وبي حلفت وأن المقسم الله):

هو أيضاً من إلحادهم وإفكهم؛ جعل نفسه حالفة بنفسه، وجعل الحالف هو الله فهو الحالف والمحلوف به.

كما يقولون: أرسل من نفسه إلى نفسه رسولاً بنفسه، فهو المرسل والمرسل إليه والرسول.

وكما قال "ابن الفارض" في قصيدته "نظم السلوك":

"لها صلواتي بالمقام أقيمها ... وأشهد فيها أنها لي صلت

---

[1] - كما سبق بيانه في المبحث الأول من الفصل الأول من هذا الباب.

[2] - المصدر السابق (٢/١١٤).

كلانا مصل واحد، ساجد إلى ... حقيقته بالجمع في كل سجدة
فإن دعيت كنت المجيب، وإن أكن ... منادي أجابت من دعاني ولبت
إلي رسولاً كنت مني مرسلاً ... وذاتي بآياتي علي استدلت"[1].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن من الصوفية من يزعم أنه قد سقط عنه بعض التكاليف دون البعض الآخر؛ يقول رحمه الله:

"ومن الصوفية من يسقط عن نفسه بعض التكاليف دون البعض الآخر، فيزعم مثلاً أن الصلاة سقطت عنه؛ لأنه وصل إلى المقصود الذي من أجله شرعت الصلاة؛ وبالتالي فهي لا تجب عليه بعد الوصول.

وبعضهم يزعم أن الصلاة سقطت عنه وقت المشاهدة.

وبعضهم يزعم سقوط الحج عنه.

ومنهم من يزعم أنه استغنى بالتوبة والحضور عن سائر العبادات والطاعات.

ومنهم من يستحل المحرمات كالفطر في رمضان من غير عذر، ويستحل شرب الخمر؛ ويزعم أنها لا تحرم إلّا على العوام دون الخواص؛ وذلك لزكاة نفوسهم وصلاح أعمالهم"[2].

وهذا كله من تلاعب القوم بشرع الله تبارك وتعالى.

وقد بيّن رحمه الله حكم من فعل شيئاً من ذلك فقال:

"هذا وقد أجمعت الأمة على كفر من جحد واجباً من الواجبات الظاهرة المتواترة، أو جحد تحريم المحرمات الظاهرة المتواترة، أو جحد حل بعض المباحات الظاهرة المتواترة كالخبز واللحم والنكاح"[3].

---

[1] – المصدر السابق (٢/٣١٥–٣١٦).

[2] – مختصر الفتاوى المصرية ص (٢٤٦).

[3] – المصدر السابق (٢٤٦).

ويظهر ضلال هذه الدعوى من مجرد تصورها، وتصور ما يترتب عليها من تعطيل الشرائع، بل وكونها تجعل الأوامر والنواهي ما هي إلّا حكاية حال أقوام مضوا دون النظر إلى تعلقها بأفعال المخاطبين.

بل إنه من أبطل لوازم هذه الدعوى هو زعم مدعوها أنهم أفضل من النبي ﷺ؛ يقول البغوي رحمه الله في تفسير قوله:﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[1]: "أي: الموت الموقن به، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم: ﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ ﴾[2]"[3].

فأين هؤلاء القوم من هذه الآية الكريمة التي يأمر الله تعالى فيها نبيه ﷺ بالعبادة إلى أن يأتيه اليقين وهو الموت.

فهل ابن عربي وأمثاله أفضل من النبي ﷺ الذي قال له ربه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[4].

بل كان ﷺ يجاهد نفسه في مرض وفاته ليصلي ؛فلم تسقط عنه الصلاة في مرض وفاته ﷺ،؛ وكان كلما أغمي عليه وأفاق سأل ﷺ: (أصلى الناس؟)[5].

---

[1] - سورة الحجر ، الآية (٩٩).

[2] - سورة مريم ، الآية (٣١).

[3] - معالم التنزيل (٣٩٧/٤).

[4] - سورة المزمل ، الآية (١-٥).

[5] - متفق عليه، رواه البخاري برقم (٦٨٧) في: "كتاب صلاة الجماعة والإمامة"، باب: "إنما جعل الإمام ليؤتم به" من حديث عائشة رضي الله عنها. (١٧٦/١).

- ورواه مسلم برقم (٩٦٣) في: "كتاب الصلاة"، باب: "استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما" من حديث عائشة رضي الله عنها.

لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "مجموع الفتاوى" عن سقوط التكاليف عند أهل وحدة الوجود:

"ولهذا: يصلون إلى مقام لا يعتقدون فيه إيجاب الواجبات، وتحريم المحرمات؛ وإنما يرون الإيجاب والتحريم للمحجوبين عندهم الذين لم يشهدوا أنه هو حقيقة الكون؛ فمن العابد؟، ومن المعبود؟، ومن الآمر؟، ومن المأمور؟"[١].

إذن فالواصل عند الفلاسفة والباطنية إلى العلم المطلوب، قد يبيحون له محظورات الشرائع حتى الفواحش والخمر وغيرها، إذا كانوا ممن يعتقد تحريم الخمر وإلّا فغالب هؤلاء لا يوجبون شريعة الإسلام؛ بل يجوزون التهود والتنصر وكل من كان من هؤلاء واصلاً إلى علمهم فهو سعيد[٢].

---

[١] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٨٢/٢).

[٢] – انظر: المصدر السابق (١٦٤/١٤) بتصرف.

المبحث الثامن:

موقفه من قول ابن عربي في العصاة

قد سبق النقل عن ابن عربي أن التسمي بالطاعة والمعصية إنما هو بحسب ما توجهت إليه المشيئة، وأنه ليس ثمة طاعة ولا معصية؛ بل الإنسان في أي حال أو عمل هو طائع للإرادة متبع للمشيئة.

وفي هذا ما لا يخفى من تضييع المعاني والأوصاف الشرعية، وفتح الباب على مصراعيه لارتكاب المعاصي والموبقات بل والشرك والكفر؛ بدعوى طاعة الإرادة وأنه ليس ثمة طاعة ولا معصية، وأن العصاة غير مؤاخذين بل ولا ملامين على ما يقترفونه.

وكيف يكون في الكون عاص عند ابن عربي وقد جعل كل معبود هو الله؟!؛ فطاعة الهوى والنفس الأمارة بالسوء هي عين طاعة الله عنده، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام رحمه الله:

"ويقولون: إنهم لم يعبدوا غير الله، ولا يتصور أن يعبدوا غير الله تعالى، وأن عبّاد الأصنام ما عبدوا إلّا الله سبحانه، وأن قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[1] معنى (حكم)، لا معنى (أمر)، فما عبد غير الله في كل معبود، فإن الله تعالى ما قضى بشيء إلّا وقع"[2].

فلا يقع على العصاة عند أهل الوحدة لوم أصلاً؛ لأنهم في معصيتهم ولو كانت شركاً ما عبدوا غير الله، وما أطاعوا غير الله.

وتفرّع على هذا القول الباطل عند ابن عربي قوله في النار التي أعدّها الله للكافرين، فقد جعل عذاب النار كنعيم الجنة؛ لأن الأمر واحد في زعمه؛ وأن العذاب من

---

[1] - سورة الإسراء، آية (٢٣).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٦٧).

العذوبة، وأن النار قشرة تخفي وراءها النعيم المقيم لأهل النار، بل ستكون عليهم برداً وسلاماً على أهلها كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، يقول ابن عربي: "وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم ولكن في النار؛ إذ لابد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون برداً وسلاماً على من فيها، وهذا نعيمهم، فينعم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين ألقي في النار؛ فإنه عليه السلام تعذب برؤيتها، وبما تعود في علمه، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان"[1].

وفي هذه العبارة مشابهة واضحة لقول اليهود حين قالوا لن تمسنا النار إلّا أياماً معدودة، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾[2].

فقد ذكر ابن عربي أنه لابد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون برداً وسلاماً على من فيها، فينعم أهل النار فيها !!.

وما ذلك إلّا لظنه الفاسد أن من يعبد الله تعالى كمن يعبد غيره؛ لأنه ما ثمّ في الوجود إلّا الله، وأن الطائع والعاصي سواء؛ لأنهم ما فعلوا ذلك إلّا بمراد الله.

وهكذا نرى أن القول بوحدة الوجود يتفرّع عنه كل كفر وضلال، كما يظهر ذلك جلياً من قول ابن عربي في العصاة وفي النار، وكما حكم قبل ذلك على قوم فرعون بالإيمان وصحة الحجة، وكما حكم لكفار مكة بالإيمان، بل حكم لكل كافر على الأرض أنه ما عبد إلّا الله في صورة من الصور؛ فقد أثّرت عقيدة الوحدة عليه، فصار يحمل كل ما جاء في نصوص الشرع عليها، وفي هذا مضي في التلبيس والغي؛ قال تعالى:

---

[1] – فصوص الحكم، ابن عربي ص (١٦٩).

[2] – سورة البقرة ، آية (٨٠).

﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

فلم تمنعه الآيات الواردة في النار التي أعدّها الله للكافرين، والتي يصطرخون فيها: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[2]،والتي يتمنون فيها الموت، بل يكون هو منتهى آمالهم وغاية مطلبهم، قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[3]، والتي لا خروج لهم منها، فلا يموتون فيها ولا يحيون، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[4]، وآيات كثيرة في وصف جهنم، وبيان حال أهلها.

فكل هذه الآيات لم تمنع ابن عربي أن يحكم لأهل النار من الكفار والعصاة بالنعيم المقيم، والسعادة والهناء في النار، فهي دار سعادة عند ابن عربي لا دار شقاوة وعذاب، بل دار عذوبة وهناء، فيقول:

"وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ... على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد، فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر والقشر صاين"[5].

ويقول في "فصوصه" أيضاً: "فمن عباد الله من تدركه تلك الآلام في الحياة الأخرى في دار تسمى جهنم، ومع هذا لا يقطع أحد من أهل العلم الذين كشفوا الأمر على

---

[1] - سورة مريم ، آية (٧٥).

[2] - سورة المؤمنون ، آية (١٠٧).

[3] - سورة الزخرف ، آية (٧٧).

[4] - سورة هود ، آية (١٠٦-١٠٧).

[5] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٦٤).

ما هو عليه إنه لا يكون لهم في تلك الدار نعيم خاص بهم، إما بفقد ألم كانوا يجدونه، فارتفع عنهم، فيكون نعيمهم راحتهم عن وجدان ذلك الألم، أو أن يكون النعيم مستقلاً زائداً كنعيم أهل الجنان والله أعلم"[1].

ولكن يبدو أن هذا الكشف المتحقق الذي ذكره، ما هو إلّا كشف شيطاني؛ لأنه مخالف لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والعجب من ابن عربي حين قال في عبارته السابقة:

"يكون النعيم لأهل النار بفقد آلام سابقة، أو بحصول لذة ومتاع بالنار كنعيم الجنة".

ومن المعلوم أن (أو) تقتضي الشك، ولذلك قال: "والله أعلم"!!

مع كونه ذكر في مطلع الكتاب وفي ثناياه، أنه ينقل عن الله بلا واسطة ،وبلا زيادة ولا نقصان، فكيف يكون نقلاً عن الله تعالى ثمّ هو يتشكك فيه ويُرجع فيه علمه إلى الله تعالى!! .

والسبب في حصول الضلال والخلل في هذا الباب، هو وقوع ابن عربي ومن نهج نهجه وتتلمذ عليه وحمل منهجه من المعاصرين في خلل عظيم في فهم قضايا الشرع والقدر والجمع بينهما؛ لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"حقيقة مذهب الاتحادية كصاحب الفصوص ونحوه الذي يؤول إليه كلامهم ويصرحون به في مواضع أن الحقائق تتبع العقائد، وهذا أحد أقوال السوفسطائية؛ فكل من قال شيئاً أو اعتقده فهو حق في نفس هذا القائل المعتقد"[2].

---

[1] - المصدر السابق ص (١١٤).

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٩٨).

الفصل العاشر

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظريات ابن عربي

وفيه سبعة مباحث :

- **المبحث الأول** : نظرية الإنسان الكامل .
- **المبحث الثاني** : نظرية ختم الولاية .
- **المبحث الثالث** : نظرية نقطة الدائرة .
- **المبحث الرابع** : نظرية نقطة القطب .
- **المبحث الخامس** : نظرية الأعيان الثابتة .
- **المبحث السادس** : نظرية التنزّلات الستة .
- **المبحث السابع** : نظرية المراتب السبعة .

المبحث الأول:

نظرية الإنسان الكامل

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: المراد بنظرية الإنسان الكامل عند ابن عربي :

قبل التعرض لبيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من نظرية الإنسان الكامل عند ابن عربي، لابد من بيان المراد بنظرية الإنسان الكامل عند ابن عربي.

فقد ذكر ابن عربي في كتبه نظرية (الإنسان الكامل) وأطلق عليها إطلاقات عدة: منها (الحقيقة المحمدية)، أو(حكيم الوقت)، أو (القطب)، وغيرها من الإطلاقات.

وفي ذات السياق يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله في أثناء كلامه عن نظرية (الإنسان الكامل) عند الصوفية :

" نجد لكل هذا الكلام نظيراً في كتب ابن عربي فيما يسميه "الكلمة المحمدية" أو "الحقيقة المحمدية" أو "النور المحمدي"، فهو لا يقصد بالكلمة المحمدية في هذا الفص مُحَمَّداً الرسول ﷺ؛ وإنما يقصد الحقيقة المحمدية التي يعتبرها أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق، بل يعتبره الإنسان الكامل والخليفة الكامل بأخص معانيه.

وإذا كان كل واحد من الموجودات مجلى خاص لبعض الأسماء الإلهية التي هي أرباب له، فإن مُحَمَّداً ﷺ قد انفرد بأنه مجلى للإسم الجامع لجميع تلك الأسماء، وهو الاسم الأعظم الذي هو (الله)، ولهذا كانت له مرتبة الجمعية المطلقة، ومرتبة التعين الأول والذي تعينت به الذات الأحديّة، إذ ليس فوقه إلّا هذه الذات المنزهة في نفسها عن كل تعين وكل صفة واسم ورسم"[1] .

والذي يظهر من هذا الكلام أن نظرية الإنسان الكامل ليست إلّا طريقة مختلفة من طرق عرض نظرية وحدة الوجود عند ابن عربي، فهذه النظرية تفيد نفس ما تفيده تلك، وتؤدي في حقيقة الأمر نفس مؤداها؛ يقول ابن عربي:

---

[1] – التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير ص (٢٢٧).

"في الإنسان قوة كل موجود في العالم، فله جميع المراتب ولهذا اختص وحده بالصورة، فجمع بين الحقائق الإلهية وهي الأسماء وحقائق العالم.

فكل ما سوى الإنسان خلق، إلّا الإنسان فإنه خلق وحق، فالإنسان الكامل هو على الحقيقة الحق المخلوق به؛ أي: المخلوق بسببه العالم"[١].

ولذا فإننا نجد ابن عربي يطلق على العالم (الإنسان الكبير)[٢]، وهو كذلك أول من أطلق عبارة (الإنسان الكامل)[٣] كما يرى بعض الباحثين، وأقام حولها نظرية متكاملة الأركان تؤول بالقارئ في الحقيقة إلى القول بوحدة الوجود كما سبق بيانه قريباً.

بل إن السبب في خلق الإنسان –من حيث الأصل– عند ابن عربي ما هو إلّا ليتجلى فيه الحق ويرى نفسه فيه رؤية كمالية؛ يقول ابن عربي: "فأراد (الهو) أن يرى نفسه رؤية كماليّة تكون له، ويزول في حقه حكم (الهو)، فنظر في الأعيان الثابتة فلم ير عيناً يعطي النظر إليها هذه الرتبة (الأنانة)[٤] إلّا عينَ الإنسان الكامل، فقدَّرها عليه، وقابلها به، فوافقت إلّا حقيقة واحدة نقصت عنه، وهي وجودُها لنفسها فأوجدها لنفسها، فتطابقت الصورتان من جميع الوجوه"[٥].

---

[١] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣٩٦/٢).

[٢] – الإسلام والإنسان، محمود عكام ص (٢٨).

[٣] – يقول الباحث نيكلسون في كتابه "الإنسان الكامل في الإسلام" أن أوّل من أطلق عبارة "الإنسان الكامل" هو ابن عربي، بينما يرى آخرون أن إخوان الصفا سبقوه بهذا، في حين يرى البعض الآخر أن هذا المصطلح موغل في القدم . انظر: الإنسان الكامل في الإسلام، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ط القاهرة ١٩٥٠م.

[٤] – (رتبة الأنانة : تعني وعي الذات علاقتها وأبعادها والقابلية والقدرة على النيابة والخلافة والتمثيل بالبيان والتعبير، والقابلية لرتب الإصطفاء من ولاية ونبوة وإمامة ورسالة، وهذا مركوز في الإنسان بالقوة منذ آدم إلى آخر مولود حسب تعبير ابن عربي نفسه). انظر: الإسلام والإنسان، محمود عكام ص (٣٢).

[٥] – الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٦٤٢/٢-٦٤٣).

وقد وقفت على عدة عبارات لابن عربي تحدّثت عن الإنسان الكامل؛ يتبيّن بعد الاطلاع عليها مراده من هذه النظرية بوضوح وجلاء؛ وأنه ما أراد بهذه النظرية إلّا الولوج إلى القول بوحدة الوجود عبر مسلك آخر.

فقد قال في (الفتوحات المكيّة):

"الإنسان الكامل أقامه الحق برزخاً بين الحق والعالم، فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقاً، ويظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقاً"[١].

ويقول في كتابه (حلية الأبدال):

"إن الإنسان الكامل لا يبقى له في الحضرة الإلهية اسم إلّا وهو حامل له"[٢].

ويقول أيضاً:

"الإنسان الكامل هو الجامع لحقائق العالم وصورة الحق سبحانه"[٣].

ويقول أيضاً:

"فما صحّت الخلافة إلّا للإنسان الكامل، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى"[٤].

وهو يعرّض بذلك بحديث النبي ﷺ في صحيح مسلم: (إنّ الله خلق آدم على صورته)[٥].

---

[١] - المرجع السابق (٣/٣٩١).

[٢] - حلية الأبدال، ابن عربي ص (٩٠).

[٣] - الفتوحات المكية، ابن عربي (٣/٤٤٧).

[٤] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (٥٥).

[٥] - رواه مسلم، (كتاب: البر والصلة والأدب)، (باب: النهي عن ضرب الوجه) برقم (٦٨٢١) من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته) (٨ / ٣٢).

بل إن مهمة الإنسان الكامل قد عبّر عنها ابن عربي بقوله: "والإنسان الكامل هو الكلمة الجامعة، وأعطاه الله من القوة، بحيث إنه ينظر من النظرة الواحدة إلى الحضرتين فيتلقى من الحق، ويُلقي إلى الخلق "[١].

ثم يواصل الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله كلامه عن تلكم النظرية عند ابن عربي، فيقول مدللاً على ما ذكرته من كونها وجه أخر لوحدة الوجود:

"ولهذه الحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات -وإن شئت فقل أول المخلوقات- وظائف أخرى ينسبها إليها ابن عربي؛ فهي من ناحية صلتها بالعالم مبدأ خلق العالم، إذ هي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء.

أو هي العقل الإلهي الذي تجلى الحق فيه لنفسه في حالة الأحديّة المطلقة، فكان هذا التجلي بمثابة أول مرحلة من مراحل التنزّل الإلهي في صور الوجود.

فلما انكشفت له حقيقة ذاته وكمالاتها وما فيها من أعيان الممكنات التي لا تحصى، أحب إظهار كمالاته في صور تكون له بمثابة المرايا التي يرى فيها نفسه، فكانت أعيان الممكنات الخارجية تلك المرايا.

ومن ناحية صلة الحقيقة المحمدية بالإنسان: يعتبرها ابن عربي صورة كاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود، ولذلك يسميها (آدم الحقيقي) و(الحقيقة الإنسانية)، ويعدها من الناحية الصوفية مصدر العلم الباطن ومنبعه، وقطب الأقطاب"[٢].

ولما كان كل واحد من الموجودات مجلى خاص لبعض الأسماء الإلهية عند ابن عربي، وكان مُحَمَّد ﷺ قد انفرد بأنه مجلى للإسم الجامع لجميع تلك الأسماء، وهو الاسم الأعظم الذي هو (الله)؛ لذا فقد أشبهت نظرية الإنسان الكامل

---

[١] - الفتوحات المكيّة (٢/٤٤٦).

[٢] - التصوف المنشأ والمصادر ، إحسان إلهي ظهير ص (٢٢٧) وما بعدها.

عند ابن عربي قول النصارى في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من هذا الوجه أيضاً.

ويقول ابن عربي في أيضاً موضع أخر:

"فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات، ولو لم يكن الأمر كذلك ما صح الوجود؛ فهو عين الوجود، فهو على كل شيء حفيظ بذاته، فحفظه تعالى للأشياء كلها حفظٌ لصورته أن يكون الشيء غير صورته ولا يصح إلّا هذا[1]، فهو الشاهد من المشهود، والمشهود من المشهود، فالعالم صورته، وهو روح العالم المدبر له فهو (الإنسان الكبير):

فهو الكون كله ... وهو الواحد الذي
قام كوني بكونه ... ولذا قلت يغتذي"[2].

---

[1] - وهذا تحريف لمعاني الصفات بما يتمشى مع عقيدة وحدة الوجود.

[2] - فصوص الحكم، ابن عربي ص (١١١).

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية الإنسان الكامل :

وكما كان موقف شيخ الإسلام رحمه الله واضحاً من القول بوحدة الوجود -كما سبق بيانه-، فإن موقفه من نظرية (الإنسان الكامل) كما عرضها ابن عربي متطابق مع موقفه من القول بوحدة الوجود.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض المقارنة بين قول أهل الوحدة وقول أهل الإيمان في الله سبحانه وتعالى:

"فأولئك المنافقون يقولون: إنه متعد الحلول إلى الاتحاد بل إلى وحدة الوجود؛ فإن الحلول من حال إلى محل وهذا يثبته، وإنما الوجود شيء واحد فهذا أراد[1].

والمؤمنون يقولون: بل أراد إثبات عبوديته لله، وأنه لا يحل بمخلوقاته؛ بل هو بائن من خلقه، كما هو مذهب المسلمين أهل السنة والجماعة"[2].

---

[1] - يعني القائل :

(ولي من أتم النظرتين إشارة ... تنزه عن رأي الحلول عقيدتي) .

[2] - المستدرك على مجموع الفتاوى، مُحمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم (١ / ٣٩).

المبحث الثاني:

نظرية ختم الولاية

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: المراد بنظرية ختم الولاية عند ابن عربي :

تعد نظرية (ختم الولاية) إحدى الضلالات والنظريات الباطلة الكاسدة التي جاء بها ابن عربي، وهي عند الصوفية -عموماً- من النظريات التي دار حولها نقاش وردود كثيرة بين الصوفية القائلين بها والمؤيدين لها، وبين النافين والمنكرين لها من علماء أهل السنة والجماعة، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ومن المناسب قبل التعرض للمراد بـ(نظرية ختم الولاية) عند ابن عربي، أن نبيّن المراد بـ(ختم الولاية) في اللغة والاصطلاح.

فالمراد بـ(ختم الولاية) في اللغة:

فـ(الختم) في اللغة هو: الطبع والإتمام وبلوغ آخر الشيء[1].

وأما (الولاية) في اللغة فتعني: النصرة والمحبة والقربة، وهي عند أرباب السلوك مرتبة عليّة لخواص المؤمنين المقربين تحصل بالمواظبة على الطاعات واجتناب السيئات[2].

وأما المراد بـ(ختم الولاية) في اصطلاحات الصوفية:

فيراد به: أنه كما أن للأنبياء خاتماً هو أفضلهم، فإن للأولياء خاتماً هو أفضلهم، ودرجته أكبر من درجة السابقين، ويدعون له صفات وكرامات كثيرة جداً، يغالون فيها أشد الغلو وأقبحه.

وإذا حاولنا البحث عن بداية إحداث هذه النظرية الباطلة وعن أول القائلين بها، والتتبع التاريخي لها، نجد أن أول من أظهر هذه الفكرة ودعا إليها هو مُحَمَّد بن علي

---

[1] - انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي (٤٢/٣٢).

[2] - انظر: مختار الصحاح، الرازي (٣٤٥/١)، وانظر: تاج العروس (٢٤٣/٤٠).

بن الحسن الترمذي ويلقب بالحكيم الترمذي[1]، وقد عاش في أواخر القرن الثالث الهجري، وهو مجهول سنة الولادة والوفاة، وقد ألّف كتاباً في هذا أسماه "ختم الأولياء"[2].

فاتضح بذلك أن أول من قال بهذه النظرية الفاسدة وصاغها هو الحكيم الترمذي، ثم وصلت الفكرة إلى ابن عربي فتلقفها منه، وجعل منها مذهباً وطريقة له ولأتباعه، وقد صاغ هذه النظرية في كتبه كما في: (الفتوحات المكية) له؛ حيث أفرد المجلد الثاني من فتوحاته حول الولاية، وتكلم فيه عن نظرية (ختم الولاية)، وكذلك ذكرها وصاغها في كتابه "فصوص الحكم" في عدة مواضع، وسيأتي بيانه قريباً.

ثم انتشرت بعد ذلك هذه النظرية في مقالات المتصوفة انتشاراً كبيراً؛ فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولم يذكر هذا[3] أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلّا أبو عبد الله مُحَّد بن علي الترمذي الحكيم في كتابه (ختم الولاية)"[4].

ويبالغ الترمذي في وصف هذا الولي المزعوم الذي يدعي أنه خاتم الأولياء؛ فيقول عنه: "فهذا سيد الأولياء، وأمان أهل الأرض ومنظر أهل السماء، وخالصة الله وموضع نظره، وسوطه في خلقه"[5].

بل يقول عن صفة هذا الولي: "ذلك من الأنبياء قريب، يكاد يلحقهم"[6].

---

[1] – سبق ترجمته.

[2] – الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، عبد الرحمن عبد الخالق ص (٢٤٩).

[3] – يعني:القول بختم الولاية.

[4] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٢٢٢).

[5] – ختم الولاية، الحكيم الترمذي ص(١٦١)، وانظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص(٢٤٩).

[6] – ختم الولاية، الترمذي ص(١٦١).

ويقول أيضاً عن مقام خاتم الأولياء:

"في أعلى منازل الأولياء، في ملك الفردانية، وقد انفرد في وحدانيته، ومناجاته كفاحاً في مجالس الملك، وهداياه من خزائن السعي، فهذا خاتم الأولياء، مقامه من خزائن المنن، ومتناوله من خزائن القرب، فهو في السعي أبداً، فمرتبته ها هنا، ومتناوله من خزائن الأنبياء عليهم السلام قد انكشف له الغطاء عن مقام الأولياء ومراتبهم وعطاياهم وتحفهم"[1].

ومن الضلال المبين الذي ادعاه ابن عربي عند عرض هذه النظرية الباطلة، ادعاؤه أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء في العلم بالله؛ وهو يقول: إن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون من مشكاة هذا الخاتم المدعى بمعرفة الله التي حقيقتها وحدة الوجود، فيجعله ابن عربي مصدر علوم الأولياء والأنبياء؛ فكما أن خاتم الأنبياء عند ابن عربي هو مصدر كل علم ومشكاته، فكذلك خاتم الأولياء هو المشكاة التي يأخذ منها كل ولي علمه الباطن؛ يقول ابن عربي:

"وليس هذا العلم[2] إلّا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلّا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحد من الأولياء إلّا من مشكاة الولي الخاتم"[3].

---

[1] - انظر: ختم الأولياء (١٦٧-١٦٨)، وانظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص(٢٥٢).

[2] - يعني: العلم بوحدة الوجود.

[3] - فصوص الحكم ص(٦٢)، وانظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص(٢٤٩).

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية ختم الولاية:

لاشك أن هذه النظرية من أخطر البدع والمحدثات؛ لذا فقد انبرى علماء أهل السنة والجماعة لهذه البدعة المحدثة رداً وتفنيداً، وخصوصاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الذي أكثر الرد عليهم في مواضع كثيرة من كتبه وفتاويه، بل لقد خصّ رحمه الله كتاباً منفرداً في الكلام عن الولاية وما يتعلق بها من مسائل أسماه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان).

يقول رحمه الله:

"تكلم طائفة من الصوفية في (خاتم الأولياء) وعظموا أمره كالحكيم الترمذي وهو من غلطاته، وادعى جماعة كل واحد أنه هو كابن عربي، وربما قيّده بأنه ختم الولاية المحمدية أو الكاملة أو نحو ذلك؛ لئلا يلزمه ألا يخلق بعده لله ولي، وربما غلوا فيه كما فعل ابن عربي في فصوصه فجعلوه ممدّاً في الباطن لخاتم الأنبياء تبعاً لغلوهم الباطل، حيث قد يجعلون الولاية فوق النبوة موافقة لغلاة المتفلسفة الذين قد يجعلون الفيلسوف الكامل فوق النبي، وكذلك جهال القدرية والأحمدية واليونسية قد يفضلون شيخهم على النبي أو غيره من الأنبياء، وربما ادعوا في شيخهم نوعاً من الإلهية، وكذلك طائفة من السعدية: يفضلون الولي على النبي"[١].

ويرد رحمه الله على من يجعلون ولاية خاتم الأولياء أعظم من ولاية الرسول، وأن ولايته تابعة لولاية خاتم الأولياء الذي ادعوه؛ فيقول رحمه الله:

"ودعوى المدعي وجود خاتم الأولياء على ما ادعوه باطلٌ لا أصل له، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلّا أبو عبد الله مُحَمَّد بن علي الترمذي الحكيم في كتاب (ختم الولاية)، وقد ذكر في هذا الكتاب ما هو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وهو رحمه الله تعالى وإن كان فيه فضل ومعرفة، وله من الكلام الحسن المقبول والحقائق النافعة أشياء محمودة، ففي كلامه من الخطأ ما يجب ردّه، ومن

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٣٦٣-٣٦٤).

أشنعها ما ذكره في كتاب (ختم الولاية) مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجة أبي بكر وعمر وغيرهما"[1].

ولهذه النظرية الفاسدة والبدعة الشنيعة مآلات ولوازم خطيرة تصل إلى الكفر الصراح؛ ومن هذه المآلات واللوازم:

أولاً: الانتقاص من مقام الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم، وتفضيل خاتم الأولياء المزعوم على الأنبياء والرسل، والله تبارك وتعالى قد اصطفى الرسل وجعلهم خير خلقه؛ قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾[2]، وهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته؛ قال سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ١٢٤ ﴾[3].

ويبدو أن أصحاب هذه النظرية -كما سبق بيانه- لم يجرؤا على إدعاء النبوة؛ فوجدوا في هذه النظرية الباطلة معتذراً لهم وبديلاً مقنعاً لأتباعهم عن ادعاء النبوة[4].

وواضح من فكر ابن عربي وتفضيله الولي على النبي أن هناك التقاء بينها وبين النظرية الإسماعيلية الباطنية القائلة: إن (القائم خير من النبي)، وقد سبق تفصيل طرفاً من هذا التشابه في ثنايا هذا البحث.

ثانياً: انتقاص سادات هذه الأمة وأولياء الرحمن، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسائر الصالحين بعدهما؛ فأصحاب هذا القول وهذه النظرية يقولون بتفضيل خاتم

---

[1] - المصدر السابق (٢/٢٢١-٢٢٢).

[2] - سورة الحج ، آية (٧٥).

[3] - سورة الأنعام ، آية (١٢٤).

[4] - ويظهر ذلك جلياً في كلام ابن عربي ومن تبعه عن خصائص الولي؛ وقد سبق بيان ذلك في هذا البحث عند الكلام عن الولاية والنبوة.

الأولياء على سادات الصحابة ﵃، ويستدلون على ذلك بأدلة باطلة وحجج داحضة[1].

ثالثاً: أنه القول بهذه النظرية الباطلة يغلق باب الولاية؛ فقد أُغلق باب الولاية بعد هذا الولي الخاتم -بزعمهم-؛ مع كون لفظ خاتم الأولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة وأئمتها، ولا له ذكر في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ[2].

ولا شك أن بطلان هذا اللازم يظهر من خلال الأدلة المستفيضة في الكتاب والسنة بأن ولاية الله سبحانه وتعالى مبذولة لمن أتى بشروطها ومستلزماتها[3].

رابعاً: أن هذا القول يفتح الباب على مصراعيه لكل منحرف عن المنهج الرباني في اعتقاده وعبادته وسلوكه، فكل من هذه حاله تفتح له هذه النظرية الباطلة الباب على مصراعيه ليدعي أنه هو الخاتم، وأن الأولياء قد ختموا به !!.

وممن قالوا بهذه النظرية الباطلة بل وادعوا (ختم الولاية) لأنفسهم:

الحكيم الترمذي، وابن عربي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، ومُحَمَّد عثمان الميرغني السوداني (ت ١٢٦٨هـ)، وأحمد التيجاني الفاسي (ت ١٢٣٠هـ)، ولهم في ذلك أقاويل وعبارات تطفح بالضلال والادعاءات الكاذبة[4].

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه لم يتولّ كبر تلكم الدعوى إلّا من في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارى، فيقول رحمه الله: "ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة لا حقيقة له، وصار يدعيها لنفسه أو لشيخه طوائف، وقد ادعاها غير واحد، ولم يدعها إلّا من في كلامه من الباطل ما لم تقله اليهود ولا النصارى؛ كما ادعاها صاحب "الفصوص" ابن عربي، وتابعه صاحب الكلام في

---

[1] - وقد سبق بيان بعضاً منها وبيان بطلانها في ثنايا هذا البحث.

[2] - انظر: المصدر نفسه (٢/٢٢٤).

[3] - كما سبق بيانه بالدليل في ثنايا هذا البحث.

[4] - انظر تفاصيل ذلك ونقل أقوالهم: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص (٢٦٧:٢٥٣).

الحروف، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق، وآخر كان يزعم أنه المهدي الذي يزوج بنته بعيسى ابن مريم، وأنه خاتم الأولياء، ويدعي هؤلاء وأمثالهم من الأمور ما لا يصلح إلّا لله وحده، كما قد يدعي المدعي منهم لنفسه أو لشيخه ما ادعته النصارى في المسيح"[1].

وامتدت هذه النظرية إلى ما بعد زمن ابن عربي، فقد ادعى (ختم الولاية) بعده -كما سبق ذكره- عدد من أئمة المتصوفة، إلى أن ظهرت طريقة صوفية بدعية تتلقب بـ(الطريقة الختميّة)[2]؛ نسبة إلى هذه النظرية الباطلة.

---

[1] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٢٢٨).

[2] - وهي إحدى الطرق الصوفية البدعية، تأسست على هذه النظرية الباطلة التي تقول بختم الولاية، "وهي طريقة صوفية تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات، مثل الغلو في شخص رسول الله ﷺ وادعاء لقياه، وأخذ تعاليمهم وأورادهم وأذكارهم التي تميزوا بها عنه مباشرة، هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعي وأخذهم من أدب الشيعة وجدالهم.

وقد تبنت هذه الطريقة فكرة (وحدة الوجود) التي نادى بها ابن عربي، وقالوا بفكرة (النور المحمدي)، واستخدموا مصطلحات الوحدة والتجلي والانبجاس والظهور والفيض وغيرها من المصطلحات الفلسفية الصوفية، وأسبغوا على الرسول من الأوصاف ما لا ينبغي أن يكون إلّا لله تعالى.

انظر: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص (٢٦٠) وما بعدها، وانظر: الطريقة الختمية دراسة وتحليل في ضوء الكتاب والسنة -رسالة علمية-، الباحث: إبراهيم عبد المطلب السوداني.

المبحث الثالث:

نظرية نقطة الدائرة

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما :

المطلب الأول: المراد بنظرية (نقطة الدائرة) عند ابن عربي:

تمثل نظرية (نقطة الدائرة) لوناً آخر من ألوان البيان لفكرة (وحدة الوجود) عند ابن عربي؛ فإننا لو نظرنا لكلام ابن عربي في نظرية (نقطة الدائرة) لوجدنا أنها تعني عنده وبكل وضوح (وحدة الوجود)؛ فيقول ابن عربي فيها:

" لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت؛ فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته، فهو هو لهو لا لك، وأنت أنت لأنت وله؛ فأنت مرتبط به، ما هو مرتبط بك.

فالدائرة مطلقة مرتبطة بالنقطة، والنقطة مطلقة ليست مرتبطة بالدائرة، نقطة الدائرة مرتبطة بالدائرة"[1] .

فهذا النص العجيب الغريب صعب الصياغة عن ابن عربي يوضح المراد بنظرية (نقطة الدائرة)، وذلك من خلال النقاط التالية :

النقطة الأولى : أن الخلق موجودون بشرط معرفة الرب بهم؛ لأنه لو جهلهم لم يكونوا، وأن وجود الحق غير مشروط بمعرفة الخلق به؛ ويوضح ذلك قوله:

"لو علمته لم يكن هو، ولو جهلك لم تكن أنت؛ فبعلمه أوجدك، وبعجزك عبدته".

النقطة الثانية : أن وجود الحق عند ابن عربي له -أي للحق-، ووجود الخلق وجود لكل من الخلق والحق، فهم -أي: الخلق- هم وهو في الحقيقة، وهو -أي: الحق- هو بصرف النظر عنهم؛ ويوضحه قوله:

"فهو هو لهو لا لك، وأنت أنت لأنت وله؛ فأنت مرتبط به، وما هو مرتبط بك".

---

[1] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١/٠٠).

النقطة الثالثة : وهي التي يريد أن يصل إليها بهذه الطلاسم التي ذكرها: أن النقطة هي الإنسان الكامل الذي تجتمع فيه صفات الربوبية –صفات الحق–، وصفات الإنسانية –صفات الخلق–، وبالتالي الحق هو النقطة والوجود هو الدائرة، ونقطة الدائرة –أي الإنسان الكامل– مرتبطة بالدائرة –أي الوجود الذي هو عين وجود الحق–؛ ويوضحه قوله:

" فالدائرة مطلقة مرتبطة بالنقطة، والنقطة مطلقة ليست مرتبطة بالدائرة، نقطة الدائرة مرتبطة بالدائرة ".

ومما لا شك فيه أن نظرية (نقطة الدائرة) وفقاً لما سبق بيانه، ليست إلّا وجهاً آخر من أوجه عرض نظرية (وحدة الوجود) عند ابن عربي؛ وكأن القارئ لكتب ابن عربي يجد أن القول بوحدة الوجود هو محور الدين عنده؛ فهو يحوم حولها في كل باب يكتب فيه من أبواب الدين، كما يحوم الرافضة حول (نظرية الإمامة).

فما ثمّ فرق بين نظرية (نقطة الدائرة) ونظرية (وحدة الوجود) عند ابن عربي إلّا في طريقة التنظير والتقرير لأصل فكرة وحدة الوجود؛ حيث استخدم في هذه أثناء عرض نظرية (نقطة الدائرة) –التي هي محل بياننا– ألفاظاً وتعبيرات جديدة مثل: (النقطة) ، و(الدائرة)، و(نقطة الدائرة)، وإلّا فكلا النظريتان وجهان لعملة واحدة.

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية (نقطة الدائرة):

لم أقف على كلام مباشر لشيخ الإسلام رحمه الله في الكلام على هذه النظرية، ولكن لمّا سبق في هذا البحث بيان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من القول بوحدة الوجود عند ابن عربي، ولمّا كانت نظرية (نقطة الدائرة) ما هي إلّا وجهاً آخر للقول بوحدة الوجود، كان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من هذه النظرية كموقفه من تلك.

المبحث الرابع:

نظرية نقطة القطب

وقد قسمت هذا المبحث إلى مطلبين هما:

المطلب الأول: المراد بنظرية (نقطة القطب) عند ابن عربي:

قبل أن نعرض لكلام ابن عربي حول معنى نظرية (نقطة القطب) لابد لنا من بيان معنى (القطب) و(القطبية) في اللغة والاصطلاح:

فالمراد بال(القطب) في اللغة:

"القاف والطاء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على الجمع، يقال: (جاءت العربُ قاطبةً): إذا جاءت بأجمعِها، ويقال: (قطَبْتُ الكأسَ أقطِبُها قطباً): إذا مزجتَها.

ومن الباب: (القُطب): قُطب الرَّحى؛ لأنه يجمع أمرها إذ كان دَوْرُه عليها، ومنه: (قُطْبُ السَّماء)، ويقال: إنَّه نجمٌ يدور عليه الفلك، ويستعار هذا فيقال: (فلانٌ قطبُ بني فلانٍ) أي: سيِّدُهم الذي يلوذون به"[1].

"و(القَطْب): القطع؛ يقال: (قَطَبَ الشيء)، يقْطُبُه، قَطْباً: أي: قطعه، و(قَطَبَ الشيء)، يقطبه، قَطْباً: أي: جمعه، و(قطب ما بين عينيه) أي: جمع كذلك، و(قطب الشراب)، يقطبه، قطباً: أي: مزجه.

ومنه: (شراب قطيب، ومقطوب) أي: ممزوج، (وقطب فلاناً): أغضبه، و(قطب الإناء): ملأه، و(قربة مقطوبة): أي مملوءة؛ عن اللحياني.

وفي "التهذيب": (القطب): المزج والخلط، و(قطب القوم): اجتمعوا.

ومن المجاز: (القطب بمعنى: سيد القوم)؛ حساً ومعنى، و (القطب): ملاك الشيء، و(صاحب الجيش): قطب رحى الحرب، و(قطب الشيء): مداره؛ يقال: هو قطب بني فلان، أي: سيدهم الذي يدور عليه أمرهم.

---

[1] - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٥ / ١٠٥) بتصرف يسير.

جمعها: (أقطاب)؛ كقفل وأقفال، و(قطوب) -بالضم-، (وقطبة) -بالكسر؛ كفيلة.

وقال ثعلب: "القطب هو: طرف السهم الذي يرمى به في الغرض"؛ ومنه الحديث: (فيأخذ سهمه، فينظر إلى قطبه، فلا يرى عليه دماً).

و(قطب وجهه) تقطيباً؛ أي: عبس وغضب، و(قطب بين عينيه) أي: جمع ما بين الحاجبين؛ وفي الحديث: (أنه أتي بنبيذ فشمه، فقطب) أي: قبض ما بين عينيه، وفي حديث العباس: (ما بال قريش يلقوننا بوجوه قاطبة ؟)"[١].

وأما عن المراد بـ (القطب) في الاصطلاح:

فيقول في (التعريفات):

"القطب: وقد يسمى غوثاً باعتبار إلتجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير مجعولة، فهو يفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب (إسرافيل) من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته، وحكم (جيرائيل) فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية، وحكم (ميكائيل) فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم (عزرائيل)[٢] فيه كحكم القوة الدافعة فيها"[٣].

---

[١] - انظر: تاج العروس، المرتضى الزبيدي، مادة "قطب"(٤/٥٤-٦١)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور (١/٦٨٠-٦٨٢).

[٢] - تجدر الإشارة هنا على أنه لم يثبت اسم (عزرائيل) كملك من الملائكة الكرام في حديث صحيح عن النبي ﷺ.

[٣] - التعريفات، الجرجاني ص (٢٢٧-٢٢٨).

وأما (القطبية الكبرى) فهي: "مرتبة قطب الأقطاب، وهو باطن نبوة مُحَمَّد عليه السلام، فلا يكون إلّا لورثته لاختصاصه عليه بالأكملية، فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب الأعلى باطن خاتم النبوة"[١].

وقد تكلم ابن عربي في كتابه "الفتوحات المكيّة" عن (منزلة القطب)، بل بوّب لهذه النظرية (نقطة القطب) باباً كاملاً في فتوحاته[٢]، فتكلم عن (منزلة القطب والقطبية) فيه قائلاً:

"اعلم أيدك الله بروح منه أن ممن تحقق بهذا المنزل من الأنبياء صلوات الله عليهم أربعة: مُحَمَّد وإبراهيم وإسماعيل وإسحق، ومن الأولياء اثنان هما: الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واعلم أن الأقطاب والصالحين إذا سمَّوا بأسماء معلومة لا يدعون هناك إلّا بالعبودية إلى الاسم الذي يتولاهم؛ قال تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴿١٩﴾ ﴾[٣]، فسماه عبد الله وإن كان أبوه قد سمّاه مُحَمَّد أو أحمد، فالقطب أبداً مختص بهذا الاسم الجامع فهو عبد الله هناك.

ثم إنه يفضل بعضهم بعضاً مع اجتماعهم بهذا الاسم الذي يطلبه المقام فيختص بعضهم باسم ما غير هذا الاسم من باقي الأسماء الإلهيّة فيضاف إليه وينادى به في غير مقام القطبية، كموسى عليه السلام واسمه عبد الشكور، وداود عليه السلام اسمه الخاص عبد الملك، ومُحَمَّد صلى الله عليه وسلم اسمه الخاص عبد الجامع"[٤].

---

[١] - المصدر السابق ص (٢٢٨).

[٢] - وهو الباب رقم مائتين وسبعين من كتاب الفتوحات المكية، انظر: الفتوحات المكية، ابن عربي (٣/٥٦١) وما بعدها.

[٣] - سورة الجن ، آية (١٩).

[٤] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٥٦١).

ثم قال أيضاً في نفس السياق: "فأما القطب وهو عبد الله وعبد الجامع[١] فهو المنعوت بجميع الأسماء تخلّقاً وتحققاً، وهو مرآة الحق، ومجلى النعوت المقدسة، ومجلى المظاهر الإلهية، وصاحب الوقت وعين الزمان وسر القدر، وله علم دهر الدهور الغالب عليه الخفاء"[٢].

ويمكن للمرء أن يقارب بين فكرة الرجل الخارق للعادة أو (السوبر مان) في التراث الفلسفي، وفكرة (القطب) أو (حكيم الوقت) كما يدعيها ابن عربي؛ حيث يقول: "ولهذا القطب مقام الكمال فلا يقيده نعت، هو حكيم الوقت لا يظهر إلّا بحكم الوقت وبما يقتضيه حال الزمان"[٣]!.

بل لقد بلغ به الإغراب في هذا الباب أن ذكر فيه أن من يبلغ (منزلة القطب) فإنه يجب مبايعته، وقد تكلم عن تلكم البيعة المزعومة بكلام عجيب وغريب؛ فهي عنده مبايعة تتم في السماء بمحضر القوى العلوية-كما سماها-، وتكون البيعة فيها للقطب من كل أصحاب هذه القوى العلوية، ومن الجماعة من أهل الأرض!!.

فقد ذكر تلكم البيعة -بيعة القطب- في "الفتوحات المكية"[٤] قائلاً:

"فاعلم أن الله سبحانه إذا ولّى من ولّاه النظر في العالم المعبر عنه بالقطب، وواحد الزمان، والغوث والخليفة، نصب له في حضرة المثال سريراً أقعده عليه، فإذا نصب له ذلك السرير خلع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه، فإذا قعد عليه بالصورة الإلهية وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره، فيدخل في بيعته

---

[١] - يلاحظ أن في الفقرة السابقة سمى الاسم العام لمحمد صلى الله عليه وسلم عبد الله، والاسم الخاص عبد الجامع، وكلاهما موجود في القطب؛ فالقطب في أي زمان عنده هو الحقيقة المحمدية.

[٢] - المصدر نفسه (٥٦٣/٣).

[٣] - الفتوحات المكية، ابن عربي (٧٩/٤).

[٤] - تفاصيل البيعة في الباب رقم ستة وثلاثون وثلاثمائة من كتاب "الفتوحات المكية"، انظر: الفتوحات المكيّة، ابن عربي (١٣٤/٣) وما بعدها.

كل مأمور أعلى وأدنى إلّا العالين وهم المهيمون العابدون بالذات لا بالأمر، فيدخل في أول من يدخل عليه في ذلك المجلس الملأ الأعلى على مراتبهم الأول فالأول، فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره؛ لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم، فأول مبايع له العقل الأول ثم النفس ثم المقدمون من عمال السموات والأرض من الملائكة المسخرة، ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت، ثم الجن، ثم المولدات، وذلك أنه كل ما سبح الله من مكان ومتمكن وحال فيه يبايعه إلّا العالين من الملائكة وهم المهيمون والأفراد من البشر الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب وما له فيهم تصرف، فهم كُمَّلٌ مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية"[1].

وقد يكون القطب عند ابن عربي له سلطة وخلافة زمانية إلى جانب خلافته الروحية، أو يكتفي بالثانية دون الأولى؛ فيقول: "ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ومنهم من له الخلافة الباطنة ولا حكم له في الظاهر كأحمد بن هارون الرشيد السبتي، وكأبي يزيد البسطامي، وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر"[2].

وقد زعم ابن عربي بأن الله قد أطلعه على "قطب المتوكلين"[3]!، ثم زعم بأن الرسل عليهم السلام -بوصفهم من أقطاب الله- يتسلسلون من آدم إلى يومه؛ فإن الأرض لا تخلو بذلك من رسول حي بجسمه؛ لأن الرسول هو "قطب العالم الإنساني"، وهو الذي يكون موضع نظر الحق، فهو "الغوث والقطب" أوحد زمانه وهو "مركز الدائرة" وعليه يكون مدار العالم[4]، وهلم جرا إلى مزاعم ودعاوى لا تنتهي.

ومما يظهر من هذا الكلام أن مراد ابن عربي بالكلام عن (منزلة القطب) و(القطبية)، ما هو إلّا مسلك من مسالك التوصل إلى فكرة (الإنسان الكامل) -وقد سبق بيانها

---

[1] - الفتوحات المكية، ابن عربي (٣/١٣٥-١٣٦) بتصرف.

[2] - المصدر السابق (٦/٢).

[3] - المصدر السابق (٧٦/٤).

[4] - انظر: المصدر السابق (٥/٢).

قريباً–؛ فبمثل هذا المعنى يقول (عبد القادر بن مُحَّد) الشهير بـ(ابن قضيب البان) [1] عن موقفه في القطبية: "أوقفني الله تعالى على بساط القطبية وقال لي: الإنسان الكامل قطب الشأن الإلهي، وغوث الآن الزماني، أول ما أُسلِمُ له: التصريفَ في قطر نفسه حتى يبلغ الأشد، ثم أسلم له وأوقف له الأقطار والأقاليم، ثم أسلم له الأرض، ثم أسلم له الملك، ثم أجمع له الملك والملكوت، وقال لي: القطب قبلة (كن) في عالم الأزل ومخدع الألوهية، وقال لي: القطب خزانة أرواح الأنبياء، والكون كله صورة القطب، وقال لي: القطب الفرد الواحد في كل زمان: الحقيقة المحمدية"[2].

فيظهر بهذا أن (نظرية نقطة القطب) و(منزلة القطبية) هي صورة من صور بيان فكرة (الإنسان الكامل) عند أهل الوحدة، والتي يتوصلون بها إلى الإستدلال على قولهم بـ(وحدة الوجود)، فهذه أقوال ونظريات باطلة، احتجوا عليها بحجج داحضة، وبنوها على استدلالات وتصورات خاطئة، ليتوصلوا بها إلى أسوأ المقالات وأخبث الاعتقادات، ألا وهو القول بوحدة الوجود؛ فهي ظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله، وقد اختلف الباحثون في المصدر الذي استمد منه ابن عربي وأمثاله نظرية نقطة القطب وفكرة القطبية، فهم مجمعون على أنها فكرة دخيلة استمدها الصوفية من غيرهم، ولكنهم اختلفوا في تحديد المصدر، فذكر بعضهم أن مفهوم القطب يُشبه عقيدة الإسماعيلية القائلة بتجسيد العقل الأول –الإمام– في الأساس الناطق.[3]

---

[1] – عبد القادر بن مُحَّد، من نسل قضيب البان الحسين الموصلي، من أبناء موسى الجون الحسني، من علماء المتصوفين، ولد في حماة، وجاور بمكة، وأقام مدة في القاهرة، وولي نقابة حلب وديار بكر وما والاهما، وتوفي في حلب سنة ١٠٤٠ هـ، له نحو أربعين كتاباً نحا فيها منحى القوم، منها: (الفتوحات المدينة) على نسق (الفتوحات المكيّة). انظر: الأعلام، الزركلي (٤/٤٤).

[2] – انظر: الحكومة الباطنية، حسن مُحَّد الشرقاوي ص(٤٩–٥٠).

[3] – انظر: موسوعة دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية (٥/٥٤٤).

وقد لاحظ بعض الباحثين ما سبقت الإشارة إليه في تمهيد هذا البحث، من تأثر الصوفية الفلسفية وعلى رأسها ابن عربي بعقائد الشيعة، فذكروا أن مصدر فكرة القطبية عند ابن عربي وأمثاله مستمدة من الشيعة؛ فيرى أحمد أمين أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي، وصاغتها صياغة جديدة وسمَّته قطباً[١].

وقد أكد المستشرق هنري كوربان أيضاً في عددٍ من بحوثه ودراساته أن فكرة القطب انتقلت إلى التصوف من الشيعة، وأنها فارسية الأصل[٢].

فمما سبق بيانه يظهر أن أهل الوحدة قد خرجوا عن دائرة المنقول والمعقول، وقد جعل الإمام الشاطبي[٣] رحمه الله مرد هذا الغلو إلى الجهل بالدين فقال رحمه الله:

"ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد: هو الجهل بمقاصد الشريعة وعدم ضم أطرافها بعضها إلى بعض؛ فإن مآخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المترتبة عليها"[٤].

ولا شك أن كلام الإمام الشاطبي رحمه الله هنا ينسحب على العامّة من هؤلاء، ممن يتبعون كبرائهم بجهل ولا يدرون شيئاً عن كليات الشريعة وجزئياتها المترتبة عليها -كما ذكر رحمه الله-، أمّا ابن عربي وأمثاله ممن جعلوا الفلسفة العقلية والأحوال الشيطانية مصدراً من مصادر الدين والاعتقاد عندهم، بل جعلوا ذلك باباً يلجون من خلاله إلى التحريف الباطل لعقيدة المسلمين في جلّ كتبهم، فإنهم -في غالب الظن

---

[١] - انظر: ضحى الإسلام، أحمد أمين (٣/٣٤٥).

[٢] - الإسلام الإيراني -كتاب مترجم-، المستشرق: هنري كوربان (١/١٨٦).

[٣] - سبق ترجمته.

[٤] - الإعتصام، الشاطبي (١/٢٤٤).

فعلوا ذلك عن دراية وعلم؛ ما أرادوا به إلّا المكر والتحريف لدين المسلمين على ما يوافق أهوائهم وأذواقهم الفاسدة.

نسأل الله السلامة والعافية.

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية (نقطة القطب) :

إن مما لا شك فيه أن فكرة القطب والأبدال -كما يذكرها الصوفية- لم تكن موجودة في القرون الثلاثة الأولى، فهي فكرة لا أساس لها في الكتاب والسنة، ولم يذكرها السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولم يعتقدوها كما تعتقد الصوفية.

ولقد كان لهذه الفكرة آثار سيئة في المجتمع الإسلامي، حيث تعلق كثير من الناس بالغوث والقطب والأبدال والأوتاد، وظنّوا أن الشدّة إذا نزلت بأهل الأرض رفعها الأدنى إلى الأعلى حتى ينتهي الأمر إلى الغوث[١] أو صاحب الزمان كما سبق ذكره.

ومن الغريب أن بعض المتأخرين قد تأثروا بمقولات الصوفية في هذا الباب، ونقلوا هذه الخرافات إلى مؤلفاتهم في التفسير والحديث والعقيدة والسيرة والأخلاق والفتاوى والأدب واللغة والتاريخ والتراجم بدون النكير عليها[٢].

ونظراً لخطورة هذه الفكرة وما في شيوعها وانتشارها من ضرر على العامة والخاصة، فقد قام أهل العلم بمناقشتها والردّ عليها، وبيان ما فيها من مخالفة للعقل والشرع، ونقد الأحاديث التي يحتج بها أصحاب هذه النظرية، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية -كعادته- أوفاهم كلاماً في هذا الباب، وأوسعهم ردّاً على تلكم النظرية الباطلة.

بل له كتابات عديدة رحمه الله في هذا الباب، كتبها ردّاً على بعض الأسئلة التي وُجِّهت إليه، كما تناولها عرضاً في بعض كتبه، وأكثرها تفصيلاً واستيعاباً في هذا الباب:

(فتوى في الغوث والقطب والأبدال والأوتاد)[٣].

و(فتوى ضمن السؤال عن أهل الصفة)[٤].

---

[١] - انظر: جامع المسائل لابن تيمية، عزيز شمس (٢/٩) بتصرف.

[٢] - انظر: المصدر السابق (٢/١٠).

[٣] - انظر: المصدر السابق (٢/٧).

[٤] - انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٤٣٣).

و(فتوى ضمن السؤال عن زيارة القبور)[1].

فقد بيّن رحمه الله أن هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وأنها من المحدثات، وقال أيضاً رحمه الله:

"وأما ما يدعيه قوم في القطب والمرتبة التي يسمونها (القطبية) و(القطبانية) فمن الغلو الذي يشبه غلو النصارى والرافضة[2]، كقول أحدهم: القطب الغوث الفرد الجامع، وتفسيرهم ذلك بأن مدد أهل الأرض يكون من جهته، وأن الله إذا أنزل إلى أهل الأرض خيراً من هدى ورزق ونصر فإنه ينزله عليه، ثم منه يفيض إلى سائر الخلق.

وقد يدعي أحدهم أنه منه مدد ملائكة السماوات وطير الهواء وحيتان الماء، وأنه يعطي الملك وولاية الله لمن يشاء ويصرف ذلك عمن يشاء، ونحو هذه المقالات التي تجعل للقطب نوعاً من الإلهية والربوبية التي لم تحصل للأنبياء.

وآخرون يجعلون ذلك للغوث، ويجعلون مسمى الغوث أعلى من مسمى القطب.

وآخرون يجمعون بين الاسمين فيقولون: (القطب الغوث)".

فهذا وأمثاله من أعظم الكذب والمحال، ومن أعظم الشرك والضلال، وهو شبيه بالإفك والشرك الذي ذم الله به المشركين وأهل الكتاب، وهو سبحانه كثيراً ما يجمع بين الكذب والشرك؛ كقوله تعالى: ﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴿٣١﴾ ﴾[3]، وقول الخليل: ﴿ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[4]،

---

[1] – انظر: المصدر السابق (٢٧/٩٦).

[2] – وفي هذا إشارة منه –رحمه الله– إلى أن نظرية القطبية عند الصوفية مستمدة من الشيعة، كما سبق ذكره قريباً من كلام بعض الباحثين والمستشرقين.

وهذا يدل على سعة علم وإطلاع شيخ الإسلام –رحمه الله– فقد ذكر ما انتهى إليه الباحثون والمستشرقون الآن بعد دراسات مستفيضة.

[3] – سورة الحج، آية (٣٠، ٣١).

[4] – سورة الصافات، آية (٨٦).

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[1]"[2].

---

[1] - سورة القصص، آية (٧٤، ٧٥).

[2] - جامع المسائل لابن تيمية، عزيز شمس (٧٣/٢)، بتصرف يسير.

المبحث الخامس:

نظرية الأعيان الثابتة

وفيه مطلبان :-

المطلب الأول: المراد بنظرية الأعيان الثابتة عند ابن عربي:

يدور مفهوم هذه النظرية عند ابن عربي أيضاً على فكرة وحدة الوجود؛ فمراده من نظرية (الأعيان الثابتة) هو إثبات أن وجود الأعيان نفس وجود الحق سبحانه؛ فيقول في الفتوحات المكيّة:

"روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه أنه قال: (كنت كنزاً لم أعرف فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني)[1].

ففي قوله: (كنت كنزاً) إثبات الأعيان الثابتة التي ذهبت إليها المعتزلة، وهي قوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ ﴿٤٠﴾﴾[2]"[3].

فنظرية الأعيان الثابتة تمثل عنده المرحلة الوسطية أو الوسيطة بين وجود الحق ووجود مضاف، حين انتقال الأعيان الثابتة من العدم المحض إلى الوجود في العلم الإلهي؛ وذلك بسبب التجلي الإلهي، فينعدم عدمها فتوجد أعياناً ثابتة؛ فيتحصل من ذلك أن وجودها هو عين وجود الحق سبحانه، فلم يثبت ابن عربي للأعيان وجوداً مغايراً لوجود الله في الحقيقة، بل جعلها ثابتة في القدم كوجود الله تعالى، وإنما أظهرها سبحانه فنقلها من إلى مرتبة الوجود الإلهي؛ فيقول: "الحمد لله الذي أوجد الأشياء

---

[1] - قال بعض الحفاظ ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له إسناد صحيح ولا ضعيف. انظر: اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، بدر الدين الزركشي ص(١٣٦).

[2] - سورة النحل، آية (٤٠).

[3] - الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٢٣٢).

عن عدم وعدمه، وأوقف وجودها على توجه كلمة لنتحقق بذلك سر حدوثها وقدمها من قدمه، ونقف عند هذا التحقيق على ما أعلمنا به من صدق قدمه"[1].

ويقول في هذا المعنى أيضاً:

"فاعلم أن الظاهر في المظاهر -مظاهر الأعيان- هو الوجود الحق، وأنه ما هو لما ظهر به الأشكال والنعوت التي أعيان الممكنات عليها، وجعل هذه الحضرة كالجسر بين الشطين للعبور عليه من هذا الشط إلى هذا الشط"[2].

ويقول في ذلك:

"فالكل مبتدع في عين موجده ... والحق مبتدع لما بدا فظهر
فالعين ثابتة ، والذات ثابتة ... وكون إبداعه لما أتى فنظر
فما بدت صور إلّا لها صور ... منها ومنه فبالمجموع كان أثر"[3].

ففي الأبيات السابقة عسيرة الصياغة يقرر ابن عربي أن الصور التي تظهر في جميع الوجود -الأعيان- هي بمجموعها عين وجود الله تعالى، وما هي في الحقيقة إلّا مظاهر للحق تعالى، فهذه الأعيان ثابتة في القدم، وما إيجادها إلّا انتقال إلى الوجود الإلهي كما سبق بيانه قريباً.

وقال أيضاً:

"الأعيان الثبوتية في حال عدمها كأنها موجودة، وكذلك هي لأن لها وجوداً متخيلاً في الخيال، ولذلك الوجود الخيالي يقول الحق له كن في الوجود العيني فيكون السامع هذا الأمر الإلهي وجوداً عينياً يدركه الحس، أي: يتعلق به في الوجود المحسوس الحس، كما يتعلق به الخيال في الوجود الخيالي"[4].

---

[1] - المصدر السابق (١/٢).

[2] - المصدر السابق (٢/٣٧٩).

[3] - المصدر السابق (٤/٣١٦).

[4] - المصدر السابق (٤/٢١١).

فعنده أن الأعيان حال العدم لها وجود تخيلي؛ ووجود الأعيان ما هو إلّا انتقال من الوجود التخيلي إلى الوجود العيني -الإلهي في الحقيقة-.

ويقول أيضاً:

"فلا يعقل إلّا ارتباط ممكن بواجب لذاته فكان في مقابلة وجود الحق أعيان ثابتة موصوفة بالعدم أزلاً، وهو الكون الذي لا شيء مع الله فيه إلّا أن وجوده أفاض على هذه الأعيان على حسب ما اقتضته استعداداتها، فتكونت لأعيانها لا له من غير بينية تعقل أو تتوهم وقعت في تصورها الحيرة بين الطريقين من طريق الكشف، ومن طريق الدليل الفكري والنطق عما يشهده الكشف بإيضاح معناه يتعذر فإن الأمر غير متخيل فلا يقال ولا يدخل في قوالب الألفاظ بأوضح مما ذكرناه"[1] !.

وبعد أن ذكر ابن عربي مقدمة فاسدة وهي: أن الأعيان الثابتة موصوفة بالعدم أزلاً إلّا أن الحق أفاض عليها فصار وجودها عين وجود الحق، ذكر أيضاً ما يفيد أن الأعيان الثابتة قد أعطيت العلم الإلهي؛ وهذا الكلام نتيجة طبيعية للمقدمة السابقة، فيقول:

"فأعيان العالم محفوظون في خزائنه عنده، وخزائنه علمه، ومختزنه نحن، فنحن أثبتنا له حكم الاختزان؛ لأنه ما علمنا إلّا منا، فكان طريقاً وسطاً بين شيئية ثبوتنا وشيئية وجودنا، فإذا أراد أن ينقلنا إلى شيئية وجودنا أمرنا عليه فاكتسينا بالوجود منه فظهرنا بصورته في شيئية وجودنا وصورته ما نحن عليه في شيئية ثبوت؛ فإن علمه عين ذاته، وإنما سمي علماً لتعلقه بالمعلوم، والتعلق محبة، فلو كان العدم وسطاً بين شيئية الثبوت وشيئية الوجود لكان إذا أراد إيجادنا مرّ بنا على العدم فاكتسبنا منه نفي شيئية الثبوت فلم نوجد لا في الثبوت ولا في الوجود، فلذلك لم يكن لنا طريق إلّا على جود الحق لنستفيد منه الوجود" .

---

[1] - المصدر السابق (٢/٥٥).

ويذكر أيضاً ما يفيد أن الأعيان الثابتة استفادت من الحق ظهور حقائقها؛ فيقول:

"إذا اقتضى نظر العبد العارف ظهور الحق في أعيان الممكنات الثابتة، وإنها ما استفادت منه الوجود، وإنما استفادت منه ما ظهر مما هي عليه من الحقائق عند ظهوره فيها، فأعطته كل وصف ونعت اتصف به"[١].

---

[١] - المصدر السابق (٢/٢٤٦).

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية الأعيان الثابتة:

مما سبق سرده من كلام ابن عربي في هذه النظرية يتضح وبجلاء أن مراده من هذه النظرية هو التوصل إلى القول بأن الوجود واحد، بل ذلك يؤول إلى إنكار وجود الخالق والرب سبحانه وتعالى، فليس ثمة إلّا أعيان ثابتة قد أفاض عليه الحق من وجوده فصار وجودها عين وجوده؛ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أحد أصلي مذهب ابن عربي:

" وأما الأصل الآخر فقولهم إن وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه، وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين، وإنما هو حقيقة قول فرعون والقرامطة المنكرين لوجود الصانع كما سنبينه إن شاء الله.

فمن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربي نظمه ونثره، وما يدعيه من أن الحق يغتذي بالخلق؛ لأن وجود الأعيان مغتذٍ بالأعيان الثابتة في العدم، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود وبالفرق من حيث الماهية والأعيان.

ويزعم أن هذا هو سر القدر؛ لأن الماهيات لا تقبل إلّا ما هو ثابت لها في العدم في أنفسها فهي التي أحسنت وأساءت وحمدت وذمت، والحق لم يعطها شيئاً إلّا ما كانت عليه في حال العدم.

فتدبر كلامه كيف انتظم شيئين: إنكار وجود الحق، وإنكار خلقه لمخلوقاته، فهو منكر للرب الذي خلق فلا يقر برب ولا بخلق، ومنكر لرب العالمين فلا رب ولا عالمون مربوبون؛ إذ ليس إلّا أعيان ثابتة ووجود قائم بها، فلا الأعيان مربوبة ولا الوجود مربوب، ولا الأعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق.

وهذا يفرق بين المظاهر والظاهر والمجلي والمتجلي؛ لأن المظاهر عنده هي الأعيان الثابتة في العدم، وأما الظاهر فهو وجود الخلق"[١].

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/١٦٠).

المبحث السادس:

نظرية التنزّلات الستة:

وقد جعلت هذا المبحث في مطلبين :-

المطلب الأول: المراد بنظرية (التنزّلات الستة) عند ابن عربي:

يراد بالتنزّلات الإلهية أو الفتوحات القدسية عند ابن عربي: الأحوال الشيطانية التي كانت تأتيه؛ من نحو رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وإبلاغه بالتشريعات المختلفة، والأخذ عن الله مباشرة بلا واسطة؛ كما كان يقول في أول كتابه الفصوص:

"فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب.

فقال لي: (هذا كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به)،

فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أُمرنا.

فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان"[١]!!.

وقد سبق بيان طرفاً كبيراً من ذلك، إلّا أني لم أقف في كلامه على مراده من تخصيص التنزّلات بالستة، ولكن مما لا شك فيه أن أصل هذه الدعوى كفر وضلال؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة مُحَمَّد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى مُحَمَّد فهذا كافر ملحد"[٢].

---

[١] - فصوص الحكم، ابن عربي ص(٤٧).

[٢] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١١/٢٢٥).

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية (التنزّلات الستة):

قد سبق بيان موقف شيخ الإسلام رحمه الله من هذه الإدعاءات الكاذبة عند الكلام عن مصادر التلقي عند ابن عربي وبيان موقف شيخ الإسلام منها.

"فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر وناظر عنه المناظر ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين.

والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل ورام أن يقيم عوده المائل أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وتبين أن صاحبه الأحمق كاذب مائق، وظهر فيه من القبح والفساد والحلول والاتحاد والتناقض والإلحاد والكفر والضلال والجهل والمحال ما يظهر به لعموم الرجال أن أهله من أضل الضلال، حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العباد، ويتنبه بذلك من سنة الرقاد من كان لا يميز الغي من الرشاد، ويحيي بالعلم والإيمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا ينكر منكر المغضوب عليهم والضالين، فإن ما ذم الله به اليهود والنصارى في كتابه مثل تكذيب الحق المخالف للهوى والاستكبار عن قبوله وحسد أهله والبغي عليهم، واتباع سبيل الغي والبخل والجبن وقسوة القلوب، ووصف الله سبحانه وتعالى بمثل عيوب المخلوقين ونقائصهم، وجحد ما وصف به نفسه من صفات الكمال المختصة به التي لا يماثله فيها مخلوق، ويمثل الغلو في الأنبياء والصالحين والإشراك في العبادة لرب العالمين، والقول بالحلول والاتحاد الذي يجعل العبد المخلوق هو رب العباد، والخروج في أعمال الدين عن شرائع الأنبياء والمرسلين، والعمل بمجرد هوى القلب وذوقه ووجده في الدين، من غير اتباع العلم الذي أنزله الله في كتابه المبين، واتخاذ أكابر العلماء والعباد أرباباً يتبعون فيما يبتدعونه من الدين المخالف للأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ

ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾[1]، ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول بما يظن أنه من التنزلات الإلهية والفتوحات القدسية مع كونه من وساوس اللعين حتى يكون صاحبها ممن قال الله فيه:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾[2].

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩﴾[3] إلى غير ذلك من أنواع البدع والضلالات التي ذم الله بها أهل الكتابين فإنها مما حذر الله منه هذه الأمة الأخيار وجعل ما حل بها عبرة لأولي الأبصار"[4].

---

[1] – سورة التوبة، آية (٣٢).

[2] – سورة الملك، آية (١٠).

[3] – سورة الأعراف، آية (١٦٩).

[4] – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (١/٨٨–٩٢).

المبحث السابع:

نظرية المراتب السبعة

وقد جعلت هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: المراد بنظرية (المراتب السبعة) عند ابن عربي:

يقول "الجرجاني" في تعريفاته:

(القطب)؛ وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان، وهو على قلب إسرائيل عليه السلام.

(الإمامان)؛ هما شخصان، أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره في الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلف الغوث.

(الأوتاد)؛ عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

(البدلاء)؛ هم سبعة، ومن سافر من القوم من موضعه وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

(النجباء)؛ أربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يترفون إلّا في حق الغير.

(النقباء)؛ هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة"[١].

وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في "الفتوحات المكية"؛ كما قال:

"والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات: أقطاب، وأئمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء"[٢].

وعن هذه المراتب يقول ابن خلدون رحمه الله: "إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك؛ فذهب الكثير منهم إلى

---

[١] - التعريفات، الجرجاني ص(١٥٤).

[٢] - الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٤٠).

الحلول والوحدة كما أشرنا إليه، وملأوا الصحف من مثل الهروي[١] في كتاب المقامات له وغيره.

وتبعهم ابن عربي وابن سبعين[٢] وتلميذهما ابن العفيف[٣] وابن الفارض[٤] والنجم الإسرائيلي في قصائدهم، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم.

وظهر في كلام المتصوفة القول في القطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب (الإشارات) في فضول التصوف منها، فقال جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلّا الواحد بعد الواحد، وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي، وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب؛ كما قاله الشيعة في النقباء"[٥].

---

[١] – سبق ترجمته.

[٢] – سبق ترجمته.

[٣] – مرتضى بن أبي الجود حاتم العفيف ابن المسلم بن أبي العرب الحارثي، أبو الحسن،مصري كتب الكثير بخطه، وجمع مجاميع، أصله من القدس، ومولده بالحوف –وقصبتها بلبيس– وسكنه ووفاته بالقاهرة، توفي سنة ٦٣٤ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٧/ ٢٠٠–٢٠١).

عاش نحو ٨٥ عاما (١) .

[٤] – سبق ترجمته.

[٥] – المقدمة، ابن خلدون ص(٤٧٣)، وانظر: الصوفية المنشأ والمصدر، إحسان إلهي ظهير ص(٢٣١).

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية (المراتب السبعة):

وهذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها المتصوفة إلّا عن الشيعة، وخاصة من الشيعة الإسماعيلية والنصيرية كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فقال رحمه الله:

"وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله، ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل.

إلّا لفظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن فيهم -يعني أهل الشام- الأبدال أربعين رجلاً، كلما مات رجل أبدله الله مكانه رجلاً)[١].

ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذه الترتيب.

وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلّا به، ثم مع هذا يقولون: أنه كان صبياً دخل

---

[١] - رواه أحمد في مسنده برقم (٨٩٦) عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب).

قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف لانقطاعه، وأحاديث الأبدال التي رويت عن غير واحد من الصحابة أسانيدها كلها ضعيفة لا ينتهض بها الاستدلال في مثل هذا المطلب. (١/١١٢).

- وروى أيضاً في مسنده برقم (٢٢٨٠٣) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن عز و جل، كلما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً). وقال شعيب الأرناؤوط: منكر وإسناده ضعيف من أجل الحسن بن ذكوان (٥/٣٢٢).

السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، ولا يعرف له عين ولا أثر، ولا يدرك له حس ولا خبر.

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجود، بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والحد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان".[1]

---

[1] - مجموعة الرسائل والمسائل، ابن تيمية (١/٥٧-٦٠).

الباب الثاني

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– من منهج ابن عربي في السلوك

التمهيد

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معنى رياضة النفس، وأدلتها، ومجالاتها:

معنى (رياضة النفس) في اللغة:

يقول ابن منظور:

"(راض الدابة) يروِّضها ترويضاً، وطّأها وذلّلها، أو علّمها السير.

قال امرؤ القيس: (روَضّت فذلت صعبة أيّ إذلال)

؛ فدل بقوله (أيّ إذلال) أن معنى قوله (روضّت): ذلّلت؛ لأنه أقام الإذلال مقام الرياضة.

و(روضّت المهر) أروضه رياضاً ورياضة فهو مروض، و(ناقة مروضة) وقد ارتاضت.

وكذلك (غلام ريّض) وأصله: ريوض؛ فقلبت الواو ياءً وأدغمت"[١].

وأما الرياضة البدنية فهي: القيام بحركات خاصة تكسب البدن قوة ومرونة[٢]، وليست هي قطعاً المرادة في كلام الصوفية، بل المراد في كلامهم ما سيأتي بيانه قريباً.

وأما معنى (رياضة النفس) في الاصطلاح:

فإن الرياضة: عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية؛ وتهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته[٣].

وقيل: "الرياضة: كثرة استعمال النفس أو البدن ليسلس ويمهر، ثمّ استعيرت لتهذيب الأخلاق النفسية؛ فإن تهذيبها: تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته.

---

[١] – لسان العرب، ابن منظور مادة: (راض) (١٦٢/٧) بتصرف.

[٢] – المعجم الوسيط (٣٨٢/١) بتصرف.

[٣] – انظر: التعريفات، الجرجاني، باب الراء (١٥١/١).

والرياضة عند أهل الحق: (رياضة الأدب) وهو الخروج عن طبع النفس، و(رياضة الطلب) وهو صحة المراد به"[١].

وأما الرياضة عند الصوفية:

فهي -كما يذكرونها- "تهذيب الأخلاق النفسية، بملازمة العبادات، والتخلي عن الشهوات"[٢]، فهذا ما يذكره الصوفية عن رياضة النفس عندهم.

ولكننا عند التحقيق نجد أن الممارسات التي يدّعي القوم أنها سبلٌ للتزكية، ما هي إلّا بدع عملية ما أنزل الله بها من سلطان، ويخالطها في أغلب الأحيان بدع عقدية، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ورياضة النفس تعتبر من أهم أغراض ومواضيع التصوف عند ابن عربي كما سيأتي تفصيله إن شاء الله[٣].

---

[١] - التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي (١/٣٨٠).

[٢] - انظر: المصدر السابق (١/٣٨٢).

[٣] - وتنحصر مواضيع وأغراض التصوف -بشكل عام- حسب ما ذكره ابن خلدون في أربعة أغراض أساسية:

" أولاً: المجاهدات وما يحصل من الأذواق ومحاسبة النفس على الأعمال؛ لتحصل تلك الأذواق التي تصير مقاماً ويترقى منه إلى غيره.

ثانياً: الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل: الصفات الربانية، والعرش والكرسي، والملائكة والوحي، والنبوة والروح، وحقائق كل موجود غائب أو شاهد، وتركيب الأكوان في صدورها عن موجودها، وتكونها.

ثالثاً: التصرفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات.

رابعاً: ألفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات، تستشكل ظواهرها فمنكر ومحسن ومتأول". أ.هـ عن: المقدمة، ابن خلدون ص(٤٧٤).

ورياضة النفس وحملها على المكاره، بل وقواعد وآداب السلوك الصوفية تعتبر عند قسم كبير منهم سبب لحصول الفيض والإشراق الإلهي -كما يعبرون-، متبعين في ذلك المذهب الإشراقي الذي يدعي أن المعرفة والعلم تقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحية، ومذهبهم أشبه ما يكون بالمذهب البوذي في رياضة النفس وحملها على المكاره[1]، فالراهب في الديانة الهندوسية لا يصل إلى مرحلة الرهبنة الحقيقية حتى يتدرج في رياضة النفس والجسد بأنواع من الرياضات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الانقطاع والرياضة عند الصوفية لا تعتبر مصدراً للفتوحات والإلهامات فحسب، بل لا تحصل المعرفة إلّا بها لا بمجرد التعلم عندهم.

كما قال به حكماء الهند؛ فإنهم إذا أرادوا حصول شيء من المعرفة وغيرها صرفوا هممهم إليه، وسلطوا أذهانهم عليه، وانقطعوا عما يعوقهم عنه بالكلية حتى يحصل لهم مطلوبهم، وهي (التصفية) كما تقول بها الصوفية؛ فإنهم قالوا: رياضة النفس بالمجاهدات وتجريدها عن الكدرات البشرية والعوائق الجسدية والتوجه إلى الحضرة الصمدية والتزام الخلوة والمواظبة على الذكر والطاعة تفيد العقائد الحقّة التي لا تحوم حولها شائبة ريبة، وأما أصحاب النظر فيعرض لهم في عقائدهم الشكوك والشبهات الناشئة من أدلة الخصم[2].

فيمكننا أن نقول: أن رياضة النفس وآداب السلوك عند المتصوفة –وبخاصة عند أهل الوحدة منهم– تختلف عنها عند أهل السنة في المعنى والغاية:

- فهي تختلف عنها في معناها ووسائلها كما سيأتي بيانه.

- وتختلف عنها في الغاية المقصودة أيضاً؛ فرياضة النفس تعتبر أحد مراحل الوصول إلى الغاية؛ والتي هي الفناء المطلق الذي هو وحدة الوجود عندهم، والمشاهدة اللّدنيّة كما يعبر عنها القوم.

---

[1] – انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب العواجي (٣/ ٢٠) بتصرف.

[2] – انظر: المواقف في علم الكلام، الإيجي ص(٣٣).

المطلب الثاني: معنى المجاهدة، وثمرتها، وتطبيقاتها:

معنى (المجاهدة) في اللغة:

قال ابن منظور في تعريف (المجاهدة):

"مصدر: جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، وهو مأخوذ من مادة (جَ هـَ دَ)، التي تدل علي المشقة.

ويقال: (المجهود) هو اللبن الذي أخرج زبده؛ لأنه لا يخرج إلّا بتعب ومشقة؛ ولذا لا يقال: (اجتهد فلان في حمل حّبة) بل: (اجتهد في حمل صخرة)؛ لما في الصخرة من المشقة والعناء.

وسمي قيام الليل تهجداً لما فيه من تعب ومعاناة في حمل النفس على ترك النوم في الفراش الوثير ليقوم بين يدي الله رب العالمين"[١].

وأما معنى (المجاهدة) اصطلاحاً:

قال الجرجاني في كتاب "التعريفات":

"المجاهدة: محاربة النفس الأمارة بالسوء، بتحميلها ما يشق عليها، بما هو مطلوب في الشرع.

وقال المناوي: هي حمل النفس علي المشاق البدنية ومخالفة الهوى.

وقيل: هي بذل المستطاع في أمر المطاع، وهو الله عز وجل"[٢].

ولعل القيد المذكور بأن المجاهدة لا تكون إلّا بما هو مطلوب في الشرع، هو ما يحدد لنا المجاهدة الشرعية التي يكون بها التقرّب إلى الله تعالى، ويميزها عن المجاهدة البدعيّة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

---

[١] – انظر: لسان العرب، ابن منظور (٣/١٣٣-١٣٤) بتصرف.

[٢] – التعريفات، الجرجاني ص(٢٠٤).

فمجاهدة النفس والهوى والشيطان وجهاد الدنيا من أعظم الأعمال والقربات، وقد قيل:

والنفس كالطفل: إن تتركه شبّ على ... حب الرضاع، وإن تفطمه ينفطم

وفي ضوء هذا المعنى الشريف للمجاهدة يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾[1]:

"علّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد: (جهاد النفس)، و(جهاد الهوى)، و(جهاد الشيطان)، و(جهاد الدنيا)، فمن جاهد الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد"[2].

كما أن الناظر في سنة النبي ﷺ يجد كثيراً من تطبيقات مجاهدة النفس، وبيان شريف ثمرتها؛ فقد روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ، فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى؛ فقلت يصلي بها في ركعةٍ، فمضى؛ فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً إذا مر بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبّح، وإذا مر بسؤالٍ سأل، وإذا مر بتعوّذٍ تعوّذ، ثم ركع فجعل يقول: (سبحان ربي العظيم)، فكان ركوعه نحواً من قيامه ثم قال: (سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد)، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: (سبحان ربي الأعلى) فكان سجوده قريباً من قيامه[3].

---

[1] - سورة العنكبوت، آية (٦٩).

[2] - الفوائد، ابن القيم ص(٨٢).

[3] - رواه مسلم في: (كتاب: الصلاة)، (باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل) برقم(١٨٥٠) من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه بلفظه، قال: وفى حديث جرير من الزيادة فقال: (سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد)، وفي زيادة له: (فأطال حتى هممت بأمر سوء، قيل وما هممت به؟، قال هممت أن أجلس وأدعه)(١٨٦/٢).

وعن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟، قال: (أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟)[1].

ويحصر الصوفية الجهاد في مجاهدة النفس فقط؛ فالصوفية يقومون عموماً بتثبيط أتباعهم عن الجهاد في سبيل الله وقتال الكفار، وتسميتهم لجهاد الكفار بالجهاد الأصغر، وتسميتهم لما يسمونه جهاد النفس بالجهاد الأكبر.

وقد ذكروا على صحة ما ذهبوا إليه تعليلات كثيرة.

ولكن من الواضح أن تلك التعليلات التي ذكرها أقطاب الصوفية تعليلات واهية، تردها النصوص الكثيرة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ؛ كما في سورة براءة وكما في أحاديث فضل الجهاد والقتل في سبيل الله، وتمني الشهيد الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى ليقتل في سبيل الله، ولما يرى من إنعام الله ورضاه عنه.

وزعم الصوفية أن جهاد النفس أولى مغالطة واضحة؛ فإن جهاد الكفار هو أعلى جهاد للنفس، وفضله أعلى وأشرف، ولو أن المسلمين أطاعوا الصوفية، وقبعوا في الزوايا المظلمة، وتركوا قتال الكفار، واهتموا بجهاد أنفسهم على طريقة الصوفية لجاء الكفار، ولكان أول ما يبدءون به هو إخراج هؤلاء الصوفية من زواياهم، ثم هتك أعراض المسلمين وأخذ بلدانهم وأموالهم وإذلالهم وإهانتهم.

---

[1] – متفق عليه، رواه البخاري في: (كتاب: التفسير)، (باب: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً") برقم(٤٨٣٧) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظه، وفيه: فلما كثر لحمه صلى جالسا فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع. (١٦٩/٦).

– ورواه مسلم في: (كتاب: صفة القيامة والجنة والنار)، (باب: الإكثار من الأعمال) برقم(٧٣٠٤) من حديث عائشة ﵂، وفيه: (يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً). (١٤١/٨).

إن ما يذهب إليه هؤلاء الصوفية هو تخدير وتنويم للمسلمين؛ فمن الواضح أن أعداء الإسلام حينما ينظرون إلى الصوفية بعين الرضا والارتياح؛ فإنما ذلك لأجل هذه المواقف المتخاذلة التي وقفها أقطاب التصوف منهم.

ولقد اتفقت دعوة الصوفية إلى ترك الجهاد مع كل الأفكار الخارجة عن منهج الله عز وجل؛ إذ ما من طائفة من تلك الطوائف إلّا وكانت الدعوة إلى ترك الجهاد من أولويات اهتماماتهم[١].

---

[١] - انظر: فرق معاصرة تنتسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب العواجي (٣/٦٣-٦٥) بتصرف.

المطلب الثالث: المراد بآداب السلوك، وأنواعه:

معنى (السلوك) في اللغة:

قال الأزهري: "سلك، قال الليث: (السِّلْكُ، الخيوط التي يخاطُ بها الثِّيابُ ، الواحدة : سِلْكةٌ ، والجميع: السُّلُوك).

قال: (والسُّلُوكُ، مصدرُ سَلَكَ طريقاً، والمِسْلكُ: الطريقُ، والسَّلْكُ: إدخال الشيء تَسْلُكُهُ فيه؛ كما يطعن الطاعن فيسلكُ الرمحَ فيه إذا طعنه تِلقاء وجهه).

وقال الليث : الله يُسْلِكُ الكفارَ في جهنم أي يدخلهم فيها.

وقال أبو عبيد: (سلَكْتُه في المكان وأَسلكتُه بمعنى واحد).

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: (سلكْتُ الطريقَ، وسَلكْتُه غيري، ويجوز: أَسْلكتُه غيري)"[١].

أما (السلوك) عند ابن عربي فيعرفه بأنه:

" تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف، وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن، والعبد في ذلك مشغول بنفسه عن ربه، إلّا أنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول"[٢].

وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة عند الحديث عن آداب السلوك عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها.

---

[١] – تهذيب اللغة، الأزهري (٣٨/١٠)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور (٤٤٢/١٠).

[٢] – رد المتشابه إلى المحكم، ابن عربي ص(٢٥).

المطلب الرابع: المقامات والأحوال، وصلتها برياضة النفس:

(المقام) و(الحال): اصطلاحان يستخدمهما الصوفية للتدليل على تدرج السالك في الطريق الصوفي من مكانة إلى أخرى.

ف(المقامات) يعبرون عنها بقولهم: "هي مكاسب تحصل للإنسان المؤمن ببذل المجهود، وهي مراحل يرتقي فيها المريد في طريقه إلى التمكين والاطمئنان القلبي لتتحقق له مكانة بين الخاصة من المصطفين الأخيار"[١].

"ومعناه عندهم أيضاً: مقام العبد بين يدي الله عز وجل،فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل"[٢].

ومن المقامات عندهم: مقام التوبة – مقام الورع – مقام الزهد – مقام الفقر – مقام الصبر – مقام الرضا – مقام التوكل...إلخ.

ويعبرون عن (الحال) بقولهم: "هي معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اكتساب، والأحوال هي المذاهب الفائضة على العبد من ربه، وهي تكون ميراثاً يلي العمل الصالح المقترن بصفاء القلب، أو امتناناً من الله تعالى على العبد، ولكنها لا تدوم وإذا دامت تحولت من حال إلى مقام"[٣].

وقد حكي عن الجنيد[٤] أنه قال:

"الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم، وليس الحال من طريق المجاهدات والعبادات والرياضيات كالمقامات"[٥].

---

[١] – انظر: اللّمع، الطوسي (٣٨).

[٢] – انظر: المصدر السابق ص(٣٨) وما بعدها.

[٣] – انظر: اللّمع، الطوسي (٤١).

[٤] – سبق ترجمته.

[٥] – انظر: المصدر السابق ص(٤٢).

أما في "الرسالة القشيرية" فقد جاء أن (المقام): "ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب، مما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له.

وشرطه أنه لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، ولا يصح لأحد منازلة مقام إلّا بشهود إقامة الله تعالى إياه بذلك المقام؛ ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة"[١].

وهذا الضلال الحاصل عند الصوفية بعامة، وعند ابن عربي بخاصة في أبواب التزكية والعبادة[٢] إنما هو ناشئ عن خلل في فهم معنى العبادة، فقد ظنوا أن العبادة هو مطلق المحبة المجردة عن العمل، حتى قال بعضهم: (اللهم إن كنت أعبدك خوفاً من النار فأدخلني فيها، وإن كنت أعبدك طمعاً في الجنة فاحرمني منها)!!.

وهذا من الضلال المبين فإن العبادة هي:

"اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة .

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله"[٣].

---

[١] – انظر: الرسالة القشيرية، القشيري (١٥٣/١).

[٢] – وقد سبق الكلام بتوسع عن ضلال ابن عربي في معنى العبادة، في المبحث الرابع من الفصل الرابع في الباب الأول من هذا البحث.

[٣] – رسالة العبودية، ابن تيمية ص(١٩)، وانظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤٩/١٠-١٥٠).

وقد قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

"وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذلك عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان"[1].

---

[1] – الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن القيم ص(٤٣).

الفصل الأول

رياضة النفس عند ابن عربي

وموقف شيخ الإسلام منها

وفيه مبحثان:-

- **المبحث الأول :** مفهوم رياضة النفس عند ابن عربي.

- **المبحث الثاني :** موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من رياضة النفس عند ابن عربي.

المبحث الأول:

مفهوم رياضة النفس عند ابن عربي

لقد نشأ التصوف أول ما نشأ على مفهوم رياضة النفس وتربيتها، ثم تطور إلى أن وصل إلى خرافات وعقائد باطلة؛ وفي ذلك يقول ابن الجوزي[1] رحمه الله: "كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام؛ فيقال : مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها، وأخلاقاً تخلقوا بها"[2].

ثم قال رحمه الله عن ظهور اسم التصوف:

"وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها: أن التصوف عندهم: (رياضة النفس ومجاهدة الطبع بردّه عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى).

وجاء عن الجنيد بن مُحَمَّد[3] أنه قال في التصوف: (الخروج عن كل خلق ردىء والدخول في كل خلق سني).

وقال رويم[1]: (كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق)"[2].!!

---

[1] – عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالها، له نحو ثلاث مئة مصنف، توفي ببغداد سنة ٥٩٧ هـ. الأعلام، الزركلي (٣/ ٣١٦).

[2] – تلبيس إبليس، ابن الجوزي ص (١٤٥).

[3] – سبق ترجمته.

وأصل الوقوع في البدع العملية إنّما هو الخلل الحاصل بسبب الجهل ونقص العلم، مع وجود الهمة نحو العبادة، وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان على العبّاد؛ قال ابن الجوزي[٣] رحمه الله:

"وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم:

أنه صدّهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم، وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح، وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع، وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة، وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري[٤].

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات، وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي.

وجاء آخرون فهذّبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة.

---

[١] - رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم: صوفي شهير، من جلة مشايخ بغداد، توفي سنة ٣٣٠ هـ. الأعلام، الزركلي (٣/٣٧).

[٢] - المصدر نفسه ص(١٤٧) بتصرف.

[٣] - سبق ترجمته.

[٤] - وهذا من أسباب الضلال في باب رياضة النفس عند ابن عربي؛ بل في كل أبواب السلوك، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في هذا البحث.

ثم ما زال الأمر ينمي والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً، حتى سموا ما هم عليه بالعلم الباطن، وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر.

ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة، فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخيلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به، وهؤلاء بين الكفر والبدعة.

ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم؛ فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد.

وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً، وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم (كتاب السنن)، وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهبهم والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن.

وصنف لهم أبو نصر السراج[١] كتاباً سماه (لمع الصوفية)، ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول.

وصنف لهم أبو طالب المكي[٢] (قوت القلوب) فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع، وذكر فيه الاعتقاد الفاسد، وردد فيه قول (قال بعض المكاشفين!!)، وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه.

---

[١] - سبق ترجمته.

[٢] - مُحَمَّد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب، واعظ زاهد فقي، من أهل الجبل -بين بغداد وواسط، نشأ واشتهر بمكة، ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال، وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالاً هجروه من أجلها، وتوفي ببغداد سنة ٣٨٦ هـ، له (قوت القلوب) في التصوف، قال الخطيب البغدادي: ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات. الأعلام، الزركلي (٦/ ٢٧٤).

وجاء أبو نعيم الأصبهاني[1] فصنف لهم (كتاب الحلية)، وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره.

وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري[2] (كتاب الرسالة) فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء والقبض والبسط والوقت والحال والوجد والوجود والجمع والتفرقة والصحو والسكر والذوق والشرب والمحو والإثبات والتجلي والمحاضرة والمكاشفة واللوائح والطوالع واللوامع والتكوين والتمكين والشريعة والحقيقة إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه.

وجاء مُحَّد بن طاهر المقدسي[3] فصنف لهم (صفوة التصوف) فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها.

وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والإسلام والآثار وإقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم؛ وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت في

---

[1] – أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم، حافظ مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان سنة ٤٣٠ هـ، من تصانيفه (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) في عشرة أجزاء، و(معرفة الصحابة). الأعلام، الزركلي (١/ ١٥٧).

[2] – عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، أبو نصر، واعظ من علماء نيسابور، من بني قشير، علت له شهرة كأبيه، زار بغداد في طريقه إلى الحج، ووعظ بها، فوقعت بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان –إطفاء للفتنة ببغداد– فذهب إليه ولقي منه إكراماً، وعاد إلى نيسابور، فلازم الوعظ والتدريس إلى أن فلج وتوفي بها سنة ٥١٤ هـ، كان ذكيا حاضر الخاطر، فصيحاً، جريئاً، يحفظ كثيراً من الشعر والحكايات، له (المقامات والآداب) تصوف ووعظ. الأعلام، الزركلي (٣/ ٣٤٦).

[3] – مُحَّد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيبانيّ، أبو الفضل، رحالة مؤرخ، من حفاظ الحديث، مولده ببيت المقدس ووفاته ببغداد سنة ٥٠٧ هـ، له كتب كثيرة، منها (صفوة التصوف) وكان داوودي المذهب. الأعلام، الزركلي (٦/ ١٧١).

النفوس مدح الزهد، وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة ولا كلاماً أرق من كلامهم.

وفي سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل إليها، وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء، فصاروا أصدقاء"[1].

إذن فالمراد برياضة النفس وتزكيتها عند ابن عربي وغيره من غلاة الصوفية إنما هو:

الوصول إلى المكاشفة وحصول العلم اللّدنيّ الذي يستغنون به عن الكتاب والسنة، كما أن الغرض من رياضة النفس وتزكيتها عند ابن عربي هو الوصول إلى الفناء[2] في ذات الله عز وجل، حتى لا يرى العبد إلّا الله تعالى، وتحقيق ما يسمونه بالعبد الرباني كما في الحديث الموضوع: (عبدي أطعني أجعلك عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون)، وحتى يصل بتلك التزكية ورياضة النفس إلى مقام الولاية[3] الذي يعلو به على مقام الأنبياء، كما جاء عن ابن عربي أنه قال:

مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي

ويقول بعضهم: (خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله).

إلى أن ينتهي الأمر بالرياضة البدعية عندهم إلى القول بالفناء في ذات الله تعالى، والقول بوحدة الوجود.

فتزكية النفس: يقصد بها تطهير النفس البشرية من الشرور، من الحقد والحسد والكره والتشاحن والكذب والنميمة والغيبة وغيرها من الأفعال القبيحة، ويستدل المتصوفة

---

[1] - انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي ص(١٤٧-١٤٩) بتصرف.

[2] - وقد سبق بيان أقسام الفناء كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وبيان مراد ابن عربي وغلاة الصوفية من هذه اللفظة.

[3] - كما سبق بيانه في الكلام على نظرية ختم الولاية من هذا البحث.

على أهمية هذه الحالة، من كونها طريق النجاة في هذه الدنيا وذلك بالاستشهاد بالآية التاسعة من سورة الشمس: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾[1].

فالآية تقرن الفلاح بالتزكية، فلا فلاح بغير تزكية، لذلك لابد للسالك في طريق التصوف من تنزيه النفس عما يعلق بها من شوائب، وهذا لا يتأتى بغير إفراغ القلب من كل ما يستر عن بصيرتنا مراقبة الحق لنا، بحيث تراه عين البصيرة في كل حال، وهذه هي الحالة الثانية "التخلية".

ويستخدم ابن عربي مصطلح "التَخَلّي" ويعني به: الانقطاع عن الناس وترك كل ما يشغل النفس عن خالقها، فهو عنده بمثابة التخلي عن عالم الأشياء، وقد جعل عنوان أحد مؤلفاته: (الخلوة)، ومما أورده فيه قوله:

"الحمد لله الذي ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات، ونصبها مثالاً لأحديتهِ من أكثر الوجوه والجهات"[2].

وإلى جانب كتاب (الخلوة)، فقد صنف في نفس الموضوع مؤلفه (صفة جلوس المرتاض والخلوة)[3]، ومما قاله في الفتوحات في هذا الشأن:

"وأما أهل السلوك فآثروا الخلوة لينفردوا بالحق لما حجبتهم الكثرة المشهودة في الوجود عن الله جنحوا إلى التخلي"[4].

وبعد أن يتحقق للمريد حالة التخلية، بأن لا يبقى في القلب إلا صورة خالقها من بين صور الأغيار الفانية، وتزكى النفس عن شوائبها، فإن السالك يصل إلى مرحلة

---

[1] – سورة الشمس، آية (٩).

[2] – الخلوة، ابن عربي ص(٣٥).

[3] – وهو مخطوط موجود في المكتبة الظاهرية بدمشق، تحت الرقم (١٢٣).

[4] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٤٨٤–٤٨٥).

الاستمتاع -إذا صح التعبير- بالذِّكر، وبمراقبة المولى له، وهذا ما اصطُلِح على تسميته بـ"التحلية"[1].

وهي عندهم أن المريد عندما يداوم على ذكر الله وحمده وشكره، فسوف يشعر بطعم الإيمان وحلاوته، وهذا لا يتأتى بغير مجاهدة النفس وإرغامها على لزوم الصّراط، ومن ذلك قول أبي يزيد البسطامي[2] -الذي كان يقدره ويجله ابن عربي كثيراً، ويعتبره قطب زمانه، حسب ما أسلفنا-: "ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك". وكثيرة هي الأقوال والأخبار التي يوردها أهل التصوف في المجاهدة حتى يبلغ أحدهم الاستمتاع باستقامة النفس على الطريق.

على أن ابن عربي قد ذهب مذهباً عجيباً في موضوع الذكر لم يسبقه إليه أحد من قبل -على حسب ما نعلم- فقد اعتبر أن وجود الحق في القلب يجب أن يكون دائم الحضور، وبالتالي فإن الذكر إنما يكون علامة النقص والغفلة، فأن تذكر شيئاً فهذا يعني أنك كنت قد نسيته ثم تذكرته! لذلك فهو يجعل الذكر من علامات النقص والنفاق، وفي ذلك نظم الأبيات التالية:

"فدع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا .. فليس يديم الذكر إلّا المنافق

---

[1] - ومما يجدر الإشارة إليه أن مصطلح "التحلية"، لم يستخدمه ابن عربي بالمعنى الحرفي، ولكنني اقتبسته من لغة المتصوفة عامة، وكذلك لا يوجد هذا الترتيب الاصطلاحي لهذه المراحل عند ابن عربي بالشكل الذي ذكرته هنا (تخلية، وتحلية)، ولكنني رأيت استعمال هذا الترتيب من أجل التوضيح فقط.

فابن عربي يستخدم مصطلحات كثيرة، أهمها مقام "التمكين" ومقام "التلوين"، ففي حين يكون الأول بلوغ مرتبة الاستقامة والثبوت عليها، يكون الثاني نقص يعتري المقام الأول، والطريق لبلوغ مقام "التمكين" لا بد أن يمر بالتزكية (التخلية، والتحلية) التي ذكرتها لتقريب المعنى المراد عند ابن عربي.

[2] - سبق ترجمته.

فإذا كان من تهواه في القلب حاضرا .. وأنت تديم الذكر كنت منافقا"[١].

وقال أيضاً:

"بذكر الله تحتجب الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كل شيء ... فشمس الذات ليس لها غروب"[٢].

وصنيع ابن عربي هذا في غاية العجب إذا ما قارناه بالأدلة الشرعية الكثيرة الواردة في شأن الذكر بالمعنى القلبي واللساني، التي يعرفها المسلم العامي بفطرته.

فإن الأنبياء -الذين هم صفوة البشر- كان الواحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه، فهل يعتقد ابن عربي أنه قد بلغ في مقامه حداً تجاوز فيه مراتب الأنبياء، وأن الخالق دائم الحضور في قلبه، وأنه لا يغفل عن خالقه أبداً حتى يستغني بذلك عن ذكره؟!.

وكيف يمكن فهم ذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (إنه ليُغان على قلبي، وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة)[٣]، وقد قال ابن الأثير[٤] في هذا الحديث:

"(ليغُان على قلبي) أي: ليُغطّى ويغشى، والمراد: السهو؛ لأنه كان صلى الله عليه وسلم لايزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات أو نسي، عده ذنباً على نفسه، ففزع إلى الاستغفار"[٥].

---

[١] - وسائل السائل، ابن عربي ص(٢٥).

[٢] - المرجع نفسه ص(٢٦).

[٣] - رواه مسلم في: (كتاب: الذكر والدعاء والتوبة)، (باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه) برقم(٧٠٣٣) من حديث الأغرّ المزنيّ -وكانت له صحبة- بلفظه.(٧٢/٨).

[٤] - أحمد بن سعيد بن مُحَمَّد الصاحب تاج الدين بن شرف الدين بن شمس الدين بن الأثير الحلبي، توفي بغزة ذاهباً إلى القاهرة في شوال سنة ٦٩١ هـ، وكان كبير القدر عديم الشر. الوافي بالوفيات، الصفدي (٦/ ٢٤١-٢٤٢).

[٥] - جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير (٤٨٦/٤-٤٨٧).

فهل كان النبي ﷺ يغان على قلبه؛ -وهذا بمقتضى بشريته عليه الصلاة والسلام أنه يسهى وينسى-، وأما ابن عربي فقد كان لا يسهى عن ذكر الله أبداً؟!.

ثم إننا نقول: كيف يتأتى للعوام من المسلمين أن يوفقوا بين رأي ابن عربي في الذكر -الذي لا يداوم عليه غير المنافق كما قال-، وبين ما يجدونه من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة جداً كلها في تزاحم تواترها تؤكد على وجوب الذكر وعلى منزلته العظيمة؟!، حتى أن بعض المفسرين كان قد جعل الصلاة نفسها تنطوي تحت بند الذكر أو الدعاء في أحيان أخرى.

ولا يشفع لابن عربي ولا لغيره من المتصوفة الهروب إلى لعبة الرمز والتأويل، وتحميل المعنى الظاهر للقول معانٍ باطنية مستترة تحته؛ ففي ذلك تضليل واضح للعقول وتلبيس إبليسي على الناس، وفتح للباب على مصراعيه لتحريف الكلام والأفكار واللعب بها، فلا يقول بهذا عاقل يريد مصلحة الأمة، ويخشى عليها من مهاوي الردى والانحراف.

وسيأتي إن شاء الله مزيد بيان لمعنى الخلوة المحمودة في ثنايا هذا البحث.

المبحث الثاني:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من رياضة النفس عند ابن عربي

أما عن موقف شيخ الإسلام رحمه الله تعالى من رياضة النفس؛ فإنه قد بيّن رحمه الله ما هو الغرض من تزكية النفس عموماً، ألا وهو تحقيق محبة الله سبحانه وتعالى، وبيّن أيضاً السبيل الشرعي إلى تحقيق هذه التزكية، ألا وهو الإخلاص والمتابعة، فيقول رحمه الله:

"وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا.

وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك.

وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل؛ فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلّا ما كان لله؛ ولا يكون لله إلّا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع.

فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله، وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله، بل لا يكون لله إلّا ما جمع الوصفين:

الأول: أن يكون لله وأن يكون موافقاً لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب؛ كما قال ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾[١]، فلابد من العمل الصالح وهو الواجب والمستحب.

و (الثاني): لابد أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى كما قال تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ

---

[١] – سورة الكهف ، آية (١١٠).

(١١٢) ﴾[1]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[2]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[3].

وهذا الأصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين، و به أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وإليه دعا الرسول وعليه جاهد ؛ و به أمر وفيه رغب ؛ وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه"[4].

ويقول ابن القيم[5] رحمه الله:

"ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب؛ وأنها لا تنفع بدونها؛ وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح.

وهل يميز المؤمن عن المنافق إلّا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما؟، وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلّا بعمل قلبه قبل جوارحه؟.

---

[1] – سورة البقرة ، آية (١١٢).

[2] – متفق عليه، رواه البخاري في: (كتاب: ، (باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود) برقم(٧٣٤٩) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظه.(١٣٢/٩).

– ورواه مسلم في: (كتاب: الأقضية)، (باب: نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور) برقم(٤٥٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظه.(١٣٢/٥).

[3] – رواه البخاري في (كتاب: بدء الوحي) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أول حديث في صحيح البخاري.(٢/١).

[4] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢١٣/١٠-٢١٤).

[5] – سبق ترجمته.

وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح، وأكثر وأدوم فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان، فمركب الإيمان القلب، ومركب الإسلام الجوارح"[١].

ويقول ابن رجب الحنبلي[٢] رحمه الله:

"فأفضل الناس من سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم وخواص أصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية، والاجتهاد في الأحوال القلبية؛ فإن سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الأبدان"[٣].

---

[١] - بدائع الفوائد، ابن القيم (٣/٢٢٤).

[٢] - سبق ترجمته.

[٣] - المحجة في سير الدلجة، ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٤/٤١٥).

الفصل الثاني

مجاهدة النفس عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول :** مفهوم مجاهدة النفس عند ابن عربي .

- **المبحث الثاني :** موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مجاهدة النفس عند ابن عربي.

المبحث الأول:

مفهوم مجاهدة النفس عند ابن عربي

مجاهدة النفس وإصلاحها وتطهيرها من الذنوب سببٌ للفلاح؛ قال تعالى﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾[1]، بل جهادها في ذات الله هو أصل المجاهدات وأساسها؛ كما في الحديث:(المجاهد من جاهد نفسه لله)[2] وهو مقدّمٌ عليها، لأن من لم يجاهد نفسه في طاعة الله لتفعل ما أمرها الله به، وتترك ما نهاها الله عنه، ويجاهدها في الله لم يمكنه جهاد عدو والانتصار عليه.

إلّا أن حمل النفس على المشاقّ بلبس الخشن والافتقار وتجويع النفس ونحو ذلك من المشاقّ ليس من الأمور المحمودة في ذاتها، ولا مقصودة للشارع، بل قد يكون بعضها سبباً في امتناع الإنسان من أداء العبادات، فتصير بذلك محرمة؛ إذ ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، وما لا يتم ترك الحرام إلّا بتركه فتركه واجب[3].

يقول الكلاباذي[4] عن المتصوفة: "إنهم قوم تركوا الدنيا فخرجوا من الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد"[5].

---

[1] – سورة الشمس ، آية (٩).

[2] – رواه الترمذي في: (كتاب: الجهاد عن رسول الله ﷺ) ، (باب: ما جاء في فضل من مات مرابطاً) برقم(١٦٢١) من حديث فضالة بن عبيد ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: (كل ميت يختم على عمله إلّا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن من فتنة القبر)، وسمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (المجاهد من جاهد نفسه)، قال أبو عيسى: "وفي الباب عن عقبة بن عامر، وجابر، وحديث فضالة حديث حسن صحيح".(١٦٥/٤).

[3] – انظر: أصول الفقه الذي لايسع الفقيه جهله، لعياض السلمي ص(..).

[4] – سبق ترجمته.

[5] – التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي ص(٢١).

وعقد الغزالي[١] في كتابه الإحياء بابا سماه (رياضة النفس)، ذكر فيه أهمية أن يحرم الإنسان نفسه من كل الشهوات المادية التي يطلبها الجسد بطبيعته؛ لأنها عوائق عن صفاء القلب، وحواجز له عن التجرد من الدنيا وعلائقها، وذكر فيه ما يتعلق بذلك[٢].

وهذا انحراف في مفهوم المجاهدة أدى ببعض المتصوفة إلى اعتقاد أن قواطع الطريق التي تعترض المريد في سيره وسلوكه إلى الحق هو الدنيا، وأنه لابد من تركها والهروب عنها،وذلك بترك العمل وتعذيب الجسد بأنواع من العذاب كالتجويع مثلاً، والهروب عن الناس، والدخول في الخلوات المظلمة[٣].

ومعنى مجاهدة النفس الذي قام عليه الدليل وبيّنه أهل العلم هو:

كفها عن المعاصي، ومنعها من الشبهات، ومنعها من الإكثار من الملذات المباحة لئلا تعتاد الإكثار فتألفه، ويجرها إلى الوقوع في الحرام.

فقد بوب الإمام البخاري[٤] رحمه الله: (باب: من جاهد نفسه في طاعة الله)[٥].

ويقول ابن بطال[٦] رحمه الله فيه: "جهاد المرء نفسه هو الجهاد الأكمل؛ قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾[٧]، ويقع بمنع النفس عن

---

[١] – سبق ترجمته.

[٢] – انظر: إحياء علوم الدين، الغزالي (٣/٤٨).

[٣] – المصدر السابق (٣/٧٧).

[٤] – سبق ترجمته.

[٥] – انظر: صحيح البخاري، "كتاب: بدء الوحي"، "باب: من جاهد نفسه في طاعة الله"(٨/١٣٠).

[٦] – علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، شارح البخاري، توفي سنة ٤٤٩ هـ. الأعلام، الزركلي (٤/ ٢٨٥).

[٧] – سورة النازعات ، آية (٤٠).

المعاصي، وبمنعها من الشبهات، وبمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة "[١].

قال الحافظ ابن حجر[٢] معقباً على كلام ابن بطال رحمهما الله: "قلت: ولئلا يعتاد الإكثار فيألفه فيجره إلى الشبهات، فلا يأمن أن يقع في الحرام"[٣].

وقال الحافظ ابن حجر أيضا مبيناً مراد الإمام البخاري رحمه الله بترجمته لباب: (من جاهد نفسه في طاعة الله عزوجل):

"يعني: بيان فضل من جاهد، والمراد بالمجاهدة كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة"[٤].

وقال العينيّ[٥] رحمه الله أيضاً في بيان مراد الإمام البخاري رحمه الله من التبويب المذكور:

"أي: هذا بيان فضل من جاهد من المجاهدة، وهي كف النفس عن إرادتها مما يشغلها بغير العبادة"[٦].

---

[١] – انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر (١١/٣٣٨).

[٢] – سبق ترجمته.

[٣] – المصدر السابق (١١/٣٣٨).

[٤] – المصدر السابق (١١/٣٣٧-٣٣٨).

[٥] – محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو مُحَمَّد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ علامة من كبار كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب -وإليها نسبته- أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرّب من الملك المؤيد حتى عدَّ من أخصائه، ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥ هـ. الأعلام، الزركلي (٧/ ١٦٣).

[٦] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينيّ (٢٣/٨٧).

المبحث الثاني:

موقفه من مجاهدة النفس عند ابن عربي

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن الشرع لا يأمر بما لا منفعة فيه من الأعمال والأفعال، بل إن المشقة المصاحبة للعبادة تكون غير مقصودة لذاتها؛ فقال رحمه الله:

"وقد كان اجتمع طائفة من أصحابه ﷺ على الامتناع من أكل اللحم ونحوه، وعلى الامتناع من تزوج النساء؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]، وفي الصحيحين عنه أنه بلغه أن رجالاً قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم لا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فلا آكل اللحم؛ فقال : (لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ

---

[1] – سورة المائدة، آية (٧٧

[2] – متفق عليه، رواه البخاري في: كتاب (النكاح)، باب (الترغيب في النكاح) برقم(٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ بغير هذا اللفظ.(٣٧/٣).

– ورواه مسلم في: كتاب (النكاح)، باب(استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم) برقم(٣٤٦٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس منى "(١٢٩/٤).

تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[1]، فأمر بأكل الطيبات والشكر لله فمن حرم الطيبات كان معتدياً، ومن لم يشكر كان مفرطاً مضيعاً لحق الله.

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها)[2]، وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر)[3].

فهذه الطريق التي كان عليها رسول صلى الله عليه وسلم هي أعدل الطرق وأقومها.

والانحراف عنها إلى وجهين:

أولاً: قوم يسرفون في تناول الشهوات مع إعراضهم عن القيام بالواجبات؛ وقد قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾[5].

ثانياً: وقوم يحرمون الطيبات ويبتدعون رهبانية لم يشرعها الله تعالى، ولا رهبانية في الإسلام؛ وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ

---

[1] - سورة البقرة، آية (١٧٢).

[2] - رواه مسلم في: كتاب (الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار)، باب (استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب) برقم(٤٩١٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظه(٢٧٣/١٣)

[3] - رواه الترمذي في: كتاب (صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ) ،باب (ما جاء في صفة أواني الحوض) برقم(٢٤٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب(٦٥٣/٤).

[4] - سورة الأعراف، آية (٣١).

[5] - سورة مريم، آية (٥٩).

وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[٢].

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴿٥١﴾ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴿١٧٢﴾ ﴾[٤]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)[٥].

وكل حلال طيب وكل طيب حلال؛ فإن الله أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث لكن جهة طيبه كونه نافعاً لذيذاً.

والله حرم علينا كل ما يضرنا وأباح لنا كل ما ينفعنا، بخلاف أهل الكتاب فإنه بظلم منهم حرم عليهم طيبات أحلت لهم، فحرم عليهم طيبات عقوبة لهم، ومُحَمَّد صلى الله عليه وسلم لم يحرم علينا شيئاً من الطيبات.

---

[١] - سورة المائدة، آية (٨٧).

[٢] - سورة المؤمنون، آية (٥١).

[٣] - سورة المؤمنون، آية (٥١).

[٤] - سورة البقرة، آية (١٧٢).

[٥] - رواه مسلم في: كتاب (الزكاة)، باب (قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها) برقم(٢٣٩٣) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس: إن الله طيب لا يقبل إلّا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: "يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم" وقال: "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم"، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك".(٣/٨٥).

والناس تتنوع أحوالهم في الطعام واللباس والجوع والشبع والشخص الواحد يتنوع حاله ولكن خير الأعمال ما كان لله أطوع ولصاحبه أنفع وقد يكون ذلك أيسر العملين وقد يكون أشدهما فليس كل شديد فاضلاً ولا كل يسير مفضولاً، بل الشرع إذا أمرنا بأمر شديد فإنما يأمر به لما فيه من المنفعة لا لمجرد تعذيب النفس؛ كالجهاد الذي قال فيه تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[١].

والحج هو الجهاد الصغير؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في العمرة: (أجرك على قدر نصبك)[٢]، وقال تعالى في الجهاد: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٣].

وأما مجرد تعذيب النفس والبدن من غير منفعة راجحة فليس هذا مشروعاً لنا، بل أمرنا الله بما ينفعنا ونهانا عما يضرنا؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث

---

[١] – سورة البقرة، آية (٢١٦).

[٢] – متفق عليه، رواه البخاري في: كتاب (الحج)، (أبواب العمرة)، باب (أجر العمرة على قدر النصب) برقم(١٧٨٧)، من حديث عائشة ﵂ قالت: يا رسول الله يصدر الناس بنسكين وأصدر بنسك، فقيل لها: "انتظري فإذا طهرت فاخرجي إلى التنعيم فأهلي، ثم ائتينا بمكان كذا، ولكنها على قدر نفقتك، أو نصبك".(٦/٣).

– ورواه مسلم في: كتاب (الحج)، باب (بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه) برقم(٢٩٨٦)، من حديث عائشة ﵂، ولفظه كلفظ البخاري إلّا أن فيه: "ثم القينا غداً".(٣٢/٤).

[٣] – سورة التوبة، آية (١٢٠).

الصحيح: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)[1]، وقال لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن: (يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا)[2]، وقال (هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلّا غلبه، فاستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا)[3]، وروي عنه أنه قال: (أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة)[4].

فالإنسان إذا أصابه في الجهاد والحج أو غير ذلك حر أو برد أو جوع ونحو ذلك، فهو مما يحمد عليه قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾[5]، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: (الكفارات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم

---

[1] – رواه البخاري في: كتاب (الوضوء)، باب (صب الماء على البول في المسجد) برقم(٢٢٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء، أو ذنوباً من ماء؛ فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين".(٦٥/١).

[2] – متفق عليه، رواه البخاري في: كتاب (الجهاد والسير)، باب (ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه) برقم(٣٠٣٨)، من حديث سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن، فقال: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا).(٧٩/٤).

– ورواه مسلم في: كتاب (الجهاد والسير)، باب (في الأمر بالتيسير، وترك التنفير) برقم(٤٦٢٣) عنه رضي الله تعالى عنه، ولفظه كلفظ البخاري.(١٤١/٥).

[3] – رواه البخاري في: كتاب (الإيمان)، باب (الدين يسر) برقم(٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ.(١٦/١)، وأما زيادة: "والقصد القصد تبلغوا" فقد أخرجها البخاري في: كتاب (الرقاق)، باب (القصد والمداومة على العمل) برقم(٦٤٦٣) عنه ﷺ.(١٢٢/٨).

[4] – رواه البخاري في: كتاب (الإيمان)، باب(الدين يسر) وقول النبي ﷺ: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة".(١٦/١).

[5] – سورة التوبة، آية (٨١).

الرباط فذلكم الرباط)[١]، وأما مجرد بروز الإنسان للحر والبرد بلا منفعة شرعية، واحتفاؤه وكشف رأسه ونحو ذلك مما يظن بعض الناس أنه من مجاهدة النفس، فهذا إذا لم يكن فيه منفعة للإنسان وطاعة لله فلا خير فيه، بل قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال: (ما هذا ؟)، قالوا: هذا أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال: (مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه)[٢]؛ ولهذا نهى عن الصمت الدائم بل المشروع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[٣]؛ فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه، والسكوت عن الشر خير من التكلم به"[٤].

---

[١] - رواه مسلم في: كتاب (الطهارة)، باب (فضل إسباغ الوضوء على المكاره) برقم(٦١٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال:"«إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط".(١٥١/١).

[٢] - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه في: كتاب(الصيام)، باب (ذكر المعتكف ينذر في اعتكافه ما ليس له فيه طاعة، وليس بنذر يتقرب إلى الله عزوجل) برقم(٢٢٤٢)، قال: في خبر ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا إسرائيل قائماً في الشمس، فقال: "ما له قائم في الشمس؟"، قالوا: نذر أن يصوم، وأن لا يجلس، ولا يستظل، قال: "مروه فليجلس، وليستظل، وليصم".(٣٥٢/٣).

[٣] - متفق عليه، رواه البخاري في: كتاب (الرقاق)، باب (حفظ اللسان) برقم(٦٤٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".(١٢٥/٨).

- ورواه مسلم في: كتاب (الإيمان)، باب (الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلّا من الخير وكون ذلك كله من الإيمان) برقم(١٨٢)، عنه ﷺ، ولفظه كلفظ البخاري.(٤٩/١).

[٤] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣١١/٢٢-٣١٥).

الفصل الثالث

آداب السلوك عند ابن عربي، وموقف شيخ الإسلام منها

وفيه مبحثان :

- **المبحث الأول** : المراد بآداب السلوك عند ابن عربي .

- **المبحث الثاني** : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آداب السلوك عند ابن عربي.

المبحث الأول:

المراد بآداب السلوك عند ابن عربي

آداب السلوك عند ابن عربي حسب ما جاء في كتبه ومؤلفاته تشمل: (تزكية النفس)، و(التخلية)، و(التحلية).

فتزكية النفس عند الصوفية عموماً:

يقصد بها تطهير النفس البشرية من الشرور، من الحقد والحسد والكره والتشاحن والكذب والنميمة والغيبة وغيرها من الأفعال القبيحة، ويستدل المتصوفة على أهمية هذه الحالة، من كونها طريق النجاة في هذه الدنيا بقوله تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾[1]؛ فالآية تقرن الفلاح بالتزكية، فلا فلاح بغير تزكية، لذلك لابد للسالك في طريق التصوف من تنزيه النفس عما يعلق بها من شوائب؛ وهذا لا يتأتى بغير إفراغ القلب من كل ما يستر عن بصيرتنا مراقبة الحق لنا، بحيث تراه عين البصيرة في كل حال، وهذه هي الحالة الثانية (التخلية).

فالمراد بـ(التخلية):

دفع الهموم ومشاغل الدنيا والمتاعب عن عاتق الإنسان، وجعل القلب متعلق بالخالق دون المخلوقين، وذلك لا يتأتى بغير الابتعاد عن الأغيار، بالانقطاع إلى رب الأغيار – حسب تعبيرهم–، فالخلوة هي السبيل لجعل الحق ماثلاً في عين القلب، إذ أن وجود السالك بين الناس ومشاغل الدنيا يجعل صفاء النفس متعذراً، فتأخذ هذه الحوادث نصيبها في مشاركة الحق مكانه من قلب المريد.

وابن عربي يستخدم مصطلح (التَخَلي) وليس التخلية، أي بمعنى الانقطاع عن الناس وترك كل ما يشغل النفس عن خالقها، فهو بمثابة التخلي عن عالم الأشياء، وقد

---

[1] – سورة الشمس، آية (٩).

عنون لأحد مؤلفاته بـ (الخلوة) ومما أورده فيه قوله: "الحمد لله الذي ألهم الصفوة من عباده اتخاذ الخلوات، ونصبها مثالاً لأحديتهِ من أكثر الوجوه والجهات"[١].

وإلى جانب كتاب (الخلوة)، فقد صنف ابن عربي في نفس الموضوع كتاباً بعنوان: (صفة جلوس المرتاض والخلوة)[٢].

وكذا قال في الفتوحات في نفس الشأن:

"وأما أهل السلوك فآثروا الخلوة لينفردوا بالحق؛ لمّا حجبتهم الكثرة المشهودة في الوجود عن الله جنحوا إلى التخلي"[٣].

فمدلول هذا الكلام على وحدة الوجود ظاهر؛ فبعد أن يحقق للمريد حالة التخلية –بأن لا يبقى في القلب إلّا صورة خالقها من بين صور الأغيار الفانية، وهو عين وحدة الوجود عنده، وتزكى النفس عن شوائبها–، فإنه يصل إلى مرحلة الاستمتاع بالذِّكر، وبمراقبة المولى له، وهذا ما يسمونه بـ(التحلية).

إذن فـ(التحلية) هي:

عندما يداوم المريد على ذكر الله وحمده وشكره، فسوف يشعر بطعم الإيمان وحلاوته، وهذا لا يتأتى بغير مجاهدة النفس وإرغامها على لزوم الصّراط[٤].

---

[١] – كتاب الخلوة، ابن عربي ص(١٤٩).

[٢] – وهو مخطوط موجود في المكتبة الظاهرية بدمشق، تحت الرقم (١٢٣).

[٣] – الفتوحات المكية، ابن عربي (٢/٤٨٤–٤٨٥).

[٤] – ومن ذلك قول الصوفي الكبير أبي يزيد البسطامي –الذي كان يقدره ابن عربي ويجله كثيراً، ويعتبره قطب الزمان–: "ما زلت أسوق نفسي إلى الله وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك"، وقد سبق ذكره.

وكثيرة هي الأقوال والأخبار التي يوردها أهل التصوف في المجاهدة حتى يبلغ أحدهم مرحلة الاستمتاع باستقامة النفس على الطريق.

على أن ابن عربي قد ذهب مذهباً عجيباً في موضوع الذكر، فقد اعتبر أن وجود الحق في القلب يجب أن يكون دائم الحضور،

وبالتالي فإن الذكر إنما يكون علامة النقص والغفلة، فأن تَذَكُّرَ شيئاً فهذا يعني أنك كنت قد نسيته ثم تذكرته![1].

ولكن ابن عربي يعود ليُقنن عبور الطريق إلى الله بممر واحد لا غير، يقف على بابه (الشيخ) أو (الدليل) -كما يسميه ابن عربي-، حيث قال شعراً:

"ومن طلب الطريق بلا دليل ... إلهيٍّ ، لقد طلب المحالا"[2].

فإذا كان المريد عليه التجرد من إرادته والخضوع لأقدار الله وارداته، فهو من جهة ثانية -كما يفترض ابن عربي- لا يمكنه السير في الطريق المفضية إلى الله من غير دليل رباني، الذي هو شيخ الطريقة أو من ينوب عنه بالإجازة.

وإذا كان الشيخ هو باب الولوج إلى رضا الحق، فهذا الأمر يفرض ضمنياً الخضوع لإرادة الشيخ وطاعته في كل ما يأمر به، إذ أن رضا الحق والوصول إليه محال بغير (دليل)، وغضبه مقرون بذلك أيضاً.

وهذا يشبه إلى حدٍ كبير الدور الذي يقوم به الكاهن أو البابا في الفكر المسيحي، بحيث تستطيع المؤسسة الكنسية ممثلة برجل الدين منح صك النجاة أو الهلاك في

---

[1] - لذلك فهو يجعل الذكر من علامات النقص والنفاق، وفي ذلك نظم الأبيات التالية، المتضمنة في كتابه "وسائل السائل" ص(٢٥):

"فدع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا ... فليس يديم الذكر إلّا المنافق
فإذا كان من تهواه في القلب حاضرا ... وأنت تديم الذكر كنت منافقا".

وقال أيضاً ص (٢٥-٢٦):

"بذكر الله تحتجب الذنوب ... وتحتجب البصائر والقلوب
وترك الذكر أفضل كل شيء ... فشمس الذات ليس لها غروب".

[2] - الفتوحات المكيّة، ابن عربي (٣/٩).

الحياة الآخرة، كما حدث في القرن الخامس والسادس عشر للميلاد، عندما قامت البابوية في عهد البابا "سكتوس الرابع" ببيع صكوك الغفران.

أما في الإسلام فإنه لا توجد (طبقة الأكليروس) التي تتوسط بين الخالق والمخلوق كما هو الحال في النصرانية المحرّفة؛ حيث أن العلاقة بين الخالق والمخلوق في الإسلام مباشرة بلا وسطاء ولا أوصياء.

وهكذا كان الأمر حتى طلعت علينا فرق التصوف بفنون عجيبة غريبة، من جعلها باب السماء لا يفتح من غير إذن الشيخ، وكم سمعنا وشاهدنا مصائب حدثت وتحدث بسبب استخفاف الشيوخ بعقول مريديهم، والله المستعان.

المبحث الثاني:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آداب السلوك عند ابن عربي

رغم أن ابن عربي قد أقر في كتابه "فصوص الحكم" أن وجود المخلوقات المحدثات هو عين وجود الخالق، إلّا أن ابن عربي يعتبر من أقرب هؤلاء الاتحادية[1] من حيث الأمر بالسلوك والأخلاق والعبادات؛ كما ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

فقد قال عند ذكر الأصلين اللذين بنى عليهما ابن عربي مذهبه في "الفصوص":

"وهذا القول أعني قول من يقول (إن المعدوم شيء ثابت في نفسه، خارج عن علم الله تعالى)، وإن كان باطلاً ودلالته واضحة، لكنه قد ابتدع في الإسلام من نحو أربعمائة سنة، وابن عربي وافق أصحابه، وهو أحد أصلى مذهبه الذي في الفصوص. والأصل الثاني: أن وجود المحدثات المخلوقات هو عين وجود الخالق، ليس غيره ولا سواه، وهذا هو الذي ابتدعه وانفرد به عن جميع من تقدمه من المشايخ والعلماء، وهو قول بقية الاتحادية.

لكن ابن عربي أقربهم إلى الإسلام، وأحسن كلاماً في مواضع كثيرة، فإنه يفرق بين الظاهر والمظاهر، فيقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه، ويأمر بالسلوك بكثير مما أمر به المشائخ من الأخلاق والعبادات، ولهذا كثير من العباد يأخذون من كلامه سلوكهم، فينتفعون بذلك وإن كانوا لا يفقهون حقائقه، ومن فهمها منهم ووافقه فقد تبيّن قوله"[2].

وهذا من الإنصاف في حكاية الحال من شيخ الإسلام ابن تيمية، مع كونه قد ذكر أن كثيراً من هؤلاء القوم من أصحاب الفناء والسلوك قد رتّب في سلوكه أموراً

---

[1] - وقد سبق في هذا البحث بيان أن ذكر الاتحادية في هذا السياق يراد به أهل الإتحاد العام لا الخاص.

[2] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٧٠-٤٧١).

تقتضي منه ترك الأمر والنهي، وتقتضي منهم النظر إلى الربوبية والكلمات الكونية دون التزام الأمر والنهي؛ وبيّن أن هذا هو مذهب الإباحية المنحلّين من الأمر والنهي؛ فقال رحمه الله:

"وكثير من المتوجهين السالكين يشهد في سلوكه الربوبية والقيومية الكاملة الشاملة لكل مخلوق من الأعيان والصفات، وهذه الأمور قائمة بكلمات الله الكونية التي كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستعيذ بها فيقول : (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلّا طارقاً يطرق بخير يا رحمن)[1].

فيغيب ويفنى بهذا التوحيد الرباني عما هو مأمور به أيضاً ومطلوب منه وهو محبوب الحق ومرضيه من التوحيد الإلهي، الذي هو عبادته وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله والأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه والحب فيه والبغض فيه.

ومن أعرض عن هذا التوحيد وأخذ بالأول فهو يشبه القدرية المشركية الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴿١٤٨﴾ ﴾[2].

---

[1] – رواه أحمد في مسنده برقم(١٥٥٣٩) من حديث أبي التيّاح أنه قال: قلت لعبد الرحمن بن خنبش التميمي ﷺ -وكان كبيراً- أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم، قال: قلت: كيف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة كادته الشياطين؟، فقال: إن الشياطين تحدّرت تلك الليلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأودية والشعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة نار، يريد أن يحرق بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهبط إليه جبريل فقال: يا محمّد قل، قال: ما أقول؟، قال: قل: (أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلّا طارقاً يطرق بخير يا رحمن)، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تبارك وتعالى).(٤١٩/٣).

[2] – سورة الأنعام، آية (١٤٨).

ومن أخذ بالثاني دون الأول فهو من القدرية المجوسية الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال العباد ولا شاء جميع الكائنات كما تقول المعتزلة والرافضة ويقع في كلام كثير من المتكلمة والمتفقهة.

والأول ذهب إليه طوائف من الإباحية المنحلين عن الأوامر والنواهي، وإنما يستعملون ذلك عند أهوائهم وإلّا فهو لا يستمر وهو كثير في المتألهة الخارجين عن الشريعة، فإن لهم زهادات وعبادات فيها ما هو غير مأمور به فيفيدهم أحوالاً فيها ما هو فاسد يشبهون من بعض الوجوه الرهبان وعباد البدود"[١].

وينقل شيخ الإسلام رحمه الله عن عبد القادر الجيلاني[٢] قاعدة عامة في هذا الباب؛ فيقول: "ولهذا قال الشيخ عبد القادر قدس الله روحه: (كثير من الرجال إذا دخلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، وأنا انفتحت لي فيه روزنة؛ فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والولي من يكون منازعاً للقدر لا من يكون موافقاً له).

وهذا الذي قاله الشيخ تكلم به على لسان المحمدية، أي: أن المسلم مأمور أن يفعل ما أمر الله به ويدفع ما نهى الله عنه، وإن كانت أسبابه قد قدرت فيدفع قدر الله بقدر الله؛ كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: (إن الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والأرض)[٣]، وفي الترمذي:

---

[١] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٥٧-٤٥٨).

[٢] - عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو مُحَمَّد، محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجيلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان -وراء طبرستان-، وانتقل إلى بغداد شاباً، سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفي بها سنة ٥٦١ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي (٤/ ٤٧)

[٣] - رواه الطبراني في كتاب "الدعاء": باب (ما جاء في فضل لزوم الدعاء، والإلحاح فيه) برقم(٣٤)، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ولفظه: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد في ظل الحطيم بمكة، فقيل: يا رسول الله أتي على مال أبي فلان بسيف البحر فذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تلف مال في بر ولا بحر إلّا بمنع الزكاة، فحرزوا

(قيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً؟، فقال: هن من قدر الله)[١].

وإلى هذين المعنيين أشار الحديث الذي رواه الطبراني أيضاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: (يقول الله يا ابن آدم إنما هي أربع: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين خلقي، فأما التي لي: فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فعملك أجزيك به أحوج ما تكون إليه، وأما التي هي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الإجابة، وأما التي بينك وبين خلقي فأت إلى الناس بما تحب أن يأتوه إليك)[٢]"[٣].

وعموماً فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قد أنكر وأبطل بعض طرق الذكر والسلوك التي يدعيها بعض أهل الوحدة، والتي بها يصل المريد عندهم لحال معينة يلقون عليه فيها من أحوالهم الشيطانية، حتى يظن أنه باتباع هذا الطريق في السلوك قد بلغ ما لم يبلغه الأنبياء.

أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا عنكم طوارق البلاء بالدعاء، فإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، ما نزل يكشفه وما لم ينزل يحبسه". ص (٣١-٣٢).

[١] - لم أجده عند الترمذي، بل رواه ابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" برقم(٢٦١٠) عن ابن أبي خزامة -وهو أحد بني الحارث بن هذيم- عن أبيه، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت دواء نتداوى به، ورقى نسترقي بها، ونفثاً ننفثها، هل يزيد من قدر الله شيئاً؟، قال: "هن من قدر الله تعالى". (٥/ ٧٠).

[٢] - رواه الطبراني في كتاب "الدعاء": باب (ما جاء في فضل لزوم الدعاء، والإلحاح فيه) برقم(١٦) عن أنس بن مالك ﷺ بلفظه، وفي آخره: "وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك". ص (٢٧).

[٣] - مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤٥٨-٤٥٩).

"وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة؛ فمن ذلك طريقة أبي حامد[1] ومن تبعه وهؤلاء يأمرون صاحب الخلوة أن لا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظراً في حديث نبوي ولا غير ذلك، بل قد يأمرونه بالذكر ثم قد يقولون ما يقوله أبو حامد: (ذكر العامة: "لا إله إلا الله"، وذكر الخاصة: "الله، الله"، وذكر خاصة الخاصة: "هو، هو")[2]!!.

والذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمراً بدعة في الشرع، وخطأ في القول واللغة؛ فإن الإسم المجرد ليس هو كلاماً، لا إيماناً ولا كفراً"[3].

وقصدهم بالذكر المفرد هو جمع قلب المريد ليتأهب لما يلقونه عليه من الأحوال الشيطانية، ومنهم من يقول: إذا كان قصد وقاصد ومقصود، فاجعل الجميع واحداً، فيدخله في أول الأمر في وحدة الوجود[4].

ثم ذكر ابن تيمية وجوهاً يبطل بها أن تكون هذه الأحوال والطرق السلوكية سبيلاً للوصول إلى أعظم ما كان عليه الأنبياء والرسل عليهم السلام.

فمن هذه الوجوه:

"أن ما يجعله الله في القلوب يكون تارة بواسطة الملائكة إن كان حقاً، وتارة بواسطة الشياطين إذا كان باطلاً، والملائكة والشياطين أحياء ناطقون؛ كما قد دلت على ذلك الدلائل الكثيرة من جهة الأنبياء؛ وكما يدعي ذلك من باشره من أهل الحقائق.

وهم يزعمون أن الملائكة والشياطين صفات لنفس الإنسان فقط، وهذا ضلال عظيم"[5].

---

[1] – وهو: الغزالي، وقد سبق ترجمته.

[2] – المصدر السابق (١٠/٣٩٦).

[3] – المصدر السابق (١٠/٣٩٦-٣٩٧).

[4] – انظر: المصدر السابق (١٠/٣٩٧).

[5] – المصدر السابق (١٠/٣٩٨-٣٩٩)

ومنها:

"أن الإنسان إذا فرغ قلبه من كل خاطر فمن أين يعلم أن ما يحصل فيه حق؟؛ هذا إما أن يعلم بعقل أو سمع، وكلاهما لم يدل على ذلك"[١].

ومنها:

"أن هذه الطريقة لو كانت حقاً فإنما تكون في حق من لم يأته رسول، فأما من أتاه رسول وأمر بسلوك طريق فمن خالفه ضلّ.

فهذه الطريقة لو قدر أنها طريق لبعض الأنبياء لكانت منسوخة بشرع مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم فكيف، وهي طريقة جاهلية لا توجب الوصول إلى المطلوب إلا بطريق الاتفاق بأن يقذف الله تعالى في قلب العبد إلهاما ينفعه؟، وهذا قد يحصل لكل أحد ليس هو من لوازم هذه الطريق"[٢].

ومنها:

"أن التفريغ والتخلية التي جاء بها الرسول أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ويملأه بما يحبه الله؛ فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله، وكذلك يفرغه عن محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله، وكذلك يخرج عنه خوف غير الله ويدخل فيه خوف الله تعالى، وينفي عنه التوكل على غير الله ويثبت فيه التوكل على الله؛ وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمده القرآن ويقويه لا يناقضه وينافيه؛ كما قال جندب وابن عمر: (تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيماناً)"[٣].

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن هذه الطرق في السلوك لا تقتضي تنزّل العلوم على القلوب، وأنكر ما جاء في كلام ابن عربي من نحو هذه الطرق في السلوك؛ فقال رحمه الله:

---

[١] - المصدر السابق (٣٩٩/١٠).

[٢] - المصدر السابق (٤٠٠/١٠).

[٣] - المصدر السابق (٤٠١/١٠).

"والمقصود هنا: أنه لو كانت العلوم تنزل على القلوب من النفس الفلكية كما يزعم هؤلاء، فلا فرق في ذلك بين الناظر والمستدل والمفرغ قلبه!!..

ومن أهل هذه الخلوات من لهم أذكار معينة وقوت معين ولهم تنزلات معروفة.

وقد بسط الكلام عليها ابن عربي الطائي ومن سلك سبيله كالتلمساني[١]، وهي تنزّلات شيطانية قد عرفتها وخبرت ذلك من وجوه متعددة لكن ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصود التنبيه على هذا الجنس.

ومما يأمرون به الجوع والسهر والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية، بل سهر مطلق وجوع مطلق وصمت مطلق مع الخلوة، كما ذكر ذلك ابن عربي وغيره وهي تولد لهم أحوالاً شيطانية.

وذكروا صلوات الأيام والليالي وكلها كذب موضوعة؛ ولهذا قد يذكرون مع ذلك شيئاً من الخيالات الفاسدة، وليس هذا موضع بسط ذلك"[٢].

ثم بيّن رحمه الله تعالى أقسام تلك العبادات البدعية التي تكون في تلك الخلوات، فقال: "وإنما الغرض التنبيه بهذا على جنس من العبادات البدعية وهي (الخلوات البدعية) سواء قدرت بزمان أو لم تقدر؛ لما فيها من العبادات البدعية:

(أ) - إما التي جنسها مشروع ولكن غير مقدرة.

(ب) - وإما ما كان جنسه غير مشروع"[٣].

وكعادة شيخ الإسلام في التفصيل في الألفاظ المجملة المحتملة؛ فقد بيّن رحمه الله المشروع من الممنوع من هذه الخلوات؛ فقال رحمه الله: "فأما الخلوة والعزلة والانفراد المشروع فهو ما كان مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب.

---

[١] - سبق ترجمته.

[٢] - المصدر السابق (١٠/٤٠٣-٤٠٤).

[٣] - انظر: المصدر السابق (١٠/٤٠٤).

(فالأول) كاعتزال الأمور المحرمة ومجانبتها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۝٦٨ ﴾[1]، ومنه قوله تعالى عن الخليل: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩ ﴾[2]، وقوله عن أهل الكهف ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ ۝١٦ ﴾[3]؛ فإن أولئك لم يكونوا في مكان فيه جمعة ولا جماعة ولا من يأمر بشرع نبي؛ فلهذا أووا إلى الكهف، وقد قال موسى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١ ﴾[4]"[5].

ثم تكلم رحمه الله عن الإعتزال المباح، وردّ في ثنايا كلامه على استدلالهم بحديث: (ورجل معتزل في شعب من الشعاب)[6]؛ فقال رحمه الله: "وأما اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع وذلك بالزهد فيه فهو مستحب،

---

[1] – سورة الأنعام، آية (٦٨).

[2] – سورة مريم، آية (٤٩).

[3] – سورة الكهف، آية (١٦).

[4] – سورة الدخان، آية (٢١).

[5] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/٤٠٤–٤٠٥).

[6] – رواه مسلم في: (كتاب: الإمارة)، (باب: فضل الجهاد والرباط) برقم(٤٩٩٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل أيّ الناس أفضل يا رسول الله؟، قال: (مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله)، قال: ثمّ من؟، قال: (ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره).(٦/٣٩).

وقد قال طاووس: (نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه)[١].

وإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل فتخلى في بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة فهذا حق؛ كما في الصحيحين: (أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أي الناس أفضل؟، قال: رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، كلما سمع هيعة طار إليها يتتبع الموت مظانه، ورجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس إلّا من خير)[٢]، وقوله: (يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة)، دليل على أن له مالاً يزكيه، وهو ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة فيهم؛ فقد قال صلوات الله عليه: (ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة جماعة إلّا وقد استحوذ عليهم الشيطان)، وقال: (عليكم بالجماعة، فإنما يأخذ الذئب القاصية من الغنم)[٣] "[٤].

---

[١] – أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم(٣٥٧٣٨) من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: (نعم صومعة الرجل بيته ، يحفظ فيها لسانه وبصره ، وإياك والسوق فإنها تلغي وتلهي).(٢٠٩/١٣).

[٢] – رواه مسلم في: (كتاب: الإمارة)، (باب: فضل الجهاد والرباط) برقم(٤٩٩٧) من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه، أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلّا في خير).(٣٩/٦).

[٣] – رواه أبو داود في: (كتاب: الصلاة)، (باب: في التشديد في ترك الجماعة) برقم(٥٤٧) من حديث أبي الدرداء ﷺ بلفظه دون ذكر (الغنم)، قال السائب: "يعني بالجماعة: الصلاة في الجماعة". (٢١٤/١).

– ورواه النسائي في: (كتاب: الصلاة)، (باب: فرض الجماعة في غير الجمعة على الكفاية) برقم(٩٢٠) من حديث أبي الدرداء ﷺ بلفظه دون ذكر (الغنم).(٢٩٦/١).

[٤] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٤٠٥/١٠).

ففي هذه الأحاديث الشريفة التي ذكرها شيخ الإسلام ما يشير إلى أن هناك أحوالاً مختلفة يختلف معها حكم العزلة، وذلك بحسب الزمان أو الحال؛ كما في حديث حذيفة ﷺ في الاعتزال وفيه أنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: (نعم)، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟، قال: (نعم، وفيه دخن)، قلت: وما دخنه ؟، قال: (قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟، قال: (نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها)، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: (هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا)، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟، قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟، قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[١].

---

[١] - متفق عليه، رواه البخاري في: (كتاب: المناقب)، (باب: علامات النبوة في الإسلام) برقم(٣٦٠٦) من حديث حذيفة ﷺ بلفظه.(٢٤٢/٤).

- ورواه مسلم في: (كتاب: الإمارة)، (باب: الأمر بلزوم الجماعة عند لزوم الفتن، وتحذير الدعاة إلى الكفر) برقم(٤٨٩٠) من حديث حذيفة ﷺ وفيه: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي) الحديث.(٢٠/٦).

الفصل الرابع

المقامات والأحوال عند ابن عربي، وموقف شيخ الإسلام منها

وفيه مبحثان :

- **المبحث الأول** : مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي .

- **المبحث الثاني** : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي .

المبحث الأول:

مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي

بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن كثيراً ممن ينتهجون الأحوال والمقامات في التزكية والقرب من الله تعالى كابن عربي وغيره، يقعون في محاذير عظيمة؛ منها أنها تصل بهم إلى حال تسقط معها جميع التكاليف؛ فقال رحمه الله:

"وكثير من أهل النسك والعبادة والعلم والنظر ممن سلك طريق بعض الصوفية والفقراء، وبعض أهل الكلام والفلسفة يسلك مسلك الباطنية في بعض الأمور لا في جميعها، حتى يرى بعضهم سقوط الصلاة عن بعض الخواص، أو حِلَّ الخمر وغيرها من المحرمات لهم، أو أن لبعضهم طريقًا إلى الله عز وجل غير متابعة الرسول. وقد يحتج بعضهم بقصة موسي والخضر، ويظنون أن الخضر خرج عن الشريعة؛ فيجوز لغيره من الأولياء ما يجوز له من الخروج عن الشريعة.

وهم في هذا ضالون من وجهين:

أحدهما: أن الخضر لم يخرج عن الشريعة؛ بل الذي فعله كان جائزًا في شريعة موسى؛ ولهذا لما بَيَّن له الأسباب أقره على ذلك، ولو لم يكن جائزًا لما أقره، ولكن لم يكن موسى يعلم الأسباب التي بها أبيحت تلك، فظن أن الخضر كالملك الظالم، فذكر ذلك له الخضر.

والثاني: أن الخضر لم يكن من أمة موسى، ولا كان يجب عليه متابعته، بل قال له: إني على علم من علم الله عَلَّمَنِيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه؛ وذلك أن دعوة موسى لم تكن عامة؛ فإن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة، ومُحَمَّد ﷺ بعث إلى الناس كافة، بل بعث إلى الإنس والجن باطنًا وظاهرًا.

فليس لأحد أن يخرج عن طاعته ومتابعته، لا في الباطن ولا في الظاهر، لا من الخواص ولا من العوام.

"ومن هؤلاء من يفضل بعض الأولياء على الأنبياء، وقد يجعلون الخضر من هؤلاء، وهذا خلاف ما أجمع عليه مشائخ الطريق المقتدى بهم، دع عنك سائر أئمة الدين وعلماء المسلمين، بل لما تكلم الحكيم الترمذي[1] في كتاب ختم الأولياء بكلام ذكر أنه يكون في آخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة، وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء قام عليه المسلمون، وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك، ولا ريب أنه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه.

ومن هنا ضل من اتبعه في ذلك، حتى صار جماعات يَدَّعِى كل واحد أنه خاتم الأولياء، كابن عربي صاحب "الفصوص" وسعد الدين بن حمويه[2]، وغيرهما.

وصار بعض الناس يدعي أن في المتأخرين من يكون أفضل في العلم بالله من أبي بكر وعمر، والمهاجرين والأنصار، إلى أمثال هذه المقالات التي يطول وصفها، مما هو باطل بالكتاب والسنة والإجماع، بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم إلى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية، وظنوا أن من شهدها سقط عنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، وهذا هو دين المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴿١٤٨﴾﴾[3].

وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة، الذين يقرون بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، ويكذبون بالقدر، فإن أولئك يشبهون المجوس، وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشرائع، فهم من شر الناس"[4].

---

[1] – سبق ترجمته.

[2] – مُحَمَّد بن المؤيد بن أحمد بن مُحَمَّد، سعد الدين، ابن حمويه الجويني الحموي، متصوف صاحب أحوال ورياضيات، سكن سفح قاسيون مدة ثم رجع إلى خراسان، وتوفي بها سنة ٦٥٨ هـ، قال الذهبي: وله كلام على طريقة الاتحاد. الأعلام، الزركلي (٧/ ١٢٠).

[3] – سورة الأنعام، آية (١٤٨).

[4] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/٣٦٧-٣٦٨).

ثم بعد أن ذكر رحمه الله مراتب التوحيد الحقة، ذكر أن بعض السالكين يقع في أحوال منكرة من السكر والغيبة والفناء؛ فقال رحمه الله:

"لكن بعض ذوي الأحوال قد يحصل له في حال الفناء القاصر سكر وغيبة عن السوى، والسكر وجد بلا تمييز.

فقد يقول في تلك الحال: (سبحاني)، أو (ما في الجبة إلّا الله)، أو نحو ذلك من الكلمات التي تؤثر عن أبي يزيد البسطامي[1] أو غيره من الأصحاء"[2].

ثم بيّن رحمه الله تعالى حكم هذه الكلمات، وأنها حسب حال قائلها، وهذا من عجيب إنصافه مع الخصوم رحمه الله؛ فقال:

"وكلمات السكران تطوى ولا تروى ولا تؤدى، إذا لم يكن سكره بسبب محظور من عبادة أو وجه منهي عنه.

فأما إذا كان السبب محظورًا لم يكن السكران معذورًا، لا فرق في ذاك بين السكر الجسماني والروحاني، فسكر الأجسام بالطعام والشراب، وسكر النفوس بالصور، وسكر الأرواح بالأصوات"[3].

---

[1] – – سبق ترجمته.

[2] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٢/٤١٦).

[3] – المصدر نفسه (٢/٤٦١).

المبحث الثاني:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي

لابد قبل عرض موقف شيخ الإسلام رحمه الله من مراتب الأحوال والمقامات عند ابن عربي ، أن نشير إلى أنه رحمه الله قد بيّن أن الوجد والذوق منه الشرعي الإيماني الوارد في النصوص، ومنه البدعي الذي يقع فيه المتصوفة؛ فقال رحمه الله:

"فإن العلم والإرادة، أصل لطريق الهدى والعبادة، وقد بعث الله محمدًا ﷺ بأكمل محبة في أكمل معرفة، فأخرج بمحبة الله ورسوله التي هي أصل الأعمال المحبة التي فيها إشراك وإجمال؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ١٦٥ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ ٢٤ ﴾[2].
ولهذا كانت المحبة الإيمانية هي الموجبة للذوق الإيماني، والوجد الديني؛ كما في الصحيحين عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلّا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار)[3]، فجعل ﷺ وجود حلاوة

---

[1] – سورة البقرة، آية (١٦٥).

[2] – سورة التوبة، آية (٢٤).

[3] – متفق عليه، رواه البخاري في: كتاب (الإيمان)، باب (من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمان) برقم(٢١)، من حديث أنس بن مالك ﵁ بلفظه(١/١٣)، ورواه مسلم في: كتاب (الإيمان)، باب (بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان) برقم(٦٧)، من حديث أنس ﵁ بلفظه.(١/٦٦).

الإيمان معلقاً بمحبة الله ورسوله الفاضلة، وبالمحبة فيه في الله، وبكراهة ضد الإيمان.

وفي صحيح مسلم عن العباس قال: قال رسول الله ﷺ: (ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)[١]؛ فجعل ذوق طعم الإيمان معلقا بالرضي بهذه الأصول، كما جعل الوجد معلقاً بالمحبة؛ ليفرق ﷺ بين الذوق والوجد، الذي هو أصل الأعمال الظاهرة وثمرة الأعمال الباطنة، وبين ما أمر الله به ورسوله وبين غيره؛ كما قال سهل بن عبد الله التستري[٢]: (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل)[٣]؛ إذ كان كل من أحب شيئاً فله ذوق بحسب محبته، ولهذا طالب الله تعالى مدعي محبته بقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[٤]؛ قال الحسن البصري[٥]: (ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله، فطالبهم بهذه الآية)[٦]، فجعل محبة العبد لله موجبة لمتابعة رسوله، وجعل متابعة رسوله موجبة لمحبة الرب عبده.

وقد ذكر نعت المحبين في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[٧]،

---

[١] – رواه مسلم في: كتاب (الصلاة)، باب (القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل له الوسيلة) برقم(٣٨٦)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بلفظه.(١/٢٩٠).

[٢] – سبق ترجمته.

[٣] – انظر: الاستقامة، ابن تيمية (٢/١٤١).

[٤] – سورة آل عمران، آية (٣١).

[٥] – سبق ترجمته.

[٦] – انظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ابن تيمية ص (٧٥).

[٧] – سورة المائدة، آية (٥٤).

فنعت المحبين المحبوبين بوصف الكمال، الذي نعت الله به رسوله الجامع بين معنى الجلال والجمال، المفرق في الملتين قبلنا، وهو الشدة والعزة على أعداء الله، والذلة والرحمة لأولياء الله ورسوله.

ولهذا يوجد كثير ممن له وجد وحب مجمل مطلق؛ كما قال فيه كبير من كبرائهم:

مشرد عن الوطـن ... مبعد عن السكـن
يبكي الطول والدمن ... يهوى ولا يدري لمن"[1].

وكما سبق معنا فإن ابن عربي إنما يقصد من سلوك طريق الأحوال والمقامات في التزكية، الوصول إلى القول بوحدة الوجود وأن يتحد الذاكر والمذكور، والوصول إلى مقام الفناء الذي هو بمعنى الاتحاد المطلق؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وهذا كحال كثير من الصالحين والصادقين وأرباب الأحوال والمقامات يكون لأحدهم وجد صحيح وذوق سليم لكن ليس له عبارة تبين كلامه فيقع في كلامه غلط وسوء أدب مع صحة مقصوده ؛ وإن كان من الناس من يقع منه في مراده واعتقاده"[2].

---

[1] – مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/١٧٩).

[2] – المصدر السابق (١٠/٦٩٩).

الخاتمة

الخاتمة:

ولعلي في نهاية هذا البحث أُلخص أهم نتائجه وأبرز ما جاء فيه في النقاط التالية:

١- أن ابن عربي الطائي كان من أشهر القائلين بوحدة الوجود، ومن أكثر من تولى كبر هذه الدعوى الباطلة.

٢- إلحاد ابن عربي في أسماء الله وصفاته وآياته كان نتيجة القول بوحدة الوجود.

٣- أن القول بوحدة الوجود عند ابن عربي بمثابة القول بالإمامة عند الرافضة؛ فإن جميع أصوله الإعتقادية تدور مع القول بوحدة الوجود؛ إما استدلال عليه أو نتيجة له.

٤- ضلاله أيضاً في باب النبوة والولاية.

٥- أن النظريات التي وضعها ابن عربي ما هي إلّا سبل وطرق مؤدية إلى القول بوحدة الوجود عنده.

٦- أهمية الدور العظيم الذي قام به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الرد على أهل البدع، وبيان بطلان دعواهم رحمه الله رحمة واسعة.

ولعل من أبرز التوصيات التي أُوصي بها إخواني الباحثين في ختام هذا العمل، أن يولوا رؤوس وأئمة أهل البدع الاهتمام المطلوب في بحوثهم ودراساتهم العلمية.

كما أُوصي إخواني الباحثين بعمل دراسات علمية حول العوامل المؤثرة على أقوال أئمة أهل البدع، والروافد الخارجية التي أثرت على أقوالهم، وكذلك الاهتمام بدراسة الاتجاهات الفكرية لأئمة أهل البدع في القديم والحديث؛ لأن تلك الدراسات ستكون بمثابة الوقاية والعلاج للمجتمع المسلم في مواجهة تلك الأفكار الهدامة، والنحل المبتدعة، والمذاهب الضالة، والحزبيات المقيتة التي بليت بها أمة الإسلام.

وختاماً فإن كان من خطأ أو زلل أو تقصير أو قصور في هذا البحث فمني ومن الشيطان، وما كان من توفيق فمن الله وحده، فله الحمد أولاً وأخراً..

وفي الختام أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمته بإتمام هذا العمل وتيسيره، فله الحمد وحده أولاً وأخراً.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده المسلمين.

كما أسأله سبحانه أن يجزي كل من أعانني على إتمام هذا العمل خيراً، وأخصّ بالشكر والدعاء فضيلة الشيخ الوالد الكريم/ مُحَّد باكريم، -بارك الله في عمره- على ما بذله في نصحي وتوجيهي، وإيثاره للتعليم والنفع العام لأبنائه الطلاب على ما سواهما، فأسال الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عني وعن إخواني الطلاب خير الجزاء.

وصلى الله على نبينا مُحَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك ..

فهارس البحث

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس الفرق والطوائف
- فهرس الأشعار
- ثبت المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية ... رقم الصفحة

سورة (الفاتحة)

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢)﴾ ١٧٢

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (٣)﴾ ١٧٢

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ (٥)﴾ ١٣٨

سورة (البقرة)

﴿الٓمٓ (١)﴾ ٢٩٩

﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ (١٨)﴾ ١٤٨

﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ (٣٠)﴾ ٢٨٩

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ ٣٧٣

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ (١٧١)﴾ ١٤٨

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ (٧٩)﴾ ٩٨

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ (١٤) ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ (١٥)﴾ ١٨٥

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ (٢٥٥)﴾ ١٨٦

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ (٤٩)﴾ ٣٣٠

﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ (٢٨٤)﴾ ٣٣١

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ (٢٨٦)﴾ ....٣٣١، ٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠٧

﴿أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ (٢٨٦)﴾ ٣٣١

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ (٢٨٦)﴾.......... ٣٣٢

﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ (٢٨٦)﴾............... ٣٣٢

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ (١٨٥)﴾............ ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾................................ ٢٤٣، ٤٧٨

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ (٨٠)﴾.................. ٢٤٤، ٤١٣

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ (١١٦)﴾.............................. ١٧٥، ١٧٦

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا (١٦٥)﴾...................... ٢٣٦، ٥٠٩

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾................. ٤٨٥، ٤٨٦

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾.. ٤٨٧

سورة (آل عمران)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾....... ١، ٤٠٠

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.................................. ٢٣٩

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ (٢٨)﴾.. ١٤٥

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ (١٩)﴾.. ٢٧٣

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا﴾.. ٢٧٣

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ (٧٨)﴾........................... ٩٨

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى (٣١)﴾..................... ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٠، ٥١٠

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾..................................... ٣٦٦

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ (١٧٣)﴾.................. ١٣٩

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (١٧٥)﴾.......١٣٩

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ (٥٤)﴾.......................... ١٨٥

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٣٣)﴾............٣٣٠

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ (٩٧)﴾...........٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠١

سورة (النساء)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ (١)﴾ ....١، ١٢٧

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ (٤٤)﴾ ٢٨٩

﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا (٨٢)﴾.....................١١٧

﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ (١٤٢)﴾........................... ١٨٥

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ (٢٦)﴾..............................٣٨٦

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ (٢٧)﴾..............................٢١١، ٣٨٦

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا (٢٨)﴾.................٢١١، ٣٨٦

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ (٦٥)﴾..............................٣٨٨

﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ (٢٥)﴾.......٥٠٣

﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ (٨٤)﴾...٤٠٧

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾................ ٢٠٦، ٢٨٨

سورة (المائدة)

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ (٣١)﴾...............١٠٧

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ (٣)﴾.............................. ٨٠، ١١٢

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ (٦) ﴾............ ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦

﴿ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ (١١٢) ﴾..........................٢٢٦

﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ (٤٤) ﴾..١٣٩

﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾...................................٢٣٧، ٥١٠

﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ (١٧) ﴾.................. ٢٧٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾........................ ٢٩١، ٢٩٢

﴿ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا ﴾....................................... ٣٨١

﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا ﴾................. ٣٨٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾................ ٤٨٤، ٤٨٥

سورة (الأنعام)

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ (١٢٤) ﴾ ....٧٩ ، ٤٢٧

﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا (١١٤) ﴾ .... ٢٠١، ٢٦٤

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ (٩٣) ﴾ .... ٧٩، ٩٨

﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا (١٤) ﴾...٢٠١، ٢١١

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ (٣) ﴾......................................١٢٧

﴿ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١) ﴾...١٩٧

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ (١٠٣) ﴾...١٨٦

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ (١١٠) ﴾......................١٤٨

﴿ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ (١٢٤) ﴾ ٣٤١

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ ﴿١٢٥﴾ ﴾...... ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٦، ٣٩٣

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾........................ ٢٤٢، ٤٩٦، ٥٠٧

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾.................................... ٥٠٢

سورة (الأعراف)

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴿٢٣﴾ ﴾ .... ١٤٥، ١٨٦، ٣٧٣

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴿١٤٨﴾ ﴾ ٩١

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾................١٨٥

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴿٥٩﴾ ﴾...............................٢٤٥

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴿٢٠٦﴾ ﴾........................٢٤٦

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾........................ ١٤٨

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴿١٨٠﴾ ﴾................................ ١٧٨

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾.......................... ١٨٠

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾.......................... ٢٠٦، ٢٢٠

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾............................. ٤٥١

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾.............................. ٤٨٥

سورة (الأنفال)

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾...........................٣٦٦

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ ﴿١٢﴾ ﴾ ٢٨٩

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.............. ١٤٨

سورة (التوبة)

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ (٦)﴾ ٢٠٨

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ (١٠٠)﴾ ....١٩٠، ٣٤٤

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ (٤٢)﴾ ٥٠٣

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ ١٤٨

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ (٩١)﴾ ٥٠٣

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ (٩٣)﴾ ٥٠٣

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ .... ٢٣٦، ٥٠٩

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ ٤٥١

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾ ٤٨٧

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ﴾ ٤٨٨

سورة (يونس)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ (٩٠)﴾ ٢٥٥

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١)﴾ ٢٥٧

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا (٨٨)﴾ ٢٥٧

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا (٨٩)﴾ ٢٥٧

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٩١)﴾ ٢٥٧

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ ....٣١١، ٣١٢، ٣٣٩، ٣٦٠

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ (٢٦)﴾ ٢٢١

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ٣٨٣

سورة (هود)

﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ (١٢٣) ﴾ ١٣٨

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ (٩٦) ﴾ ٢٥٦

﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ (٩٩) ﴾ ٢٦٢

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ (٣٤) ﴾ ٣٨٦

﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ (٢٠) ﴾ ....٥٠٤، ٥٠٧

﴿ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ ﴾ ٢٦٠

﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ﴾ ٣٨١

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ (١٠٦) ﴾ ٤١٤

﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ (٢٠) ﴾ ٣٩٨

سورة (يوسف)

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٩٠) ﴾ ٣٧١

سورة (الرعد)

﴿ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ (٣١) ﴾ ١٢٣

﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ (٣٠) ﴾ ١٣٨

سورة (إبراهيم)

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ (١٢) ﴾ ١٣٩

سورة (الحجر)

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي ﴾ ٣٧٢

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ (٩٩) ﴾ .... ٣٠٩، ٤٠٧

سورة (النحل)

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ (٦٠) ﴾ ١٨٣

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ (٢٠) ﴾ ١٨٣

﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ (٢١) ﴾ ١٤٧

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ ﴾ .... ٢٤٥، ٢٤٦

﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ (٦٨) ﴾ ٢٨٧

﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ (٤٠) ﴾ ٤٤٤

سورة (الإسراء)

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ (٢٣) ﴾ ....٢٦٧، ٢٧١، ٤١٢

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا (٣٨) ﴾ ٣٨٦

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ (١١٠) ﴾ ١٧٨

﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ (٣٦) ﴾ ١٨٠

سورة (الكهف)

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا (٤) ﴾ ٢١٦

﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا (٦٥) ﴾ ٩٦

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا (٦٧) ﴾ ٥٠٤

﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا (٧٢) ﴾ ٣٩٦

﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا (١٧) ﴾ ٣٩٣

﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾........٢٢٦، ٣٩٨
﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ ﴿٥﴾ ﴾.................................. ٢٠٨
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾.......................٢٤٣، ٤٧٧
﴿ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ ﴿١٧﴾ ﴾... ٣٥٢
﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾................................... ٥٠٧
﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾.................................... ٥٠٢

سورة (مريم)

﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾................................. ٢٤٩
﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾............................ ٤١٠
﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾.. ١٧٤
﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴿٩٠﴾ ﴾...................................... ٢١٤
﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾............................ ٢٨٧
﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴿٧٥﴾ ﴾....................... ٤١٣
﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾................................. ٥٠٢
﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٥٩﴾ ﴾ ٤٨٥

سورة (طه)

﴿ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ ﴿٨١﴾ ﴾... ١٢٤
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾.. ١٥٨
﴿ فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾.................................. ١٨٤

﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢﴾ ٢٥٤

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٩٤﴾ ٢٩٤

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٩٧﴾ ٢٩٥

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥﴾ ٢٩٥

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ٩٤﴾ .... ٢٠٥، ٣٧٣

سورة (الأنبياء)

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ٢٥﴾ ٢٤٥

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ٩٢﴾ ٢٤٦

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ٢٤٦

﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ٩٠﴾ ٢٣٥

سورة (الحج)

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ ٥٧

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ
وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ ٥٧

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ٧٥﴾ ...... ٢٨٢، ٣٢٣، ٤٢٧

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾ ٤٤٢

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ٧٨﴾ .... ٤٠٠، ٤٠٠١

سورة (المؤمنون)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ .... ٢٤٦، ٤٨٦

﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾ ٤١٤

سورة (النور)

﴿ سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ ﴾ ١٧٧

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ٣٥ ﴾ ١٤٣

سورة (الفرقان)

﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ ﴾ ١٠٧

﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ٥٨ ﴾ ١٨٤

سورة (الشعراء)

﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ٢١٣ ﴾ ١٣٩

﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ ﴾ ٢٠١

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٢٢٢ ﴾ ٣٥٤

سورة (النمل)

﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ ١٣٦

سورة (القصص)

﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ٣٨ ﴾ ٢٥٩

﴿ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ ٤٢ ﴾ ٢٦٢

﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ﴾ ٤٤٣

سورة (العنكبوت)

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ ٤٦٠

سورة (الروم)

﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ ٨٨

سورة (السجدة)

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ (١١) ﴾ ١٦٠

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ (٢٠) ﴾ ٢٥٠

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى (١٣) ﴾ .... ٢٠٧، ٢٠٩

سورة (الأحزاب)

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ (٧) ﴾ ٣٤٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) ﴾ ١٠

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ ١٢٨

﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ (٥) ﴾ ٣٣٢

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ (٣٣) ﴾ ٣٨٦

سورة (سبأ)

﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ (٣) ﴾ ١٨٦

سورة (فاطر)

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ (٢) ﴾ ١٣٩

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ (٣) ﴾ ٢١١

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ (٤٤) ﴾ ١٨٤

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ (٣٢) ﴾ ٢٦٦

سورة (يس)

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ (٦٥) ﴾ ٢٠٣

سورة (الصافات)

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦﴾ ٤٤٢

﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ ١٠٢﴾ ١٧٠

﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ١٣٠﴾ ٣٣٠

سورة (ص)

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ١٨﴾ ٢٠٣

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ٨٥﴾ ٣٧٣

سورة (الزمر)

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ٣٨﴾ ١٣٩

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ٦٤﴾ .... ٢٠١، ٢١١

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ﴾ ٣٨٤

سورة (غافر)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ ٢٤٦

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦﴾ ....٢٥٦، ٢٥٨

﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ٢٥﴾ ٢٥٩

﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ٤٦﴾ .... ٢٦٠، ٢٦١

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ ٢٦١

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ١٥﴾ ٢٦٨

﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ٥٦﴾ ....١٨٨، ٣٤١

سورة (فصّلت)

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم ﴾........................ ٢٠٣

سورة (الشورى)

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ (١٣) ﴾.. ٣٤٨

سورة (الزخرف)

﴿ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ (٨٠) ﴾............١٨٤

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ ﴾.................................. ٢٠٢

﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ (٧٧) ﴾.................... ٤١٤

سورة (الدخان)

﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ (٢١) ﴾.. ٥٠٢

سورة (الجاثية)

﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ (٢٣) ﴾.. ٢٦٨

سورة (الأحقاف)

﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ (٥) ﴾.....................................١٨٣

﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ (٣) ﴾...................................٢٦٩

سورة (الحجرات)

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ (٧) ﴾......................................٣٩٣

سورة (ق)

﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ (٣٨) ﴾..١٨٦

﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) ﴾............................٢٥٨

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ .... ١٥٩، ١٩٧

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ ٢٧٨

سورة (الذاريات)

﴿ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ ﴾ ....١١٧، ١٤٨

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ ٢٤٥

سورة (النجم)

﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾ ٢٩١

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ ٢٩٢

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ ٢٢٥

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾ ٢٢٥

﴿ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ ٣٨٣

سورة (القمر)

﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ ٢٦٠

﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾....٢٦١

سورة (الواقعة)

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ ....١٥٩، ١٦٠، ٢٤٩

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ ﴾ ٣٥٩

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ ٣٥٩

سورة (الحديد)

﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ ﴿١٠﴾ ﴾ ....١٩٠، ٣٤٤

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ (٤) ﴾ .... ١٢٧، ١٥٨

سورة (المجادلة)

﴿ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا (٤) ﴾ ٣٩٧

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ (٧) ﴾ ١٥٨

سورة (الحشر)

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ (٢٤) ﴾ ١٧٨

﴿ وَٱلَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ (١٠) ﴾ ٣٤٤

سورة (التغابن)

﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ (١٦) ﴾ .... ١٠٦، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢

سورة (الطلاق)

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا (٧) ﴾ ٤٠٧

سورة (التحريم)

﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (١٢) ﴾ ٣٩٨

سورة (الملك)

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١٠) ﴾ ٤٥١

سورة (الحاقة)

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) ﴾ .... ٢٨٢، ٣٧١

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) ﴾ ٢٨٢

سورة (نوح)

﴿ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ (٧) ﴾ ٢٩٦

﴿ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا (١١) ﴾ ٢٩٦

﴿ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ (١٢) ﴾ ٢٩٦

﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا (٢٢) ﴾ ٢٩٦

﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا (٢٣) ﴾ ٢٦٥

﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا (٢٤) ﴾ .... ٢٦٥، ٢٦٦

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ (٢٥) ﴾ ٢٦٦

﴿ فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا (٢٥) ﴾ ٢٢٦

﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ (٢٧) ﴾ ٢٢٦

سورة (الجن)

﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا (١٨) ﴾ ١٣٩

﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ (١٩) ﴾ ٤٣٥

سورة (المزمل)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا (٢) ﴾ ٣١٠

سورة (المدثّر)

﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ (٥٦) ﴾ ٣٩٩

سورة (القيامة)

﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ (١٦) ﴾ ٢٩١

﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ (٢٣) ﴾ ٢٢١

سورة (الإنسان)

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا (٢٩) ﴾ ٣٩٩

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ (٣٠) ﴾............................ ٢٢٧، ٣٩٩

سورة (النبأ)

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ (١) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ (٢) ﴾.................................. ٢٩٨

سورة (النازعات)

﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾.. ٢٤٥، ٢٥٥

﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾...... ٢٥٩

﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ (٢٥) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ (٢٦) ﴾.................. ٢٥٩

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ (٤٠) ﴾........................ ٤٨٢

سورة (عبس)

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) ﴾.. ٣٩٩

سورة (التكوير)

﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) ﴾.. ٣٩٩

﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢٩) ﴾............................ ٣٩٩

سورة (المطففين)

﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾........................ ٨٤

﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾................................ ٢٢٤

سورة (الطارق)

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) ﴾.................................. ١٨٥

سورة (الأعلى)

﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) ﴾.. ٢٩١، ٢٩٢

سورة (الشمس)

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) ﴾ ٩٦

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) ﴾ .... ٤٧٣، ٤٨١، ٤٩١

سورة (العلق)

﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ ٩٧

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) ﴾ ١١٨

سورة (البيّنة)

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ (٥) ﴾ ١٣٩

سورة (الزلزلة)

﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) ﴾ ٢٨٧

سورة (النصر)

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) ﴾ ٣٧١

فهرس الأَحاديث النبوّية

"فهرس الأحاديث النبوية"

طرف الحديث	مصدره/ رقم الصفحة
"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه"	متفق عليه/٨٢
"أجرك على قدر نصبك"	متفق عليه/٤٨٧
"أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة"	البخاري/٦٢٤
"إذا اجتهد الحاكم فأصاب"	متفق عليه/٣٣٢
"إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"	البخاري/٣٩٧
"إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب"	مسلم/١٠٩
"إذا أراد الله بقوم عذابًا"	مسلم/٤٨٥
"إذا اقترب الزمان"	مسلم/١٣١
"أرأيت أدوية نتداوى بها"	ابن أبي عاصم/٤٩٨
"أصلى الناس"	متفق عليه/٤١٠
"أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً"	متفق عليه/٤٦١
"أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد"	مسلم/١٤٥
"أكثر من سبعين مرة"	البخاري/٣٩٠
"ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا"	مسلم/٤٨٩
"إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغَيِّ"	أحمد/١٣٥
"إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه"	الترمذي/٩٩
"إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِت في قلبه نكتة"	النسائي/١٠٠
"إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه"	أحمد/١٠٠
"إن الله يبعث لهذه الأمة"	أبو داود/٣
"إن الله ليرضى عن العبد"	مسلم/٦٢٠
"إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"	أحمد/١٠٢

"إنّ الله خلق آدم على صورته".. مسلم/٤١٩

"إن الله ليرضى عن العبد".. مسلم/٤٨٥

"إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين"............................ مسلم/٤٨٦

"إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها"........................... متفق عليه/١٥٨

"إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"................................. أحمد/٢٢١، ٢٦٢

"إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه" أحمد/٢٠٧

"إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر"............................ متفق عليه/٢٢١

"إن فيهم الأبدال أربعين رجلاً"... أحمد/٤٥٤

"إنما الأعمال بالنيات".. البخاري/٢٤٣، ٤٧٨

"إني لأعرف حجراً بمكة".. مسلم/٢٠٤

"إني لشاهد عند النبي في حلقة".. الطبراني/٢٠٣

"إن لله تسعة وتسعين اسماً مائةً إلّا واحداً"............................ متفق عليه/١٧٨

"إن الدعاء والبلاء ليلتقيان".. الطبراني/٤٩٧

"إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"..................................... البخاري/٤٨٨

"إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُونَ"..................... متفق عليه/١٠١، ٤٢٥

"إنه وتر يحب الوتر"... متفق عليه/٢٢١

"إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور"................................ متفق عليه/١٨٤، ٢٦٢

"إني على علم من علم الله"....................................... البخاري/٣٨٣,٣٨٧

"إنه ليُغان على قلبي"... مسلم/٤٧٥

"أعوذ بكلمات الله التامات"... أحمد/٤٩٦

"أمتي كالغيث".. الترمذي وأحمد/٣٤٢، ٣٤٤

"أما علمت أن عبدي فلاناً مرض".. مسلم/١٧٤

"إني على علم من علم الله"....................................... البخاري/٣٠١,٣٠٥

"إني أراكم من وراء ظهري".. البخاري وأحمد/٢٧٦
"أي الناس أعجب إيمانًا"... الحاكم/٣٤٥
"أيها الناس توبوا إلى ربكم".. النسائي وابن ماجه/٣٧١
"أيها الناس: اتهموا أنفسكم"... متفق عليه/١٠٤
"أيها الناس، أربعوا على أنفسكم"...................................... البخاري/١٨٤
"ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه"...................... متفق عليه/٢٣٦، ٥٠٩
"حُبّب إليّ من دنياكم الطيب والنساء"................................... النسائي/١٩١
"خير أمتي أولها وآخرها"... أحمد/٣٤٥
"خير القرون القرن الذي بعثت فيهم"...................................... متفق عليه/٣٤٢
"ذاق طعمَ الإيمان".. مسلم/٢٣٧، ٥١٠
"ذاك إبراهيم عليه السلام".. مسلم/٣٤٧
"رأى مُحَمَّد ربه بفؤاده مرتين" مسلم/٢٢٥
"الرؤيا ثلاثة"...مسلم والترمذي/١١٣
"زيّنوا القرآن بأصواتكم"... أبو داود وأحمد/٢٠٨
"صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً"...................................... البخاري/٣٩٨، ٤٠٢
"صليت مع النبي ﷺ ذات ليلةٍ"................................ مسلم/٤٦٠
"الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر"................................... الترمذي/٤٨٥
"طال شوق الأبرار إلى لقائي".. لا أصل له/٢٦٦
"عليكم بالجماعة".. أبو داود والنسائي/٥٠٣
"فمن رغب عن سنتي فليس مني"... متفق عليه/٦١٩
"قد كان في الأمم قبلكم محدثون"..................................... متفق عليه/٣٣٤، ٣٣٥
"قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا"... مسلم/٤٢١
"كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك".. البخاري/١٧٦

"كل مولود يولد على الفطرة ".. البخاري/٧٣

"لا نبي بعدي".. متفق عليه/٢٨٤، ٣٣٠

"للعامل منهم أجر خمسين منكم"............................ أبو داود والترمذي/٣٤٢، ٣٤٤

"لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود"............................ متفق عليه/٢٦١

"لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام".. متفق عليه/٤٨٤

"اللهم اجعل في قلبي نورًا".. متفق عليه/٣١٤

"اللهم صل على آل أبي أوفى".. متفق عليه/٢٦١

"لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب"............................ الترمذي/١٠٢، ٣٣٤

"ما سبقكم أبو بكر بفضل صلاة ولا صيام"................................ مسلم/١٤٣

"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات"................................ مسلم/٣٥٣

"ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين"................ أبو داود والنسائي/٢٩٩، ٣٠١

"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم".. مسلم/٣١٦

"المجاهد من جاهد نفسه لله".. الترمذي/٥٢٨

"مروه فليجلس، وليستظل، وليتكلم، وليتم صومه"........................ ابن خزيمة/٤٨٩

"مرضت فلم تعدني".. مسلم/١٣٧

"من أحب لله، وأبغض لله".. أبو داود/١٤٦

"المتحابون في جلالي لهم منابر من نور"................................ الترمذي/٣٢٤

"المجاهد من جاهد نفسه" الترمذي/٤٨١

"من تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعاً"................................ متفق عليه/١٧٧

"من رآني في المنام فقد رآني حقاً".. متفق عليه/٨٨

"من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة"................................ البخاري/٣١٣

"من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ"................................ متفق عليه/٤٧٨

"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"...................... متفق عليه/٤٨٩

"نعم صومعة الرجل بيته" .... ابن أبي شيبة/٥٠٣

"هذا الدين يسر".. البخاري/٤٨٨

"واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت"............................ متفق عليه/٣٢٩

"والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم"...................................... متفق عليه/٣٤٣

"والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً"..................................... البخاري/٣٢٤

"ورجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله"................................... مسلم/٥٠٣

"ورجل معتزل في شعب من الشعاب"...................................... مسلم/٥٠٢

"وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة"...................................... البخاري/٣٠٦

"يا ابن آدم إنما هي أربع".. الطبراني/٥٤٨

"يا رسول الله:إنا كنا في جاهلية وشر"................................... متفق عليه/٥٠٤

"يا عدي اطرح عنك هذا الوثن".. الترمذي/١٠٧

"يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء"..................................... الترمذي/٣٤٥

"يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا"...................................... متفق عليه/٤٨٨

"يغبطهم النبيون والشهداء".. الترمذي/٣٢٨

"يقول الله تبارك وتعالى" الطبراني/٤٩٨

فهرس الآثار

فهرس الآثار

طرف الأثر (ص) **القائل**

اقتربوا من أفواه المطيعين (١٠٣)، (٣٣٥) .... عمر بن الخطاب

الإيمان قول وعمل (١٩٧) .... أبو زرعة وأبو حاتم الرازيين

إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء (٢٣٥)، (٣٥٤) .... الشافعي

إذا رأيت الرجل يعمل الطيبات (٣٢١) .... يحيى بن معاذ

إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى (٢١٦) .... عبد الله بن المبارك

قول الأئمة المأخوذ به (٢٢٣) .... قتيبة بن سعيد

كنا نتحدث أن عمر (١٠٣)، (٣٣٥) .... قيس بن طارق

لا يصلى خلف الجهمي (٢٢٣) .... سفيان بن عيينة

ما نزل بالناس أمر قط (١٠٢) .... عبد الله بن عمر

ما كنا نبعد أن السكينة (١٠٣) .... علي بن أبي طالب

ما سمعت عمر لشيء قط (١٠٣) .... عبد الله بن عمر

من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق (٢٣٤) .... مكحول

من زعم أن القرآن مخلوق (٢٠٧) .... وكيع بن الجراح

من شبه الله بخلقه فقد كفر (١٩٠) .... نعيم بن حماد

فهرس الأعلام

"فهرس الأعلام"

الاسم الصفحة

حرف: (الألف)

الإمام أحمد بن حنبل .... ١، ١٤٤، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٥

ابن أفلاطون ٤٤

إبراهيم الخليل عليه السلام .... ٧٨، ٢٥١، ٣١٨

الأزهري ٤٦٣

إسماعيل عليه السلام ٢٣٣

إسحاق ابن راهويه ٢٠٧

إبراهيم الجعبري .... ٢١٨، ٢١٩

إبراهيم هلال ٤٢

ابن الأنباري، تاج الدين .... ٢١٨، ٢١٩

إسماعيل الكوراني ٢١٩

الإسكندر ٥١

الأشقر، عمر بن سليمان ٢٨٩

أحمد البدوي ٣١٩

أحمد المارديني ٢٧٣

أحمد بن فارس، أبو الحسين ٩٦

أحمد التيجاني ٤٢٨

أحمد دقينش ٦

أحمد الرفاعي ٣١٩

أحمد بن مُحَمَّد بناني ٨

إبراهيم الدسوقي ٣١٩

إبراهيم الخراساني ٣٥٦

إدريس عليه السلام ٤٠٥

آدم عليه السلام ٣١٨

إحسان إلهي ظهير ....٣٦ ، ٤١٧

ابن أبي جاهور ٤٩

أم صدر الدين القونوي ٦٤

الأنباري، تاج الدين .... ٢٧٣، ٢٧٤

الأوزاعي ٢٢٢

أسود بن سالم ٢٢٤

أسمهان شلبي ٦

ابن إسرائيل ٣١٦

ابن الأعرابي ٤٦٤

الأصبهاني، أبو نعيم ٦٠٣

ابن الأثير ٦٠٩

حرف: (الباء)

البزّار ٢

بدران الخليلي ٦

البكري الشافعي، نور الدين ٥١

أبو بكر بن العربي ٤٣

البغوي ٤١٠

الإمام البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل ٤٨٢

أبو بكر الصديق ١٠٣

البازيلي، شرف الدين ٢١٩

البربهاري ٣٧٠

البسطامي، أبو اليزيد .... ٣٦، ٣٧٧، ٤٧٤

بلاثيوس .... ٣٥، ٣٨

ابن بطة ١٥٧

ابن بدران ٤٠٦

ابن بطّال ٤٨٣

بطليموس ٣٤٦

بقراط ٣٤٦

حرف: (التاء)

التلمساني، سليمان بن علي .... ١٤٠، ١٤٢، ١٦٤، ١٧٥، ٢١٧، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٧٢، ٣١٧، ٣٤٧

الترمذي .... ٩٢، ٩٦، ٣٢٢، ٣٣٥

ابن توركاه الأصفهاني ٤٢

حرف: (الثاء)

الثعلبي ١٦٠

ثعلب ٥٩٣

حرف: (الجيم)

جمال المرزوقي ٩

الجنيد بن مُحَمَّد .... ٤٦٤، ٤٦٨، ٢٩٣

ابن جماعة، بدر الدين .... ٥٦، ٦٦، ٦٨٠

ابن الجوزي .... ١٦٠، ٣٥٦، ٤٦٩

ابن جرير الطبري ٢٢٣

الجمال بن عبد الخالق ٦٧

الجرجاني ٤٥٩

الجوهري ١١٦

الجيلي .... ٣٧، ٤٢

جولد تسيهر ٣٥

جعفر بن سليمان ١٩٤

ابن أبي جاهور ٤٢

حرف: (الحاء)

ابن حزم، أبو مُحَمَّد ٧٦

ابن أبي حاتم ١٥٢

أبو حاتم الرازي ٢٤٦

حرب بن إسماعيل الكرماني ٢٠٧

ابن الحكيم، نجم الدين ٢١٥

الحسن البصري ٥١٠

الحلاج، الحسين بن منصور .... ٣٤، ٦٠، ٢٩٤، ٣٧٧

الحكيم الترمذي، مُحَمَّد بن علي .... ٣٦، ٤٢٤، ٤٢٨، ٥٠٧

حذيفة ٣٤٤

أبو حنيفة ٣٥٠

أبو حيان الأندلسي ٣٥١

ابن حيون ٥٣

ابن حمويه، سعد الدين ٥٠٧

الحاكم ١٥٢

الحريري ٢٥٢

ابن حجر العسقلاني ٣٥٧

حافظ الحكمي ٣٨٢

حرف: (الخاء)

الخضر .... ٦٣، ٢٢٧، ٢٩٨، ٣٨٣، ٣٩٦، ٦٤٦

ابن خلدون، عبد الرحمن أحمد بن مُحَّد .... ٤٠، ٦٦، ٤٥٢

جبريل عليه السلام ٧١

الخسروشاهي ٢١٨

الخزّار، أبو سعيد ١٦٩

ابن الخفيف ٤٥٣

حرف: (الدال)

ابن دقيق العيد .... ٣٨، ٢١٨

دغش بن شبيب العجمي ٧

أبو الدرداء ٣٠٥

أم الدرداء ٣٠٥

حرف: (الذال)

الذهبي، شمس الدين .... ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣٧

حرف: (الراء)

الراغب الأصفهاني .... ٣٠٨، ١١٦، ٢٨٤

الرازي ٤٠

ابن رشد ٥٢

الرومي ٣٧

ابن رجب الحنبلي ٤٧٩

الربيع ابن خثيم ٣٤٨

رويم بن أحمد ٤٦٨

حرف: (الزاي)

زين الدين ابن مخلوف ٢٤

أبو زرعة الرازي .... ٥٧، ٢٤٦

ابن الزكي، القاضي محي الدين ٦٧

الزرقاني، مُحَمَّد بن عبد الباقي ٢٨٥

حرف: (السين)

سعد أفندي ٦

سهيلة الترجمان ٦

السهروردي، أبو حفص شهاب الدين .... ٣٥، ٣٧، ٤٦، ٥٤، ٥٥، ٦٠

سهل بن عبد الله التستري.. ٢٣٧، ٢٧٩، ٢٩٤، ٥١٠

ابن سبعين .... ١٣٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٦٤، ٢١٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٩، ٢٨٤، ٣٢٤، ٤٥٣، ٣٤٧

ابن سينا ٣٠٧

السبكي، تاج الدين ٤٦

سلمان الفارسي ٦٠

السدي ١٧٦

السعودي ٦

سعاد الحكيم ٤٠

السيد عارف ٦

سعيد الفرغاني .... ١٤٠، ١٦٤

السامري .... ٣٦٣، ٢٦٢، ٣٨٢

سيبويه ٣٤٦

السيستاني ١٧١

سفيان الثوري ٢٢٢

سفيان بن عيينة ٢٢٣

سعد الدين ابن حمويه ٣٠٦

سليمان بن داود الهاشمي ٢٠٠

سليمان الداراني ٤٢٣

السلمي، أبو عبد الرحمن ٦٠٣

حرف: (الشين)

شعيب بن الحسين، أبو مدين ٥٣

الشيرازي ١٧٥

الشاطبي .... ٣٦١، ٤٣٩

الششتري .... ١٤٠، ١٦٤، ٢٤٧، ٢٥٢

الشافعي، نجم الدين البالسي ١٣٥

شعيب عليه السلام ٢٣٤

الشوكاني، مُحَمَّد بن علي ٣٩٤

الإمام الشافعي، مُحَمَّد بن إدريس .... ٢٠٠، ٢٢٤، ٢٣٥، ٣٥٠

الشاذلي، أبو العباس ٢١٧

الشعراني ٣٣٦

حرف: (الصاد)

أبو صالح .... ١٥٤، ١٩٧

الصادق مُحَمَّد إبراهيم ٤٢

حرف: (الطاء)

طارق بن شهاب ٩٢

الطحاوي ٣٩٢

أبو طالب المكي، محمد بن علي ٤٧٠

الطوسي، عبد الله بن علي أبو نصر ٤٠٣

حرف: (العين)

عادل العليّان ٩

عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، شهاب الدين ٢١

عبد السلام بن تيمية، مجد الدين أبو البركات ٢١

عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية، شرف الدين ٢٢

عبد الرحمن بن عبد الحليم بن تيمية، زين الدين ٢٢

عبد الرحمن المحمود ٣١

العز بن عبد السلام .... ٥٥، ٥٦

علي بن عبد الله ٥٤

عبد الحي العكري الحنبلي ٤٣

عبد الرحمن بن مهدي ١٩٤

عبد الرحمن بن سعدي .... ١٧٣، ٣٥٤، ٣٦٩

عطاء بن رباح ١٧٦

ابن عجلان ٧٣

عبد الرزاق الكاشاني ٥٩

عبد الله البلياني .... ١٤٠، ١٦٤، ٢٥٢

عبد الله ابن المبارك ٢١٦

عبد الوهاب الورّاق ٢٢٢

أبو عمر الطلمنكي ١٥٩

أبو العلا عفيفي .... ٥٧، ٤٠

ابن العفيف ٤١

عبد العزيز ابن الماجشون ١٩٥

عبد الرحمن بن أحمد الجامي ٣٧

ابن عجيبة ٢٩٢

عبد القادر الجيلاني ٤٩٧

ابن عباس ٣٣٢

عقبة ابن عامر ١٠٢

عبد الله الغصن ٢٩

عبد الكريم هوازن القشيري ٤٧١

علي بن مُحَمَّد الجرجاني ٩٥

عمر ابن الخطاب .... ١٠٣، ١٠٤. ١٠٥

عمران بن الحصين ٣٤٣

ابن عطاء الله السكندري ٣٦

ابن أبي العز الحنفي.....................................٣٣٩، ٣٩٢

عكرمة ١٧٦

عامر البصري .... ٣١٦، ٣٥٢

عبد القادر الجيلاني .... ٤٠٣، ٣١٩

علي الخوّاص ٤٢٧

عديّ ابن حاتم ١٠٧

العيني، بدر الدين محمود بن أحمد ٤٨٣

العراقيّ، عبد الرحيم بن الحسين زين الدين ١٤١

حرف: (الغين)

الغصن، عبد الله.....................................٢٨

غالب العواجي ٣٥

الغزالي ٤٨٢

حرف: (الفاء)

فرعون .... ٥، ١٦٤، ١٧٦، ٢٤٤، ٢٤٩، ٣٢٠، ٣٢١

الفاسي، تقي الدين .... ٤٩، ٥٦، ٧٦

ابن فارس .... ١١٥، ٣٠٨، ٣٥٣

ابن الفارض، عمر بن عليّ .... ٣٧، ٤٠، ٤١، ١٤٠، ١٤٢،
١٦٤، ٢١٩، ٢٤٧، ٢٥١، ٤٥٣

الفراء ٢٨٤

الفارابي ٣٥٩

حرف: (القاف)

ابن القيم .... ٢٤، ٩٦، ٩٧، ٢٣٤، ١٦٧، ٣٨٨، ٤٧٨

قيس عيلان ٢٢

القعقاع ابن حكيم ٧٣

القرطبي ٢٨٩

قيس بن طارق ١٠٣

القونوي، صدر الدين .... ٤٩، ١٧١، ٢٤٢، ٣١٠، ٣١٦، ٣٥٢،
٤٢، ١٤٠، ١٦٤، ٣٤٧، ٢٥٢، ٣١٧

القاشاني ٧٠

قتيبة بن سعيد ٢٢٣

القاسم ابن سلام، أبو عبيد .... ٢٢٣، ٤٦٣

القشيري، عبد الكريم بن هوازن ٣٩٨

ابن قدامة المقدسي ٤٠٦

ابن قضيب البان، عبد القادر بن مُحَمَّد ٤٣٨

حرف: (الكاف)

ابن كثير .... ٢٥، ٢٧

ابن الكمال ٦

كرم أمين سليم ٦

ابن كيسان ١٧٦

الكلاباذي، أحمد بن مُحَمَّد أبو نصر .... ٤٠٣، ٤٨١

حرف: (اللام)

اللالكائي، أبو القاسم .... ١٥٧، ١٩٠، ٣٦٨

الليث بن سعد ٢٢٢

حرف: (الميم)

مُحَمَّد بن خالد الحراني، بدر الدين أبو القاسم ٢٢

مُحَمَّد بن عبد الوهاب ٢١١

مُحَمَّد بن طاهر المقدسي ٤٧١

مُحَمَّد بن إسحاق القونوي ٤٦

مُحَمَّد بن أحمد، ابن عبد الهادي .... ٢٣، ٢٤

مُحَمَّد بن عبد الله، لسان الدين ابن الخطيب ٣٧

مالك بن أنس .... ٢٢٢، ٢٢٤

مسيلمة ٤٨

مجاهد ١٧٦

مقاتل ١٧٦

ابن المعلم، رشيد الدين ٢١٨

المراغي، كمال الدين ٢١٧

المزّي، شهاب الدين ٢١٩

مُحَمَّد ابن مكرم، ابن منظور .... ٩٥، ٤٥٦، ٤٥٩

مُحَمَّد رشيد رضا ٢٩٩

مُحَمَّد عبد التوّاب ٦

مُحَمَّد عبده ٢٩٩

مبشر بن فاتك ٣٥٩

ابن مسعود .... ٣٤٣، ٣٤٤

المرتضى الزبيدي ٤٥١

المأمون ٤٣

ابن مخلوف، قاضي المالكية ٢٨

المرسي، أبو العباس ١٠٢

الإمام مالك .... ٢٧٩، ٢٨٢

مُحَمَّد الحضري ٤٢٧

مُحَمَّد عثمان الميرغني ٤٢٨

المناوي ٤٥٩

حرف: (النون)

ابن النحاس، عماد الدين ٦٨

النفري ٣٤٧

النجم الإسرائيلي ٤٥٣

نصر المنبجي ٢٨

نور الدين البكري الشافعي ٥٩

نعيم بن حماد ١٩٠

نجيب بلادي ٤١

أبو نعيم الأصفهاني ٤٧١

أبو نصر السرّاج ٤٧٠

ذا النون المصري ٣٦

حرف: (الهاء)

الهاشمي، سليمان بن داود ٢٤٩

الهروي ٤٥٢

أبو هريرة .... ١٢٢، ٧٣، ٩٢، ٣١٠

ابن هشام النحوي ٥٦

الهمداني ٥٦

هنري كوربان ٤٣٩

ابن هود ٢٧٢

حرف: (الواو)

وكيع بن الجراح ٢٠٧

الوليد بن مسلم ٢٢٢

حرف: (الياء)

ياقوت الحموي .... ٤٤، ٤٥

يحيى بن معاذ الرازي ٣٢١

يوسف عليه السلام ٣١٨

يونس عليه السلام ١٥٢

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة

"فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة"

المصطلح رقم الصفحة

حرف (الألف)

الأخلاق الرواقية ٣٨

الإنسان الكامل .... ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٣٧

إنسان العين ٥٦

الأبدال .... ٤٤١، ٤٥٣، ٣٢٠

الأبدال الأربعين ٤٥٤

الأوتاد .... ٤٤١، ٤٥٢، ٣٢٠

الأوتاد الأربعة ٤٥٤

الأقطاب السبعة ٤٥٤

الأنانة ٤١٨

الأفلاطونية الحديثة ٣٦

الإتحاد .... ١٢٣، ١١٦، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١،
١٣٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٦٤، ٤٥٠، ٢١٩، ٢٧٨

الإتحاد المطلق ٣١

الإتحاد العام .... ٣٨، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٧

الإتحاد الخاص .... ١٢٠، ١٢٦، ١٣٧، ٢٨٠

الإتحاد السائغ ١٤٦

الإتحاد الأقنومي ٣٨

الأساس الناطق .... ٤٥٥، ٣٢٢

الإشراق الإلهي ٤٥٨

الإلحاد .... ١٨٠، ١٨١، ٤٥٠، ٢٣٩، ٣٠٠، ١٩٥

الأمور الوجودية .... ١٧٠، ١٩٠، ١٩١

الأمور العدمية ١٧٢

الأكليروس ٤٩٤

حرف: (الباء)

البدلاء .... ٤٥٢، ٣٢١

البابا .... ٣٢٢، ٤٩٣

حرف: (التاء)

التصفية ٤٥٨

التجلي ١٤٤

التناسخ ٣٤

التجسيد ٣٨

التجارب الذوقية ٣٥

التخلية .... ٤٧٤، ٤٩١، ٥٠٠

التحلية ٤٧٤

التثليث .... ٣٨، ٣٩، ٤٠

التعطيل .... ١١٦، ٢٢٨

التعدد والتميز ١٣٠

التفريغ ٥٠٠

التأثير ٢٨٣

التالي .... ٤٥٥، ٣٢٢

التمكين ٤٧٤

التلوين ٤٧٤

حرف: (الجيم)

جدعاء ٧٤

حرف: (الحاء)

الحد ٤٥٥

الحلول .... ١٢٣، ١٢٦، ١١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٤٣، ١٦٤، ٤٥٠، ٢٧٨

الحلول العام .... ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ٢٨٠

الحلول المطلق العام ٢٥١

الحلول الخاص ١٢٦

الحلول الجواري ١٢٤

الحلول السرياني ١٢٤

الحدس الصائب ٢٨٣

حكيم الوقت .... ٤١٧، ٤٣٦

الحقيقة المحمدية .... ٤١٧، ٤٢٠

الحقيقة الإنسانية ٤٢٠

الحضرة الصمديّة ٤٥٨

حرف: (الخاء)

الخلوة .... ٤٩٢، ١٧٥

حرف: (الدّال)

الدليل ٤٩٣

الدور القبلي ١٦٥

دهر الدهور ٤٣٦

حرف: (الذال)

الذوق .... ٥٣، ٥٤

الذوقية ٤٢

الذات الأحدية ٤٢٧

حرف: (الراء)

رأس العارفين ٤٥٣

الرجعة ٣٤

الرجبية ٣٢٢

حرف: (الزاي)

الزندقة .... ٣٧، ٢٢٨، ٢٥٦، ٣٠

حرف: (السين)

سر سلمان الفارسي ٥١

السيميا .... ٢٤٩، ٢٨٤

السحر السيميائي ٢٨٤

السوفسطائية ١٨٩

السفسطة ١٨٩

السابق .... ٤٥٥، ٣٢٢

حرف: (الشين)

الشمّاس ٢٢٢

حرف: (الصاد)

صاحب الوقت ٤٣٦

صاحب الزمان ٤٤١

الصفات السلبية ١٢٠

حرف: (الضاء)

الضدين ٢٢٠

حرف: (العين)

العلّة ١٨٦

العصائب ٣٢١

العدم المحض ١٢٢

العقل الفعّال .... ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٥، ٢٨٣

عين الزمان ٤٣٦

حرف: (الغين)

الغوث .... ٤٣٧، ٤٤١، ٤٥٤

حرف: (الفاء)

الفكرة الجسمية ٣٨

الفيض الإلهي ٤٥٨

الفناء .... ٤٠٣، ٤٠٤

الفناء المطلق ٤٥٨

حرف: (القاف)

القديم الأزلي ١٦٥

القطب الغوث ٣١٩

القطب الغوث الفرد الجامع ٤٤٢

القطب .... ٤١٧، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٥٢، ٤٥٣

القرمطة ٢٢٨

القرامطة الباطنية ٣٠٢

القطبية .... ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٢

القطبية الكبرى ٤٣٥

قطب المتوكلين ٤٣٧

قطب العالم الإنساني ٤٣٧
القوة القدسية ٢٨٣
القوة العلية ٤٣٦
القطبانية ٤٤٢

حرف: (الكاف)

الكشف ١٤٤

حرف: (اللام)

اللاهوت .... ٢٨٠، ١٢٦، ١٦٤

حرف: (الميم)

المسفسط ٣٢
المقرمط ٣٢
الميتافيزيقا ٤٥
المغايرة ١٨٩
المحالات ٢٣٠
المحارات ٢٣٠
المعارف اللدنية ٢٩٩
المبشرات .... ٦٥، ٨٦
المذهب الإشراقي ٤٥٨
المصطلح الأفلاطوني ٣٦
المطلق بشرط الإطلاق .... ١٢١، ١٢٢
المبشرات ٤٤٩
المشاهدة اللدنية ٣٥٨
المفردون ٣٣٢

المعلول ١٨٦

حرف: (النون)

نظرية الخلق ٣٨

النظرية الأفلاطونية ٤٥

النظرية الفلسفية الباطنية ١٢٩

الناطق .... ٤٥٥، ٣٢٢

النجباء .... ٤٥٢، ٣٢٠

النقباء .... ٤٥٢، ٤٥٣، ١٢١

النيرفانا .... ٤٤، ٤٠٤

الناسوت .... ١٢٦، ١٦٤

النسب العدمية ١٧٠

النفس الفلكية ٢٨٣

نقطة الدائرة .... ٤٣١، ٤٣٢

نطة القطب ٤٣٣

حرف: (الهاء)

الهو ٤١٨

الهرمسية ٤١

حرف: (الواو)

الوجود المطلق .... ١١٥، ١٥٢

واجب الوجود ١٧٩

الواجب بنفسه ١٨٩

الوجوب الذاتي ١٧٩

الوحدة ٢٧٨

الوحدة المطلقة ١٤٦

وحدة الوجود .... ٣، ٣١، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ١٢٣، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٦٤، ٤٠٤، ٤١٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٣، ١٤٠، ١٤٦، ١٦٤

فهرس الأماكن والبلدان

"فهرس الأماكن والبلدان"

المكان رقم الصفحة

إشبيلية .... ٤٠، ٥٢
أفريقيا ٥٣
الإسكندرية .... ٢٧، ٢٨، ٣٦، ٥٤
بلاد المغرب ٥٢
بلاد ما وراء النهر ٣٧
أسيا الصغرى ٥٤
الأندلس .... ٤١، ٥٢، ٥٣
بغداد ٥٤
تونس .... ٤١، ٥٣
ترمذ ٣٦
تلمسان ٤١
جبل قاسيون ٦٧
حرّان .... ٢١، ٢٢، ٤٤
دمشق .... ٢٢، ٢٨، ٢٩، ٦٧، ٨٦، ٢٧٩، ٤٢٩
سبتية ٥٢
الصالحية ٦٧
غرناطة .... ٣٧، ٤١
فاس .... ٤١، ٥٣
القلعة ٢٩
قونية ٥٤
قرطبة ٥٢

القاهرة .... ٢٨، ٥٤

الموصل ٥٤

مصر ٥٤

مرسية ٥٢

المدرسة المنصورية ٣٦

المشرق ٥٣

مكة .... ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٤٥٤

هراة ٣٧

الهند ١٣٦

فهرس الفرق والطوائف

"فهرس الفرق والطوائف"

الفرقة أو الطائفة رقم الصفحة

حرف: (الألف)

أهل الكتاب .... ١٤٢، ١٥٢
الإباحية المنحلين ٤٩٧
أرباب الكلام والحروف ٧١
أرباب العمل والصوت ٧١
أهل السلوك ٢٥٣
أهل الإسلام ٧٤
أهل الرياضة ٢١٥
أهل الرياضة والصفاء .... ٧٦، ٢٨٤
أهل السلوك .... ٤٧٣، ٤٩٢
الأولياء .... ٧٨، ٨٤، ١٠٤
أهل السفسطة ٢٢٩
أهل التحقيق والتوحيد ٢٥١
أئمة السنة .... ٧١، ١٦٠
أئمة أهل البيت ١٢٦
أشباه المتكلمة ٧٢
أهل المعرفة ١٢٧
أهل التصوف والسلوك .... ١١٦، ١٦٨
أهل الإلحاد والاتحاد العام ١٢٠
أهل الإلحاد والإتحاد الخاص ١٢٠
أهل الإتحاد الخاص ١٢٠

أهل الإتحاد المطلق ١٢٠

أهل الإتحاد المعين ١٢٠

أهل التجهم والوحدة ١٦٢

أهل الحق والإتباع ٨٠

الاتحادية .... ٣٠، ١٣٧، ١٢٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٦٣، ٢٧٥، ٣١١، ٣١٥، ٤١٥، ٤٩٥

الإسماعيلية .... ٣٤٧، ٤٥٤، ٤٥٥

الإسماعيلية المتأخرين .... ٤١، ٤٥٣

الإسماعيلية الباطنية ٤٢٧

أهل البدع والضلال ٧٤

أهل السنة والجماعة .... ١٥٧، ١٦٧، ١٧٨، ١٨٣، ٢٢٠، ٢٩١، ٣٦٠، ٣٧٤، ٣٨٥، ٤٢٢، ٤٢٦

أهل السنة .... ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٤، ٣٧٠، ٣٩٣

أهل التوحيد والتحقيق ١٤٨

أهل النسك والعبادة .... ٢٤١، ٣٠٣

أهل الكلام والفلسفة ٢٤١

أهل وحدة الوجود .... ١٢٨، ٢٠٩، ٣٢٥

أهل الحلول ٢٤٧

أهل الطريق ٤٥٢

أهل المعاذير ٣٧٤

أهل الإلحاد .... ٤٦، ١٤٠، ١٤٢، ١٦٤

أهل الإتحاد ٢٤٧

أهل الإتحاد والوحدة ٣١٧

أهل الإستقامة ٢٤٩

أهل الحلول والوحدة والإتحاد ٤٦

أهل الوحدة والإتحاد .... ٢٠٦، ٢١٤

أهل العلم ٢٩١

أهل النحو ٣٤٩

أهل العلم والإيمان ١٤٣

أهل الصفوة ٣٠٥

أهل الحساب ٣٤٦

الأحمدية .... ٣٢٥، ٤٢٦

الإدريسية ١٦٨

أهل التثليث ٣٩

أهل الوحدة .... ١٤٦، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٨، ٢٠١، ٢١٢، ٢٤٧، ٢١٦، ٤٩٨

أهل المشرق ٥١

حرف: (الباء)

البوذيّة ٤٠٤

الباطنيّة .... ٣٤٧، ٢٤١، ٤٩، ٤١١

حرف: (الجيم)

الجهمية .... ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٦، ٢٤٨، ١٤٢، ١٨٧، ١٢٠

الجهلة المخرّفين ١١٣

الجهمية المعطلة النفاة ٢١٢

الجهمية الإتحادية ٢١٣

الجزاميين ٣٦

الجهمية الحلوليّة ٢٠٤

حرف: (الحاء)

الحلوليّة .... ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٦٣، ١٢٠، ١٢٧، ١٣٢

الحلول المطلق ١٢٠

حلولية الجهمية ٢٢٦

الحلاجيّة ١٢٠

حرف: (الخاء)

خولان ٧٥

حرف: (الدّال)

الدهرية الطبيعيين .... ٢٨٦، ٣٣٠، ١١٦

الدهرية الإلهيين .... ٢٨٦، ٣٣٠، ١١٦

حرف: (الراء)

الرافضة .... ٢٤٩، ٤١، ٤٣، ٤٤٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٩٧، ١١٧

حرف: (الزاي)

الزنادقة ٢٥٦

حرف: (السين)

السبعينية .... ٢٨، ٣٧

السعدية ٣٢٥

سادات الأولياء ١٠٥

السوفسطائيين ٤١٥

السودان ١٢٦

حرف: (الشين)

الشيوخ ١٣٣

الشيعة .... ٣٠٣، ٣١٣، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٠، ٤١، ٤٣

حرف: (الصاد)

الصالحين ٧٨

الصحابة .... ٨٧، ١٠٥

الصوفية .... ٣٠٢، ٣٠٣، ٣١٣، ٣١٥، ٥٩، ١١٠، ٤٦١، ٤٦١،
٣٣، ٤١ ، ٣٥٦، ٣٥٧، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٩، ٤٢٦، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٧٣

الصفاتية .... ١٦٢، ١٩٥

الصابئة .... ١٥٣، ١٤٢

حرف: (الطاء)

طي ٧٥

الطبائعيين ٣٤٦

حرف: (العين)

العلماء ٧٦

العدوية ٢٨

العدوية الحاكمية ١٢٠

علماء الحديث ١٢٧

عباد الأوثان .... ١٤٢، ١٥٢

عبدة الأوثان والأصنام .... ١٣٤، ٢٤٥

عبّاد الأصنام .... ٣ ، ١٣٣، ٤٠٥، ١٣٣، ٢٥٢

حرف: (الغين)

غالية الرافضة .... ١٢٠، ٣٢٥، ١٢٦

غالية جهال المتعبدة ١٢٠

غالية النساك ١٢٦

غلاة الصوفية .... ١٤٠، ٣٢٢، ٣٣٦، ٢١٢، ١٤٠

الغنوصية ٤٣

غلاة الجهمية ٢٠٤

حرف: (الفاء)

الفلاسفة .... ٢١٢ ،٢١٨ ،٢٨٣ ، ٢٨٤، ٢٨٥، ١٦١، ٤١١، ٣٧

الفقهاء .... ٧٦، ٣٧

الفراعنة ٣٠٤

حرف: (الميم)

المتكلمة .... ٧٢، ٤٩٧

مشركي قريش ١٧٥

متعبدة الجهمية ١٢٧

المشركين .... ٢٤٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٧٣، ٩٢، ٤٤٨

المعتزلة .... ١١٧، ٢٠٦، ٤٩٧

المستشرقين .... ٣٨، ١٣٣، ٤٤، ٤٥، ٦٠

المبتدعة ٤

المسيحية ٤٠

المنجمين ٣٤

المعطلة النفاة ١٩٥

متكلمة أهل الإثبات ١١٧

المتصوفة .... ٢١٢، ٢١٥، ، ٤٢٢، ٨٦، ٧٢، ٤٢٩، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٩١

المتصوفين ٣٧

المتصوفة المتكلمين .... ٤١، ٤٥٢

المتصوفة المتأخرين ٤٠

متفلسفي الصوفية ٤٣

المتفلسفة .... ٢١٢، ٢١٥

المتفلسفة الدهرية ٢٠٩

المفسرين ١٦٠

المتكلمين ٤٩

متكلمي الجهمية ١٢٠

المنطقيين اليونانيين ١٥٤

الملاحدة .... ٢١٠، ٢٣٠، ٣١١، ١٥٥، ١٢١،
١٢٧، ١٣٢، ٧٦، ٤٠٥، ٣١٥

الملاحدة القرامطة.. ١٦١

ملاحدة الإتحادية ٩٨

المجوس .... ٢٤٢، ١٥٣، ٤٤٨، ٥٠٧

المشبّهة .... ١٩٠، ١٩٥

مشايخ الصوفية ٣٧

المشبّهة الحلولية ٢٠٤

المتفقهة ٤٩٧

حرف: (النون)

النسطورية ١٢٦

النصارى .... ١٢٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٤٢، ٢٤٨،
٢٤٩، ٢٦٣، ٢٧٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٤، ١٤٢، ١٧٣، ١٧٥، ٤٠٥، ٤٢٨، ٤٤٨، ٧٨

النصرانية .... ٣٨، ٣٩

نفاة الجهمية ٢٢٦

النصيرية .... ٢٤٨، ٤٥٤، ٤٥٥

حرف: (الهاء)

الهرامسة ٤٢

الهنود ٣٠٨

حرف: (الياء)

اليهودية ٣٨

اليهود .... ٢١٥، ٢١٦، ٢٤٨، ١٢٧، ١٤٢، ١٧٣، ١٧٥، ٧٨، ٤٠٥، ٤٢٨، ٤٤٨

اليونسية .... ١٢٠، ٣٢٥ ، ٤٢٦

يعقوبية النصارى ١٢٦

اليونانيين ٣٠٨

فهرس الأبيات الشعرية

"فهرس الأبيات الشعرية"

صدر الأبيات رقم الصفحة

إلي رسولاً كنت مني مرسلاً ٢٥١

إن التصوف تشبيه بخالقنا..٤٦

إن كان منزلتي في الحب عندكم ٢١٩

أصبحت منفعلاً بما يختاره ٤٨٢

ألا كل قول في الوجود كلامه .... ٢٠٢، ٢١٣

أنكروا رقصاً وقالوا حرام ٢١٤

أَنَاةٌ كأَنَّ المِسْكَ تَحْتَ ثِيابِها ٤٧١

بذكر الله تحتجب الذنوب .... ٤٧٥، ٤٩٣

بين الولاية والرسالة برزخ .... ٣٠٥، ٣٢٣

ترك الرضى عند أهل الرسم مثلبة ٣٨٣

توحي بحال أبيها وهو متكيء ٣٦٣

تجسدتُ أسمائي فكنتُ كثيراً ١٥٣

روَضّت فذلت صعبة أيّ إذلال ٤٩٨

الربُّ حقٌّ والعبدُ حقٌّ ....٣١، ١٤١، ٣٦٥

سبحان من لا أرى سواه ١٣٠

ساكن في القلب يعمره ١٤٤

سماء النبوة في برزخ .... ٣٠٥، ٣٢٣

العقل أفقر خلق الله فاعتبروا ٧٢

عجبت لموجود حوى: كل صورة ١٣٠

عقد الخلائق في الإله عقائدا .... ١٣٤، ٢٦٤

فهو الكون كله.. ١١٥، ١٨٠، ٤٢١

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده ....١١٥، ١٣٤، ١٦١

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا .... ١٢٨، ١٧٠

فالحق عين العبد ليس سواه ١٢٩

فما نظرت عيني إلى غير وجهه ١٣٠

فوقتاً يكون العبد رباً بلا شك .... ١٨٠، ١٨٨

فدع الذكر والتسبيح إن كنت عاشقا .... ٤٧٤، ٤٩٣

فليس إلا عينه بالخبر ٢٢٧

فالخلق مجبورٌ ولاسيّما ٣٦٧

فالكل مبتدع في عين موجده ٤٤٥

فأنا أعبد حقاً ٣٦٤

فياليت شعري كيف ناب بذاته ١٨٧

كيف التوكل والأعيان ليس سوى ٢٤٧

الله أنشأ من طيّ وخولان ٧٥

لا تراقب فليس في الكون إلّا ١٤١

لها صلواتي بالمقام أقيمها .... ٢٥١، ٤٠٨

لقدْ كنتُ قبلَ اليومِ أُنكر صاحبي .... ٢٣٢، ٢٧٠، ٢٧١، ٣٧٨

مشرد عن الوطـن .... ٢٣٧، ٥١١

مثالك في عيني وذكراك في فمي ١٤٤

ما الأمر إلّا نسق واحد ١٥٢

مقام النبوة في برزخ .... ٣٠٥، ٣٢٥، ٣٣٩، ٤٧٢

من ستر الحق و لم يفشه .... ٢٢٧، ٣٨٥

من صورة الحق لنا من ولايته ٣٢٣

نسبوني إلى ابن حزم وإني ٧٦

هل ظاهر الشرع وعلم الباطن ٢٩٨

هذا الذي بضلاله ٥٧

وما زلت إياها وإياي لم تزل ٢٥١

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى ٢٦٨

وكل كلام في الوجود كلامه .... ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤

وما البحر إلّا الموج لا شيء .... ٣١٧، ٤١٤

يكلّفه القوم ما نابهم ٤٣٤

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم ٥٢٧

ولي من أتم النظرتين إشارة ٥٣٧

والنفس كالطفل: إن تتركه شبّ ٤٦٠

وعبادة الرحمن غاية حبه .... ٢٣٤، ٤٦٦

ومن طلب الطريق بلا دليل ٤٩٣

يا من يراني ولا أراه ٥٨

يا من يراني مجرماً ٥٨

يا من أراد منازل الأبدال ٣٢١

يرضى الإله عن النفس التي ربطت ٣٨٣

يكلفه القوم ما نابهم ٤٠٦

ثبت المصادر والمراجع

"ثبت المصادر والمراجع"

١- القرآن الكريم.

حرف: (الألف)

٢- الآحاد والمثاني، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، المتوفى ٢٨٧هـ، ت: باسم الجوابرة، ط الأولى سنة ١٤١١ هـ، دار الراية، الرياض.

٣- الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العُكْبَرِي المعروف بابن بَطَّة العكبري، المتوفى: ٣٨٧هـ، تحقيق: مجموعة محققين، طبعة: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٤- ابن عربي حياته ومذهبه ، آثين بلاسيوس، ترجمه عن الأسبانية : عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م .

٥- ابن عربي حياته ومذهبه، للمستشرق الأسباني آسين بلاثيوس، ترجمه عن الأسبانية عبد الرحمن بدوي، ط. دار القلم بيروت لبنان ١٩٧٩م.

٦- ابن عربي في دراساتي، لأبي العلا عفيفي، طبعة: الكتاب التذكاري، القاهرة.

٧- الاستقامة، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم، ط. الأولى ١٤٠٣ هـ، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، السعودية.

٨- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ط. دار الفكر ببيروت، لبنان.

٩- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، المتوفى ١٣٩٦هـ، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م، دار العلم، بيروت، لبنان.

١٠- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكيمي ، تحقيق حازم القاضي، ط الثانية، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٢هـ.

١١- الإيمان الأوسط، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط. دار طيبة للنشر بالرياض، ط. الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق محمود أبو سن.

حرف (الباء)

١- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيّم الجوزية، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي.

٣- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ط. مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ،تحقيق الدكتور موسى سليمان الدويش.

حرف: (التاء)

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، ط. دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.

٥- تاريخ الفلسفة الإسلامية، لهنري كوربان، ترجمه: نصير مروة وحسن قبيسي، الطبعة الأولى ١٩٦٦م، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.

٦- تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، لمحمد لطفي جمعة، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٢٧م.

٧- تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، لإبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، ت: عبدالرحمن الوكيل، طبعة: عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

٨- التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ت ٧٢٨هـ، ط. الثانية سنة ١٣٩٩ هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

٩- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العِراقي ت ٨٠٦ هـ، ابن السبكى ت ٧٧١ هـ، الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ، ط. الأولى سنة ١٤٠٨هـ ، دار العاصمة، الرياض.

١٠- التدبيرات الإلهية، لأبي بكر مُحَمَّد بن علي بن عربي الطائي، طبعة في نيبرج، بلا تاريخ.

١١- ترجمان الأشواق، لابن عربي الطائي، بيروت طبعة ١٩٦١م.

١٢- التصوف الإسلامى وتاريخه، لأرنولد نيكلسون، ضمن مجموعة مقالات ترجمها وعلق عليها: أبو العلاء عفيفي، طبعة: دار القاهرة، مصر ١٩٤٧م.

١٣- التصوف في الإسلام، لعمر فرّوخ، الطبعة الأولى ١٩٤٧م، بيروت، لبنان.

١٤- التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر مُحَمَّد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي المتوفى ٣٨٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥- التعريفات، لعلي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، ط. دار الكتاب العربي ببيروت، ط.الأولى ١٤٠٥هـ.

١٦- تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ط. دار الفكر، بيروت.

١٧- تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ(تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا، المتوفى ١٣٥٤هـ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٩٠ هـ.

١٨- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت: سامي بن مُحَمَّد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، دار طيبة للنشر والتوزيع.

١٩- تلبيس إبليس، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (المتوفى : ٥٩٧هـ، ط. دار الفكر للطباعة والنشر ببيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٢٠- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، للعلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مع تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، تخريج: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، دار ابن القيم.

٢١- تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي، لإبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، ت: عبدالرحمن الوكيل، طبعة: عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

٢٢- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، ط. دار الفكر ببيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ت: مُحَمَّد رضوان الداية.

٢٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب، طبع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٢م، بيروت، لبنان.

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ت ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط.الأولى سنة ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، الرياض.

٢٥- تيسير مصطلح الحديث، لمحمود الطحان، ط. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

حرف: (الثاء)

٢٦- ثلاث حكماء مسلمين، لسيد حسين نصر، ط. دار النهار للنشر.

حرف: (الجيم)

٢٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لأبي السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري ابن الأثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى ١٩٧٢م، طبعة: مكتبة دار البيان.

٢٨- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر القرطبي، ت: أحمد مُحَمَّد شاكر، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة، الرياض.

٢٩- جامع الرسائل، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ)، ط. دار العطاء بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م، تحقيق مُحَمَّد رشاد سالم.

٣٠- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : ٢٥٦هـ)، ط. دار الشعب القاهرة، ط. الأولى١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

٣١- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط. دار الجيل ببيروت، ودار الأفاق الجديدة ببيروت.

٣٢- الجامع الصحيح سنن الترمذي، لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ط. دار إحياء التراث العربي ببيروت، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية ١٩٦٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٣٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ط.دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، تحقيق الدكتور علي حسن ناصر ،والدكتور عبد العزيز إبراهيم العسكر،والدكتور حمدان مُحَمَّد.

حرف: (الحاء)

٣٥- الحكومة الباطنية، لحسن مُحَمَّد الشرقاوي، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، طبع: المؤسسة الجامعية، القاهرة.

٣٦- حلية الأبدال، لابن عربي الطائي، ط. حيدر آباد، الهند.

حرف: (الخاء)

٣٧- ختم الأولياء، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن علي بن الحسن، الشهير بالحكيم الترمذي، ت: عبد الوارث مُحَمَّد علي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، لبنان.

٣٨- خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء، عرض ونقد على ضوء الكتاب والسنة، للصادق مُحَمَّد بن إبراهيم، رسالة علمية، طبعة: مكتبة الرشد، الرياض.

حرف: (الدال)

٣٩- دراسات في التصوف، لإحسان إلهي ظهير، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، طبعة: إدارة ترجمان السنة، باكستان.

٤٠- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، ط. دار الكتب العلمية ببيروت ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن.

٤١- الدعاء، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى ٣٦٠هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. الأولى ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٢- دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية -عرض ونقد-، لعبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، طبعة: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

٤٣- الديوان، لأبي بكر مُحَمَّد بن علي بن عربي الطائي الأندلسي، طبعة بولاق ١٢٧١هـ، القاهرة، مصر.

حرف: (الذال)

٤٤- ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥هـ، تحقيق: د.عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.

حرف: (الراء)

٤٥- الرد على الجهمية، لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارميّ السجستاني، المتوفى ٢٨٠هـ، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ، دار ابن الأثير، الكويت.

٤٦- الرد الوافر، لمحمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٤٧- رسالة العبودية، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، ط. المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، تحقيق مُحَمَّد زهير الشاويش.

٤٨- الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، المتوفى: ٤٦٥هـ، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، طبعة: دار المعارف، القاهرة.

٤٩- رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي، جمع وترتيب: موسى بن سليمان الدويش، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، طبعة المؤلف.

٥٠- الرسل والرسالات لمحمد سليمان الأشقر، ط. دار السلام للطبع والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة المصرية ٢٠٠١م.

حرف: (السين)

٥١- السنة، لأبي بكر بن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني المتوفى: ٢٨٧هـ، تحقيق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٥٢- سنن الترمذي، لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي (٢٠٩ ، ٢٧٩ هـ)، ط. دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٩٩٨ هـ، تحقيق بشار عواد معروف.

٥٣- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد بن ماجه القزويني (المتوفى : ٢٧٣هـ)، ط. مكتبة أبي المعاطي.

٥٤- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، ط. دار الكتاب العربي ببيروت.

٥٥- سؤال في حديث النزول وجوابه، أو شرح حديث النزول، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، دار العاصمة الرياض.

٥٦- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الذهبي، ت: مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع.

حرف: (الشين)

٥٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بلا تاريخ طباعة.

٥٨- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، للحافظ أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان الغامدي، الطبعة التاسعة ١٤٢٦هـ، دار طيبة، الرياض.

٥٩- شرح حديث النزول، أو سؤال في حديث النزول وجوابه، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الثانية ١٩٩٨م، دار العاصمة الرياض.

٦٠- شرح السنة، لأبي مُحَمَّد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق: مُحَمَّد سعيد سالم القحطاني، طبعة: دار ابن القيم، الدمام.

٦١- شرح العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني أبو العباس، ط. مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ، تحقيق: إبراهيم سعيداي.

٦٢- شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين مُحَمَّد بن علاء الدين عليّ بن مُحَمَّد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى : ٧٩٢هـ)، ط. دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة، الطبعة المصرية الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، تحقيق جماعة من العلماء ، خرّج أحاديثه مُحَمَّد ناصر الدين الألباني.

٦٣- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد خليل الهراس، ضبط نصه وخرج أحاديثه: علوي عبد القادر السقّاف، الطبعة الأولى١٤١١هـ، طبعة: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض.

٦٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل، المتوفى ٥٤٤هـ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ، دار الفيحاء، عمان.

٦٥- الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي، صاحب الفتوحات المكية، لمحمد إبراهيم الفيومي ط. الدار المصرية اللبنانية.

حرف: (الصاد)

٦٦- الصفدية، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ)، ط. دار الفضيلة بالرياض.

٦٧- الصوفية في نظر الإسلام، لسميح عاطف الزين، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، طبعة: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

٦٨- الصوفية نشأتها وتطورها، تأليف مُحَمَّد العبدة وطارق عبد الحليم، الطبعة الثانية ١٩٩٧م، دار الأرقم، الكويت.

حرف: (الطاء)

٦٩- طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: محمود مُحَمَّد الطناحي، وعبد الفتاح مُحَمَّد الحلو، الطبعة الثانية ١٩٩٢م، ط. هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٠- الطريقة الختمية دراسة وتحليل في ضوء الكتاب والسنة، لإبراهيم عبد المطلب عثمان مُحَمَّد السوداني، رسالة جامعية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

حرف: (الظاء)

٧١- ظهر الإسلام، أحمد أمين، الطبعة الخامسة ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

حرف: (العين)

٧٢- العبودية، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق: مُحَمَّد زهير الشاويش، ط. السابعة ١٤٢٦ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٧٣- العقود الدريّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لشمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الدمشقي الحنبلي المتوفى: ٧٤٤هـ، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، طبعة: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧٤- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلّاف، نشر مكتبة الصفحات الذهبية الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٧٥- العلو للعلي الغفار، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، دار أضواء السلف، الرياض.

٧٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي مُحَمَّد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي العيني الحنفي، المتوفى: ٨٥٥هـ، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

حرف: (الفاء)

٧٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، لمحمد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، اعتنى به وراجع أصوله: يوسف الغوش، ط. دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٨هـ.

٧٨- الفتوى الحموية الكبرى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُحَمَّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ)، ط. دار الصميعي بالرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، تحقيق حمد بن عبد المحسن التويجري.

٧٩- الفتوحات الإلهية، لابن عجيبة الحسني، طبعة: عالم الفكر، القاهرة.

٨٠- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لشيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي المتوفى ٧٢٨هـ، تحقيق تخريج: عبد القادر الأرناؤوط، ط. مكتبة دار البيان، دمشق، سوريا ١٤٠٥ هـ.

٨١- فرق معاصرة تنتسب للإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي العواجي، الطبعة السادسة ١٤٢٨هـ، طبع: المكتبة العصرية الذهبية، جدة.

٨٢- فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي، المتوفى سنة (٦٣٨هـ)، بتعليق أبو العلا عفيفي، الطبعة الثانية، (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٨٣- فصوص الحكم لمحيي الدين بن عربي، شرح عبد الرزاق القاشاني، المطبعة الميمنية بمصر،و مكتبة البابى الحلبى ١٩٦٦م.

٨٤- الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث ، للدكتور عبد القادر محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

٨٥- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف.

٨٦- الفوائد، لشمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ط. دار عالم الفوئد، ت: مُحَمَّد عزيز شمس، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.

٨٧- فوات الوفيات، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان ١٩٧٤م.

حرف: (القاف)

٨٨- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ط. مكتبة الفرقان بعجمان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١هـ، ت: ربيع المدخلي.

٨٩- القصيدة النونية، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى : ٧٥١هـ، ط الثانية، دار ابن تيمية، القاهرة.

٩٠- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لمحمد بن صالح العثيمين، ط. الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٩١- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، المتوفى: ٣٨٦هـ، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حرف: (اللام)

٩٢- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بـ (التذكرة في الأحاديث المشتهرة)، لأبي عبد الله بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي ت: ٧٩٤هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٣- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

٩٤- اللّمع، لأبي النصر عبد الله بن علي السراج الطوسي الملقب بطاووس الفقراء، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، طبعة: دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٠ م.

حرف: (الميم)

٩٥- مجموعة الرسائل والمسائل، لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، علق عليه مُحَمَّد رشيد رضا، ط. لجنة التراث العربي.

٩٦- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، ط. الثالثة، دار الوفاء ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

٩٧- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، ط.الثانية ١٤٢٥ هـ، الفاروق الحديثة للطبع والنشر.

٩٨- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق محمود خاطر.

٩٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين مُحَمَّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط. دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، تحقيق مُحَمَّد حامد الفقي.

١٠٠- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، لموفق الدين أبو مُحَمَّد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي، المتوفى: ٦١٥هـ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.

١٠١- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠٢- المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمعه ورتبه وطبعه: مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى : ١٤٢١هـ)، ط. الأولى ١٤١٨ هـ.

١٠٣- المسند، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل، ط. مؤسسة قرطبة القاهرة.

١٠٤- مصرع التصوف، لإبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل، طبعة: عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

١٠٥- مُصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المتوفى ٢٣٥ هـ، تحقيق : مُحَمَّد عوامة، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة.

١٠٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، دار ابن القيم، الدمام.

١٠٧- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، لمحمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني،ط. دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٧ هـ.

١٠٨- معالم التنزيل، لأبي مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مجموعة محققين، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

١٠٩- المعتزلة بين القديم والحديث، لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، طبعة: دار الأرقم، برمنجهام، بلجيكا.

١١٠- معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، لمحمد بن خليفة التميمي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت.

١١١- المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني المتوفى ٣٦٠هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن مُحَّد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة دار الحرمين، القاهرة.

١١٢- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله ياقوت الحموي، طبع: دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ طباعة.

١١٣- المعجم الصوفي، لسعاد الحكيم، الطبعة الأولي ١٩٨١م، طباعة دندرة بيروت.

١١٤- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ط. دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق عبد السلام مُحَّد هارون.

١١٥- المعجم الوسيط، تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُحَّد النجار، ط. دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية.

١١٦- معرفة أنواع علوم الحديث -ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح-، لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح المتوفى ٦٤٣هـ، تحقيق: نور الدين عتر، طبعة: دار الفكر، سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت ١٤٠٦ هـ.

١١٧- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار -مطبوع بهامش إحياء علوم الدين-، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي المتوفى: ٨٠٦هـ، ط الأولى سنة ١٤٢٦ هـ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

١١٨- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن مُحَّد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داودي، طبعة: دار العلم، والدار الشامية ١٤١٢هـ، دمشق – بيروت، لبنان.

١١٩- المقدمة، تاريخ ابن خلدون، لمحمد بن مُحَّد بن أب بكر بن عبد الرحمن بن خلدون، طبع: دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر.

١٢٠- الموافقات، لإبراهيم بن موسى بن مُحَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: مشهور آل سلمان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، طبعة: دار ابن عفان.

١٢١- المواقف في علم الكلام، للقاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، طبعة: عالم الكتب، بيروت، لبنان، بدون سنة الطبع.

١٢٢- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، لعبد الرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض.

١٢٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد بن عبد العظيم الزُّرْقاني، المتوفى ١٣٦٧ هـ، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٢٤- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط. مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى، تحقيق مُحَّد رشاد سالم.

حرف: (النون)

١٢٥- النبوات، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، طبعة: أضواء السلف، الرياض.

١٢٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين المتوفى سنة ٨٧٤هـ، طبعة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

١٢٧- نزهة الخاطر العاطر بشرح روضة الناظر، ط. جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ، تحقيق عبد العزيز السعيد.

١٢٨- نظرات في معتقد ابن عربي، لكمال مُحَّد عيسى، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، طبعة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة.

١٢٩- نظرية المعرفة الإشراقية وأثرها في النظرة إلى النبوة، لإبراهيم هلال، طبع: دار النهضة العربية ١٣٩٧هـ، القاهرة، مصر.

١٣٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن مُحَّد التلمساني المقري، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ط. دار صادر، بيروت، لبنان.

١٣١- نواقض الإيمان القولية والعملية، لعبد العزيز العبد اللطيف، الطبعة الثالثة ١٤٢٧هـ، مدار الوطن للنشر، الرياض.

حرف (الهاء)

١٣٢- هذه هي الصوفية، لعبد الرحمن الوكيل، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

حرف: (الواو)

١٣٣- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ،ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث ١٤٢٠هـ، بيروت، لبنان.

١٣٤- الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، ط الأولى سنة ١٤٢٦ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٧١م، ط. دار صادر، بيروت.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع رقم الصفحة

المقدمة ١

أهمية الموضوع وأسباب اختياره ٤

الدراسات السابقة ٦

خطة البحث ١٠

منهج البحث ١٨

التمهيد ١٩

المطلب الأول: ترجمة ابن تيمية ٢١

المطلب الثاني: مصادر شيخ الإسلام ٣٠

المطلب الثالث: ابن عربي والصوفية الفلسفية ٣٤

المطلب الرابع: ترجمة ابن عربي ٥١

الباب الأول:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء ابن عربي الإعتقادية ٦٩

الفصل الأول:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مصادر التلقي عند ابن عربي ٧٠

المبحث الأول:

التلقي عن الله تعالى بلا واسطة، وادعاء العلم الإلهي ٧١

المبحث الثاني:

التلقي عن النبي ﷺ يقظةً ومناماً ٨٥

المبحث الثالث:

التلقي عن طريق الكشف ٩٤

المطلب الأول: الإلهام ٩٥

المطلب الثاني: الرؤى المناميّة ١٠٩

الفصل الثاني :

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في توحيد الربوبية ١١٤

المبحث الأول:

موقفه من قول ابن عربي بأن وجود الله هو الوجود المطلق الساري في المخلوقات......... ١١٥

المبحث الثاني:

موقفه من ابن عربي في قوله بوحدة الوجود ١٢٣

المطلب الأول : معنى القول بوحدة الوجود عند ابن عربي ١٢٣

المطلب الثاني : لازم القول بوحدة الوجود ١٣٤

المطلب الثالث : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بوحدة الوجود ١٣٨

مسألة ١٤٣

الفصل الثالث: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في أسماء الله جل وعلا. ١٥٠

المبحث الأول:

موقفه من قول ابن عربي أن وجود الله تعالى وجود مجرد لا اسم له ولا صفة ١٥١

المبحث الثاني:

موقفه من قول ابن عربي بعدم مباينته سبحانه وتعالى للعالم ، وأن الخالق يحتاج في وجوده إلى المخلوق ١٥٧

المبحث الثالث:

موقفه من قول ابن عربي أن حقيقة الأسماء أمور عدمية ١٦٧

المبحث الرابع:

موقفه من زعم ابن عربي أن الله تعالى لا ينزه عن شيء ، وأن تنزيه الله تعالى هو عين التحديد والتقييد ١٧٣

المبحث الخامس:

تسمية الله سبحانه بما لم يسم به نفسه من أسماء، وموقف شيخ الإسلام من ذلك ١٧٨

الفصل الرابع:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في صفات الله جل وعلا ١٨٢

المبحث الأول:

موقفه من وصف ابن عربي لله تعالى بكل صفات الذم التي يوصف بها المخلوق تصريحاً لا تلميحاً ١٨٣

المبحث الثاني:

موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في القرآن، وكلام الله جل وعلا عموماً ١٩٧

المطلب الأول: موقفه من قول ابن عربي أنه إذا خلق كلاماً في غيره صار هو المتكلم به.... ٢٠٠

المطلب الثاني: موقفه من قول ابن عربي أن كلام المخلوقين غير مخلوق ٢١٠

المطلب الثالث: موقفه من قول ابن عربي أن كلام الله فيض يفيض على القلوب......... ٢١٢

المطلب الرابع: موقفه من قول ابن عربي بإمكان سماع كلام الله لآحاد الناس ٢١٣

المطلب الخامس: موقفه من قول ابن عربي بأن الله عزوجل يكلّم أهل التصفية بأعظم مما كلّم به موسى عليه السلام ٢١٤

المطلب السادس: موقفه من زعم ابن عربي أن القرآن كله شرك ، وأن التوحيد في كلام أهل الوحدة ٢١٦

المبحث الثالث:

موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في رؤية الله جل وعلا ٢٢٠

المطلب الأول: موقفه من تنفرد ابن عربي بقول (أن الله يرى في الدنيا والآخرة) ٢٢٦

المطلب الثاني: موقفه من جمع ابن عربي بين النفي والإثبات في هذه المسألة ٢٢٩

المبحث الرابع:

موقف ابن تيمية من قول ابن عربي في صفة المحبة لله جل وعلا ٢٣١

المطلب الأول: حقيقة المحبة عند ابن عربي ٢٣١

المطلب الثاني: موقفه من قول ابن عربي في المحبة ٢٣٤

المطلب الثالث: موقفه من لازم قول ابن عربي في المحبة لله تعالى، والقول بإسقاط التكاليف ٢٤٠

الفصل الخامس:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من قول ابن عربي في توحيد الألوهية ٢٤٤

المبحث الأول:

موقفه من زعم ابن عربي صحة دين عبدة الأصنام والأوثان ٢٤٥

المبحث الثاني:

موقفه من زعم ابن عربي أن فرعون كان محقاً حينما قال (أنا ربكم الأعلى) ٢٥٤

المبحث الثالث:

موقفه من قول ابن عربي بصحة جميع العقائد ٢٦٤

المبحث الرابع

موقفه من زعم ابن عربي أن النصارى أخطئوا لما خصوا الحلول بشخص واحد ٢٧٥

الفصل السادس:

موقف شيخ الإسلام من عقيدة ابن عربي في النبوة والرسالة. ٢٨١

المبحث الأول:

موقفه من قول ابن عربي بأن النبوة مكتسبة.. ٢٨٢

المبحث الثاني:

موقفه من قول ابن عربي أن الوحي هو عبارة عن فيض يفيض على القلوب من العقل الفعّال ٢٨٧

المبحث الثالث:

موقفه من تكذيب ابن عربي للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما أخبروا به من الغيبيات ...٢٩١

المبحث الرابع:

موقفه من زعم ابن عربي أن كلام الرسل له ظاهر وباطن ، وبإمكان الاستغناء عن الأنبياء في تلقي الدين ٢٩٨

المبحث الخامس:

موقفه من قول ابن عربي بتفضيل أهل الصفوة والأولياء على الأنبياء والمرسلين و أن الأنبياء يخضعون للأولياء ٣٠٥

الفصل السابع:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في الولاية ٣١٠

المبحث الأول :

تعريف الولاية عند ابن عربي.. ٣١١

المبحث الثاني:

موقفه من تقسيم المشايخ والأولياء إلى درجات وطبقات عند ابن عربي ٣١٩

المبحث الثالث:

موقفه من قول ابن عربي بتفضيل الولي على النبي ٣٢٣

المبحث الرابع:

موقفه من قول ابن عربي أن الولي يتلقى عن الله تعالى مباشرة......................... ٣٢٨

المبحث الخامس:

موقفه من زعم ابن عربي أن الولي معصوم، ويقول للشيء (كن) فيكون ٣٣١

المبحث السادس:

موقفه من قول ابن عربي أنه هو خاتم الأولياء كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء ٣٣٨

الفصل الثامن:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في كرامات الأولياء ٣٥١

المبحث الأول:

الكرامة وأقسامها عند ابن عربي.. ٣٥٢

المبحث الثاني:

موقفه من قول ابن عربي في الكرامة.. ٣٥٨

الفصل التاسع:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من عقيدة ابن عربي في القدر ٣٦٣

المبحث الأول:

موقفه من قول ابن عربي أن العبد ليس له فعل ، بل الفعل في الحقيقة لله ٣٦٤

المبحث الثاني:

موقفه من الاحتجاج بالقدر على المعاصي والكفر.. ٣٧٠

المبحث الثالث:

موقفه من قول ابن عربي أن الله يأمر العبد ظاهراً بطاعته ، فإن وقعت من العبد معصية عرفنا أن الله أمره بها في الباطن ٣٧٦

المبحث الرابع:

موقفه من قول ابن عربي بطاعة الإرادة، وأنه ليس ثمة طاعة ولا معصية ٣٨٠

المبحث الخامس:

موقفه من قول ابن عربي في مسألة الاستطاعة ٣٩١

المبحث السادس:

موقفه من قول ابن عربي في الفناء، وغياب الشهود ٤٠٣

المبحث السابع:

موقفه من قول ابن عربي بسقوط التكاليف بالفناء ٤٠٦

المبحث الثامن:

موقفه من قول ابن عربي في العصاة ٤١٢

الفصل العاشر:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظريات ابن عربي ٤١٦

المبحث الأول:

نظرية الإنسان الكامل ٤١٧
المطلب الأول : المراد بنظرية الإنسان الكامل عند ابن عربي ٤١٧
المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية الإنسان الكامل ٤٢٢

المبحث الثاني:

نظرية ختم الولاية ٤٢٣
المطلب الأول : المراد بنظرية ختم الولاية عند ابن عربي ٤٢٣
المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية ختم الولاية ٤٢٦

المبحث الثالث:

نظرية نقطة الدائرة ٤٣٠
المطلب الأول : المراد بنظرية "نقطة الدائرة" عند ابن عربي ٤٣٠
المطلب الثاني : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية "نقطة الدائرة" ٤٣٢

المبحث الرابع:

نظرية نقطة القطب.. ٤٣٣

المطلب الأول: المراد بنظرية نقطة القطب عند ابن عربي ٤٣٣

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية نقطة القطب ٤٤١

المبحث الخامس:

نظرية الأعيان الثابتة.. ٤٤٤

المطلب الأول: المراد بنظرية الأعيان الثابتة عند ابن عربي ٤٤٤

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية الأعيان الثابتة ٤٤٨

المبحث السادس:

نظرية التنزلات الستة ٤٤٩

المطلب الأول: المراد بنظرية التنزّلات الستة عند ابن عربي ٤٤٩

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية التنزّلات الستة ٤٥٠

المبحث السابع:

نظرية المراتب السبعة ٤٥٢

المطلب الأول: المراد بنظرية المراتب السبعة عند ابن عربي ٤٥٢

المطلب الثاني: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من نظرية المراتب السبعة ٤٥٤

الباب الثاني :

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من منهج ابن عربي في السلوك ٤٥٥

التمهيد ٤٥٦

المطلب الأول: معنى رياضة النفس ، وأدلتها ، ومجالاتها ٤٥٦

المطلب الثاني: معنى المجاهدة، وثمرتها، وتطبيقاتها ٤٥٩

المطلب الثالث: المراد بآداب السلوك، وأنواعه ٤٦٣

المطلب الرابع: المقامات والأحوال، وصلتها برياضة النفس ٤٦٤

الفصل الأول:

رياضة النفس عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها ٤٦٧

المبحث الأول:

مفهوم رياضة النفس عند ابن عربي... ٤٦٨

المبحث الثاني:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من رياضة النفس عند ابن عربي.................... ٤٧٧

الفصل الثاني:

مجاهدة النفس عند ابن عربي وموقف شيخ الإسلام منها ٤٨٠

المبحث الأول:

مفهوم مجاهدة النفس عند ابن عربي ٤٨١

المبحث الثاني:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مجاهدة النفس عند ابن عربي ٤٨٤

الفصل الثالث:

آداب السلوك عند ابن عربي، وموقف شيخ الإسلام منها ٤٩٠

المبحث الأول:

المراد بآداب السلوك عند ابن عربي... ٤٩١

المبحث الثاني:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آداب السلوك عند ابن عربي ٤٩٥

الفصل الرابع:

المقامات والأحوال عند ابن عربي، وموقف شيخ الإسلام منها ٥٠٥

المبحث الأول:

مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي ٥٠٦

المبحث الثاني:

موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من مراتب المقامات والأحوال عند ابن عربي............ ٥٠٩

الخاتمة ٥١٢

فهارس البحث ٥١٥

فهرس الآيات القرآنية ٥١٦

فهرس الأحاديث النبوية ٥٣٦

فهرس الآثار ٥٤٢

فهرس الأعلام ٥٤٤

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة ٥٥٨

فهرس الأماكن والبلدان ٥٦٧

فهرس الفرق والطوائف ٥٧٠

فهرس الأبيات الشعرية ٥٧٩

ثبت المصادر والمراجع ٥٨٣

فهرس المحتويات ٦٠٠